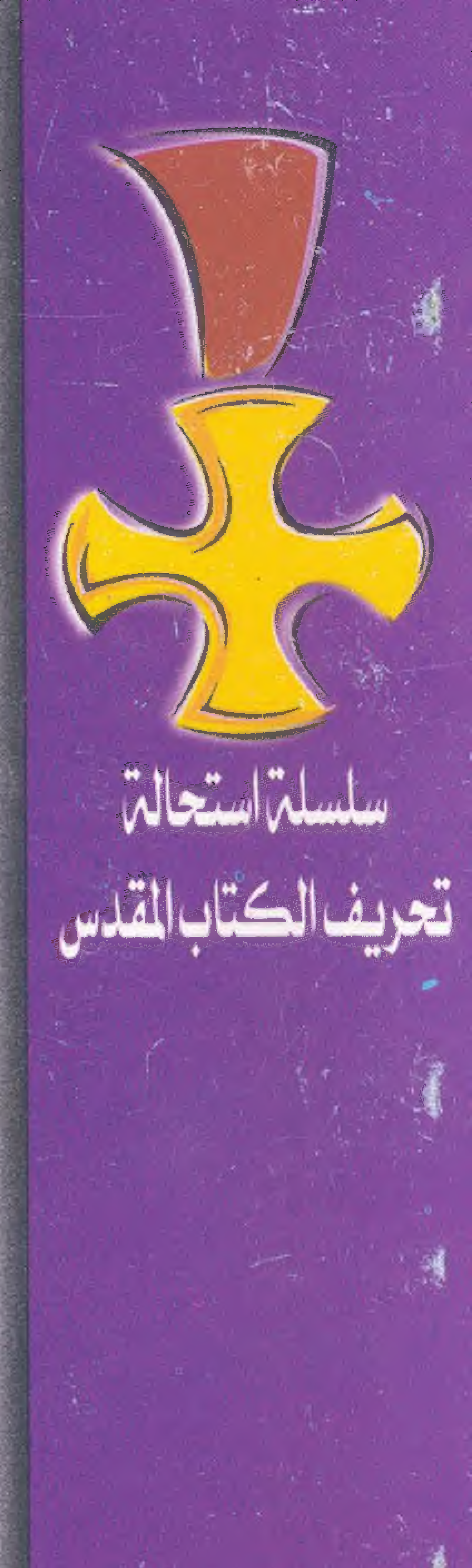
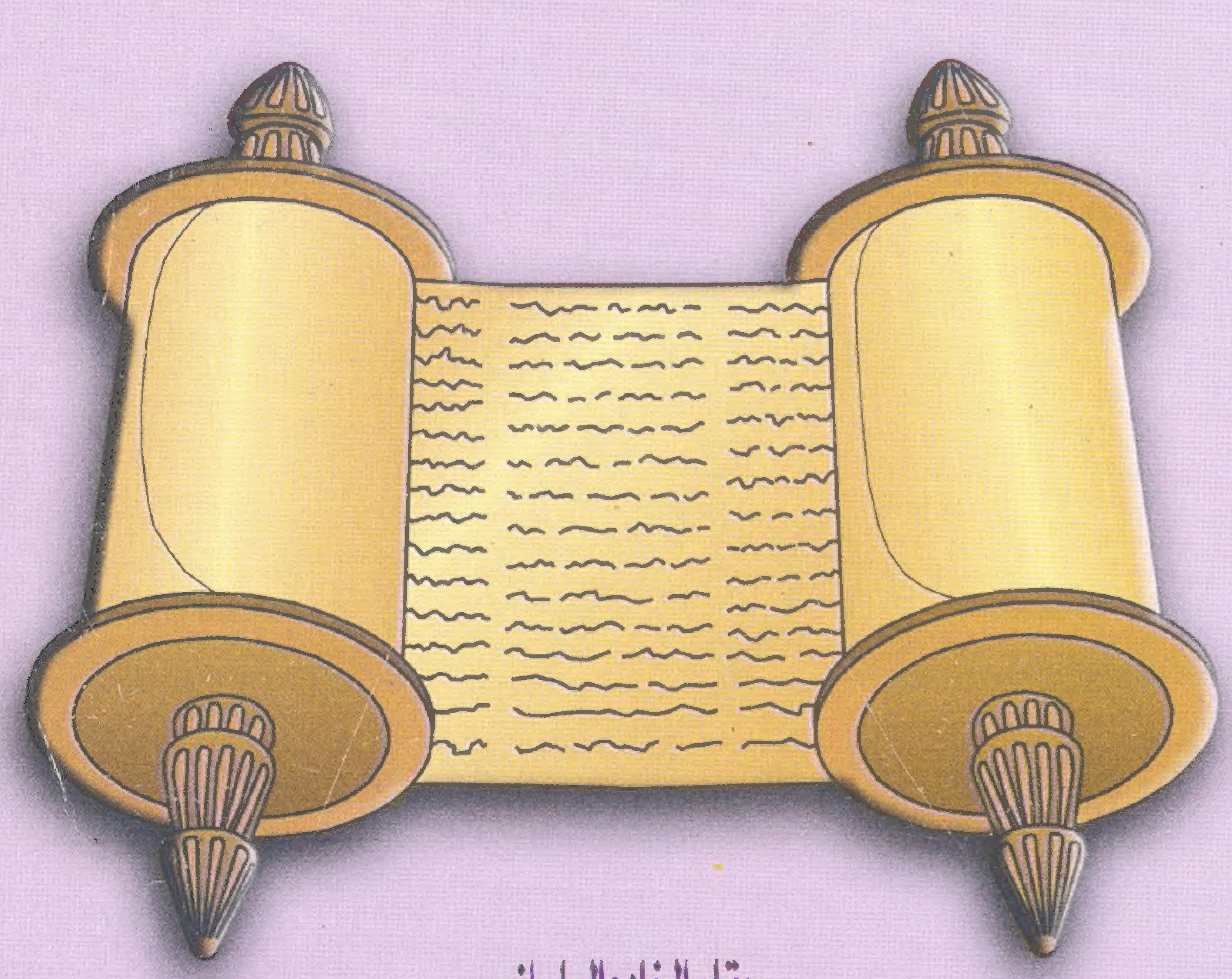
تحريف التوراة والإنجيل بين الحقيقة والافتراء





بقلم الخادم العلماني

ثروت سعيد

تحت رعاية

نيافة الحبر الجليل الأنبا هدرا

أسقف أسوان وتوابعها

مراجعة وتقديم

القمص صليب إلياس الديك

خادم كنيسة العذراء بأدفو

إهـــــداء٢٠٠٧
الشيخ /عبد السلام محمد

تحريف التوراة والإنجيل

بين

الحقيقة و الافتراء

الكتاب الذى يشرح تفنيد الادعاء

بتحريف الكتاب المقدس

منطقياً وعقلياً وقرآنياً

بالرآى والرآى الآخر

(الجزء الأول)

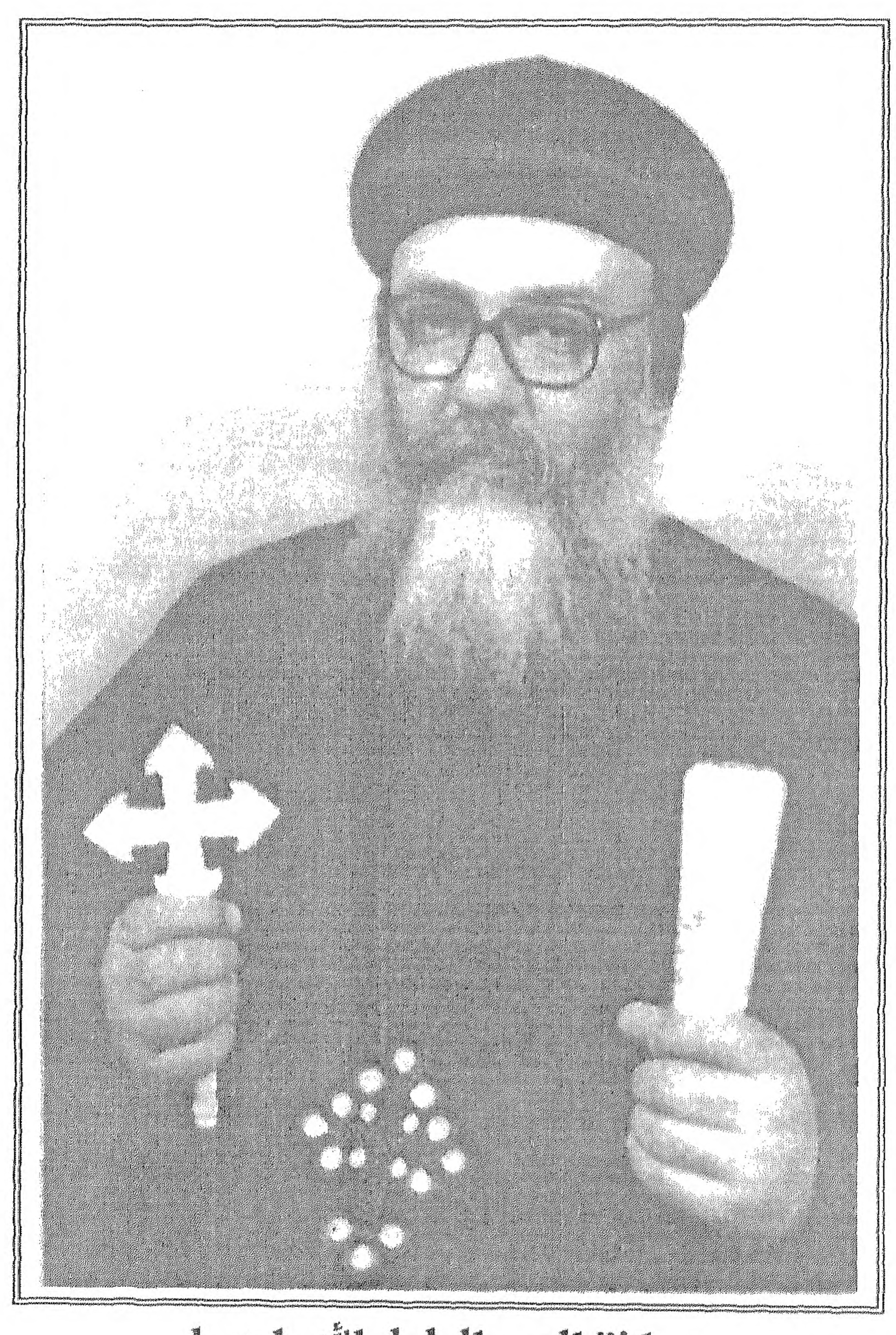
تحت رعاية الحبر الجليل
نيافة الأنبا هدرا
اسقف أسوان وتوابعها

مراجعة وتقديم
القمص صليب إلياس الديك
كاهن كنيسة العذراء مريم بادفو

للخادم العِلماني
ثـروت سعيـد

أسم الكتاب:	تحريف التوراة والإنجيل. بين الحقيقة والافتراء.
أسم المؤلف:	ثروت سعيد رزق الله .
رقم الإيداع بدار الكتب:	٢٠٠٦/١٩٣٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N	977/5966/25/6
الطباعة:	على نفقة المؤلف.
حقوق الطبع والنشر:	محفوظة للمؤلف فقط.
الترجمة والتصـــدير:	محفوظة للمؤلف فقط.
الناشر:	المؤلف.

يطلب من	١- المؤلف. ت: ٠١٢/٢٢١٠١٦٢ ٢- المكتبات المسيحية. ٣ ـ دار مكتبة الحرية بشبرا ت : ٥٧٨١٠٤٩ ـ ٥٧٨١٠٤٧ ٣- وكيل التوزيع بكنائس القاهرة: مخلص هنرى عطا الله. ت: ٠١٠/١٠٥١٠٠٤



نيافة الحبر الجليل الأنبا هدرا
أسقف أسوان وتوابعها ورئيس دير الأنبا باخوميوس بإدفو

الفهـــــرس

تقديم:

يظن غير العارفين أن الإسلام يطعن فى المسيحية ويحارب عقائدها وكتابها المقدس، بينما يجد الباحث المدقق فى كل ما جاء بالقرآن الكريم عن المسيحية:

١- أن نبى الإسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها، وأيد جلالها وأثبت صحة الكثير من تعاليمها. بل ونادى بوجوب تقديس أوامرها والعمل بها، وإحترام كتبها المنزلة. فكان بذلك شاهداً لها ومؤيداً لصدقها كما سيرد فى هذا الكتاب.

٢- أن ما ناهضه القرآن ماهو إلا بدع ظهرت عند ظهور المسيحية وحاربتها المسيحية وعقدت لأجلها المجامع. فجاء القرآن ليناهضها أيضاً كما سبق ودحضتها المسيحية.

+ غير إنه بكل أسف أنساق الكثيرون وراء الفهم الخاطىء، لما عناه القرآن الكريم فى الهجوم، فظنوه هجوماً مطلقاً على المسيحية، وعلى صحة كتابها المقدس الموحى به من الله . مما دعا الكاتب وغيره أن يكتبوا ليوضحوا هذه الحقائق من الكتاب المقدس ومن القرآن.

+ وأمام هذه الآيات فقط كمثال يجد القارىء أنه ليس فى حاجة الى التدليل على صحة الكتاب المقدس.

التوراة : " كل الكلام الذى أوصيكم به أحرصوا لتعلموه. ولا تزد عليه ولا تنقص منه" (تثنية: ١٢: ٣٢).

الإنجيل: " لأنى أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب . وإن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبه فى هذا الكتاب. وأن كان أحد يحذف من أقوال هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب فى هذا الكتاب " (رؤ٢٢: ١٨-٢٠).

وصدق الشاعر: لا يخدع الله قوماً يؤمنون به ...... فتلك خدعة إنسان لإنسانِ

القرآن يعلن ويؤكد: بآياته الصريحة كما سيجىء فى هذا الكتاب :

* " الوحدة فى الكتب الثلاثة واحد ". كما جاء فى (البقرة ٢١٢).

* أنذر بعذاب من يكفر بأحد من الكتب الثلاثة. كما جاء فى (غافر: ٦٩-٧١).

* الكتاب المقدس هو الإمام للقرآن، وما القرآن إلا نسخة عربية مصدق للكتاب الإمام، كما جاء فى (الأحقاف ١١).

إذن فماذا لو حُرف أى ضل الكتاب الإمام:

تُرى ماذا يكون من أمر المأمورين إلا الضياع والضلال المبين.

+ هذا وقد نزه الله كُتاب الكتاب المقدس بعهديه، لا من التحريف فحسب بل وحتى من مجرد الشك فى صحة وسلامة الكتاب المقدس، فلم يقل لأحدهم:

(فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك). "

(سورة يونس ٩٤)

+ ولعله من الواضح عقلياً ومنطقياً أنه من أبسط الأمور الدالة على صحة الكتاب المقدس وسلامته من التحريف وأنه موحى به من الله أن الله الذى إسمه:

" الله محبة "

كان لا بد أن يجعل كتابه حاوياً للمحبة ويعملها لخاصته ليعلمونها للناس فيعيشونها.

فالكتاب الذى يخلوا من المحبة والحث على تعليمها ومعايشتها ليس من الله ، والكتاب المقدس بعهديه الذى بين أيدينا الآن وأيدى كل البشر، على إختلاف مواطنهم ولغاتهم منذ حوالى الفين سنة هو هو الحاوى لرسائل كاملة وأصحاحات كاملة عن المحبة (أقرأ ١كو ١٣ ورسائل يوحنا الرسول .. الخ).

ويكفى هذا رداً للقائلين بتحريف الكتاب المقدس .. فلو حُرف الإنجيل لألغى المحبة، ونادى بعين وسن بسن، وعلّمَا الإنتقام من المعادين بدلاً من تعليمه محبة الأعداء ومباركة اللاعنين والإحسان إلى المبغضين .

هذا وقد أفاض الأستاذ/ ثروت سعيد. فى إثبات ذلك فى كتابه الجامع الشامل:

(تحريف التوراة والإنجيل بين الحقيقة والإفتراء . ج ١)

مؤكداً إستحالة التحريف منطقياً وعقلياً، وأنه ليس للترجمة أثر فى التحريف، وعدم إمكانية ذلك قبل أو بعد الإسلام، وأن القرآن بمجيئهُ لم ينسخ التوراة والإنجيل. ثم أثبت بالأدلة الكتابية صحته وسلامة الكتاب المقدس فى القرآن.

ولم يقتصر الكاتب على ذلك. بل وضع فصولاً هامة أزال فيها الغموض حول :

١ – بدعة إنجيل برنابا وزيف هذا الكتاب.

٢ – النبى الموعود .. وكان الرد شافياً كافياً حاسماً لكل شك فى كون هذا النبى هو وحده الرب يسوع المسيح وليس سواه.

٣- قضية البركة الخاصة بإسحق وكونه الذبيح الفعلى أبن إبراهيم، وليس إسماعيل. وذلك بعهد إلهى بين الله وإبراهيم، حدد فيه إسحق وليس مجرد بركة كما لإسماعيل (تك ص ١٥، ١٧، ٢١، ٢٤).

٤- قضية البارقليط وكيف أنه ليس إنسانلً بل روح الله الذى يمكث معنا إلى الأبد.

كل ذلك أفاض فيه الكاتب فى إلتزام بالحيدة الكاملة، للوصول إلى الحقيقة المجردة بالمنطق العقلى والنقلى، بغض النظر عن مواطن الخلاف فى الرأى مع الآخر. مما جعل الكتاب عاملاً لتثبيت المؤمنين وهدى لغير المؤمنين فيسارعون للتثبت فى الحق.

وعلى حد قول شعراء الفرس. فقال أحدهم:

وأختر هواك بمن فى حبه وجَدّت   كل النـبيين ربـاً فائـق النعـمِ.

وأسلوب الحيدة فى هذا الكتاب، هو ما نهجه أيضاً الكاتب فى كتابه السابق:

(حقيقة التجّسد . تجسد الكلمة. الثليث والتوحيد . والفداء بالصليب)

وهذه أمانة الباحث وأدب الكاتب وأننى أهنىء المكتبة المسيحية ولغة الضاد بهذا الكتاب الهام، وفى الأجزاء التالية التى ستصدر تباعاً للكاتب بمشيئة الله.

وليبارك الله كل عمل لمجد أسمه القدوس. وبصلوات أبينا الطوباوى قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث، وشريكه فى الخدمة الرسولية سيدنا المحبوب الأنبا هدرا أسقف أسوان ودراو وكوم امبو وأدفو ورئيس دير القديس العظيم الأنبا باخوميوس بحاجر إفو.

ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين .

القمص صليب إلياس الديك

خادم كنيسة السيدة العذراء مريم (الظهور) بإدفو

فى ٢٠٠٦/١/٦م

٢٨ كيهك ١٧٢٢ ش

برمون عيد الميلاد المجيد

مقـــدمة:

إن قضية تحريف التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس) من القضايا التى تثير جـدلاً واسـعاً ولا سيما في المشرق العربي، وازدادت حدة الإدعاء والهجوم بتحريف التوراة والإنجيل في الآونة الأخيـرة من القرن العشرين، وقد انبرى العشرات من الكّتاب المخلصين والمفكرين من مشارق الأرض ومغاربها، يدحضون هذا الادعاء الغريب الباطل الذي لا يستند على أى أساس عقلى أو منطقى أو تاريخى يثبت هذا الادعاء.

ومن المؤسف أن معظم هذه الهجمات نشأت بين بعض علماء الكتاب المقدس، المنحـرفين عـن الحق، في أوائل القرن التاسع عشر، وأطلقوا عليها اسم النقد العالي والنقد المنخفض، وقد ردّ رجـال الدين المحافظون على هذه الكتابات، وفندوها وأظهروا خطأها، فلم تعد تحظى بالاحترام في يومنا هذا، ولكن بعض أخوتنا من رجال الدين المسلمين والكُتّاب لا زالوا يقتبسونها كأنها صحيحة، ولا زال بعض أساتذة الجامعات العربية في كليات الآداب يدرّسونها دون أن يتيحوا لتلاميذهم فرصة الاطـلاع علـى الردود التي تفندها.

وهذا الكتاب هو الجزء الأول من سلسلة تفنيد كتابنا المقدس باستحالة تحريفه وتبديلـه، والـذى سنتناوله في ثلاث أجزاء، نظراً لكثرة الموضوعيات وتنوعها، ولذا تم تقسيم تلك الموضوعيات علـى حسب نوعها كل فى كتاب مستقل لكل منهم، وستصدر تباعاً:

١- تحريف التوراة والإنجيـل بين الحقيقـة والافتراء. (الجزء الأول).
٢- الأدلة العلمية في الكتـاب المقدس وإعجـازه. تثبت صدقه. (الجزء الثانى).
٣- الأعجاز النبوي وتحققها في الكتـاب المقدس. تثبت وحيه. (الجزء الثالث).

ويشمل هذا الكتاب (الجزء الأول) ثمانية فصول تشرح الأدلة المنطقية والعقلية لعـدم تحريـف الكتاب المقدس. وعدم نسخ القرآن للإنجيل والتوراة، والرد على الاتهامات بتحريف الكتاب المقدس من القرآن ذاته. وفى هذا الجزء نعرض لأهم الاتهامات الجوهرية وتفنيدها تفصيلياً، لأنها أهم الاتهامـات المثارة والتى تحتاج لتوضيح، وعدا ذلك لا يستحق التفنيد، لأنها اعتراضات واهية، لأن المعترض لـو قرأ الآية ذاتها كاملة، والمناسبة التى قيلت فيها. لفهم المقصود من معانى تلك الآيات دون تفسير.

إن من يدّعون بأن الكتاب المقدس تم تحريفه وتبديل كلماته وآياته، بما يتفق مع ميول محرفيها ورغباتهم، قدموا الادعاءات التالية بقولهم:

- انه تم حذف بعض آيات من الإنجيل والتوراة التى لا توافق رغباتهم.
- انه تم إضافة بعض الآيات من عندهم ليؤلهون المسيح، ويرفعونه إلى درجة أعلـى مـن البشـر ويجعلونه إلهاً. وأنه لم صلب.

- أن التحريف أصاب التوراة والإنجيل **بسبب ترجمتها** إلى لغات عديدة أفقدتها معناها.
- أن هذه **التوراة** ليست هى توراة موسى، **والإنجيل** ليس هو الذى نادى به عيسى.
- أن التوراة الأصلية **مدفونة أسفل الهرم الأكبر** أما التوراة الحالية فهى **من تأليف اليهود.**
- أن التوراة **فقدت فى السبى البابلى** فى القرن السادس قبل الميلاد، عندما دمر نبوخذنصر أورشليم والهيكل وسلب محتوياته.
- إن الإنجيل **هو من تأليف الحواريون** وبولس الرسول، وليس هو إنجيل عيسى.
- إن **إنجيل برنابا** هو الصحيح، أما الأناجيل التي بين أيدينا فهى **محرّفة ؟؟!**
- منهم من قال إن المسيح الذى جاء ليس هو المسيح **(حسب إنجيل برنابا المزيف)، وإنما المسيح هو محمد نبى الإسلام !؟.**
- **وإن الباراكليت (المعّزى) هو محمد نبى الإسلام وليس الروح القدس.**
- إن الديانة المسيحية **هى ديانة محلية** لشعب محدد فى بقعة معينة من أرض فلسطين **وليست ديانة عالمية مثلها مثل الديانة اليهودية.**
- **أن الإنجيل أبطل ونسخ التوراة، والقرآن أبطل ونسخ كليهما (الإنجيل والتوراة) !؟.**

وهناك الكثير من الادعاءات التى لا تستند على أى واقع عقلى أو منطقى، ولا هدف لها سوى وهّم الآخرين بأن هذا الكتاب (التوراة أو الإنجيل) **أصبح لا قيمة له ولا صلاحية فيه، ولا يلزم أحد بأتباع شرائعه وسننه، وذلك لانقضاء العهد به، وأصبحت تعاليمه قديمة منسوخة وباليه، وأنها وضِعت لعصر من العصور التاريخية، ولشعب واحد من دون الشعوب وهم (اليهود)، وانتهت بانتهاء هذا العصر. أى أن شريعة التوراة والإنجيل جاءت لأجل شعب اليهود فقط.!؟**

إن إبليس دائماً وأبداً **ما زال يشكك الناس** فى كلام الله بنفس الأسلوب القديم، منذ أن تسبب فى سقوط آدم، **وهو لم ييأس أبداً** فى محاربة كلمة الله، **وسوف يحاربها فى المستقبل كما حاربها فى الماضي،** بأساليب وطرق شتى على حسب مقتضيات العصر، **والتلّون بلونه**، أنه يريد سقوط جميع الناس فى حبائلهُ فى كل العصور والأجيال حتى المنتهى وأنه يجول كأسد زائر يلتهم كل من يعترض طريقه، **ويطلق سهامه الملّوثة سهما تلو الآخر، حاملة السُم الذى يُلائم كل عصر من العصور، وعلى كل فكر وعقلية على حسب تطّورها الطبيعي على مر العصور والأجيال.**

ولا مانع من إبليس أن يمنح شهادات الدكتوراه لمن يهاجم كتاب الله ويشكك فى وحيه،

ويوسوس فى صدور الناس لكى يمحو كلماته فى كتبه السماوية.

فى القديم كان آدم وحواء يتمتعان بالفردوس الذى وضعهما الله فيه، بعد أن خلقهُما فى أحسن صورة، وحسدهم الشيطان **فأطلق (السهم الأول)** على حواء وآدم **ملوثاً بداء الكبرياء والعصيان**، وذلك

بإغوائهم بالأكل من الشجرة المحرّمة ليصيرا مثل الله، فسقط آدم وسقطت حواء من أول رميه أصطادهما بها الشيطان.

وأطلق الشيطان (السهم الثانى) على نسل آدم ملوثاً بداء الوثنية وعبادة المخلوقات من دون الله، وكأن هذه المخلوقات المصنوعة بالأيادي، أو تلك الحيوانات، هى التى أوجدته من العدم، وجعل النجاسة والرذيلة كأحد أركان العقيدة.

وقد نجح الشيطان نجاحاً عظيماً فى ذلك مما جلب العناء للإنسان. وأرسل الله الطوفان كعقاب جماعى للإنسان لعدم سماعه لوصاياه، وذلك بالرغم من وجود الشريعة الشفوية منذ آدم، وهى شريعة بدائية وبسيطة متوارثة من الآباء الأوائل، وكان ذلك منذ آدم وحتى نوح البار، وأيضاً بطريقة الأحلام والرؤى، وتم ذلك فى إبراهيم الخليل وأسحق ويعقوب ويوسف الصديق.

وبظهور أول شريعة مكتوبة لموسى النبى (التوراة)، عرف الإنسان إن تلك المخلوقات التى عبدها لا تنفع ولا تضر. وعبدوا الله الحقيقى خالق المخلوقات على كل وجه الأرض.

فاطلق الشيطان (السهم الثالث) ملوثاً بالفلسفة والالحاديه بعدم وجود الله، وان الكوّن هو الذى أوجد نفسه بنفسه. وقد نجح أيضاً الشيطان إلى حد ما، ولكن أنبياء العهد القديم كان لهم تأثيراً مضاداً لهذه الأسهم الملوثة، وكانوا كترسة المحارب تصد به أسهمه الغادرة، وكانوا هؤلاء الأنبياء كشموع منيرة تنير ظلمات العالم الوثنى، وعندما تنطفئ شمعة ويذبل ضيائها تتوقد شمعة أخرى فى أعقابها طوال ألفى عام منذ إبراهيم الخليل وحتى قُبيل مجيء السيد المسيح، سلسلة من الأنبياء المتعاقبين فى بنى إسرائيل، ولكنها كانت محدودة التأثير لعدم انتشار الشريعة الانتشار الكافى فى بقاع المسكونة، حيث أنها كانت فى أطوارها الأولى لتأسيس شعب الله المختار أولاً، كما أن مواعيد الشريعة والخلاص، ونموها المتصاعد التدريجى لم يكتمل بعد فى المسيح وفداءه.

وقد استخدم الله شعبه المختار حينئذ (اليهود) فى نشر عقيدة التوحيد فى الدول المحيطة، وذلك من خلال عقابهم وسبيهم وتشتتهم فى تلك الدول، فحملوا معهم عقيدة عبادة الإله الواحد لهذه الدول التى سبوا إليها. وقد عرف إخناتون التوحيد من شريعة موسى. وعرفت الجزيرة العربية التوحيد من قبائل اليهود المنتشرين بها، كما أن اكتساح اليونان لدول حوض البحر المتوسط وترجمة التوراة (الترجمة السبعينية فى سنة ٢٨٠ ق.م) إلى اللغة اليونانية، المنتشرة فى تلك البلاد ساعد على نشر ديانة التوحيد فيها. وأعقب ذلك الاكتساح الروماني لأكثر دول العالم، فى قارات أسيا وأوربا وأفريقيا، وسبى اليهود وإرسالهم لتلك الدول، ولم تخلوا أغلب دول العالم المعروف حينئذ من اليهود فكانوا كشمعة تنير ظلام الوثنية، وتعّرف تلك الشعوب عبادة الله الواحد الحي الخالق الديان.

وفى انتشار اليهودية فى كل تلك البقاع، كان تمهيداً لظهور المسيحية وتكميلاً للعقيدة اليهودية، من شريعة العهد إلى شريعة النعمة، ومن معناه الرمزي والمادى للفداء والذبيحة، إلى تحقيقها فى المسيح الذبيح الحقيقى.

أى أن الله أستخدم عِقاب اليهود فى خدمة ونشر العقيدة بواسطة سبيهم وترحيلهم لدول العالم الوثنى، وذلك كان تمهيداً لظهور المسيحية بتجّسد الكلمة وتحقيق الوعد بالخلاص لكل الشعوب.

وعندما جاء السيد المسيح وبدأت تعاليمه وشرائعه تنتشر فى كل بقعه من بقاع الأرض، وبدأت الوثنية تتراجع وتتحطم أمام شريعة المسيح السامية والكاملة، وتكشفت صورة الشيطان البشعة الخادعة، وانهزامه أمام الصليب فى كل أرض اعتنقت المسيحية، وانهارت الإمبراطوريات الوثنية انهياراً عظيماً، واندكت أوثانها ودُمرت معابدها، وصابتها نكسه عظيمة من جراء هذا التعليم.

فجن جنون إبليس فأخذ يطلق (سهامه العديدة) الملوثة فى كل اتجاه، وخاصة فى العقول البشرية المفكّرة، لتشويه هذا العمل العظيم – عمل الفداء بالمسيح والخلاص للبشرية – وأصبح من السهل مقاومته بالشريعة الجديدة، وأصبحت هناك قوة مضادة له كسرت شوكته وانفضح آمره.

ومن هنا أخذت الثورة منه كل مأخذ وصال وجال هنا وهناك، يريد أن يفرّغ كل سمومه دفعه واحدة كأسد زائر يريد التهام الجميع.. فأخذ يطلق سهامه الكثيرة المتعددة الملوثة، ليحارب بها التعاليم الجديدة التى عكرت صفوه وأقلقت مضاجعه، فصب جام غضبه على المسيح وأتباعه لأنه كان السبب فى كشفه وهزيمته، وأصبح الإنسان قادراً على هزيمة الشيطان بعد أن كان عبداً له، فأثار الملوك والرؤساء على اضطهاد المسيحيين وقتلهم وتعذيبهم دون مقاومة من المسيحيين، ودون أن يدافعوا عن أنفسهم ولو بسيف واحد، لم تستطع جيوش روما بكل قوتها أن تهزم المسيحية، ولم يستطع الفلاسفة، الذين كرسوا أنفسهم لهدم ومحو المسيحية من على وجه الأرض، أو الوقوف أمام حفنة من صيادى سمك، ليس لهم علم الفلاسفة أو دهاء السياسيين أو قوة المحاربين. ومع ذلك لم يستطيعوا الانتصار عليهم، بل انقلبوا هؤلاء الملوك والرؤساء على أنفسهم، واعتنقوا المسيحية مع شعوبهم التى سادت العالم.

ومع اكتساح المسيحية للعالم بتعاليمها السامية، أخذت أساليب الشيطان فى التطوّر بما يناسب العصر للتشكيك فى شخصية المسيح من هو؟، بعد أن فشل الاضطهاد المريع والعذاب المرير، الذي يقشعر منه الأبدان طوال ثلاثة قرون ولذي حاق بالمسيحيين في كل بلدان العالم، والذى شنه إبليس كحملة شعواء على المسيحية، بل تعدى الأمر بوهم الفلاسفة بأن شخصية المسيح شخصية وهمية ولا وجود لها في التاريخ، بل أدعى البعض بأن ميلاد السيد المسيح العجيب والمعجز بدون زرع بشر والخارج عن كل القوانين الطبيعية، والذى يختلف عن كل البشر والأنبياء والرسل، والذى لم ولن يتكرر فى التاريخ، بأنه عمل لا غرابة فيه ولا يميز هذا الميلاد عن غيره من الأنبياء.. وهكذا تتم تسطيح كل القضايا المسيحية

العظيمة والفريدة من عمل الله لخلاص الإنسان الفداء العظيم. وحارب الشيطان عقيدة الثالوث في الوحدانية للذات الإلهية والتشكيك في صحتها، وقضية التجسّد والفداء لخلاص الإنسان (١).

وأيضاً من جملة هذه السهام التي رمى بها الشيطان كتاب الله، تلك التي تقول " بتحرّيف الكتاب المقدس "، وتتهمه بالتحريف والتبديل والتزييف، والادعاءات التي لا تستند على أي أساس عقلي أو منطقي أو تاريخي أو عقائدي، بل هي من خيالات الكُتاب الذين يستندون بأدلتهم على الخارجين عن المسيحية والهراطقة والملحدين من المسيحيين ومن غير المسيحيين، والذين لا يعترفون بوجود الله أصلاً، وقد كرسوا حياتهم لهدم الدين المسيحي على وجه الخصوص والأديان السماوية على وجه العموم، وهم ضد كل دين سماوي، والذين يخضعون أمور الله الروحية والسامية إلى أمور مادية حسية أرضية، والذين يقتبسون من الآيات المعاني الظاهرية دون عمق أو رَوّية، أو الفهم الصحيح لها، وقد استخدمهم الشيطان لهدم العقيدة باستخدام أسلوب الفلسفة والعقلانية، وهو أسلوب جديد ذكي يتناسب مع العقول المتطورة. لأنه لم تعد الأساليب القديمة وهي عبادة الأوثان والمخلوقات من دون الله تُجدي في إنسان القرن العشرين.

كما أن الشيطان لم يكتفي بمهاجمة المسيح من الخارج بل تعدى الأمر بمهاجمة المسيحية من الداخل لكي يفتتها، مستخدماً بعض الهراطقة من المسيحيين لتشويه المسيح وحقيقته، واستغلال البعض لأراء هؤلاء لتدعيم آرائهم على زّيف المسيحية وتحريّفها، إلا أن رجالاً آزرهم الله لصد هذا الهجوم ودحره بقوة الله التي تساندهم، ولذا فان المسيحية ظلت صامدة على مر التاريخ، وإيمان كل المسيحيين بكل طوائفهم يرتكز على صخرة الإيمان الواحد، وهو أن المسيح ابن الله الحي وهو الكلمة المتجسدة الذي جاء لعالم البشر لأجل خلاص الإنسان وفداءه.

وقد أنبرى بعض الكُتاب الشرفاء على كشف تلك البدع والذين آزرهم الله بروحه القدوس في كل زمان على مر العصور، والذين دافعوا عن الإيمان القويم بكل قوة الكلمة، وعقدوا المجامع المسكونية العديدة من ممثلي أساقفة كنائس العالم عند ظهور أي بدعة من نفوس ضعيفة أستخدمها الشيطان لتشويه المسيحية ومسيحها. لتفنيد تلك البدع، وهم على ثقة وطيدة من صدق قول السيد المسيح لهم (يوحنا ١٦: ٣٣)، (متى٢٨: ٢٠):

«ثقوا أنا هو قد غلبت العالم».

"وها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر"

---

(١) تمت مناقشة هذه القضية بالتفصيل في كتابنا حقيقة التجسد.

ومن حسن الحظ، بل قل أنه **بترتيب إلهى**، بأن الله حفظ لنا عشرات الآلاف من المخطوطات الكثيرة، والحفريات الحديثة التى تكتشف من حين لآخر لتؤيد صحة الكتاب المقدس ولا سيما فى القرن ١٩، ٢٠، **وما زالت الاكتشافات تتوالى لترد سهام الشيطان منه وإليه، وكأن الله حفظ تلك المخطوطات لإظهارها فى هذه الآونة، لترد على تلك البدعة الباطلة بتحريف التوراة والإنجيل.**

وليس بغريب أيضاً، أن يقف **القرآن الكريم** مؤيداً الإنجيل والتوراة **بأنهما كتاب الله وكلامه ولا تحريف ولا تبديل لكلام الله**.. وأنهما **الذكر** وان الله لحافظ له، وقد كان **القرآن الكريم** كما ذكرنا فى كتابنا السابق (حقيقة التجسد) **يدافع عن المسيح، ويحارب التثليث الذى يجعل من مريم العذراء إلهاً أو صاحبه**، ويؤيد التثليث فى الذات الإلهية أو ما يسميه القرآن الكريم **الصفات الأزلية فى الذات الإلهية** – وليست البدع والهرطقيات التى كانت سائدة فى الجزيرة العربية وقت ظهور الإسلام – **كما يؤمن به المسيحيون فى كل الأرض**، وقد عالجنا كل ذلك بالتفصيل فى كتابنا (**حقيقة التجسد**).

من أجل هذا أفردنا هذا البحث **لمحاربة تلك البدعة**، مستخدماً فيها **العقل والمنطق، والتاريخ والعلم**، كأسلوب للمحاورة، **مدعمة بأدلة كتابية وتاريخية وأثرية**، ومؤيدة **بآيات من القرآن الكريم التى تنفى التحريف فى كُتب الله واستحالتها، وان التحريف الذى ذكره القرآن الكريم للتوراة والإنجيل بعيدة كل البعد عما يدعيه البعض بها**، وليس المقصود بتجريف الكتاب، **وإنما بتحريف لبعض المعانى، وليست فى تحريف النص الكتابى كما سنوضحه.**

لذا سنتناول جوانب استحالة تحريف الكتاب المقدس **فى موضوعات محددة غير تقليدية بأسلوب مميز**، كما سنكتبه بأسلوب بسيط وسهل معتمداً بالدرجة الأولى **على المنطق العقلى الذى أوجده الله سبحانه فى ضمائرنا، وليس بالأسلوب العلمى الجاف، مدعماً ببديهيات لا يمكن إنكارها مهما تكن العقيدة التى يعتنقها قارئ هذا الكتاب سواء كان معنا أو علينا.**

لذا هذا الكتاب والكتابين الآخرين الذى سيتم إصدارهما في هذا الشأن يعتبرا:

تكملة هامة لا بد منها، وحجراً ضرورياً لتكملة البناء.

هذا الكتاب فى أغلب موضوعاته، سوف يرتكز بصفة أساسية على الآراء الإسلامية الموثقة المستمدة من القرآن الكريم ومفسريها العظام، لأن وصمة تحريف الكتاب المقدس صادرة من بعض أخوتى المسلمين على مر العصور، وسادت فى الأوساط الإسلامية بطريقة وكأنها يقينية لا تقبل المناقشة. كما يرتكز هذا الكتاب أيضاً على المنطق العقلى الذى أوجده الله فينا وخصنا به من دون مخلوقاته، والذى به عرفنا الله. ولماذا لا نستخدم ذلك العقل فى التأكد لصدق وحي الله لكتابه ؟ ولا سيما أن العقل الذى يستطيع أن يميّز الصدق من الكذب. **كما** أننا نعتبر هذا الكتاب هو وسيلة حوار عقلانى بين المسيحية والإسلام، والذى أمر به القرآن الكريم وخاصة أهل الكتاب بالمجادلة البناءة الواعية وليست بإلقاء التّهم جزافاً، وهذا ما قرره القرآن الكريم بقوله فى (سورة العنكبوت ٤٦):

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن ﴾.

وقوله أيضاً:

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ».

لأن القرآن الكريم يؤكد على أن التوراة والإنجيل هما من عند الله، تماما كما في القرآن وأن مصدرهما هو الحق سبحانه.

وسنبدأ حوارنا البنّاء هذا، ومن هذه النقطة الهامة والتى يقررها القرآن الكريم على أن مصدر الديانات الثلاث (اليهودية - المسيحية - الإسلام) هو الحق سبحانه، وهذا مما ييسر دائرة الحوار العقلى. كما لا يمكن للعقل أن يقرر من ذاته أن الله يحافظ على بعض من كلامه ويكون حارساً ومهيمناً عليه، ولا يحافظ فى نفس الوقت على البعض الآخر من كلامه؟!. وإذا كان الله يحافظ على بعض من كلامه دون البعض الآخر، لجعلنا الله متناقضاً مع ذاته !. أو أن هناك إلهين أحداهما هو مصدر التوراة والإنجيل ولا يستطيع أن يحمى كتابه!. وإله آخر يحافظ على كلامه وهو مصدر القرآن الكريم !؟. لأن الله معصوم من الخطأ ولا تناقض مع ذاته.

ومن هذا المنطق سيكون بحثنا. كما أننا سنحذو حذو قول القرآن الكريم بأن نجادل أخوتي المسلمين بنفس المبدأ الذى يقرره القرآن الكريم فى مجادلة أهل الكتاب الذى يقول:

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن ﴾.

وبنفس المبدأ أيضاً سنبيّن من جاءوا بنبأ غير صحيح من ذوى النفوس المغرضة، لأن نرجعه إلى أصله الصحيح، ويعلموا أن الله صادق وأمين، لأن التشكيك في قول الله فى كتابه المقدس هو إهانة لسبحانه فى الدرجة الأولى وليس لأصحاب تلك الديانات. حتى لا يصيبوا قوماً بجهالة، لجهلهم بأمور أديانهم، وأديان الآخرين، ويتهمونهم بدون دراسة، ويصبحوا على ما فعلوا نادمين. (ونشكر كل الذين شاركوا فى مراجعة هذا الكتاب وتنقيحه الله يعوضهم كل بركة.)

هذا الكتاب أيضاً، مفيد للطلاب الباحثين، والدارسين فى الكليات الإكليركية.

بركة مناسبة عيد الميلاد المجيد ٢٠٠٦/١/٧ - ٢٩ من كيهك ١٧٢٣ للشهداء.

نسأل الله العون والتوفيق. المؤلف .

" هل الكتاب المقدّس محّرف "

للشيخ الدكتور عبد الله يوسف الأمين(١)

مدخل البحث عن منشأ تهمة تحريف الكتاب المقدّس.

****

يقول الشيخ عبد الله يوسف عن سبب اتهام اليهود والنصارى بتحريف كتابهم:

أ. بدء ظهور التهمة:

أولاً: برزت تهمة التحريف بشكلٍ خاص بعد الهجرة النبوية إلى يثرب، أي المدينة المنـورة، أي في السور المدنية بعد وفاة ورقة بن نوفل، وتطورت في القرن الثالث الهجري. وخاصة بعد الشروع في وضع المصنفات التي تفسّر القرآن الكريم.

وظهرت تهمة التحريف في بعض الكتب الإسلامية في القرون الوسطى، مثل:

١ – كتاب : " **الفصل بين الملل والأهواء والنحل** " لمؤلفه أبو محمد ابن حزم. (المتوفى سنة ٤٥٦ هجري).

٢ – كتابات أحمد ابن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس، الملقب بشهاب الدين **القرافي**، وخاصة كتاب : " **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة** " . (المتوفي سنة ٦٨٤ هجري).

٣ – كتاب : "**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** " الذي ألفه الإمام شمس الدين محمد بـن أبي بكر ابن قيم الجوزية. (المتوفى سنة ٧٥١هجري).

٤ – كتاب : " **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل**". لمؤلفه الإمام الجويني.

٥ – كتاب : " **الملل والنحل** ". لمؤلفه الشهر ستاني.

٦ – كتاب: " **القول الجميل في الرد على من غيّر الإنجيل** ".

لمؤلفه الإمام الغزالي المعروف بحجة الإسلام. وكتب أُخرى كثيرة ألفها البيروني والمسعودي والأشعري والطبري واليعقوبي وأحمد بن عبد الله بن سلام الـذي تـرجم لهـارون الرشيد التوراة والإنجيل، كذلك كتب الخَزرَجي وأبو القاسم القيس وغيرهم.

ثانياً: بلغت الكتابات الإسلامية ضد الكتاب المقدس أوجها في نهاية القرن التاسع عشر، وفـي القرن العشرين، حيث ظهرت عشرات، بل مئات الكتب الإسلامية، التي تقول بتحريـف الكتـاب المقدس. وسأذكر هنا فقط على سبيل المثال أهم أربعة مؤلفين كتبوا في الموضوع:

١ – الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه الضخم: " **إظهار الحق** ".

---

(١) حوار الحق للشيخ الدكتور عبد الله يوسف الأمين بموقع:

٢- الإمام محمد أبو زهرة في كتابه: "**محاضرات في النصرانية**".

٣- الدكتور أحمد شلبي في كتابه: "**المسيحية**".

٤- **كتابات الشيخ أحمد ديدات الكثيرة جداً.**

٥- **وكذلك كتاب: " السيف الحميدي الصقيل".**

ب. أسباب توجيه تهمة التحريف إلى الكتاب المقدس. يقول الشيخ د. عبد الله:

١. عدم وجود أية إشارة أو نبوة إلى نبي الإسلام في الكتاب المقدس يعتبر السبب الرئيسي الأول في القول أن المسيحيين حرفوا وغيروا وحوروا في كتابهم. كما جاء:

" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثيرٍ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين "

(سورة المائدة ٥:١٥)

وبحسب كتب التفاسير الإسلامية، فقد أخفى أهل الكتاب بالتحريف والتبديل ما في الكتاب المقدس عن النبي محمد، ونقرأ في سورة (الصف ٦١:٦)، قول القرآن:

" وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسولٍ من بعدي اسمه أحمد ..."

ولعدم وجود هذا الكلام المنسوب إلى المسيح في الإنجيل، تمَّ إطلاق تهمة التحريف.

٢. ما بين أيدي المسلمين لا يمثل " إنجيل عيسى " كما جاء وصفه في القرآن (آل عمران ٣:٤٨/المائدة ٥:١١٠،٤٦/آل عمران ٣:٤٨،٤) . فكلمة إنجيل في القرآن تعني كتاب عيسى (كتاب واحد)، ولدى المسيحيين (أربع كتب).

٣. القول بأن الكتاب المقدس قد نُسِخَ بنزول القرآن. فالقرآن في نظر المسلمين هو خاتم النبوة، وهو يحتوي على الوحي الإلهي بأجمعه، **وهو الكتاب الوحيد الذي وعد الله بحفظه، في حين لم يتعهد الله كما يقول المسلمون،** بحفظ التوراة والإنجيل من الفساد عن طريق التحريف ولَيِّ اللسان و النسخ.

٤. حقيقة وجود الاختلافات الكثيرة بين الكتاب المقدس والقرآن، أدت بالمسلمين إلى القول بتحريف الكتاب المقدس. وتشمل الاختلافات معظم القضايا العقائدية والتشريعية والأخلاقية، مثل

طبيعة الله والخلق، وطبيعة الإنسان والشريعة، وأساس الغفران والرحمة، وموضوع الصـــليب ومسيرة التاريخ ونهاية العالم.

٥. استخدام ما يسمى: " **إنجيل برنابا** "، كدليل لإطلاق تهمة التحريف على الكتاب المقدس.

ج: مدى اتساع التهمة، ومدى تأثيرها على المسلمين. يقول شيخنا الجليل:

إن لسان حال كل مسلم تقريباً هو القول بأن الكتاب المقدس محّرف، وهذا يجعله يمتنع عن دراسة الكتاب المقدس، وإن دَرَسَهُ فيكون قصده في الغالب إيجاد الأخطاء والعيوب المزعومـــة. والقول بالتحريف يعني الإستخفاف بالعقائد، واتهام أصحاب الكتاب بالكفر والشرك، وحتى الطعن في أخلاقهم.

ثالثاً : الرد على تهمة التحريف من قرآن المسلمين. ويستمر الشيخ عبد الله فيقول:

احتوى القرآن الكريم على دلائل قاطعة تبين أن الكتاب المقدس، أي التـــوراة والإنجيـــل، كانت صادقة وسليمة في أيام المسيح وأيام الرسل، وحتى أيام محمد في بداية القرن المـــيلادي السابع، والحقيقة أنه لا توجد في القرآن الكريم أية إشارةٍ من قريب أو بعيـــد علـــى تحريـــف نصوص التوراة والإنجيل في أي وقتٍ من الأوقات.

وهذه شهادة صريحة من أهلها .... (سيأتى الشرح تفصيلاً فى الفصول اللاحقة.).

د . أكبر الأدلة على عدم التحريف. ويستمر الشيخ المسلم الدكتور دفاعاً فيقول:

١- سلامته من أثر غايات وأميال الناس.

٢- منطق النبوات: نبوات العهد القديم وإتمامها في العهد الجديد، ونبوات كثيرة في العهدين ستتم في مستقبل الأيام. (سيأتى الشرح تفصيلاً فى كتاب آخر.).

٣- لا يستطيع العقل أن يقبل بالقول أن الله عاجز عن حفظ كتابه الذي وعد بحفظه.

(انتهى ولا تعليق).

=================

وعن ادعاءات السيد/احمد ديدات فى كتبه عن التحريف بسبب :

(الترجمات المتعدّدة للكتاب المقدس)

يبدأ ديدات الفصل الثالث من كتيّبه منكراً أنّ الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية والتي يتكوّن منها الكتاب المقدس هي التي يعترف بها القرآن باعتبارها التوراة والإنجيل، أي العهد القديم والعهد الجديد.

ويزعم ديدات أنّ التوراة والإنجيل الحقيقيّين الذين أعلنا لموسى والمسيح مختلفان تماماً عما هو موجود اليوم.

وهذه المحاولة للتفرقة بين "الكتاب المقدس" و"الكتب المشار إليها في القرآن" يصعب قبولها بجدية. وحتى إذا كانت هذه الفكرة منتشرة في العالم الإسلامي فليس هناك أي برهان من أي نوع يمكن أن يؤيّدها.

ولم يرد في التاريخ في أي زمان أنّ كتباً كهذه قد أُعلنت لموسى أو المسيح، أو أنّ توراة أخرى أو إنجيلاً آخر بخلاف العهد القديم والعهد الجديد كان لها وجود في أي وقت. علاوة على ذلك فالقرآن نفسه لم يفرّق بين هذه الكتب وكتب اليهود والمسيحيين المقدسة، بل على العكس من ذلك يقرر بوضوح أنها هي الكتب التي يتمسّك بها اليهود والمسيحيون باعتبارها كلمة الله.

وفي محاولاته العديدة لتأييد نظريته أنّ " التوراة والإنجيل " هما كتب غير تلك التي في الكتاب المقدس، يضطر ديدات إلى الاستناد على رأيه الشخصي غير الموضوعي فيقول:

" نحن المسلمين نؤمن... نحن نؤمن... نحن بإخلاص نؤمن...". وهكذا دون أن يكون قادراً على تقديم ولو دليل واحد واهن يساند إيمانه هذا!.. ومن الغريب أنّه ينسب خطأً للمسيحيين ما هو عليه بأنه صاحب " عقلية عنيدة " في صفحة ٣ وكل البراهين التاريخية تقف ضد ما يقوله ديدات، فأقواله مجرد تخمينات خالية من أي أساس أياً كان نوعه.

ويقول ديدات إنّ الله حفظ القرآن تماماً وحماه من كل عبث بشري لمدة أربعة عشر قرناً صفحة ٧.

ونقول: كم هو غريب أنّ نفس هذا الإله لم يحفظ ولو نسخة واحدة من التوراة والإنجيل، فكيف نصدّق أنّ مالك الملك (فى إعتقاد أخوتى المسلمين) يحفظ القرآن ولا يحفظ ما نزّل من قبله؟ إنّ هذا التناقض لا يمكن قبوله أو تصديقه أساساً، لأنّ الحاكم الأزلي لهذا الكون لا بد وأن يتصرّف في جميع الأزمنة بغير تغيير أو تبديل، ودون تضارب أو تناقض. ولا يمكن لأحد أن يتوقع منا أن نؤمن أنّ الله، وبطريقة معجزية، حفظ أحد كتبه تماماً بدون أي تغيير ولعدة

قرون، ورغم هذا عجز عن أن يحتفظ ولو بنسخة واحدة من التوراة والإنجيل! على حسب هذا الإعتقاد، كما إنّه لمن الصعب هضم هذا القول!.

ومهما كان من أمر، فإنّ القرآن نفسه – وبصورة لا غموض فيها – يؤكد أنّ توراة اليهود كانت معتبرة وصحيحة في أيام محمد، وأنّ الإنجيل كذلك هو الذي كان لدى المسيحيين في ذلك الوقت. ولم يقرّ اليهود والمسيحيون في أي وقت عبر التاريخ بأي كتب على أنها كلمة الله المقدسة بخلاف تلك المعروفة عندنا اليوم.

ومن النصوص القرآنية التي تثبت ذلك:

"وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ؟ "

(سورة المائدة ٥:٤٣)

"وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ"

(سورة المائدة ٥:٤٧)

من المستحيل أن نفكر كيف كان للمسيحيين في وقت محمد نبي الإسلام أن يحكموا بالإنجيل إذا لم يكن لديهم هذا الإنجيل! وفي سورة (الأعراف ٧:١٥٧) يقرّ القرآن الكريم مرة أخرى أنّ التوراة والإنجيل كانا في حوزة اليهود والمسيحيين في زمان محمد، وأنها نفس الكتب التي قبلوها باعتبارها التوراة والإنجيل. ولا يمكن لأحد أن يقول إنّ هذين الكتابين هما بخلاف كتب العهدين القديم والجديد كما يحتويهما الكتاب المقدس في يومنا هذا.

علاوة على ذلك نلاحظ أنّ مفسرين معروفين ومنهم البيضاوي والزمخشري يقرون علناً أنّ كلمة " الإنجيل "ليست عربية أصلاً، ولكنها مأخوذة من الكلمة اليونانية التي كان المسيحيون أنفسُهم يستخدمونها لوصف البشارة. ولقد حاول بعض علماء القرآن القدامى أن يجدوا أصلاً عربياً لهذه الكلمة، غير أنّ هذين المفسرين الخبيرين رفضا هذه النظرية بازدراء. وهذا يؤكد أنّ الإنجيل لم يكن طيفاً أو خيالاً، كُشف عنه هكذا للمسيح ثم اختفى كل أثر له على نحو غريب، ولكنه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم تماماً. ونفس الشيء يمكن أن يُقال عن "التوراة" فهي كلمة ذات أصل عبري، وهي الاسم الذي أعطاه اليهود أنفُسهم دواماً لكتب العهد القديم كما هي معروفة لنا اليوم.

وهكذا فإنّ القرآن الكريم – وبدون أي تحفّظ – يقرّ أنّ الكتاب المقدس نفسه هو كلمة الله بالحقيقة. وديدات يعرف هذه كحقيقة، ولذلك يحاول أن يراوغ ويحتال مدّعياً أنّ هناك "نصوصاً" متعددة للكتاب المقدس متداولة في يومنا هذا. وفي هذا سوء توضيح ماكر للحق. فهو يهمل أن

يوضح لقرائه أنّه يشير إلى " **ترجمات** " إنجليزية مختلفة للكتاب المقدس منتشرة بكثرة في أنحاء العالم اليوم. فديدات يتكلم عن الترجمة المعروفة بترجمة الملك جيمس **KJV** والترجمة المنقّحة **RV** والترجمة المنقحة الأخرى المعروفة باسم **RSV** وكان يتحتم على ديدات – بما تفرضه عليه الأمانة – أن يوضح أنّ هذه ليست نصوصاً مختلفة للكتاب المقدس، لكنها ترجمات مختلفة للكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، وهذه الترجمات الثلاث مأخوذة من النصوص الأصلية العبرية واليونانية للعهدين القديم والجديد، والتي حفظتها الكنيسة المسيحية سليمة منذ أجيال عديدة قبل الزمان الذي عاش فيه محمد نبى الإسلام، وسوف نتأمل الفروق بينها. على أنّه من المفيد أن نشير هنا إلى الحماس الصاخب الذي دبّ بين قادة المسلمين في جنوب إفريقيا في سنة ١٩٧٨ حول توزيع ترجمة إنجليزية للقرآن "لمحمد أسد "، هناك أيضاً العديد من الترجمات المختلفة للقرآن إلى اللغة الإنجليزية، كما هو الحال في وجود ترجمات مختلفة للكتاب المقدس. لكنّ النص الأصلي العربي القرآنى القديم واحد، ولا نصّ اخر سواه

لقد كان ردّ الفعل ضد ترجمة " أسد " للقرآن عنيفا حتى أنّ المجلس الإسلامي في جنوب إفريقيا، وفي تصريح علني، حضّ على عدم توزيع هذا الكتاب بين المسلمين في جنوب إفريقيا. ولم يتعامل أحد مع أي ترجمة للكتاب المقدس في اللغة الإنجليزية بمثل هذا العنف في أي وقت من الأوقات.

لذلك فإنّ قراء ديدات يجب أن لا ينخدعوا بما يقوله من أنّ هناك نصوصاً مختلفة للكتاب المقدس، وعليهم أن يدركوا أنّ ديدات يضع غشاوة على أعينهم حين يخدعهم بقوله إنّ الكنيسة المسيحية لديها أكثر من كتاب مقدس واحد!.

وأيضاً سار على درب احمد ديدات الكثير من الكتّاب، ونخص بالذكر الدكتور أحمد حجازى السقا فى كتبه، ولا سيما كتاب:

" الأدلة الكتابية على فساد النصرانية "

وفى هذا الكتاب يتجاهل د. السقا الإنجيل تماماً، ويتجه فى آرائه إلى كتاب آخر بعيد تماماً عن الإنجيل وهو " إنجيل برنابا " وهو إنجيل مزيف وضعه أوربى فى القرن السادس عشر بعد إعتناقه الإسلام ؟!. (وسنشير لهذا الكتاب المزيف فى فصل لاحق).

****

فى الفصول التالية سيتم تفنيد الكثير من أهم ادعاءات التحريف،
بأسلوب منطقي عقلاني وفى حيدة تامة. تأييداً لقول الشيخ الجليل د. عبد الله يوسف الأمين،
وغيره الكثير من مفسرى الإسلام العظام، فى رفضهم التام لمبدأ تحريف التوراة والإنجيل،
واستحالة تحريفهما. مدعمة من الآيات القرآنية، والأسانيد من الأحاديث الصحيحة.
ومن آراء كبار المفسرين العظماء الإسلاميين.

الفصل الأول

{استحالة التحـــريف منطقياً - وعقلياً}

أن تحّريف الكتاب المقدس بجزأيه (التوراة والإنجيل)، والادعاء بأنه تم تبـديل كلماتــه وتغييرها بواسطة الإنسان، أو تم فقده بالعوامل الطبيعية أو غيرها... الخ، فأن هــذا مســتحيلاً على الإطلاق وذلك للأسباب الآتية:-

أولاً : أن الذى وضع الشرائع هو **الله سبحانه وتغالى** الواسع العلم والمقدرة، ووضعت تلــك الشرائع للإنسان لكى تكون له نبراساً لحياته وسلوكه، **وتعريف مخلوقاته العاقلة بخالقه لكى يعبده حق عبادة طبقاً لشريعة وضعها لهم ومنهاجاً يسيرون عليه .**

وحيث أن الله هو الواضع لتلك الشرائع، وهذا حق لاشك فيه، **فهو القادر على حفظها مــن تحريف لكلماته سواء بالحذف أو التغيير أو التبديل، وهذا ما يقبله العقل وما يؤيده المنطق**، ولا خلاف على ذلك بأى حال من الأحوال.

ثانياً: أن الله لا يمكن، بل من المستحيل، أن يسمح للإنسان بأن يقوم بتغيير شــريعة **هــو مؤسسها**، أو يبدل من كلمات **هو واضعها**، أو يسمح للإنسان بالتلاعب والعبث **فى كتاب وضــعه وموحى به** لكى تكون نبراساً وهدياً لهم.

ولا يجوز على الإطلاق التغيير والتبديل لشريعة الله هو واضعها، ومهيمن عليها، وشريعة موسى التوراة، وشريعة المسيح الإنجيل وهما من عند الله ولا خلاف على ذلك.

إذا كانت تلك الشرائع **من وضع الله، وهذا لاشك فيه**، فإنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يترك البشر يعبثون فى كلماته وشرائعه وتبديلها وتغييرها كما شاءوا، **والله يقف موقفاً سلبياً من تلك الانحرافات من التبديل والتغيير دون أن يأخذ موقفاً حازماً وصارماً تجاه من تسّول لــه نفسه بأن يعبث فى كتابه، وهذا مستحيلاً على أى وجه من الوجوه.**

عندما حاد الإنسان عن طريق الحق **وفسدت أخلاقه أرسل الله الطوفان**، وقضى على العالم المنحرف الفاسد، وأبقى على قلة منهم (**نوح وأولاده وزوجاتهم**) لأن نوح وجد نعمــة أمامــه، **وقضى الله على سدوم وعمورة بالنار والكبريت التى أمطرتها الســماء لفســادهما. وبالقياس، أليس الله بقادر أيضا على القضاء على كل من تسّول له نفسه على تحريف كتابه بــأن يشــق الأرض لتبتلعهم وهم أحياء، كما فعل مع قورح وأتباعه علــى مــرأى ومســمع مــن الشــعب اليهودى؟.**

ثالثاً: **أن الله لم ولن يسمح للإنسان بأن يشوه صورته وقدرته** وتشريعاته التـي وضـعها ويجعلها **في موضع** الشك **وعدم اليقين ·· لان الكتاب الذى يقبل التغيير والتبديل، يكـون فـى موضع شك من الآخرين، ولا يصح أن يكون كتاباً إلهياً. لأنه كيف يكون الكتاب المقدس** (التوراة والإنجيل) **كتاباً إلهياً ؟ وهذا متفق عليه،** ويترك الله العابثين يعبثون فيه سـواء بتغيـر الـنص بالحذف أو الإضافة، أو التبديل أو التغيير. وحيث أن الإنجيل والتوراة كتاب ألهى دون شك، **فهذا يتطلب حتمياً أن يكون فوق الشك وفوق اليقين، وبالتالى لا يسمح الله لمن تسـّول لـه نفسـه بتغييره وهذا حق لا خلاف عليه.**

رابعاً: **إذا كان الله غير قادر على حماية كتابه** من التبديل والتحريف، فهذا يؤدى **إلى إلغـاء صفة القدرة وفقدانها من سبحانه، فلا يستطيع حماية شريعة وضعها وعقيدة أوجدها.** وليس من صفات الله عدم المقدرة، لأنه هو القادر على كل شئ، **أن التمّسك بتلك الادعاءات الباطلة**، ورمى كتاب الله بالتحريف والتبديل، **هذا يعنى القبول منطقياً بأن الله قد فقد صفة القدرة، وهذا مستحيلاً على الإطلاق** على أى وجه من الوجوه، لأن الله **مطلق فى قدرته**، والزمن **لا يغير شيئاً من تلك** القدرة لان الله دائم القدرة ودائم الوجود.

خامساً: إذا استطاع الإنسان تحريف وتبديل كلام الله، فهذا يؤدى بنا إلى القول بان الله **عاجز** عن حماية كتابه، **والعجز ضد المقدرة**، وهو صفه **من صفات الإنسان المحدود** بل كل الخليقة لها صفة العجز لمحدوديتها.

فإذا كان الله غير قادراً وعاجزاً عن حماية كتابه، فمعنى ذلك أننا حكمنا عليه بالمحدودية، وعادلنا بينه وبين مخلوقاته، وهذا مستحيلاً بأى شكل من الأشكال.

سادساً: إن اتهام الكتاب بالتحريف والتبديل، **أنه يضع ألذات الإلهية فى صراع مع الإنسان المخلوق المحدود، فإذا انتصر الإنسان واستطاع تحريف كتاب الله،** فمعنى ذلك أن **الإنسان أقوى من خالقه.** بدليل أن الله غير قادر على مواجه الإنسان فى تحريف كتاب هو واضعه، وشـريعة هو مؤسسها، **وهذا يؤدى إلى عكس الحقائق وقلبها فيجعل من المحدود** (الإنسان) **لا محـدوداً، ويجعل اللامحدود** (الله) **محدوداً، وهذا غير منطقى على الإطلاق.**

سابعاً: **أن الله وضع الأساس للبناء التشريعي والعقائدي**، الذى ستسير عليه البشرية فى كل عصورها، **فكيف يستطيع الإنسان هدم هذا الأساس الذى وضعه الله، وكأن الإنسان فى** تحـدّى **مع خالقة. الله يبنى والإنسان يهدم**، وفى هذه الحالة **نضع** الله سبحانه وتعالى فى موضع النديـة **والمساواة** بينه وبين والإنسان، **وهذا ما لا يمكن حدوثه بأي حال من الأحوال، بأن يكون الإنسان فى نفس مستوى الله سبحانه، وبنفس قدرته، الله يبنى والإنسان يهدم ما بناه الله، والأشنع من هذا وأنكي، أن ينتصر الإنسان على الله، فيكون عنصر الهدم أقوى من عنصر البناء، وهذا يُعنى**

أن الإنسان أكثر قدرة من الله، بدليل استطاعة الإنسان تحرّيف كتاب أوجده الله، وأمام هذا لا يملك الله القدرة، ولا يستطيع حماية كتابه من التحرّيف والهدم ؟!. فهل هذا ممكن ؟؟!!!.

ثامناً: من الثابت بديهياً، وبدون شك، إن الكتاب المقدس (الإنجيل والتوراة) هو موحى به من الله، وليس من عند البشر، وحيث انه من عند الله فلا يستطيع البشر أن يغيروا ما فيه، لان الله هو الحافظ لكتابه والمهيمن عليه، كما جاء فى كتابه المقدس.

كيف يستطيع الإنسان أن يغّير فى كتاب الله ؟، والله هو حارسه وحافظه ومهيمن عليه.؟؟!! وهل الله يستطيع – كما يقول أخوتى المسلمين – أن يحافظ على أحد الكتب السماوية القرآن، ولا يستطيع أن يحمى كتبه السماوية الأخرى (التوراة والإنجيل) !؟.

هل فقد الله القدرة والسيطرة على حفظ التوراة والإنجيل، وفجأة أستعاد الله تلك القدرة ليحفظ القرآن الكريم دون سواه !؟. حاشا.

تاسعاً: يقولون إن كتاب الله فُقد، ولم يوجد له اثر بسبب الحروب والعوامل الطبيعية، أو بسبب السبى البابلى لليهود ..الخ. والكتاب الحالى الموجود بين أيدينا (التوراة والإنجيل) ليس هو الكتاب الذى انزل على موسى وعيسى.

وهنا ننسب إلى الله العجز وعدم المقدرة على إظهار كتاب وضعه وشريعة أسسها، وترك كتابه يُفقد ويندثر من عوامل الطبيعة وفعلها. وأيضاً يقولون أن هذا الإخفاء لكتاب الله هو من فعل ورغبات الإنسان الشرير، وبهذا المنطق حسب ادعائهم، تم إخفاء الكتاب فى مكان لا يعرفه الله ولا يستطيع الوصول إليه !!. وهذا يعنى أن الله غير عالم بكل شيء، ولا يعرف الغيب، وبالتالى تنطبق عليه صفه الجهل، وهذا لا يليق به وحاشا، لأنه العارف بكل شيء، حتى ولو كان هذا الشيء حبة خردل موضوعه فى كّون لا نهائي.

إذاً كيف لا يعرف الله مكان كتاب هو واضعه !؟.

إذا صدقنا جدلاً (وهذا مستحيل) أن الكتاب مختفياً فى مكان ما، لا يعلمه الله، معنى ذلك أن الطبيعة أقوى من موجدها وخالقها، أو أن الشيطان استطاع تضليل الله بإخفاء كتابه، ولم يستطع الله معرفة مكان اختفاءه. وهذا الإدعاء الباطل ضد الله سبحانه، واتهامه بالجهل وعدم علمه بكل شيء وهو العالِم، حاشا ؟!. وهذا مستحيل شكلاً وموضوعاً.

عاشراً: إن تحريف الكتاب ضد حكمة الله. فان الله فى حكمته لا يسمح للإنسان بأن يزّور كتابه، وحكمة الله أزليه. فإذا قبلنا بتحريّف الكتاب المقدس حكمنا على حكِمة الله بأنها متغيرة ويؤثر فيه الزمن.. والتغّير ضد الأزلية، وضد الذات الإلهية، فكيف يسمح الله للبشر أن يتلاعبوا فى كلمته وأزليته، ويسمح للشيطان ليصول ويجول فى كتاب سبحانه هو واضعه، وبشريعة هو مؤسسها، وهذا بالطبع لا يليق بحكمة الله.

حادى عشر: يقولون أن التوراة الأصلية دُفنت أسفل الهرم الأكبر عند بنائه (١)، وان التوراة الحالية هى من تأليف اليهود !!؟؟ فنقول:-

كيف تكون التوراة دفنت أسفل الهرم الأكبر عند بنائه ؟، والهرم الأكبر تم بنائه **فى الألف الثالثة قبل الميلاد** وعلى وجه التحديد فى الأسرة الرابعة عام ٢٦٠٠ سنة ق.م، **وموسى النبي وتوراته لم يكن لهما وجود فى تلك الآونة**، لأن موسى ولد فى **عام ١٥٧١ ق.م، وبدأ فى كتابة التوراة** بعد ٨٠ **سنة من ميلاده**، واستمر فى كتابتها طوال ٤٠ **سنة**، فى سنوات التيه فى سيناء، ومات موسى عن عمر يناهز **١٢٠ عاماً**، أى **أن التوراة** (أسفار موسى الخمس) اكتملت كتابتها عام **١٤٥١ ق.م، أى <u>بعد بناء</u> الهرم الأكبر بأكثر من ١١٥٠ سنة !!؟؟. وبعد بناء الهرم الأصغر الأخير من ٩٠٠ سنة على أقل تقدير، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن موسى كتب التوراة بعد خروجه من مصر** – وليس فى أثناء وجوده بها – **وعلى مدى سنوات التيه فى سيناء التى استمرت أربعون عاماً، وموسى لم يعود إلى مصر بعد خروجه منها، وبالتالى " توراة موسى " ظلت معه ولم تدخل مصر، وقد مات موسى فى آخر سنوات التيه على جبل " نبو" أمام أريحاً فى الجهة المقابلة لها على الضفة الشرقية من نهر الأردن. وسلم موسى الشريعة المكتوبة قبيل موته لخلفه "يشوع بن نون "** الذى أكمل المسيرة ودخل بشعب إسرائيل إلى أرض الميعاد "**كنعان**" وهى فلسطين حالياً.

وكاتب المقال أورد تواريخ وأحداث وأرقام لسنوات خيالية بعيدة تماماً عن التسجيل التاريخى للأحداث. وقولهم هذا تزييف خطير فى التاريخ ولا يمكن السكوت عليه، وقلب للحقائق بسوء نية، مستغلاً جهل أكثر القراء بالتاريخ. بغرض إثبات أن التوراة الحالية ليست هى التوراة الأصلية التى بين أيدينا. حتى ولو كان الثمن هو تزييفاً للتاريخ، وقلباً للحقائق!.

ثانى عشر: يقولون أن خلال السبى البابلى، الذى حدث لليهود فى القرن السادس قبل الميلاد، **نهب** نبوخذنصر ملك بابل هيكل أورشليم، وأستولى على التوراة التى بداخل تابوت العهد وأحرقها، **وبذلك فُقدت التوراة منذ السبى، أما التوراة الحالية فهى من تأليف اليهود.**

لقد أخطأ صاحب هذا الرأي بجهله، لأن التوراة لم تكن داخل التابوت، أما الذى كان بداخل التابوت هو: **لوحى الحجر** اللذين كُتب عليهما **الوصايا العشر** التى أعطاها الله لموسى على جبل سيناء، وفيما بعد وضع فى التابوت عصا هارون التى صنع بها موسى المعجزات، **هذا الذى كان بالتابوت ولم يوجد بالتابوت غير ذلك.**

" ولم يكن فى التابوت سوى لوحى الحجر اللذين وضعهما موسى فى حوريب .."

(خروج١٦: ٣٤، ٢٥: ١٦). و (ملوك أول ٨: ٩). و(أخبار الثانى٥: ١٠).

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية فى العدد الرابع عشر فى ١٩/٥/ ١٩٩٧ الصفحة ١١ تحت عنوان " اليهود خرجوا من مصر قبل بناء الأهرامات" كاتب المقال محمد مصطفى عبد النبى).

وإذا فرضنا جدلاً – على حسب رأى المعترض – **أن التوراة بداخل التابوت.** فهل التوراة التى بداخل تابوت العهد هى النسخة الوحيدة الموجودة ولا توجد غيرها من النسخ، **وهل تعلم انه منذ كتابة التوراة** ووفاة موسى النبى، **وحتى السبى البابلى مرت أكثر من ٨٦٤ سنة، حيث أن وفاة موسى النبى حدثت فى عام ١٤٥١ سنة قبل الميلاد والسبى البابلى الأخير حدث فى عام ٥٨٧ سنة قبل الميلاد،** ومن المعروف على أسوأ تقدير أن نسخ التوراة موجودة مع كل سبط من أسباط إسرائيل الأثنى عشر، كما أنها موجودة **مع كل ملك من ملوك إسرائيل** المتعاقبين، حيث جرى العُرف **أن تنسخ لكل ملك نسخة من التوراة** حتى يسترشد بها فى أحكام الشريعة، كما أن النسخ موجودة أيضا فى حوزة **كهنة الهيكل،** وهذا على أقل تقدير. **فإذا أحرق ملك بابل نسخة التوراة الموجودة بالتابوت فأن باقى النسخ موجودة مع كل سبط من أسباط إسرائيل ومع كهنة الهيكل والملوك السابقين على السبى.**

معنى ذلك أن السبى البابلى وحرق نسخة التوراة ، **التى بداخل تابوت العهد لم يؤثر إطلاقاً على اختفاء التوراة وذلك لوجود الكثير من النسخ الأخرى فى عديد من البلدان، وبلغات مختلفة، ولم تختفى التوراة وكُتب الأنبياء من التاريخ، ولم يختفى الإنجيل أيضاً فى أى مرحلة من مراحل التاريخ بأى عامل من عوامل الزمن، لأن الله هو الحافظ لهما ومهيمن عليهما. كما أن نسخ التوراة لم يتوقف عند مرحلة معينة من التاريخ، وبعدها لم يحدث نسخ لها، بل النسخ مستمر والانتشار مُطرد،** وزاد بصورة كبيرة فى القرن الثالث قبل الميلاد عندما أمر بطلميوس الثانى ترجمة التوراة وأسفار الأنبياء اللاحقين إلى اللغة اليونانية **وهو ما يُعرف بالترجمة السبعينية،** التى تم فيها ترجمة كل أسفار العهد القديم، **ومنها تمت الترجمة إلى لُغات أخرى فى** بلاد كثيرة فى الشرق والغرب، **أيضاً الإنجيل** الذى أنتشر باللغة اليونانية السائدة، ثم تُرجم إلى لغات كثيرة، فى الشام والأناضول ومصر والحبشة والهند وأوربا وكان الكتاب ولاسيما الإنجيل مترجماً إلى كل لغات الأقوام التى دخلت المسيحية فيها، على سبيل المثال الأرمينية والحبشية والقبطية واللاتينية، **من اللغتين اليونانية والعبرانية الأصليتين.**

فكيف يُعقل أن هؤلاء الملايين يجتمعون ويتفقون على تغييره مع اختلافهم فى اللغة والمذهب ؟، أن القول بتغيير الكتاب هو دعوى بدون دليل، **وألا فليخبرونا أين هى الآيات المتغيرة ؟** ، وما هى وما أصلها ؟ ، **وما الغاية من تغييرها ؟ . فإن عجزوا ولا شك فى هذا. قل لهم كيف جاز لكم هذا الإدعاء ؟، والعالِم الحكيم** لا يقدم على أمر إلا ولديه ما يثبت مدعاة. **وأعلم أن التوراة، والإنجيل خصوصاً، كان متداولاً فى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، لفائدة قبائل العرب المتنصرة، كقبيلة حُمير، وقبيلة غسان، وقبيلة ربيعه، وأهل نجران، وأهل الحيرة، هذا بخلاف قبائل اليهود العديدة، من بنى قريظة وبنى قنيقاع، وبنى النضير، المنتشرين فى المدينة ومكة واليمن.. الخ. وألا فكيف عرف هؤلاء اليهودية والنصرانية.** ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب الأغانى أن ورقة ابن نوفل (١). **كان كاتباً للوحى لنبى الإسلام، فكان فى مقدوره أن يكتب**

بالعربية من التوراة والإنجيل ما شاء أن يكتب، أو أن يحتفظ بالنسخ الموجودة لديه من الكتاب المقدس، وكان رجلاً كتابياً. فلو حصل تبديل فى الإنجيل أو التوراة، لكان المسلمون الأوائل حفظوا الأصل إثباتا لدعواهم، ونشروه فى كل بقعة من بقاع الأرض، وترجموه لكل لغات العالم، وهذا ميسوراً للغاية، لأن الإسلام دخل فى كل البلاد المسيحية تقريباً خلال سنوات قليلة من الهجرة، واعتنق الإسلام الكثير من اليهود والمسيحيين فى تلك البلاد التى تم غزوها، فكان من السهل ترجمة التوراة والإنجيل بلغة هؤلاء القوم اللذين يجيدون لغات بلادهم.

وحيث أنه لم توجد نسخة واحدة كدليل للتحرّيف، فتكون دعوة من يدعوّن بتحريف الكتاب المقدس دعوة باطلة ليس لها أى أساس من الصحة.

أما اليهود فقد ضُرب بهم المثل بشدة حرصهم على كتابهم فهم يعرفون عدد كلماته وأحرفه، كما يعرف هذا كل من عاشر هؤلاء اليهود، وقرأ تاريخهم الطويل.

ثالث عشر: الكتاب المقدس هو أقدم كتاب عقائدى على الإطلاق. فأن الكتاب المقدس كُتب خلال ١٦٠٠ عام تقريباً. كتب موسى أول خمسة أسفار فى سنة ١٤٨٠ ق.م تقريباً، وكتب يوحنا آخر سفر وهو الرؤيا سنة ٩٨ م.

أشترك فى كتابة الكتاب المقدس أربعون كاتباً جميعهم أنبياء وقديسين ودافعوا عن الإيمان حتى الاستشهاد. منهم ٣٢ كاتباً قبل ميلاد السيد المسيح، و٨ كُتاب من رُسل المسيح. وجميعهم كتبوا فى أماكن مختلفة سواء داخل فلسطين أو خارجها، أو فى أماكن متباعدة وقارات مختلفة، ومنهم من كانوا بالسجون أو فى النفى، والبعض منهم من عاش فى القصور أو الصحراء.

والكُتاب عاشوا فى أزمنة مختلفة، وكانت لهم وظائفهم المتباينة وثقافاتهم المختلفة، **فموسى** عاش فى قصر فرعون، وأكمل حياته كراع غنم، **وصموئيل** كان نبياً وكاهناً، **وداود** راعى غنم ثم أصبح ملكاً، **وسليمان** كان ملكاً عظيم الحكمة، **ونحميا** كان ساقياً للملك، **وعزرا** كاتباً، **ودانيال** مستشارا لملك بابل، **وعاموس** كان جانياً للثمار، **ولوقا** طبيباً، **وبولس** فليسوفا وصانع خيام، **وبطرس** كان صياد سمك. ... الخ.

وبرغم اختلاف شخصيات الكُتاب ووظائفهم وثقافاتهم وأجيالهم على مدى ١٦٠٠ سنة. رغم كل هذا تجد الكتاب المقدس وحدة واحدة من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا، لا يحمل فى طياته تعارضاً أو تناقضاً أو تضارباً أو ناسخاً أو منسوخاً على الإطلاق، بل العكس تجد الانسجام الكامل المتناغم فى وحدة وترابط عجيب. مما يدل على مصدره الواحد، وهو الإله الواحد السرمدى.

(١) وهو من أشهر كتبة العرب لزمن محمد نبى الإسلام، وهو كتابياً ومشهور عنه إنه أسقفاً مسيحيا من طائفة الأبيونيين. وزوجه من خديجة ابنة عمه.

وقد يتساءل البعض كيف لكتاب مثل هذا يكون بهذا الترابط العجيب والذى كُتب على مدى ١٦٠٠ عام على الرغم من اختلاف البيئات والثقافات والعادات والتقاليد ؟.

فتكون الإجابة المنطقية أن روح الله (الروح القدس) هو الذى **هيمن على الكُتاب فى جميع العصور**، وفى جميع الأماكن. وحيث أن **الله هو المهيمن** على كتابه وروحه القدوس هى الحارسة له، **فلا يمكن لكتاب مثل هذه أن يصيبه التحريف والتبديل.**

رابع عشر: وحدة محوره ووحدة تعليمه:

للكتاب المقدس محوره الواحد الذى يدور حوله ولا يحيد عنه، هو ثالوث لأقانيم الله الواحد، ولاهوت المسيح، الأقنوم الثانى المتجسّد، فى علاقته الأزلية مع الآب كأبيه (مزمور٢، أمثال ٣٠: ٤)**. ومع الروح القدس كروحه** (غل٤: ٦)**. وروح أبيه** (متى١٠: ٢٠)**. وفى علاقته مع الملائكة كخلائقه وخدامه** (كو١: ١٢-١٧)**. وهو ديانهم** (ايوحنا٣: ٨).، (لوقا٨: ٣١،٢٨)**. ، وفى علاقته مع البشر كالمخلص للذين يؤمنون به منهم، وكالديان للذين يرفضونه** (مزمور٢: ١٢)، (يوحنا٣: ٣٦)**. ومع كنيسته كرأسها ورجاءها** (أفسس١: ٢٢)**، وفى علاقته مع شعبه الأرضى كملكه أولاً وأخيراً.**

هذا هو الموضوع الواحد للكتاب. **ولم يختلف الكتاب مع نفسه فى نقطة من موضوعه، رغم إنه لم يبوح فيه بهذا الموضوع فى جزء واحد، أو لنبى واحد أو فى زمان واحد أو مكان واحد، بل فى ٦٦ جزء (هذا غير اسفار الأوبكريفا السبع)، لأربعين نبياً وكاتباً للوحى خلال ١٦ قرناً، فى عدة أماكن متباعدة. فى حين لم يوحى لأي نبى فى جزئه الذى أعطيّ له إلا جزء من الموضوع، أو ببعض أجزائه، دون علم لهم بباقى أجزاء الموضوع، ولا بذات الموضوع.**
إذ كانوا كلهم يهوداً موحدين فقط، ومن مملكة ينتظرون لها المسيح ملكاً فقط.

فلما اكتملت كل الأجزاء، وظهرت مكملة وموضحة لموضوع واحد، لم يكن لهم علم به، مثل صورةٌ مقطعة الى أربعون قطعة، كل قطعة تحوى جزء من الصورة الكاملة، وبتجميع تلك القطع وضحت معالم الصورة وما هيتها تماماً.

هذا هو موضوع المسيح وما هيته وطبيعته الإلهية وفدائه للبشرية، وهو كلمة الله وروحه القدوس، وهو أقنوم من اقانيم الله الثلاثة مع وحدانيته، ولاهوت المسيح هو اللاهوت المتجسّد، الذي مات عن البشر ليسدد دين الله على البشرية جمعاء، وتم ذلك بمعجزة باهرة على مدى ستة عشر قرناً من الزمان، دلت على أن البشر ليسوا هم مصدر هذا الكتاب، وإنما هو بكل يقين وحى الله، الوحى الذى لا يمكن أن يجهل موضوعه، أو ينساه أو يخطىء فيه.

لذلك قيل إنه:

" لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان،
بل تكلم أناس الله القديسون من الروح القدس "

(٢بط ٢١:١)

هذا فضلاً عن وحدة تعليم الكتاب فى كل أسفاره عن دم الكفارة بالرمز فى (الذبيحة الحيوانية)، وتحققها فى المرموز إليه (المسيح) الذبيحة الحقيقية، كالأساس الوحيد للخلاص، وهو الوسيط الوحيد بين الله والناس لنوال الخلاص، ويوضح الكتاب العقاب والثواب كقاعدة معاملة الله للبشر، وعن كمال الله فى ذاته وصفاته، وعن وصاياه تعالى للبشر ضد الشر، من حيث وجوب التوبة عنه والإقلاع منه، وضرورة السلوك فى البر والقداسة.

وإذا تعددت الكُتب فلا يشتبه عليك الحق، بل أفحص وفتش وقابل لتتضح لك الحقيقة، فالكتاب الذى يضرب على أيدي الشهوات والأميال النفسانية، ويحض على الزوجة الواحدة وعدم طلاقها، ويحّرم الجواري والإماء كما هو سائد فى تلك العصور، وفى الحياة الأخرى بعد الموت يعيش الإنسان حياة روحية سامية مثل الملائكة لا يجوزون ولا يتزوجون، ولا يأكلون ولا يشربون، وكانت تلك الديانة لها اليد الطولى فى تغيير القلوب الشريرة ؟، وتعلن صفات الله الطاهرة، حيث هو مصدر المحبة لله والناس على اختلاف عقائدهم، والآمر بمحبة الأعداء ومسامحة المعتدين، والذى يعتبر أن كل بنى آدم أخوة ... فهل نتائج هذا الدين هى من وضع البشر؟، الذين تتحكم الشهوات الأرضية فى أساليبهم وتصرفاتهم العدوانية، والمملوءة غدر وانتقام وأنانية وحب الذات ..

هل هذا الكتاب من وضع بشرى!؟، بالرغم من تعاليم الشريعة المخالفة لكل ما يرغبه الإنسان من ميول شريرة ومن شهوات باطلة، والتى هى أكبر عائق على انتشاره لأنها تضرب على الميول البشرية والغرائز البهيمية والطبائع العدوانية، فى عالم وثنى استحكمت فيه الشهوات والرذائل، والزنى فيه مشروعاً، **بل هو من أركان ديانتهم ويمارسونها فى معابدهم،** هل هذه الديانة ذات أصل بشرى بالرغم من التعاليم والسجايا الرفيعة المستوى ؟، **والتى لم تنتشر بقوة السيف أو بالجيوش الغازية، بل بواسطة فقراء صيادى سمك لا علم لهم، ولا يملكون قوت يومهم،** فنشروا المسيحية فى كل أقطار الأرض، **فتأثيرها العظيم معناه إن الله كان معهم وروحه القدوس يرشدهم ويقويهم ويمنحهم الشجاعة والتضحية،** خاصة عندما يقفون ويجادلون أمام الملوك والأباطرة المتجردين من الضمير والأخلاق، **وهم لم يستطيعوا حمل سيف أو رمح،** وغير مدربين على استخدامه، **ولم يتدرعوا إلا بدرع الإيمان، وبسيف الروح القدس، وبخوذة الخلاص، وكان اتكالهم على الله وحده، الذى يعطيهم القوة والجرأة والشجاعة التى أشاد بها مؤرخي التاريخ؟.**

كان بالأحرى لهذا الكتاب إذا كان هناك أدنى تحريف أو تبديل، أن يتم تغيير وتحريف تلك التعاليم الصارمة، والمضادة لرغبات الإنسان وميوله الشهوانية، إلى تعاليم تتفق مع ميول البشر وتيّسر لهم تلك التعاليم بما يتفق مع رغباتهم حتى يقبلوها ويعتنقوها، وأن تحذف من الإنجيل صلب المسيح وإهانته وتجعله بطلاً قادراً على هلاك أعدائه بكلمة واحدة منه وهو القادر. ولاسيما فى عصر القوة لدولة الرومان.

وحيث أن الإنجيل خالى من هذا أو ذاك أو من تلك الرغبات البشرية وشهواتها،
أذن القول بالتحريف أمر لا يصدقه عقل أو منطق.

عند ظهور الإسلام فى القرن السابع بعد الميلاد، كان اليهود والمسيحيون لهم شأن فى الجزيرة العربية كما سبق التوضيح، والتوراة والإنجيل فى حوزتهم، لذلك فأن الإجماع على تغيير الكتاب (التوراة والإنجيل) مستحيل، حيث أن الإنجيل انتشر بشكل واسع فى كل أنحاء العالم منذ القرن الأول الميلادى، وقبيل ظهور الإسلام كانت التوراة والإنجيل، وخاصة الإنجيل، مترجم لكثير من لغات العالم، فمن المستحيل تغيير التوراة بعد عشرين قرناً من الزمان وانتشارها فى كل العالم. وأيضاً من المستحيل تغيير الإنجيل بعد أكثر من ستة قرون من انتشاره وذلك عند ظهور الإسلام وتدوين القرآن الكريم.

النتيجة :

إن التوراة والإنجيل ديانة سماوية وهذا لاشك فيه، والقرآن الكريم يؤيد هذا، ويؤكد أنهما من عند الله، ويؤمن بعيسى وموسى والأسباط والنبيين وبالكتاب الذى انزل من عند الله على موسى، والكتاب الذى أنزل على عيسى، ولا يستطيع البشر أن يغيروا ما فيه بالتبديل أو التغير لان هذا ضد قدرة الله وهيبته.

وإذا استطاع البشر تغيير وتحريف كلام الله كما سبق وان بيّنا ‥ فأنه ينسب إلى الله سبحانه العجز وعدم القدرة ‥وحاشاً. وكأن الله أقل من البشر فى المقدرة، وأقل من إبليس حكمة وذكاء، أو أن إبليس استطاع أن يضلل خالقه بإخفاء (التوراة والإنجيل) فى مكان لا يراه، ولا يستطيع اكتشاف المكان الذى تم فيه إخفاء كتابه ؟!، وكأن إبليس أكثر فهماً وأكثر علماً من الله، لأنه استطاع إخفاء كتاب عن وجه الله ولم يخطر على فكر الله أين وُضع هذا الكتاب !؟ وفى أى مكان أخفاه ؟؟!! وبذلك لم يستطيع الله أن يظهر كتابه وشريعته ‥ فأين هيمنة الله على كتابه وحمايته من التبديل والتحريف !؟ **وحاشا لله !!.**

وإذا قال قائل أن الله سينزل كتاباً آخر جديداً، ليكشف التحريف والتبديل فى التوراة والإنجيل بعد عشرات المئات من السنين بعد أن قرأه الجميع وآمنوا به وماتوا واستشهدوا فى سبيله!.

فإننا نتساءل بدورنا.. ما الداعى أصلاً بأن يسمح الله بتحريف التوراة أو الإنجيل بعد انتشاراهما فى كل الأجيال والعصور، وبعد الإيمان به من الكافة، وتطبيقه فى حياة الشعوب والأمم سواء من الناحية الروحية أو الحياتية..؟؟ .

ولماذا يوقع الله البشر فى فخ الأهواء البشرية بالتحريف لكتابه وتبديل آياته، ثم بعد ذلك تسير البشرية فى ضلال مبين. ؟ وكيف يحدث هذا والله لا يستطيع حماية كتابه من تلك الأهواء البشرية فى تحريف كتابه ؟.

وكيف يترك الله كافة البشر فى كل أنحاء العالم للآلاف السنين، والذين انتقلوا للعالم الآخر وهم مؤمنون كل الإيمان بهذا الكتاب المقدس، واستشهدوا فى سبيله ثم بعد ذلك يزج بهم الله فى نار جهنم، لأنهم أتبعوا كتابه الذي سمح بتحريفه من البشر!!؟.

أين عدل الله أذن ؟ وهل الله ظالم ؟ حاشا.

وهل الله كان فى وقت من الأوقات عادلاً، ثم أصبح بعد ذلك ظالماً ؟!   وهل الله كان فى القديم لا يستطيع أن يحمى كتابه من التحريف والتبديل،   وبعد الآلاف السنين فجأة أصبح قادراً !؟.

فأيهما أقرب الى المنطق:

- **الأول : هل يسمح الله بضلال خليقته من خلال تهاونه وسماحه لتحريف كتابه، ثم يزج بمن أتبع كتابه إلى جهنم وبئس المصير؟ . ويكون الله فى هذه الحالة ينصب شباكه لخليقته، ويوقعهم فى الضلال والشرك ثم يحاسبهم بعد ذلك على ضلالهم وشركهم الذي كان هو السبب فيه ؟!. وكيف يكون عدل الله فى محاسبة البشر فى الأجيال المختلفة، وكأنه يكيل بمكيالين وهو العادل؟.**

- **الثانى : أم يمنع الله من تسوّل له نفسه بتغيير كتابه، لأنه هو الحافظ عليه وحارسه وهو القادر؟. ولا يستحيل على الله شيئاً.**

المنطق يقول أن الله لا يمكن أن يكون ظالماً، وهذا حق لا شك فيه. أذن لا يجوز البند الأول وهو السماح بتحريف كتابه. فإذاً لا بد لأن يكون البند الثانى هو الصحيح، وهو لا بد أن يكون عادلاً، وهذا حق لا شك فيه، فى ثوابه وعقابه لكل البشر، وذلك بعدم سماحه بتغيير وتبديل كتابه، ويترك تابعيه في ضلال مبين للآلاف السنين.

أن تاريخ الكتاب المقدس يبدأ من ٣٥٠٠ سنة (ثلاثة الآلاف وخمسمائة عام). وهو أقدم الكتب السماوية وغير السماوية على الإطلاق، ويحمل فى طياته كل التاريخ البشرى، ليس من تاريخ آدم أول الخليقة البشرية فحسب. وإنما يشمل ما قبل الخليقة وتكوينها وتدرجها من أحقاب جيولوجية متوالية. بل هو الكتاب الأوحد والوحيد بشهادة كافة العلماء، الذى جاء به كافة التفاصيل من بدء الخليقة وحتى نهاية العالم، وهو الكتاب الوحيد على الإطلاق لمصدر كل المعلومات، سواء في الخلق أو الطبيعة ونشأة العالم، وبه من المعلومات عن العالم المنظور والخفي.. وجميع الكتب تستقى منه وترتوى من هذا المنهل الثمين الوافر الذى لا ينضب معينه، فهل كل هذا يتم إزالته بواسطة الإنسان الذى يقوم بتحريف وتبديل الآيات على حسب جهله وأهوائه الناقصة. وهل الله يوافق على هذا.؟!

فأيهما أقرب إلى المنطق والعقل أيضاً ... هل يحافظ الله سبحانه على كتابه من العبث به فى أى لحظة من لحظات الضعف البشرى على مدى كل التاريخ ؟... أم يترك الله الإنسان يعبث فى

كتابه بتحريفه وتبديله وكتابة غيره. **أو إخفاءه واستبداله** بكتاب محرّف، **وبعد الآلاف السنين يكتشف الله بالصدفة !!!. وكأنه أفاق من سبات عميق، وأكتشف** بأن كتابه أصابه ما أصابه من التحريف والتبديل **فى غفلة منه، فيقوم الله ويسارع بإظهار وإعلان هذا التحريف ويجعل أتباعه كفرة ومشركين يستحقون النار وبئس المصير.؟!.**

فأين العقل وأين المنطق.

ونتساءل أيضاً لماذا كل هذه السفسطة واللف والدوران حول الحقائق والبديهيات. واتهام **الله سبحانه** بالجهل وعدم الإدراك ؟ **وحاشا. لأن الله هو هو الأمس، واليوم، وإلى الأبدّ، لا يعتريه تغيير ولا تبديل، ولا يتغير من حال إلى حال مثل البشر..** وكيف يكون الله فى وقت من الأوقات غير قادر على حماية كتابه، **وفجأة يصبح قادراً ؟!. هل يستقيم هذا الرأى ؟.**

فإذا تأكدنا بإستحالة أن يكون هذا الرأى صحيحاً. وهذا حق لا شك فيه. **فلماذا نصدق أن الله لم يستطيع حماية كتابه من التبديل والتغيير،** ونجعل الله سبحانه فى موضع **أضعف من البشر!!. وأقل قدرة من إبليس !!.**

أن الاعتقاد بتلك الخرافات بأن (الإنجيل – والتوراة) **تم تحريفها بواسطة الإنسان، أو أن العوامل الطبيعية والمناخية قضت على الكتاب، أو أن إبليس استطاع أن يضلل الله بإخفاء كتابه، وهذا مما لا يقبله عقل به ذرة واحدة من الفكر، بل نقول بأنه ليس له فكر على الإطلاق.. وان من يفكر بهذا المنطق العجيب، ويقنع نفسه والآخرين بأن الكتاب المقدس الذى بين أيدينا ليس هو الكتاب الذى أُنزل على موسى وعيسى ٠٠ أو انه الكتاب الذى تم تحريفه وتبديل كلماته.. أو** أن الحقائق التى بها ليست صحيحة **وإنها مّحرفة..الخ، من الادعاءات المغرضة التى لا تدل على منطق أو عقل مدرك أبسط قواعد المعرفة وأصول الاستدلال والمنطق.**

والذى يقتنع من حيث المبدأ إن كلام الله يستطيع البشر تغيره وتبديله ٠٠ أو أن الكتاب مفقود وغير موجود وغير معروف مكانه **٠٠ هذا يؤدى بنا إلى الكفر والعياذ بالله لعدم الثقة فى قدرة الله على حفظ كتابه أو عجزه عن حمايته، أو عدم معرفته وإدراك مكان إخفاءه لكى يظهره للبشرية..**

> **ومن يدّعى ذلك على كتاب الله، فأنه لا يرمى أهل الكتاب بالتحريف والتبديل لكتاب الله وحسب، وإنما يرمى الله سبحانه وتعالى بالجهل والعجز والنقص وعدم القدرة لحماية كتاب هو واضعه، وشريعة هو موجدها !!؟؟. وحاشا.**

وحاشا وألف حاشا لله **أن يكون ناقصاً أو غير مدرك أو عاجزاً،** وإنما الإنسان هو الذى يتصف بتلك الصفات، **وليس الله سبحانه القدوس البار الصادق الأمين المهيمن الحافظ لكتبه ٠٠ القوى والجبار والقادر على كل شئ ٠٠ الخ.**

وكيف يكون الله قادراً على حماية القرآن الكريم من التحريف والتبديل، وفى نفس الوقت يكون غير قادر على حماية التوراة والإنجيل ؟!! وكما جاء بالقرآن الكريم أن الله يسمى القرآن والإنجيل والتوراة ذكرا. والله هو الحافظ والمهيمن على هذا الذكر.

إذن ليس من المنطق السليم أو العقل القويم، أن يتّهم أهل الكتاب بتحريف كتابهم أو تبديل آياته بالحذف أو الإضافة لان هذا الاتهام ليس موجه لأهل الكتاب وحسب، **ولكنه فى الحقيقة موجه بالدرجة الأولى للذات الإلهية،** لعدم قدرة الله على الحفاظ على شريعة هو واضعها ودستور هو رائده.

فأين العقل إذن والمنطق من هذا الادعاء العجيب ؟ الذى ليس له أى أساس من الصحة أو العقلانية، أننى اعتبر من يقول **بهذا الادعاء الباطل،** الذى لا يستند على أى دليل، **ولا سيما أن العالم كله شرقه وغربة وشماله وجنوبه فى كل بقاع الأرض، وبكل لغات العالم لملايين البشر، يملكون هذا الكتاب، فكيف يمكنهم على اختلاف جنسياتهم، ومذاهبهم، ولغاتهم، وطبائعهم بعد عشرات المئات من السنين أن يتفقوا معاً وفى وقت واحد، وعلى رأى واحد على تحريف الكتاب المقدس فى جميع نسخه وبكل اللغات فى كل العالم؟!!.**

وهل كل الكتب المقدسة التى تملأ العالم فى كل الأقطار وبكل اللغات، **اختفت واندثرت وتلاشت فجأة وبطريقة سحرية غير منظورة، ولم يبقى أى كتاب صحيح فى نظر هؤلاء غير كتاب مزيف** يملأ كل العالم ؟؟!!! ...

ادعاء غريب لفكر أكثر غرابه.

والتهوين فى قدرة الله وجعله ألهاً عاجزاً.. حاشا لله.

****

الفصل الثانى

[من الذى يستطيع أن يقوم بالتحريف ؟.]

هل هم الوثنيون ... أم اليهود ... أم المسيحيون.

١ – الوثنيون:

لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نتّهم الوثنيين بالقيام بهذا العمل، **لأن اليهود والمسيحيون يقفون لهم بالمرصاد**، لكل من تسول لهم أنفسهم بالتلاعب فى أى حرف من كتابهم، **وأية فائدة تعود إليهم من تحريف الكتاب المقدس ؟، انهم لا يهمهم** أمرا سوى **عبادة أصنامهم أو القضاء على المسيحية، ولا يعنيهم** التحريف والتبديل فى كتاب بذل المسيحيون أرواحهم ودمائهم رخيصة للمحافظة عليها وعلى معتقداتهم، **وأن قتلهم وسفك دمائهم، أهون عليهم من السماح بتغيير حرف واحد أو نّقطة واحدة منها**.. وأستمر هذا الدفاع عن معتقداتهم طوال مدة وجود الوثنية حتى بداية القرن الرابع الميلادى، **وانتهى بانتهاء الوثنية** على يد الإمبراطور قسطنطين فى عام ٣١٣ م **واعتناق الوثنيين لشريعة المسيح** فى كل الأرض التى تمتلكها الإمبراطورية الرومانية، وذُمرت معابدهم وأوثانهم **وسادت المسيحية فى الإمبراطورية**. فأصبحت الوثنية لا وجود لها فى التاريخ الرومانى. وأن كان هناك بعض الفئات ما زالت على وثنيتها فهى قليلة متناثرة لا حول لها ولا قوة.

٢ – اليهود:

أن اليهود قاسوا الأمرين للحفاظ على كتابهم فى كل العصور القديمة، سواء من البابليين أو الرومانيين، **ولكن كتابهم لم يمس، بل حافظوا عليه أكثر من محافظتهم على أولادهم وذويهم**، بل وصل بهم الأمر فى التدقيق **بأنهم سجلوا إحصائيات لكتابهم لكل الحروف الأبجدية وعددها**، وتكرار الكلمات وأعدادها، والحرف الأوسط لكل كلمة، إمعاناً فى التدقيق وضماناً لعدم تغيير أى كلمة منها، فأن النساخ اليهود كانوا مدققين إلى غاية ما يمكن. **فأنهم أحصوا عدد الكلمات** والحروف الهجائية فى جميع أسفار كتابهم المقدس، فيقولون ان الألف تكررت ٤٢٣٧٧ مرة. والباء تكررت ٣٢٢١٨ مرة... الخ. وكذلك حسبوا الحرف الأوسط فى الأسفار الخمسة. والجملة الوسطى، والحرف الأوسط فى جملة الأسفار. **وعند كتابة اسم الله يغيرون القلم بقلم آخر، وعند حدوث خطأ فى النسخ لكلمة واحدة يحرقون تلك النسخة**، وتراجع أكثر من مرة ... الخ.

وقد ذكرتُ هذه التدقيق تبييناً للاعتناء الفائق وخصوصاً عند النساخ الأقدمين، وأن أمكان حدوث تغيير جوهرى تحت أيديهم أمر بعيد الحدوث. وعندما يقومون بنسخ نسخة من التوراة، كانت لها طقوس تطهير واستعدادات عديدة عندما يشرعوا فى النسخ تمسكاً بقدسية الكتاب.

كما ان كتاب اليهود (التوراة وكتب الأنبياء)، مازالت حتى الآن بلغاته الأصلية (العبرية) ومتداولة مع كل يهود العالم منذ آلاف السنين، فى نفس الوقت موجودة مع المسيحيين مترجمة بلغات العالم وموضوعة مع الإنجيل فى كتاب واحد وهو الذى يسمى (الكتاب المقدس)، أى أن الأصل الكتابى للتوراة وكتب الأنبياء بلغته الأصلية والموجودة مع اليهود، هى نفسها موجودة عند المسيحيين مترجمة فى كتابهم المقدس.

ولا يستطيع اليهودى تحرّيف الإنجيل المسيحى، ولا يستطيع المسيحى تحرّيف التوراة اليهودية، لأن كل منهما يملك كتاب الآخر، وكلا منهما يقف للآخر بالمرصاد، فلا يستطيع المسيحى تحريف التوراة، والتوراة بين يدى اليهود، وهم القادرون على حمايته من عبث المسيحيون، ولا يستطيع اليهودى تحريف الإنجيل وهم عالمين أنه بأيدى المسيحيون ومستعدون للموت فى سبيله، وغير ذلك وتلك فأن المسيحيون يقدسون التوراة والعهد القديم لأنها جزء من الكتاب المقدس.

والكتاب المقدس فى الديانة المسيحية يحوى العهدين العهد القديم وفيه التوراة وكُتب أنبياء بنى إسرائيل قبل مجيء السيد المسيح، والعهد الجديد وفيه الأناجيل ورسائل الرسل.

الكتاب المقدس يحوى الشريعتين، القديمة شريعة العهد القديم، والشريعة الجديدة شريعة الإنجيل التى تكملها، والعهد القديم، فى نظر المسيحيون، هى المسيحية فى ثوبها القديم، والعهد الجديد الإنجيل، هو التوراة فى ثوبها الجديد، وكل منهما يكمل الأخر، حسب قول السيد المسيح له المجد عندما بيّن موقفه من شريعة العهد القديم قال:

" ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل .."

(متى٥: ١٧)

وأن كان اليهود لا يعترفون بالمسيح اليوم، ليس لأن السيد المسيح لا يوجد فى توراتهم وكُتب أنبيائهم، أو عدم ذكره فيها كلا.. لأن التوراة تشير إلى (المسيا) المنتظر، الذى هو المسيح، وجميع أنبيائهم ذكروا مجيئه، وولادته من عذراء فى الزمان المحدد وصلبه، الذى ذكره دانيال النبى ٥٥٠ سنة ق.م، والمكان المعّين فى بيت لحم الذى ذكره ملاخى النبى ٤٠٠سنة ق.م، وموته على الصليب لفداء البشر وخلاصه الذى ذكره أشعياء النبى٧٣٨ سنة ق.م، وموته الكفارى وتسميره على الصليب، الذى ذكره داود النبى ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وأنه سيأتى من نسل داود حسب الجسد، والوعد بأن المسيح سيأتى من نسل المرأة والذى سيسحق رأس الحية (إبليس) هذا الوعد الإلهى بعد سقوط آدم ذكره موسى النبى سنة ١٤٩٠ ق.م، وهناك الكثير من النبوءات لأنبياء العهد القديم التى تتجاوز ٣٣٠ نبوءة، تخص السيد المسيح وحده، خاصة مراحل حياته وأعماله وموته على الصليب.

وإذا كانت كل تلك الحقائق متفق عليها في كتب اليهود، أذن ما هو الخلاف بيننا كأتباع السيد المسيح وبين اليهود.

الخلاف بيننا وبين اليهود هى فقط عن شخصية المسيح، أنهم لم يتوقعوا ان المسيح الذى ينتظرونه والذى جاء مُنذ ألفى سنة، والذى كان فى اعتبارهم بأنه ملك أرضى سيملك عليهم ويخلصهم من الاستعمار الرومانى، ليس سوى مسيح ينادى بالحب للجميع، وتأسيس مملكة سماوية وليست مملكة أرضية كما يريده اليهود ويعتقدونه، ولذلك خاب ظنهم فيه ورفضوه وتآمروا على قتله وصلبه. وقالوا أن الذى صُلب هو شخص أسمه يسوع وليس المسيح (المسيا المنتظر). ولم يدروا أن يسوع هذا هو نفسه المسيح، ولكن الكثير منهم تحولوا إلى المسيحية واعتنقوها، بعد أن تأكدوا بأن يسوع المصلوب هو ذاته المسيا المنتظر في كتب أنبيائهم، والذين تنبأوا عنه بكل تفاصيل حياته من مولده المعجزة إلى موته على الصليب كفّارة عن خطايا البشر، وقيامته وصعوده الى السماء.

صحيح أن السيد المسيح جاء فى الجسد لخلاص البشر بصلبه على الصليب وفاءاً للعدل الإلهى، وسداد الدين عن كل البشر المترتب على خطيئة آدم وكل نسله من بعده (١) وذلك بترتيب إلهى مستخدماً طبائع الإنسان الغير سوية التى جُبلت على الشر والغدر والحقد ونكران الجميل، التى هى صفات متأصلة لكثير من البشر وتم استخدام هذه الطبائع الشريرة للتآمر على قتل المسيح وصلبه. هؤلاء البشر منتشرون فى كل بِقاع الأرض من كل جنس ولون وعقيدة فى كل الأجيال منذ الخليقة وحتى قيام الساعة.

لم يوحى الله سبحانه لهؤلاء اليهود أو الرومان بقتل المسيح وصلبه، وإنما الله سبحانه أستخدم تلك النوعية من البشر لتنفيذ خُطته الموضوعة لتحقيق العدل الإلهى للتكفير والقصاص لخطايا الإنسان على وجه العموم، وفى نفس الوقت، الله ليس بظالم للإنسان الذى قام بهذا العمل الخسيس فى التآمر على قتل المسيح وصلبه، بالرغم أن طبائعهم هى كذلك، حتى ولو لم يقوموا بصلب المسيح، فالقاتل الذى يصمم على قتل إنسان آخر، أو يفجر عبوة ناسفة وسط مجموعة من الأبرياء، أو السارق الذى يقوم بالسرقة، أو الزانى الذى يزنى، أو الكاذب الذى يكذب، أو النمام، أو فاعل الفحشاء والمنكر... الخ. الله لم يدفعه لهذا العمل بالطبع، وإنما هى طبيعة الإنسان الناقصة والحاقدة والشريرة، وهى متواجدة بكثرة فى كل الأجيال، هى التى تدفع الإنسان لعمل الشر، وإرادة الإنسان الحرّة هى التى تستجيب لدوافع الشر الكامنة فيه، والشيطان يعاونهم لتنفيذ كل الشرور المخالفة لله سبحانه وتعالى، بكل أساليب الغواية المتنوعة لتنفيذ مآربه. وإرادة الإنسان الحرّة هى التى تستجيب لتلك الإغراءات الشيطانية، أما الإنسان القوى الإرادة والذى يملأ حُب الله قلبه، لا يفعل الشر ويستطيع أن يقاوم الشيطان وغوايته، وهو الذى يرفض تلك الإغراءات ويقاوم إبليس، والله يعاونه فى ذلك، ويمده بالقوة التى تساعده على المقاومة، وعندما يطلب الإنسان ذلك من الله، فالله لا يتركه بناءاً على إرادته الحرة فى طلب المعونة منه.

---

(١) كما سبق توضيحه تفصيلاً فى كتابنا " حقيقة التجسّد." للمؤلف.

أما الإنسان الشرير القاسى القلب، والذى يملأ كيانه الغدر والخيانة، والذى لا يطلب معونة من الله **لمقاومة** إغراءات إبليس **معتمداً على قدرته الشخصية، ورغباته الدنيئة، فماذا يفعل الله حيال ذلك الإنسان ؟ والإنسان حراً فى** إرادته وتصرفاته التى سيحاسب عنها يوم الدينونة، **والله لم يدفعه لارتكابها بالطبع.**

لذلك فالإنسان هو المخلوق الوحيد من بين جميع المخلوقات المنظورة، الذى سيحاسبه سبحانه على أعماله بالثواب أو العقاب فى الفردوس أو الجحيم، **بناءً على** استخدام إرادته الحّرة **فى فعل الشر أو عدمه، ومع ذلك الله أعطاه الفرصة للتوبة والاستفادة من فداء المسيح بسفك دمه، بالرغم من قيامه بهذا العمل بصلب المسيح،** لأن فى عدل الله ان يعطى الفرصة للبشر للرجوع للحق والاعتراف بالذنب الذى ارتكبوه، **والله يقبل توبتهم الصادقة لو أرادوا بإرادتهم الحّرة أيضا، ودم المسيح الغير محدود يسدد ديون خطيئتهم، إذا آمنوا بالمصلوب وعملوا ما** يرضيه مستقبلاً تنفيذاً لشريعته الكاملة. بدليل أن **قائد المئه المُكلف بعملية الصلب،** وهو الذى طعن السيد المسيح فى جنبه بالحربة، عندما رأى **غضب الطبيعة** لموت المسيح على الصليب، آمن بالمسيح **وأعلن إيمانه هذا واستشهد هذا القائد فيما بعد على أسم المسيح ونال الحياة الأبدية.**

ويجب أن نعى جيداً أن عملية قتل السيد المسيح وصلبه، ليست ضد خُطة الله لخلاص البشر، أو أن البشر قاموا بهذا العمل ضد إرادة الله، أو أن الإنسان تغلب على إرادة الله بقتلهم المسيح، وإنما الله بسماح منه تمم هذا العمل، مستخدما طبائع الإنسان الغادرة والشريرة فى تنفيذ الخُطة الإلهية، التى سبق ووعد بها بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية، وذلك بفدائه على الصليب وسفك دمه الكريم الغير محدود لخلاص البشر، هذا هو أساس الخُطة الإلهية لتجّسد الكلمة، وبدون سفك دم المسيح وصلبه، لا داعى لإتحاد اللاهوت بالناسوت، ولا داعى لتجّسد كلمة الله لأنه من أجل الفداء ومحبته الغير محدودة تم التجسّد.

أن المسيح هو (المسيا)، **واليهود ينتظرون مجيئه حتى هذا اليوم، لكى يؤسس لهم مملكة إسرائيل الأرضية، ولذلك لا يوجد فى إسرائيل ملك،** والذى يحل محله **مؤقتاً** رئيساً شرفياً لا رأى له ولا مشورة ولا يستطيع اتخاذ قرار، **لأن ملكهم الذى ينتظرونه هو المسيح فقط، ورئيس الوزراء هو الحاكم الفعلى لإسرائيل بالنيابة عن الملك المنتظر**(المسيح).

أما اليهود الذين آمنوا بالمسيح قديماً، وهم كثيرون جداً، فقد أصبحوا **مسيحيين** ونحن نعلم أن **الحواريون** تلاميذ المسيح **كانوا يهوداً،** وهم **الذين آمنوا بأن المسيح المنتظر** هو الذى **جاءهم، وآمنوا برسالته، إما يهود اليوم فهم من نسل اليهود الذين رفضوا رسالة المسيح بالأمس، ولكن الكثير منهم عادوا إلى الإيمان، والبقية منهم سيعودون للإيمان بالمسيح** الذى سبق وأن **رفضوه بعد أن يكتشفوا ان المسيح الدجال** (ضد المسيح) **الذى سيأتى فى نهاية العالم، ليس** سوى **إنسان يتملكه إبليس، وسوف يدّعى أنه هو المسيح المنتظر ولكن سينكشف أمره،**

وحينئذ يتأكد لليهود بأن المسيح الذى جاء أولاً وصُلب وقام من بين الأموات، هو هو المسيح المنتظر فى كتبهم وتوراتهم. وسيدخلون المسيحية عن بكرة أبيهم.

لذا لا يمكن أن يقوم المسيحيون بتحريف التوراة التى هى جزء لا يتجزأ من الكتاب المقدس، ولا يمكن أيضاً أن يحرّفوا إنجيلهم، وقد دفعوا ثمناً غالياً فى المحافظة على كل حرف وكل نقطة فيه من دمائهم وأرواحهم.

ولا يستطيع اليهودى أيضا تحريف توراته التى يقدسها، والتى فيها رجاؤه ومسيحه المنتظر، وإذا أراد اليهود التحرّيف – وهذا غير وارد– **لقاموا بحذف الآيات التى تشير إلى المسيح الموجود بتوراتهم، من ميلاده العجيب بدون أب وحتى صلبه بواسطتهم، وقيامته وصعوده إلى السماوات، كما يمكن أن يحذفوا الضربات والويلات التى ستأتى على شعوبهم من جراء عصيانهم، كما يمكنهم أن يحذفوا سقطات أنبيائهم وأخطائهم المذكورة بكتابهم. ولكانوا** استطاعوا أن يضيفوا إلى كتابهم كل ما هو يمّجد أنبيائهم والارتفاع بهم، وعدم ذكر **أخطائهم،** وما أنبياءهم سوى بشر غير معصومين من الخطأ، لأن العصمة لله وحده. والبشر **جميعهم خطاءون حتى لو كانوا أنبياءً أو رسلاً.**

٣- المسيحيون:

المسيحيون قدموا أنفسهم وأرواحهم فى كل العصور، للموت دفاعاً عن إيمانهم فى المسيح، لذلك **ليس هناك معنى لكى يقوموا بتحرّيف كتابهم أو يبدلوا فيه بالزيادة أو النقصان** •• وكانوا لا يستطيعون إنكار المسيح واعتقادهم فيه **بمجرد اللفظ فقط أو باللسان،** وكانوا يعلمون أن مجرد إنكار المسيح باللسان، **ينجيهم من القتل والتعذيب والموت** من السلطة الرومانية الوثنية، **ولكن** كان أهّون **لهم سفك دمائهم ودماء أولادهم على أن ينكروا المسيح باللسان دون القلب لكى ينجوا بأنفسهم وأولادهم من القتل** والتعذيب، **ومع ذلك لم ينكروه،** وتحملوا كل أنواع العذاب بما لا يطيقه بشر، **ولا تستطيع الجبال احتماله•** فمنهم من بترت أيديهم وأرجلهم قطعة قطعة، ويضعون أشلائهم أمام أعينهم فى إناء يغلى، ويتركونهم حتى الموت عذاباً ونزفاً، **ولكن لم ينكروا إيمانهم• ومنهم من كان ينشر** بمناشير الأخشاب لتقطيع أجسادهم، **ومنهم** من كان **يضعونهم فى الزيوت الشديدة الغليان حياً ليذوب فيها، ومنهم** من يحرق، **ومنهم** من يعلقونه على أعمدة طوال الليل والنيران فى أجسادهم تنير ظُلمات الليل للعابرين، بعد أن يتم **دهن أجسادهم بالقار •• ومنهم** من كانوا يقدمون للوحوش الضارية والجائعة، والأسود والنمور فى حلقات على مرأى من الشعب، والحكام يجرعونهم كئوس العذاب وسفك دمائهم، ومنهم من تقطع أجسادهم بالمهاميز والمقاشط• **والكثير جداً من فنون التعذيب، الذى لم نذكر منه إلا القليل على سبيل المثال وليس الحصر.**

هل لقوم مثل هؤلاء أن يقوموا بتحريف كتابهم؟!•

في إحدى قصص الاستشهاد، ذبح الرومانيين أهالي قرية بأكملها في **مدينة أسنا في صعيد** مصر ذبحاً بالسيوف وطعناً بالحراب حتى ثلمت قوتها من كثرة الذبح والطعن، وكان بعض من أهالي القرية وهم ثلاثة فلاحين، يقومون بالزراعة في قرية مجاورة يفلحون الأرض بفؤوسهم ومناجلهم ·· وعندما عادوا في المساء إلى القرية، وجدوا القرية وما حل بها من قتل جميع من فيها ومازال الرومانيين موجودين بها، لكنهم متعبون وسيوفهم وحرابهم غير قادرة على قتل المزيد ·· فندبوا حظهم بأنهم لم ينالوا شرف الاستشهاد، لأنهم لم يكونوا بالقرية وقت الذبح ·· **فتقدموا للجنود يرجونهم لكي يكملوا ذبحهم كباقي رفاقهم لينالوا شرف الشهادة ·· واعتذروا** الجنود لان سيوفهم لم تعد قادرة على الذبح لأنها ثلمت **وأنهم متعبين ·· فقدم لهم هؤلاء الأهالي فؤوسهم ومناجلهم الحادة لكي تقطع رؤوسهم بها** ·· فلما رأوا الجنود إصرارهم على الشهادة فتم لهم ذلك، **وقُطعت رقابهم بالفؤوس والمناجل !!.**

ومقبرتهم حالياً تتوسط الشارع الرئيسي بالمدينة حتى هذا اليوم في نفس موقع استشهادهم، وتسمى مقبرة الثلاث فلاحين، والكثير من القصص التي لا تحصى ولا تعد من الكثرة، وأقلها تحتاج إلى مجلدات ضخمة ·· ولكننا هنا ذكرنا القليل على سبيل المثال فقط، **لكي نُدرك مدى تمسك المسيحيون بكتابهم ومسيحهم، ولم ينكروه حتى ولو بمجرد اللفظ باللسان، الجميع بدون استثناء الشاب والشيخ، الرجل والمرأة، والأطفال، وحتى الرضعاء كان والديهم يتأكدون من قتلهم أولاً حتى يضمنوا لهم الشهادة، حتى لا يتركونهم في ظل الوثنية وإنكار المسيح** ··

هل لشعب مثل هذا، وقوم مثلهم يستطيعون، ولو بمجرد الفكر أن يقوموا بتحرّيف كتابهم وتبديل آياته، **فإذا لم يستطيعوا أن ينكروا إيمانهم حتى ولو لمجرد اللفظ باللسان وخارج القلب بالرغم من القتل والتعذيب**، فهل يستطيعون أن يغيروا حرفاً واحداً في كتابهم، **وهم اللذين قدموا أنفسهم وذواتهم محرقة لجلاديهم لكي لا ينكروا إيمانهم !!**·

لذا أعجبني قول الأستاذ / محمود عباس العقاد في كتابه **عبقرية المسيح** ص ١١٩،١١٨:

" **ومن بدع أهل القرن العشرين سهولة الاتهام** كلما نظروا في تاريخ الأقدمين، فوجدوا **في كلامهم أنباء لا يستسيغونها** وصفات لا يشاهدونها ولا يعقلونها. **ومن ذلك اتهامهم للرسل** (الحواريون)، **بالكذب فيما كانوا يثبتونه من أعاجيب النقل، ولكننا نعتقد أن التاريخ الصحيح يأبى هذا الاتهام، لأنه أصعب تصديقاً من القول بأن أولئك الدعاة أبرياء من تعمد الكذب والاختلاق. فشتان عمل المؤمن الذي لا يبالي الموت تصديقاً لعقيدته، وعمل المحتال الذي يكذب، ويعلم أنه يكذب، وأنه يدعو الناس إلى الأكاذيب. مثل هذا لا يقدم على الموت في سبيل عقيدة مدخولة، وهو أول من يعلم بزيفها وخداعها. وهيهات أن يوجد بين الكذبة الغادرين من يستبسل في نشر دينه، كما أستبسل الرُسل المسيحيون، فأقرب القولين أن الرسل لم يكذبوا فيما رووه، وفيما قالوا أنهم رأوه، أو سمعوا ممن رأوه** ".

ولذا كان من الصعب جداً على العقل أن يتخيل تحريفاً فى التوراة أو الإنجيل ايضاً للأسباب الآتية:

(١) **كان الشعب اليهودى يحافظ على كتاب الله بدرجة تفوق التصور،** لدرجة انهم كانوا يحصون عدد الكلمات الموجودة فيه، والحروف الأبجدية وعددها لكى لا يسقط حرف واحد منها أثناء نسخ الكتاب، **وإذا ثبت سقوط حرف أو كلمة من النص تحرق هذه النسخة.** وعند قراءة كلمة (الله) لم يكن أحد يقدر أن ينطق اسم الله، بل ينطقه (أهيه، أو الوهيم) زيادة فى قدسية نطق الكلمة على لسانهم.

(٢) **لا توجد** نسخة واحدة من التوراة أو الإنجيل تخالف النسخ الأخرى التى بين أيدينا والموجودة فى متاحف العالم. **أن حوادث صلب المسيح وموته وقيامته،** قد تنبأت عنها التوراة وكتب الأنبياء، **وهذا أقوى دليل على صدق التوراة،** حيث تتحدث عن **صلب المسيح،** رغم **العداوة التى يكنها اليهود للمسيح والمسيحيين. فإنهم – لو كان التحريف أمراً وارداً عندهم – لحذفوا من التوراة الويلات الموجهة إليهم باعتبارهم شعب صلب الرقبة. ولبدلوا الأحداث التى تسئ إلى أنبيائهم،** بل وكانوا **استأصلوا من التوراة الآيات والنبوات التى تتحدث صراحة عن صلب المسيح وموته وقيامته،** وما أكثرها، **لأن هذه الأقوال تسبب لهم مشاكل هم فى غنى عنها طالما مبدأ التحريف وارداً.**

(٣) **التوراة وكُتب الأنبياء** كتبها **٤٠ نبياً** وكاتباً فى العهد القديم والجديد، فى حقبة زمنية كبيرة **تتجاوز** ١٦٠٠ سنه ومع ذلك **أنهم يتفقون على حقيقة الصليب .. أليست هذه أدلة مذهلة ؟.**

(٤) ومع بساطة تلاميذ السيد المسيح (صيادى سمك)، **فكيف يُعقل انهم اتفقوا مع أحبار اليهود وفقهائهم وعلمائهم، على ذكر صلب المسيح فى** توراتهم، **وحياته وميلاده العجيب بدون زرع بشر، وذكر مكان وزمن ميلاده وصلبه بتسمير اليدين والرجلين، وطعنه بالحربة فى جنبه، وموته وقيامته وصعوده، أى أنهم اتفقوا مع اليهود على تحريف توراتهم!!؟.**

هل هذا منطق يقبله عقل مُفكر!؟

بالإضافة إلى ذلك كما سبق التوضيح، **استحالة** أن يسمح الله بتحريف كتابة وتبديل آياته.

أن تلاميذ السيد المسيح بعد قيامته مكث معهم أربعون يوماً **يعلمهم بكل الأمور التى يجب أن يكرزوا بها** فى الأقطار، **وفتح أذهانهم لكى يفهموا الكتب، وأعطاهم سلطان بأن يجروا معجزات** باسمه، **ليؤكدوا للناس صدق دعوتهم** فى المدن التى سيذهبون إليها فى أرجاء الأرض، **وبعد ذلك صعد أمامهم إلى السماء على السحاب،** فذهب التلاميذ إلى كل مدن العالم يبشرون بالإنجيل والخلاص، **مدعّمين أقوالهم بالمعجزات التى منحها لهم المسيح قبيل صعوده،** وظلوا على هذا الحال **٣٠ سنه** حتى كتب مرقس أول الأناجيل **فى الإسكندرية (إنجيل مرقس)،** وبعده كتب متى إنجيله **فى فلسطين والهند (إنجيل متى)،** وكتب لوقا إنجيله **فى** أوروبا **(إنجيل لوقا)،** وأخيراً كتب

يوحنا إنجيله فى آسيا الصغرى (إنجيل يوحنا).هؤلاء الأربعة كتبوا أناجيلهم من أماكن متفرقة واتفقوا معاً فى موضوع الصلب والقيامة.

- فلو كان واحد فقط الذى كتب الإنجيل لسهل التحريف ،
- ولو كانوا قد كتبوا معاً فى مكان واحد لسهل التحريف ،
- ولو أمكن التحريف، لحسن لهم أن يقولوا أن المسيح لم يصلب.

وهذه هى أهمية وجود الأناجيل الأربعة كشهود للقضية ، فما بال من أدعّو التحريف انه بعد مئات السنين تم التحريف ؟؟.

إذن من الاستحالة ان يتم تحريف الإنجيل للأسباب الآتية أيضاً:-

١- أن التلاميذ كتبوه من أماكن بعيده بعضهم عن البعض، ويصعب عليهم الاتفاق على شئ خطأ ،

٢- أن يبشر التلاميذ بالإله المتجسد أمر صعب، وبالإله المصلوب أمر أصعب، وبالإله القائم من الأموات أمر يدعو إلى السخرية ...

فلو كان التلاميذ يرغبون التحرّيف ليبشروا بالأمر الأسهل، وهو أن المسيح لم يصلب أو يقتل، لكنهم رغم الصعوبة التى قابلتهم فى التبشير، لم يستطيعوا أن يبشروا إلا بما قد رأوه بعيونهم، رغم سخرية الناس من موضوع الصلب، سواء كانوا يونانيين أم يهوداً ،

" ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة واليونانيين جهالة "

(١ كو :٢٣)

" لأن كلمة الصليب عند العالم جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله "

(اكو ١: ١٨)

٣- التلاميذ أنفسهم فى حياتهم الأولى كانوا يرفضون فكرة الصلب، لذلك عندما تحدث السيد المسيح عن صلبه وموته، انتهره بطرس وقال له حاشاك يا رب فقال له السيد المسيح:

" اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى"

(مت ١٦: ٢١-٢٣)

معنى ذلك أن التلاميذ كانوا يبشرون بأمر سبق لهم أن رفضوه ، أنهم كانوا مضطرين ومجبرين بأن يبشروا بما رأوه عن الصلب والقيامة رغم انهم سبق رفضهم هذه للفكرة.

٤- انتشار المسيحية فى أوروبا وآسيا والإسكندرية بلاد الفلسفة والقوة بالرغم من:

أ	كان الرُسل أناس سُذج – صيادى سمك – ليس لهم لسان الفلاسفة، ولا إقناع العلماء، ولا سيوف الرومان، ولكن كانت لهم قوة الروح القدس ومعجزاته.
ب	كانوا يبشرون بالمسيح مصلوباً. لليهود عثرة ولليونانيين جهالة.
ج	كانوا ينادون بتعاليم صعبه ضد الميول البشرية، وضد الشهوات والمُتع السائدة، فحّرم الإنجيل محبة العالم وشهواته حتى مجرد النظرة الشريرة، وحضّ على الزوجة الواحدة، وحّرم تعدد الزوجات، ومنع السرارى والجوارى والسبايا، وحثّ على البتولية وعدم الزواج أن أمكن كقمة البر وكبح الشهوات، والسمو بالروح والقيم والمبادئ والتضحية والفداء من أجل الآخرين ... الخ.
د	فقر الرسل مادياً واجتماعياً وعدم اعتمادهم على أى سلاح مادى. بل كان أمر السيد المسيح لهم: "*ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب لا تحملوا أكياس ولا مزوداً ولا سيفاً* " (لو ١٠: ٣).
هـ	تبشيرهم اكبر دولة فلسفية فى العالم (اليونان)، وأكبر مدرسة وثنية فى العالم (الإسكندرية) واكبر دولة عسكرية فى العالم (الرومان) فإذا كان الإنجيل اليوم يتعّرض لنقد الملحدين، فقد سبق أن اعترض عليه فلاسفة العالم وجهابذته وأباطرته مثل نيرون، ودقلديانوس وغيرهم، هؤلاء الأباطرة الذين حكموا على المسيحيين بالفناء، زالت إمبراطورياتهم وبقيت المسيحية، وصمد المسيحيين فى إيمانهم، وقدموا أرواحهم لأجل المسيح المصلوب، وبقيت المسيحية صامدة يدين بها أغلب سكان العالم.

٥- والسؤال الهام:

ما هى مصلحة التلاميذ فى قولهم أن المسيح صُلب وهو لم يصلب ؟
وما هى مصلحة التلاميذ فى حذف شئ أو زيادة شئ أخر من الإنجيل ؟

٦- سؤال اكثر أهمية:

أولاً : كيف استطاع أن يتفق التلاميذ المتفرقين فى أماكن بعيده على موضوع الصلب؟.
ثانياً : كيف اتفقوا مع اليهود أعدائهم فى هذا الموضوع ؟.

ثالثاً : كيف اتفقوا مع ٢٤ **نبياً** كتبوا وبشروا عن المسيح فى فترة زمنية طويلة تزيد على ١٥٠٠ سنه قبل المسيح ، من موسى النبى ١٤٩١ سنة ق.م وحتى ملاخى النبى (أخر أنبياء العهد القديم) ٤٠٠ سنة ق.م ؟، وحتى يوحنا المعمدان قبيل المسيح مباشرة (٦ أشهر).

٧- بأى عقل يمكن أن يصدق انه يمكن الاتفاق على حذف كلمة أو زيادة كلمة فى الإنجيل ؟.

- **لقد كرز الرسل بالإنجيل المكتوب فى قلوبهم لمدة ٣٠ سنه.**
- **ثم بعد ذلك كتبوا الأناجيل الأربعة فى مناطق بعيدة.**
- **ثم كتب من الإنجيل آلاف النسخ، وانتشر فى العالم بلغات مختلفة.**

فهل يُعقل أن هذه النسخ تجمع من كل العالم وبكل لغاته وتحرق وتبقى النسخة المحّرفة ؟

لم يكن الإنجيل فى حيازة دولة واحدة، أو ملك واحد حتى يمكن أن يتم ذلك، ولقد جاء القرآن الكريم شاهداً بصحة الإنجيل وقت ظهور القرآن فى القرن السابع الميلادى، لذلك يصعب جداً تحريف الإنجيل بعد ظهور الإسلام بأكثر من ٦٠٠سنه منذ كتابته، وانتشاره جهراً بهذه الدرجة الكبيرة فى العالم كله. كما لا يمكن بالطبع تحريف التوراة وكُتب الأنبياء بعد أكثر من ٢٠٠٠ سنة منذ كتابته وانتشاره بلغات عديدة.

كما أن وجود تحرّيف فى كتاب يتطلب وجود كتابين:
الأول هو الأصل. والثانى هو المحرّف. فلو فرضنا جدلاً أن بعض من المسيحيون الغير أمناء أخرجوا إنجيلاً محرفاً، فإنه فى هذه اللحظة سوف يتمسك فريق آخر من المسيحيين الأمناء بالإنجيل الحقيقى. فأين هو الإنجيل الحقيقى؟!.

وفى واقع العالم المسيحى منذ بدء تاريخه إلى اليوم لا نجد بين أيديهم سوى كتاباً واحداً. ولم يسجل التاريخ جدالاً حول هذا الموضوع، أو مؤتمراً عالمية لبحث التحريف المزعوم.

فلو كان الإنجيل محرف وقت ظهور القرآن لجاءت آيات القرآن برفض الإنجيل لتحريفه. وإنما جاء القرآن مؤيداً لصحة الإنجيل من التحريف والتبديل والحكم به وإتباع أحكامه وشريعته، وهذا ما يدل من الآيات القرآنية الآتية (١) : –

{ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه،
ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون.} (سورة المائدة).
{ وكيف يحكمونك وعندهم حكم الله فى التوراة والإنجيل }
{ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس}
(سورة آل عمران)
{ فسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون }
(سورة النمل)
{ إنا نحن أنزلنا الذكر وأنا له لحافظون }
(سورة الحجر)

وفى الإنجيل قول السيد المسيح :

" السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول "
(مت: ٣٥)

" أن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب وان كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب.."
(رؤ ٢٢: ١٨،١٩)

(١) سيأتى ذكره بالتفصيل فى فصل لاحق بهذا الكتاب.

٨- كان العصر الذى كُتبت فيه الأناجيل عصر علم ومعرفة وليس عصر جهل، وكانت الكتابة منتشرة، **لذلك:-**

* **احتمال سقوط بعض أجزاء من الإنجيل لأمر صعب ومستحيل.**
* **وان سقط جزء من أحد الأربعة كيف يسقط نفس الجزء من الثلاثة الآخرين.**
* **وان سقط من الأربعة فكيف يسقط من الأربعة وعشرين نبياً الذين كتبوا العهد القديم الذى تنبأ عن كل مراحل حياة السيد المسيح من ميلاده ومعجزاته وصلبه وقيامته..الخ.**

فلذا فى تعدد الأناجيل الأربعة، لأربعة من تلاميذ المسيح، **تأكيداً لصحة الإنجيل لهؤلاء الشهود الأربعة،** الذين كتبوا أناجيلهم فى أماكن متباعدة، وفى اتفاق متقن يدعوا إلى الدهشة، **ولم يختلفوا أبداً فى كل القضايا، من تجسّد الكلمة والمعجزات والفداء للبشر وصلب المسيح وموته وقيامته، وتثليث أقانيمه وتوحيده.**

وحسنا ما فعلوه من كتابة أناجيلهم الأربعة كشهود، ويؤكد القرآن الكريم أن شهادة الأربعة تدل على صدق القضية، وفى المحاكم الإسلامية، وخاصة فى قضية إثبات خطيئة الزنا، شهادة الأربعة الذين **رأوا ذات الفعل معاينة تقطع الشك باليقين فى القضية،** بالرغم من ان الشهود الأربعة **قد لا يكونوا على مستوى المسئولية وليسوا فوق الشبهات،** فما بالك وشهود الأناجيل الأربعة **ضحوا بحياتهم قتلاً فى سبيل قول الحق،** والتبشير بما رأوه وسمعوه من رب المجد يسوع المسيح، **فلو كانوا كاذبون ويعلموا انهم كاذبون فلماذا قدموا أرواحهم ودمائهم رخيصة فى قول كاذب لقضية كاذبة يدعون به !؟**

٩- كان من السهل جداً ومن الميسور على الحواريون أو من الأسلاف الأوائل للمسيحية أن يتم حرق وإهلاك ثلاثة أناجيل من الأربعة ليبقى واحد منهم فقط، كما فعل الخليفة عثمان بن عفان فى مسألة القرآن الكريم.

١٠- وكان من السهل ايضاً اقتباس مجموعة من الآيات من كل إنجيل من الأربعة ليكون فى إنجيل واحد - ولا يذكرون اسم كاتبه أو جامعه - حتى لا يتّهم المسيحيون بأن لهم أربعة أناجيل **- ومع ذلك للأمانة الشديدة فى عدم المساس بأى كلمة أو حرف مكتوب لم يقوم الحواريون أو الأسلاف بهذا العمل، وكان فى مقدورهم أن يختاروا منهم إنجيلاً واحداً، لكى لا يتبادر لذهن القارىء بأن الأناجيل مخالفة أحدهم عن الأخرى.**

أن كل الأناجيل تنقل أقوال السيد المسيح فى ترتيب مختلف من إنجيل لآخر حسب أهمية لمن توجه لهم كلمة الله، سواء من اليهود، أو الرومانيين، أو بصفة عامة، مع تركيز أكثر فى إنجيل يوحنا من حيث لاهوت السيد المسيح.

بالرغم من كل هؤلاء الشهود، سواء الشهود **الأربعة للإنجيل، والشهود الأربعة والعشرون من أنبياء العهد القديم، الذين يثبتون ويبرهنون على** صحة وصدق الكتاب المقدس، ومع ذلك

هناك من يدّعون التحريف لكتاب الله، وينكرون لكل هؤلاء الأنبياء شهاداتهم الصادقة لقول الله الصادق الأمين..

لا يسعنى إلا أن أقول بعد كل هذه الشهادات من رجال أنبياء صادقين، ورُسل اصطفاهم الله لتبليغ رسالته وشريعته، بكل الصدق والأمانة بوحى من الروح القدس، ومع ذلك ينكر الناكرون كل تلك الأدلة، ... وينكرون كل هذه الشهادات من رجال الله رسلاً وأنبياء، فأنى أقول بكل ثقة لهؤلاء الناكرون، وما يترتب على هذا الفكر من تحريف كاذب، بأنه لا وجود لأى قضية صحيحة على كل ظهر الأرض على مدى التاريخ، بل كل القضايا الأخرى كاذبة، وكل ما هو موجود فى الكوّن هو وهّم وسراب، وكل وجود فى الطبيعة والإنسان ماهية إلا خيالات، وكل ما فى العالم الآخر من جنة أو نار لا وجود لها، ولا يوجد حساب فى الآخرة، ونموت كما يموت الحيوان، ولا توجد عوالم أخرى لعالم الأرواح، ويصل بنا الشك وعدم التصديق إلى انعدام وجود الله ذاته، وكل هذا يرجع بالطبع إلى الشك فى صحة كتاب أوجده الله، وتم إبلاغنا به بواسطة أنبياء صادقين اصطفاهم الله وأفرزهم من خليقته البشرية... وبعد كل ما صنعة الله معنا من حب ورعاية وتسخير كل الكوّن وبما فيه لخدمة الإنسان... وننكر كل هذا ونرمى الله سبحانه وتعالى بعدم مقدرته على حماية كتاب هو مؤلفه، وشريعة هو سن قوانينها، وهو قول باطل باطل.

> وحسناً لم يجمع الآباء الأولين الأناجيل الأربعة فى إنجيل واحد، أو يحرقوا ثلاثة منهم ويبقوا على أحدهم، وهذا كان أمراً سهلاً ميسوراً، ولا سيما لا يوجد أى خلاف بين تلك الأناجيل فى كل القضايا، ومع ذلك تركوا لنا الأناجيل الأربعة كما هى بدون تجميعها فى كتاب واحد، أو يحرقوا أو يتلفوا شيئاً منهم، وكأنهم علموا بالوحى ما سوف يتهمون به المسيحية فى المستقبل بتحرّيف الكتاب، وهؤلاء الشهود الأربعة الآن يقفون أمام محكمة التاريخ شامخون بإنجيلهم يدحضون هذا الإدعاء الباطل بشهادتهم الصادقة لقول الحق من أربعة شهود عدل.

والأكثر من هذا والأعجب ليس اتفاق أربعة شهود الإنجيل بصحة الإنجيل فقط، وإنما شهادة أربعة وعشرون نبيا أيضا من أنبياء العهد القديم والتوراة بكل ما جاء بالإنجيل، بكل تفاصيل حياة وألام السيد المسيح، من الميلاد وحتى القيامة بكل تفاصيلها، بصورة نبوءات بالرمز والتصريح على مدى ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وتحوى أكثر من ٣٣٠ نبوءة عن المسيح المنتظر، منها ٢٩ نبوءة تمت فى يوم واحد (يوم صلب المسيح)... أليس هذا عجيباً ومدهشاً.. أليست هذه الشهادة لم ولن تتوفر لأى قضية من قضايا التاريخ سوى قضية المسيح !؟.

التوراة تشهد بصحة الإنجيل، والإنجيل يشهد بصحة التوراة، والمسيح والحواريون يشهدون بصحة كل الكتاب المقدس بعهديه قديمها وحديثها... أى شهادة أعظم من هذا.. وأى

شهادة أقوى من كل تلك الأدلة من رجال مختارون اصطفاهم الله، والذين ينكرون كل هذا هم ينكرون الحق، وكأنهم ينكرون الشمس المشرقة فى كبد السماء..

أليس عجيباً وغريباً لمن يقول أن الكتاب محرفاً أو تم تبديله هكذا فى سذاجة وسهولة، وبدون اكتراث أو تحليل أو دليل على أقوالهم، فى حين لو كان محرفاً كما يدّعون لاستطاعوا بكل يسر وسهوله أن يحصلوا على أى نسخة من أى بلد، وبأى لغة فى أى مكان بالعالم على النسخ الأصلية كما يدّعون، لكى يثبتوا صحة ادعائهم ولكنهم لم ولن يستطيعوا.

وحيث انهم لم يعثروا حتى الآن على نسخة واحدة فقط برغم المحاولات الكثيرة والمستميتة لكى يدعموا به رأيهم، ولكنهم لم ولن يجدوا على مر التاريخ ما يؤيد ادعائهم واتهاماتهم .. وحيث أنهم لم يستطيعوا، ولن يستطيعوا حتى الآن أن يقدموا الدليل والبرهان على صحة ادعائهم، فهذا يدل دلالة قاطعة لا تقبل الشك .. بأن ادعائهم باطلاً ولا يقنع عاقل أو ذى عقل، بل لا يقنع السذج الذين لا يفكرون.

{ تهمة التحريف للكتاب المقدس تهمة حديثة }

لقد ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى، وأحتك من البداية بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فى الجزيرة العربية وخارجها، ومنذ ذلك الحين وحتى القرن الثانى عشر على الأقل لم يتهم أئمة الإسلام وكُتابهم ومفسريهم الكتاب المقدس بالتحريف فى النصوص، ولا توجد فى كتابتهم إشارة إلى هذا.

قال الشيخ الرازى فى تفسيره لآيات التأويل:

> " كيف يمكن التحريف فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب، ولكنهم يحرفونه أى يؤلونه على غير تأويله ".
> (جـ ٣ ص ٣٣٧).

فهل بعد مضى ١٠٠٠ سنة على ظهور الإسلام على أقل تقدير، اكتشف المدّعون فى العصر الحديث، أن الكتاب المقدس قد أصابه التحريف، فأين كانوا طوال هذه المدة، ولماذا لم ينبه القرآن الكريم الناس إلى هذا العمل الخطير، بل وكيف تصمت الأحاديث النبوية بأنواعها عن الإشارة إلى هذا التحريف. (سوف نشرح ذلك فى فصل لاحق).

لقد حاول الكثيرين فى كل العصور القضاء على الكتاب المقدس ودحضه، منهم فلاسفة وأباطرة وحكام، أو منهم من حاول القضاء على المسيحيين بقتلهم وتعذيبهم. ولكنهم جميعاً باءوا بالفشل الذريع، والكثير منهم تحولوا إلى المسيحية، وأصبحوا من اشد المدافعين عنها بعد أن كانوا قد وهبوا أنفسهم وكرسوا حياتهم للقضاء على المسيحية والمسيحيين.

فالمسيحية لا تحجر على فكر أحد من الناقدين أو من الدارسين، من كل مذهب وكل دين في دراسة الكتاب المقدس، وفتحت الباب على مصراعيه لكل ناقد ينقد ما يشاء، ويقول ما يجول بفكره، وله مطلق الحرية فى أن يترك عقيدته وديانته إذا أراد، بكامل حريته الشخصية دون تدخل من أى سلطة دينية أو حكومية فى كل بلاد العالم. وقوانين الدول فى كل العالم المسيحى بدون استثناء، لا تتدخل فى اختيار الفرد لديانته، ولا تجبره على عدم تركه لدينه إذا أراد، وقوانينهم لا تضطهد من يترك عقيدته ويرتد، أو تهدر دمه، بل تحميه ضد من أراد أن يؤذيه وتحاكمه، لأنه تعدى على حرية الآخرين فى اختيار عقيدته.

وسنأتى بمثال واحد فى وقتنا الحالى لتلك الحرية المطلقة فى أن يختار الإنسان العقيدة التى يريدها على سبيل المثال وليس الحصر من دولة أمريكا، وهو الملاكم العالمى " كلاى " الذى أعتنق الإسلام وهو المسيحى وسمى نفسه " محمد على كلاى "... فماذا كان رد الفعل لذلك سواء على المستوى الشعبى، أو المستوى الدينى أو المستوى الحكومى، لا شيء على الإطلاق، بل كرمته الدولة لتاريخه الرياضى، وأعطته شرف افتتاح الدورة الأولمبية، وهو الذى أعطى الإشارة لبدء هذا الاحتفال العالمى وظهوره على شاشات تليفزيون العالم، بالقمر الصناعى لبلايين البشر .. ولم تقتله الجهات الحكومية أو الدينية أو الشعبية أو تهدر دمه، ولم يحدث لأى جهة أن تدخلت لعودته للمسيحية أو سحب أى امتياز حققه، وذلك لسبب أن حرية اعتناق الديانة هى حرية شخصية بين الإنسان وخالقه، ولا يحق لأى إنسان أن يتدخل فى تلك الحرية التى منحها الله للإنسان ويسلبه إياها، أو يقتله لأنه أرتد عن دينه، فإذا كانت تلك الحرية هى حق إلهى للبشر، فكيف يجوز للبشر التدخل فى تقييد تلك الحرية الذى منحها الله لهم !. ولذلك ينطبق على المسيحية تماماً قول القرآن الكريم:

" لا إكراه فى الدين .."

وكما أتاحت الدول المسيحية ورؤساء الكنائس حرية اعتناق الديانة، أتاحت أيضاً حرية النقد للكتاب المقدس، وأتاحت أيضاً حرية الرد والبحث والتنقيب للوصول للحقيقة، وشجعت الأبحاث العلمية والجيولوجية والفلكية، وعلم الآثار، والتاريخ الذى لا يكذب، لإثبات الحقيقة والوصول لليقين ابتغاء للحق، ولذا صمدت المسيحية صموداً عجيباً لأن كل ما تم نقضه شجع الباحثين والعلماء والدارسين فى البحث والتدقيق فى كل مجال. من علوم الفلك، وطبقات الأرض والآثار، والطب، والهندسة الوراثية، والتاريخ (١)، كما شجعت الملحدين والذين لا يعترفون بوجود الله لإثبات دعواهم. وفى نهاية أبحاثهم ثبت لهم صدق المسيحية وكتابها المقدس.

ومن كل هذا خرجت الديانة صامدة متحدية كل معاول الهدم، والدليل على صمودها وجودها بهذا الانتشار الرائع فى كل بقاع الأرض، وأصبحت الديانة المسيحية هى الديانة الأولى فى العالم من حيث انتشارها فى كل القارات، الأوربية والآسيوية والأمريكية والأفريقية،

---

(١) سيتم تفنيد تلك الموضوعات العلمية فى كتابنا القادم " الأدلة العلمية فى الكتاب المقدس ".

والأسترالية، وتُرجم الكتاب المقدس ولا سيما الإنجيل إلى ٢١١٢ لغة، حسب إحصاء ١٩٩٨(١)، **وحالياً لأكثر من ٢٢٠٠ لغة ولهجة. وبالرغم من أن المسيحيون فى كل العالم الغربى لا يشجعون كثرة نسلهم، بل يفضلون طفل واحد أو طفلين. لذلك نجد الكثير من الدول الأوربية عدد سكانه ثابت ولم يتزايد، والزيادة الطبيعية لسكانه تساوى صفراً .**

(أى عدد المواليد = عدد الوفيات).

بل أن بعض الدول الأوربية على سبيل المثال: دولة ألمانيا تعدادهم الحالى ٨٣ مليون نسمة، وبعد خمسون عاماً سيصبح تعدادهم ٦٣ مليون نسمة، وكذلك دولة إيطاليا تعدادهم الحالى ٥٧ مليون نسمة سيصبح عدد سكانه ٤٣ مليون نسمة بعد نفس المدة، إذا أستمر معدل نموهم الحالى.

فالكتاب المقدس أمام الجميع الآن مثلما كان فى الماضى القريب والبعيد، منذ عصر موسى وحتى الآن، فأين البرهان على حدوث تغيير أو تحريف فيه ؟، ها هى مئات لملايين من النسخ والمترجمة أمام العالم، فدع الذين يعتقدون ويصرّون على أن الأسفار قد تحرفت وتغيرت أن يبحثوا هم فى الأمر لذواتهم. دعهم يتعمقون فى ذلك إلى أقصى ما يكون البحث، ثم ينشرون أمام العالم ما رأوهُ. **لأنهُ لا خوف البتة من عواقب الفحص المدقق**، لأن البحث الخالى من الأغراض هو بحث مفيد جداً لجميع الدارسين. **فكما أن هناك تأكيد على أنهُ لم تقم بينّة على تحريّف أو تغييّر. هكذا أيضا هناك تأكيد على أنها لن تقوم. وكما أن النار لا تفنى الذهب بل تنقيه من الشوائب العالقة.** هكذا أيضاً محاولات الهدم والتشكيك فى صحة الكتاب المقدس تزيد **من صموده وتثبت صحته لمن لا إيمان له.**

والشيء الغريب والمدهش حقاً أن الهجوم على الكتاب المقدس ومحاولة هدمه، ومحاولة اضطهاد المسيحيين وقتلهم فى كثير من بلاد العالم منذ القرن الأول المسيحى، وحتى الآن – فى **بعض البلاد – يعمل على انتشار الديانة ويزيد من عدد معتنقيها من عام إلى عام بالملايين سواء كانت تلك الأعداد مُعلنة رسمياً أم غير مُعلنة. فهناك بعض الإحصائيات تشير إلى تنامى إنتشار المسيحية فى كل دول العالم، وخاصة الدول الأسيوية والأفريقية، بما يزيد عن ٦٠ مليون شخص يدخلون المسيحية على مستوى العالم سنوياً، ومنها قارة أفريقيا وحدها الداخلون فى المسيحية سنوياً فى حدود ٦ ملايين شخص. وفى قارة أسيا وشرقها وجنوبها، يزداد عدد المسيحيون بصورة مضطردة بين الدول الشيوعية والوثنية.**

فكما أن النار تزداد اشتعالاً وتوهجاً بإلقاء الحطب فيها، فهكذا أيضاً المسيحية تزداد تألقاً وانتشاراً كلما حاول البعض اضطهادها وقتل معتنقيها، أو رميها باطلاً بالكذب بعدم صحتها وبطلانها، **لأن تلك الادعاءات المزيفة تدفع الباحثين المدققين إلى البحث والتنقيب للتأكد من زيف أو حقيقة هذا الادعاء. ويتأكدوا بعد البحث والتنقيب من صدق أقوال الله فى كتابه المقدس، فيئمنوا به ويعملوا على إنتشاره.**

---

(١) نشرة أصدرتها دار الكتاب المقدس فى بداية الألفية الثالثة.

فليس كل كاتب يهاجم عقيدة ويرميها بالتحريف والتبديل لغرض فى نفس يعقوب نصدقه. وليس كل كاتب يؤيد عقيدة برأيه الشخصى ويعتبر ما يعتقده هو الحق نصدقه أيضاً، فالوثنى عابد الصنم يقول أنه الحق، والوجودى الذى لا يؤمن بوجود الله يقول أنه الحق أيضاً. وكل صاحب عقيدة أو رأى يقول إنه الحق وكل ما عداه باطل.

لذا شجعت المسيحية والكنيسة، المفكرين بالبحث والتنقيب، وسمحت بالنقد وبالهجوم والدفاع، دون خوف من عواقب البحث، لأنه فى النهاية ستظهر الحقائق مجردة ولا يصح إلا الصحيح والبقاء للأكثر صموداً أمام الهجوم.

لأننا نثق كل الثقة أن الله لا يحتاج للبشر أن يدافعوا عن كتابه وشريعته. لأن الله هو القوى ونحن الضعفاء، فهل الضعفاء قادرون على حماية كتابه، وهو ذاته لا يستطيع ذلك؟.

وهل الله فى حاجة للبشر لكى يساعدوه فى حفظ كتابه ؟. وحيث أن الله هو القوى القادر، ونحن الضعفاء، فأننا نلقى عليه سبحانه تلك المسئولية تماماً، لأننا لا ولن نستطيع حماية أبسط الأشياء فى حياتنا وقدرنا. فهل نستطيع إطالة أعمار أبنائنا ساعة واحدة ؟. أو هل نستطيع التغلب على فيروس قاتل يتغلغل فى أجسامنا ويدمر خلاياه تدميراً، ونحن عاجزون عن مقاومته؟ أو هل نستطيع أن نُغير شيئاً، وهذا الشيء يخص الله ذاته ؟!.

هل الله فى حاجة للبشر لحماية كتابه !؟.

من الذى يحتاج إلى الآخر؟. هل الله فى حاجة للإنسان ليكمل نقصاً فى ذاته ؟!. أم نحن فى حاجة إليه سبحانه لأننا نحن الضعفاء الناقصين؟. وهل نستطيع أن ندافع عن كتاب الله بسيف أو برمح أو قنبلة نفجرها في أجساد من يخالفونا الرأى أو العقيدة، أو بأى وسيلة أرضية من وسائل القتال؟ وهل الله فى حاجة لدفاعنا هذا لكى نساعده على الحفاظ على كتاب هو أوجده.؟!.

فصدقنى يا أخى إذا كان الله فى حاجة لعون الإنسان لحماية كتابه،
فأنى أقول وبكل ثقة أيضاً،
أننى لستُ فى حاجة لعبادة ذلك الإله الضعيف، الذى لا يستطيع حماية كتابه.

لا يستطيع الإنسان أن يدافع عن نفسه ضد فيروس فى حجم أقل من رأس دبوس، وقد لا يُرى بأعظم المجاهر الإليكترونية ليخترق أجهزة جسده الضعيفة ويدمرها. وهى إحدى مخلوقات الله الضعيفة، فكيف نستطيع حماية " كتاب الله " خالق كل المخلوقات، ونتهمه زوراً وبهتاناً بالعجز والنقص والحاجة لمساعدة مخلوقاته البشرية الخاطئة لحماية كتابه؟!.

لذلك نحن لا نخاف من البحث والهجوم والنقد، سواء كان هداماً أم بناءاً. لأن الهجوم والنقد يشجع البحث عن الحقيقة. ونحن واثقون من الحقيقة لأنها فى يد الله، وهو الأمين القادر، الذى برهن لنا على صدق شريعته على مدى الآلاف السنين فى كل الحوادث التى ذكرها،

والتاريخ خير شاهد. ودماء شهداء المسيحية أكبر دليل على أن كل عوامل الهدم، سواء كان هدماً فكرياً بالتطاول على كتاب الله، أو هدماً جسدياً بسفك دمائهم على مر العصور، كل هذا أغنى المسيحية وأثراها، وصقلتها ولم يقضى عليها، بل جاءت النتائج على عكس ما يريد أعدائها. فدم الشهداء الذى انساب انهاراً على أيدى الوثنيين لم يضعف الأيمان، بل هذه الدماء سقت شجرة الإيمان، وتفرعت أغصانها، وأنبتت أوراقها وثمارها، وأمتلئت الأرض من تلك الثمار.

أيضاً الإدعاء بتحريف الكتاب المقدس والمحاولات المستميتة لإثبات ذلك، بساءت جميعها بالفشل الذريع أمام علم التاريخ، وعلم طبقات الأرض والجيولوجيا، والعلوم الفلكية والمنطقية، وعلم الآثار والحفريات، والهندسة الوراثية، التى أثبتت ما جاء بالكتاب المقدس، فكان هذا عونا لها وليس عليها. أليس هذا هو تأكيد من الله سبحانه لصدق كتابه، فهو الذى سمح له بهذا الانتشار الرائع فى كل بقاع المسكونة بالرغم من كل محاولات هدمه وسفك دماء معتنقيه.

أن العقيدة الصادقة والصحيحة تصمد أمام محاولات هدمها، بل أن معاول هدمها هى نفسها كانت معاول بنيان العقيدة المسيحية وصمودها. لأن الديانة المسيحية لو كانت من وضع البشر لأنهارت من أول محاولة لهدمها. لأنه لا يوجد ديانة على سطح الأرض لاقت ما لاقتمه المسيحية واليهودية من اضطهاد وتدمير وسفك دماء معتنقيها. ومع ذلك انتشرت المسيحية هذا الانتشار الهائل فى كل بقاع العالم، وقارات بأكملها تدين بالمسيحية، كما أن اعتناق تلك الديانة لجهابذة العلماء وأصحاب المعرفة والفكر لتلك الديانة، وهم بكامل حريتهم فى اعتناق ما يشاءون من عقيدة، لهو أقوى دليل أيضاً على صدق ما يعتنقون.

لذلك الله يرعاها ويعطيها قوة الصمود والثبات. لأن الله لا يرعى ديانة باطلة محرّفة. والله لا يحتاج من البشر للدفاع عن كتابه، كما إنه القادر على شق الأرض لتبتلع من تسول له نفسه فى تحريف كتابه.

ولكن للأسف الشديد لمن يستندون لهؤلاء النقاد المسيحيين أسماً، يستشهدون بأقوالهم فى مهاجمة الديانة الكتابية (الكتاب المقدس بعهديه)، كشهادة من أهلها، وكأن قولهم هو الحق اليقين بأن الكتاب المقدس ليس فوق مستوى الشبهات، والمهاجمين للكتاب المقدس يجدون ضالتهم المنشودة فى هؤلاء النُقاد، ويتعمّدون عدم ذكر الردود المفحمة التى تفنّد ادعاءاتهم الباطلة، لأن ذكر الرد يفشل من مخططاتهم للنيل من الكتاب المقدس.

لأنهم لو تحلّوا بالأمانة والصدق فيما يبحثون ويقرءون، لما كتبوا كلمة واحدة يهاجمون فيها كتاب الله المقدس. ولكن من يهاجم الكتاب المقدس بالتحريف والتبديل مستشهداً بأقوال النُقّاد المنحّرفين من المسيحيين، فهو يعتمد بالدرجة الأولى على جهل القارئ لعدم اضطلاعه على تفنيد تلك الأقوال المضللة، وإذا كان الكاتب المعترض الناقد يجهل تلك الردود لعدم اضطلاعه

عليها لقلة أبحاثه، وضعف ثقافته، فيكون ذلك مصيبة، وإذا كان يعلم ويتجاهل ما يعلمه، فتكون مصيبة أكبر. لتشويشه على الحقائق الإيمانية.

كما أن كُتب تفنيد تلك الادعاءات **غير مُتاحة للقارئ الغير مسيحى**، لأنها فى المكتبات المسيحية والكنائس وليست بالمكتبات العامة، **لذا يستغل المؤلف المهاجم للكتاب المقدس فى تعبئة القراء بأمور لا أساس لها من الصحة**، وهو يعلم فى قرار نفسه **بزيف مبرراته الضحلة** التى لا تشبع ذو العقول المستنيرة المفكرة، **وهو كما قلنا يعتمد اعتماداً كلياً على جهل القارئ بالديانة المسيحية أو اليهودية سواء هذا القارئ كان مسيحياً أو غير مسيحى.**

أنهُ من المحال أن يكون الكتاب المقدس قد تغّير أو تحّرف فى أى زمان من وقت موسى إلى يومنا هذا. فأن اليهود الأقدمين كانت عندهم رغبة شديدة فى حفظ أسفارهم سالمة من التغيير. وذلك لاعتبارهم إياها إعتباراً دينياً، كما ان فيها قوانين إيمانهم وشرائع أرضهم، وفيها حقوقهم لامتلاك ميراثهم الأرضى والسماوى. فتحريفهم لهذه الكتب المقدسة، على الفرض أنهم قدروا ان يحرفوها، **إنما هو بمثابة هدمهم وقلبهم كل شئ فى حياتهم الأرضية وحياتهم العتيدة السماوية.**

****

الفصل الثالث

هل حُرف الكتاب المقدس نتيجة ترجمته لأغلب لغات العالم؟

قبل مناقشة هذا الموضوع، نتطرق لموضوع اعتقاد المؤمنين، كل فى كتابه من جهة هل الكتاب (موحى به) ؟ أو (منزل كلمة كلمة وحرف حرف):

١- ما هو اعتقاد اليهود فى توراتهم ؟.
٢- ما هو اعتقاد المسيحيون فى إنجيلهم ؟.
٣- ما هو اعتقاد المسلمون فى قرآنهم ؟.

أن اعتقاد اليهود فى توراتهم وأنبيائهم بأنه موحى بها، **هو نفس الاعتقاد للمسيحيين فى إنجيلهم بأنه موحى به كما هو بالتوراة. وهو نفس الاعتقاد القرآنى للتوراة والإنجيل بأنه موحى به،** والوحى هو من الروح القدس (رو ح الله).

" ..أن كل الكتاب موحى به من الروح القدس .."

(٢ تيموثاوث٣: ١٦)

أما فى اعتقاد إخواننا المسلمون لقرآنهم بأنه منُزل **(حرف حرف وكلمة كلمة) من اللوح المحفوظ قبل خلق العالم. أى ان آيات القرآن الكريم منزلة من الله سبحانه وتعالى على حسب الأحداث تنجيماً، بناء على سبب النزول، وكل فى مناسبتها، أى على أجزاء، ويقول البعض إنه نزل مرة واحدة فى ليلة القدر، إما عن الوحى فقد جاء فى كتاب** الدين والوحى فى الإسلام **لمصطفى عبد الرازق (١): فيقول:**

" **الوحى بمعنى القذف فى النفس:** الوحى لأم موسى فقد قال المفسرون بأن معنى أوحينا إليها **قذفنا فى نفسها** وليس وحى نبوة ".

ويقول: " الوحى ..إما أن يكون على **لسان نبى** فى وقتها كقوله تعالى (**وإذ أوحيت إلى الحواريين).** وإما أن يكون معناه **أنه ألهمها. وفسروا الوحى بالإلهام والقذف فى النفس** وفسره الأصفهانى بالتسخير". **أما آية:**

{ **وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى** }:

---

(١) الدين والوحى فى الإسلام لمصطفى عبد الرازق دار الجيل سنة ١٩٤٥ من ص ٤٨ إلى ٥٣

فيقول الطبرى فى تفسيرها:

" قال بعضهم وإذا أوحيت إلى الحواريين **أقذفت فى قلوبهم**. وقال آخرون معنى ذلك **ألهمهم**." وفسر البيضاوى:

" **وإذا أوحيت إلى الحواريين أى أمرتهم على ألسنة رسلى** " ص ٤٩

وعن كلمة الوحى فى القرآن ص ٥١ **يقول:**

" إما لفظ الوحى فقد ورد فى القرآن ٦ مرات **هو فيها كل من الله تعالى والموحى إليه فيها جميعاً من الأنبياء** ... وهذا هو إيحاء الله إلى أنبيائه ورسله أى **إلقاؤه إليهم ما يريد أن يعلموه من المعارف الدينية** "

وعّبر القرآن عن هذا المعنى **بالتنزيل** فجعل القرآن **وحياً** وجعله **تنزيلاً** كما قال:

{ وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها }

(سورة الشورة)

وقال:

{ إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون }.

وقال:

{ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه
وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس }.

(ال عمران ٣،٤)

وعّبر عنه أيضاً بالكلام فى قوله:

{ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء }

(آية ٥١ سورة ٤٢ الشورى)

حيث جعل الوحى نوعاً من الكلام وقسماً من أقسامه. ففرق بين تكليم الوحى، والتكليم بإرسال رسول، والتكليم من وراء حجاب " ص ٥١. وفى ص ٥٢: **فى سورة النساء ما يدل على أن التكليم غير الوحى وذلك إذ يقول عز وجل:**

{ أن أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم
وإسماعيل وأسحق ويعقوب والأسباط وأيوب وموسى وهارون وسليمان وأتينا داود زبوراً .
ورسلاً فعصاهم عليك من قبل. ورسلاً لم تعصهم عليك، وكلم الله موسى تكليما }

(النساء ١٦٤،١٦٣)

فذكر فى أول الآية **وحيه إلى نوح والنبيين من بعده**، ثم **خص موسى** من بينهم بالأخبار **بأنه كلّمه**. وهذا يدل على **أن التكليم الذى حصل له أخص من مطلق الوحى** الذى ذُكر فى أول الآية. **ثم أكده.**

ويذهب ابن القيّم الجوزية فى كتابه **مدراج السالكين** إلى أنه يمكن جعل الوحى **قسماً** من أقسام التكليم باعتبارين:

١. **قسم التكليم الخاص :** الذى يكون من الله لعبده بلا واسطة بل منه إليه.
٢. **وقسم من التكليم العام:** الذى هو إيصال المعنى بطرق متعددة.

وعلى هذا فالوحى قسم من كلام الله العام. وقد ذكر المفسرون الوحى على ثلاثة أوجه:

١- أما على الوحى وهو الإلهام والقذف فى القلب أو المنام.

٢- أما على أن يسمعه كلاماً ولا يراه من غير واسطة المبلغ كما كلم نبيه موسى.

٣- أما على أن يرسل الله من ملائكته رسولاً جبريل أو غيره فيبلغ ذلك الملك إلى المرسل إليه البشرى ما يشاء من أمر ونهى وغير ذلك.

أما فخر الرازى فيرى أن كل من هذه الأقسام وحيا.

مما سبق يتبين مفهوم الوحى عند الإسلام تتشابه مع مفهوم الوحى عند المسيحية واليهودية، وهو ما يسمى فى المسيحية بالوحى الإلهى بإرشاد الروح القدس (الله)، فى إرشاد الأنبياء بإيصال المعانى التى يريد الله توصيلها للبشر بلغتهم، بحيث لا يحيد النبى أو الرسول عن المعانى التى حددها الله.

مفهوم الوحى فى التوراة والإنجيل من الروح القدس:

روح الله يرشد ويوحى الأنبياء والرسل بأفكار فى معانٍ محددة يريد الله توصيلها للبشر، سواء فى رؤى أو أحلام أو كلام مباشر لهم،
أو يضع الله كلامه وحياً فى فكر وعلى لسان أنبياءه المختارين،
لإبلاغه للناس بلغتهم التى يفهموها، فى الزمان والمكان وبالأسلوب المناسب له،
والنبى أو الرسول يعبر عن تلك الأفكار والمعانى باللغة البشرية المتداولة بين الناس، بحيث لا يخرج المعنى المراد توصيله للناس عن حدود الفكرة التى يريد الله توصيلها للبشر،
لان روح الله تقيده (بالوحى)
دون الخروج عن المعنى المراد توصيله للناس والمتفق مع فكر الله.

ولا عيب فى هذا، لان الشريعة موضوعة أساسا للبشر، وليست الشريعة موضوعة لله سبحانه وتعالى، ومادامت الشريعة تخص البشر، فلابد وان تكون بلغتهم التى يفهمونها، ولذلك يمكن ترجمة الشريعة الموحى بها بكل اللغات واللهجات فى العالم وفى نفس الوقت لا يترتب على الترجمة أي شبهه لتحريف أو تبديل لكلام الله، لان المعنى واحد والفكرة واحدة فى كل الترجمات لكل لغات العالم.

وهذه الميزة عظيمة جداً، ونافعة لكل البشرية ولكل أجيال العالم،
وتتناسب مع عدل الله المطلق.

لأن الشريعة لم توضع لفئة معينه من الناس وبلغة محددة ولهجة محلية، وهى ضرورة لا غنى عنها، وذلك **لسبب بسيط ومنطقى ليتناسب مع عدل الله لكل البشر**، لأن كل البشر فى كل الأرض **هى مخلوقات الله العاقلة** ولا تمييز بين شعب وآخر، من حيث اللون أو اللغة، أو النسب، أو العائلة أو القبيلة..الخ، **لان الديانة عامة للجميع وليس حكراً على شعب مختار أو قبيلة معينة** دون تفريق بينهم، **والله سيحاسب الجميع على شريعته**، من ثواب وعقاب ومن جنه ونار، **فلابد وان يتساوى البشر أمام الله الديان العادل ويصل صوت شريعته إلى كل الناس بدون استثناء وبلغه يفهمونها، وإلا كيف يحاسب الله البشر ويدينهم ويقرر مصيرهم فى شريعة لم يسمعوا عنها ؟، وفى عقيدة بلغة أخرى لا يفهمون منها حرفاً واحداً ؟، وإذا حفظوها كما هى بلغة تختلف عن لغتهم فلا يفهمون معناها أو مدلولها، ويرددونها دون روّية وفهم، ودون فهم لمعانيها، وكأنه يردد قطعة من نصوص محفوظة بلسانه وقلبه بعيداً عن كل فهم لمعانيها، وحتى وان حفظوها عن ظهر قلب٠**

....

أن عدم ترجمة كتاب الله لكل الشعوب وبكل اللغات، ضد عدل الله وصفاته.

أن الله عادل، بل انه مطلق فى عدالته، وليس فيه ظُلم البتة، وعلى أساس شريعته، سيحاسب الناس يوم الدينونه العظيم، **وبواسطتها يتقرر مصيرهم الأبدي** فى الملكوت **(الجنة)** بنعيم وسعادة أبدية، أو أن يكون مصيرهم النار والكبريت والعذاب الأبدي فى **(جهنم)، فكيف سيحاسب الله البشر يوم الدينونه الرهيب؟ . وكيف سيحدد مصيرهم النهائى، الذي لا طعن فيه ولا استئناف؟..هل سيحاسبهم الله على شريعته؟٠نعم هذا حق لاشك فيه، وإلا فلماذا أوجدها ؟٠وهل هذه الشريعة قرأها وتفحصها وغاص فى أعماقها جميع الناس أم لا؟.**

وإذا كان الله يريد لشريعته أن تكون بلغة واحدة فقط وهو القادر، فلماذا سمح أذن لعشرات المئات من اللغات أن تنتشر؟.

فإذا كانت الشريعة بلغة أخرى **تختلف تماماً** عن لغته، **فهل نطلب من كل الناس فى كل بقاع الأرض أن يتعلموا اللغة العبرية لكى يتعلموا ويفهموا التوراة ؟. وهل نطلب من كل الناس فى كل بقاع الأرض أن يتعلموا اللغة اليونانية لكى يتعلموا ويفهموا الإنجيل. ؟.**

وبالقياس هل نطلب من كل الناس في كل بقاع الأرض أن يتعلموا اللغة العربية وهى لغة من أعقد اللغات وأصعبها فى تشكيلها وتنوينها ومرادفتها، لكى يتعلموا ويفهموا القرآن؟!.

هذا مستحيلاً شكلاً **وموضوعاً، ويتعارض مع عدالة الله المطلقة** حيث أن لغات العالم تزيد عن **٥٠٠٠ لغة ولهجة على أقل تقدير**، والأكثر من هذا أنه توجد **لُغات انقرضت ولم يعد التعامل بها، كاللغة الأكادية، والمسمارية، والهيروغليفية، واللاتينية القديمة..الخ.**

حتى اللغة العربية ذاتها لغة القرآن الكريم، فهى لغة مستحدثة ولم تكن موجودة قبل ١٥٠سنة تقريباً قبل ظهور الإسلام، وكانت حروف الكلمات مرسومة ومتلاصقة وليس بينها فواصل، كما أنه من الصعوبة التفريق بين معان الكلمات لعدم وجود تنقيط أو تشكيل لتلك الكلمات، ويحتمل المعنى لكلماتها ما بين ٢٠ أو ٣٠ معنى.

وكُتبت بصورتها المطورة نوعاً كالتى دون بها عثمان قرآنه، بدون تنقيط أو تشكيل، وبعد ذلك بقرن تقريباً بعد الهجرة في العصر الأموى تطورت اللغة العربية أكثر فأكثر، وتم وضع التنقيط والتشكيل على الحروف العربية، وتم إعادة كتابة القرآن الكريم بتلك اللغة المطّورة بواسطة الحجاج ابن يوسف الثقفى. حسب المصادر... وذلك عندما حدثت بلبلة لعدم فهم الكثير من معانى الكلمات لصعوبة معرفة تنقيطه وتشكيلها.

والقرآن الحالى هو القرآن بعد تطوير أشكال حروفه ووضع الفواصل بين الكلمات، ثم تنقيطه وتشكيله فى العصر الأموى. ومع ذلك لم نقول على القرآن الكريم بأنه تحرف وتبدل، بسبب التنقيط والتشكيل التى أضيفت إليه بعد عشرات السنوات.

وقد جاء فى جريدة الأهرام القاهرية (١) للأستاذ/ صلاح منتصرمقال عن ضرورة تطوير اللغة العربية.

يقول المقال:

بأى لغة تحدث الله سبحانه وتعالى إلى سيدنا موسى:

" فلما آتاها نودي يا موسي. أنى أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى. وأنا اخترتك فأستمع لما يوحى" ؟

(سورة طه).

وبأى لغة تحدث موسى إلى ربه بقوله:

" قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى".

لا يمكن أن يكون الحديث باللغة العربية، لأن موسى تربى فى مصر وعاش بها قبل ١٧ قرناً من مجيء محمد خاتم الأنبياء، فى الوقت الذى يجمع فيه علماء اللغة العربية، **على أن العربية لم تتخذ ثوبها الذى نزل به القرآن إلا قبل ١٥٠ سنة على الأكثر من بداية الدعوة إلى الإسلام ..** والتساؤل يثيره الأستاذ " **شريف الشوباشى** فى كتابه " ***لتحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه"*** إصدار هيئة الكتاب. **ويضيف أنه إذا أعملنا عقولنا لوجدنا أن هناك احتمالين من الصعب أن يكون لهما ثالث، هما:**

١- أما أن يكون الحوار مع موسى قد جرى باللغة الوحيدة التي كان يفهمها وهى المصرية القديمة.

٢- أو أن الله قد أوحى إليه بالمعانى دون اللجوء إلى لغة معينة.

وحتى فى الحالة الثانية فأن المنطق يقول أن موسى تحدث بلغته التى يعرفها وهى المصرية القديمة، وفى كل الأحوال فأن الله تحدث إلى موسى بأسلوب يفهمه ويدرك معانيه، ولو تحدث إليه باللغة العربية مثلاً لما فهم موسى وما أستطاع أن يطيع أوامر ربه.

يمضى شريف الشوباشى خطوة أبعد ويقول إنه وقد تأكد أن اللغة العربية تنتمي إلى العصر الجاهلى، فأن الله تخيرها لتنزيل رسالته كى يفهمها القوم. فسما الله بها إلى أعلى مراتب الإعجاز، إلا إنها أساساً كلغة من صنع الإنسان وليست هابطة من السماء كما يريد البعض. وهو ما يجعلنى أطالب – هكذا يقول الشوباشى وهذا هو الهدف من الكتاب – بإعادة النظر فى القواعد الأساسية للغة العربية لتصبح أداة فعالة لتفجير طاقات العقل العربى. فاللغة العربية – هكذا يؤكد – هي اللغة الوحيدة فى العالم اليوم التى لم تتغير قواعدها الأساسية منذ ١٥٠٠ سنة، وهذا ليس دليلاً على رسوخ هذه اللغة ورصانتها وإنما على جمود وتحجر ينعكس سلبياً على العقل العربى.. وهى اللغة التى لا يجيدها معظم الذين يتحدثون بها .. فشبابنا يكتبون بلغة ركيكة ويقعون فى أخطاء لغوية فادحة .. وحتى كبار المسئولين من النادر ألا يخطىء أحدهم .. والإنسان العربى يعيش فى حالة " **شيزوفرانيا** " يتحدث بلغة فى منزله وعمله أو الشارع، ويستخدم لغة أخرى فى الكتابة أو قراءة الصحف والاستماع لنشرات الأخبار.. وهذا أمر غير موجود فى اللغات الأخرى، الإنجليزية أو الفرنسية .. الخ.

ولهذا فأن اللغة العربية " فى حاجة إلى عمليات عاجلة للعودة بها إلى الصبا " والحفاظ على العربية يستوجب العمل على تطويرها دون إبطاء حتى تواكب متطلبات العصر فى الصياغة والمفردات وقواعد النحو والصرف.. ولكن كيف؟. (أنتهى المقال)

وتعليقاً على المقال السابق تتضح عدة حقائق أساسية:

١- أن الآية القرآنية السابقة وهى حديث الله لموسى وحديث موسى لله والتى كتبت باللغة العربية كما جاءت بالقرآن، ليست هى اللغة التى خاطب بها الله موسى، وموسى لله.

٢- أن اللغة العربية لغة حديثة، ولم تكن معروفة قبل ١٥٠ عاماً من الدعوة الإسلامية، ولم تكن معروفة بالطبع فى زمن موسى، ونحن نعلم أن الذى وضع رسم تلك الحروف كما سنشير إليه فى مقال لاحق هم ثلاثة رجال من قبيلة " طىء ".

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٤/٨/٣ للأستاذ/ صلاح منتصر تحت عمود (مجرد رأى) ص ١١

٣- أن اللغة العربية وقواعد صرفها ونحوها تم وضعها بواسطة البشر.

٤- أن الحوار بين موسى والله، لم تكن باللغة العربية كما جاءت فى الآيات القرآنية. قد تكون باللغة المصرية القديمة، أو باللغة العبرانية وهى لغة قوم موسى من بنى إسرائيل. ولكنها جاءت فى القرآن باللغة العربية، أى أنها مترجمة عن لغة الحوار المصرية القديمة أو اللغة العبرية.

٥- يقول الكاتب أن اللغة التى تحدث بها الله لا تخرج من إحتمالين لا ثالث لهما، وهى أما بلغة موسى التى يفهمها وهى المصرية القديمة، أو بلغة الوحي بالمعاني دون اللجوء إلى لغة معينة، ولكن الكاتب يرجح أن الله خاطب موسى باللغة التى يفهمها موسى بدليل رد موسى على الله بلغته.

٦- يقول الكاتب أن الله لم يتحدث باللغة العربية لموسى. والحديث كما جاء فى الآية القرآنية هى باللغة العربية. ولو تحدث إليه باللغة العربية لما فهم موسى وما أستطاع أن يطيع أوامر ربه.

٧- يقول الشوباشى، إن اللغة العربية أساساً من صنع الإنسان وليست هابطة من السماء كما يريد البعض. وهو ما يجعله يطالب بإعادة النظر فى القواعد الأساسية للغة العربية لتصبح أداة فعالة لتفجير طاقات العقل العربى.

٨- ويقول الشوباشى، أن ثبات اللغة منذ أكثر من ١٥ قرناً من الزمان دون تغيير، هذا ليس دليلاً على رسوخ هذه اللغة ورصانتها، وإنما على جمود وتحجر ينعكس سلباً على العقل العربى.. وهى اللغة التى لا يجيدها معظم الذين يتحدثون بها.

٩- ولهذا فأن اللغة العربية " فى حاجة إلى عمليات عاجلة للعودة بها إلى الصبا " كما يقول الشوباشى، والحفاظ على العربية يستوجب العمل على تطويرها دون إبطاء حتى تواكب متطلبات العصر فى الصياغة والمفردات وقواعد النحو والصرف.

من المقال السابق والتعليق عليها تتضح أهمية الترجمة لكتاب الله، وإعادة كتابتها عندما يحدث تطوير للغة، حتى تصبح مفهومة لكل عصرٍ من العصور، وهذا لا يعد تحريفاً للنص، ولذا لا بد وأن يكون الكتاب المقدس موحياً بالمعنى ، حتى يمكن ترجمته بلغات البشر جميعاً. وهذا ما يميز الكتاب المقدس فى مرونته وعالميته لكل العصور.

أليس هذا يدل على أن اللغة ليست أزلية، ويلزمها التطوير، وما الترجمة إلا هى نوعاً من تطويع اللغة إلى لغات أخرى لكى تنتشر ويفهمها الجميع بلغته. وإذا حدثت الترجمة لكتاب الله الموحى به، فهذا لا يعد تحريفاً أو تبديلاً لكلمات الوحى كما يشاع من أخوتى المسلمين، عند

ترجمة التوراة والإنجيل إلى اللغات الأخرى، فأن الترجمة لا تعد تحريفاً للنص!، لأن الترجمة تكون لنفس النص إلى لغات أخرى وبنفس المعنى.

وبالقياس هل نعتبر أن تشكيل الحروف وتنقيطها فى القرآن الكريم يعتبر تحريفاً للنص وتبديلاً لمعانيه ؟. فهذا قد حدث فى قرآن عثمان بواسطة الثقفي.

ومع ذلك لا نقول بتحريف فى القرآن الكريم. ولا نتهم أخوتي المسلمين بالتحريف والتبديل، بالرغم بأن القرآن على حسب أغلب المصادر الإسلامية منزلاً كلمة كلمة وحرف حرف، من اللوح المحفوظ بنفس الحروف والكلمات، وبلا تغيير فيها. بعكس كلمات الكتاب المقدس الموحى به بالمعنى ويعبر الرسول عنها باللفظ بلغة البشر. كما أن ترجمة الكتاب المقدس تتم كما هى لنفس الكلمات، وبنفس المعنى إلى اللغات الأخرى. وكأنها هى نوعاً من تشكيل الكلام وتنقيطه إذا صح التعبير، ولكنها بلغات عديدة لصالح البشر، أو قل هى شكل من أشكال الحروف حتى تكون قراءتها مفهومة لجميع للناس، تبعاً لتطور اللغة. والتى يطالب بعض من مفكرى الإسلام من أمثال " شريف الشوباشى " كما جاء فى كتابه المذكور، وأشار إليه ذ/ صلاح منتصر فى عموده اليومى. فى جريدة الإهرام.

وإيضاً عن الحروف العربية وتطورها، لأن اللغة ليست أزلية، بل يلزمها التطوير من عصر لآخر لإستيعابها، يقول الأستاذ/سمير صبحى أيضاً (١) " كما جاء بجريدة الأهرام:

" ولحروف اللغة العربية عدة أشكال فى أول الكلمة ووسطها وأخرها، لذلك جرت أكثر من محاولة لاختصار شكل الحروف واختزالها تسهيلاً على الدارسين وتطويراً للغة ذاتها.

يحكى كتاب سمير صبحى عن أول من وضع الحروف العربية فيقول:

أنهم ثلاثة رجال من بولان فرع قبيلة طىء. نزلوا مدينة الأنبار وهم:

مرامر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة. فاجتمعوا ووصفوا حروفاً مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء اللغة السريانية.. فأما مرامر فوضع صور الحروف. وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الأعجام، ثم نقلوا هذا العلم إلى " **مكة** " ليتعلمه من يتعلمه، ومن ثم ينتشر بين الناس حتى يصير إلى ما صار إليه الآن.

ويعلق ذ/ سامى فريد فيقول: " على أننا لا شك مدينون لمؤلف الكتاب بالشكر على هذا الجهد الذى لفت به أنظارنا إلى لغتنا كيف تكونت وتشكلت، وكيف ننطقها لعلنا بهذا نجد الطريق إلى الحفاظ عليها وحل مشكلاتها.. وما أكثرها!.".

---

(١) من كتاب: " الحرف العربى – رؤية صحفية على حروف عربية " عرض الأستاذ/ سامى فريد بجريدة الأهرام فى ٢٠٠٥/٤/٢٦

كما أن هناك لُغات أخرى جديدة أُستحدثت ولم تكن موجودة من قبل، **لأن اللغة ليست أزلية** أو لا تقبل التغيير والتبديل من حال إلى حال، **لأن الأزلية صفة تخص الله سبحانه وحده، وكل ما دونه** يقبل التغير والزوال، لذلك **يمكن أن تُعاد الترجمة على مر العصور، إذا طرأ على اللغة تغيراً جوهرياً فى الألفاظ مع مرور الزمن، والترجمة تكون بنفس معناها ولا تحيد قيد شعرة عن معانى الكلمات، حتى تكون مفهومة فى كل الأوقات، بحيث لا يحتاج الإنسان للمعاجم لتفسير بعض من الكلمات التى لا وجود لها فى لغته الدارجة.**

لأن أهم ما فى الشريعة هو تبسيط اللفظ ليكون مفهوماً من العامة، وأن وصول المعنى أهم من تعقيد الحرف واللغة، لأن الدين يسر وليس عسر، وهذا لا يؤدى إلى الانتقاص من قدر الكتاب وقيمته لأن المعانى كلها واحدة فى كل ترجماتها.

ومما يدل أيضاً على عدم ثبات اللغة، ومهددة بالانقراض كما سبق التوضيح، قد جاءت في جرية الأهرام القاهرية في ٢٠٠٥/٣/١٦، بعنوان أسفل الصفحة الأولى تقول:

لغات العالم مهددة بالانقراض.
طوكيو. من كمال جاب الله: **باستثناء اللغة الإنجليزية**، المتعارف عليها الآن بلغة "**العولمة**" **باتت كل لغات العالم مهددة بالانقراض خلال الأعوام المائة المقبلة.** هذا ما توصل إليه البروفيسور " **أوساهيتو مياؤكا** "، الأستاذ في جامعة " **أوساكا جاكوين**"، **محذراً** من ان اللغة اليابانية نفسها أصبحت تواجه هى الأخرى خطراً محدقاً. **الباحث** اليابانى أورد بعض الإحصائيات الدالة على المخاطر ومنها أن عدد اللغات في العالم يبلغ ٧ آلاف لغة، ٧٥% منها تحتضر وأن الباقية باستثناء الإنجليزية تواجه مصاعب حقيقية ومتزايدة بمرور الوقت.

هذا هو مصير لغات العالم **وبسبب العولمة**، أصبح العالم فيها صغيراً، يؤثر ويتأثر بلغاته بسبب التعامل التجاري والإقتصادى والثقافي..الخ. بين كل بلدانه، **ويترتب على ذلك، لغات كثيرة من العالم مهددة بالانقراض أكثر من أى وقت مضى.**

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا تتم ترجمة الكتاب المقدس لكل الشعوب وبكل اللغات، لأنه كيف لله سبحانه أن يحاسبهم يوم الدينونة العظيم، ويقرر مصيرهم الأبدى فى الجنة أو النار!. ويحاسبهم على تقصير لم يكن هم سببه، لعدم ترجمة الكتاب المقدس إلي لغاتهم التى يتعاملون بها، وفى حالة عدم السماح بالترجمة، فان الله فى هذه الحالة يكون ظالماً للإنسان، وحاشا لله أن يكون ظالماً، لان الله فى هذه الحالة **يحملهم أحمالاً ثقيلة وشروط مستحيلة، لكى يتعلموا لغات غريبة عنهم وصعبة الفهم**، والذى ليس فى مقدور البشر أن يتعلموها، مثل اللغة (العبرية أو اليونانية) لكى يفهم التوراة والإنجيل.

فكيف إذن سيحاسب الله البشرية بشريعة لم يسمع عنها ؟ – وحتى ولو سمع عنها فرضاً – **فهو أيضاً غير قادر على تفهمها أصلاً، لأنها لم تكن بلغته التى يفهمها. لذا جرت محاولات عديدة من الإسلاميين الغيورين، على نشر القرآن والإسلام بقيامهم بترجمة القرآن الكريم لبعض اللغات كالفرنسية والإنجليزية، وقد تم رفض هذه الترجمات ومنع تداولها، بحجة أن كلام الله لا يترجم، ولا يجوز تغيير شكل الحروف المنزلة، بل أجازوا فقط التفسيرات المترجمة وليس النص القرآنى.**

ولكى يكون الله عادلاً فى دينونته للبشر ومحاسبتهم، فى أمور دينهم ودنياهم، لا يخرج الأمر عن ثلاثة احتمالات لا رابع لهم.

الاحتمال الأول: أن يرسل الله نبياً ورسولاً لكل لغة من لغات العالم، ولكل لهجة من لهجاتها، بحيث لا يترك قوم من الناس إلا ويرسل لهم رسولاً **ليقدم لهم الشريعة بلغتهم، وبشرط أن تكون ذات الشريعة التى باللغات الأخرى وفى نفس الفترة الزمنية، وذلك تحقيقاً لعدله، فمعنى** ذلك أن الله سيرسل **آلاف الأنبياء** فى كل بقاع الأرض لكل شريعة يريد توصيلها للعالم، وقد يكون فى الدولة الواحدة عشرات اللغات واللهجات، ومعنى ذلك أن الله سيرسل لكل دول ولغات العالم آلاف الأنبياء فى نفس الوقت **لتبليغهم شريعته الواحدة !؟.**

وهذا أمراً مستحيلاً **على وجه الإطلاق،** وغير منطقى وغير عقلانى **أن يرسل الله آلاف الأنبياء لكل رسالة أو شريعة يريد توصيلها للبشر.** ولم نسمع **فى كتب التاريخ أن الله أرسل آلاف الأنبياء بكل اللغات لكل الشعوب فى وقت واحد !. أو فى أوقات متباعدة.**

إذن هذا الاحتمال مرفوض عقلياً ومنطقياً.

الاحتمال الثانى:وهو أن لا يسمح الله سبحانه بتعدد اللغات أو اللهجات، ويجعل جميع شعوب الأرض تتكلم بلغة واحدة وبلهجة وحيدة، تحقيقاً لعدله، وهو القادر.

ولكن واقع الحال على أرض الواقع، فأن الله سمح لآلاف اللغات واللهجات أن تسود فى الأرض، ولم نسمع فى أى عصر من عصور التاريخ بعد الطوفان أن لغة العالم هى لغة واحدة.

إذن هذا الاحتمال أيضاً مرفوضا عقلا ومنطقا والواقع يرفضه.

الاحتمال الثالث: وهو أن يرسل الله رسولاً أو نبياً واحداً لكل شريعة يريد توصيلها لكل البشر، فى العصر الذى يريده، وفى نفس الوقت لابد وان تكون الشريعة قابلة للترجمة إلى كل لغات العالم لتصل إلى كل الناس بنفس المعنى الذى باللغة الأخرى طبقاً لعدالة الله المطلقة.

وهو الاحتمال الوحيد الواقعى والمعقول منطقياً وعقلياً.

ولا يتأتى ذلك إلا فى الشـريعة (الموحى بها فقـط)، لان الشـريعة المنزلـة لا يمكـن ترجمتها، لأن كلام الله الذى لا ندركه كنهه، لا يمكن ترجمته، على أسـاس أن لغـات العـالم البشرية قاصرة على التعبير عن لغة الله التى انزل به كتابه، وكل لغات الأرض لا توجـد بهـا الاصطلاحات التى تناسب نفس معنى الكلمة المنزلة حرفياً، وقد لا يوجد فـى قـواميس اللغـة الحروف للكلمات المنزلة، وهذا حق دون شك، كما أن الله ليس له لغة معينة تحده وهو غيـر المحدود، على فرض أن لله لغة أنزل بها كتابه.

كما أن كلام الله ولغته لا يفهمه البشر، ولا يدركوها بأى وجه من الوجوه، ولا نعرفها كنهه، كما أن لغة الله ليست هى اللغة العربية او العبرية او اليونانية أو الإنجليزية.. الخ. لأن لغة الله لا تحده لغة معينة لأنها غير محدودة وغير مدركة، وليس لها الفاظ محددة، وليس لها مخـارج كلمات تصدر من حنجرة مثل البشر، وليست مسموعة أو مرئية، ولغـة الله اذا جـاز لنـا ان نسميها لغة فهى لغة أزلية بأزليته، وغير متغيرة، لأن لغات البشر مخلوقة محدودة متغيرة غير أزلية، وقابلة للتغيير والأندثار، والوجود والعدم، أما الله سبحانه وكل صفاته أزلية سرمدية غير متغيرة، ولغته ليست من لغة البشر، وعندما يكلم الله موسى النبى فى أمور الشريعة، يكلمـه الله بلغة موسى الذي تعلمها منذ الصغر بين أهله وعشيرته، ولا يكلمه الله بلغته الذي لا يسـتطيع موسى أو غيره ان يفهمها.

وهذا التبليغ فى حد ذاته هى:

" ترجمة لغة الله إلى لغة البشر لكى يفهم موسى الرسالة "

وبالنسبة لباقى انبياء العهد القديم كان الله يبلغ رسالته بواسطة الوحى الذي يلقيه فى قلـوبهم بالمعنى وليس باللفظ، ويقوم النبى بالتعبير عن هذا المعنى بلغته التى يفهمها ويبلغهـا لشـعبه بذات المعنى ولا يحيد عنها.

وهذا أيضاً يعتبر نوعاً من الترجمة لمعنى وحى كلمات الله بلغة البشر.

كما ان بعض الانبياء يرسل الله اليهم ملاكاً من عنده ليبلغهم الرسالة ويفسرها لهم بلغـة البشر.

وهذا أيضاً نوعاً من أنواع الترجمة التى ينكرها المعترضون.

كما أنه عندما وعظ بطرس رسول المسيح، وهو أحد حواريه بعد قيامة وصعود المسيح إلى السماء وهو صياد سمك، ولا يعرف سوى اللغة العبريـة أو اليونانيـة، فـى جمـوع الشـعب بجنسياتهم ولغاتهم الكثيرة المختلفة، كان كل واحد من السامعين للموعظة كان يسـمعها بلغـه قومه وهم كانوا بالعشرات من جنسيات ولغات مختلفة، كما أن السامعين اندهشوا وتعجبوا مـن

ذلك فقالوا اليس هذا بطرس الصياد العبرانى، **فكيف نسمع كل واحد منا بلغته الذي ولد بها**، وآمنوا فى تلك الموعظة **بسبب هذه المعجزة ثلاثة آلاف شخص دفعة واحدة.**

أليس هذا أيضاً هى نوعاً من أنواع الترجمة ؟!.
وفي لغتنا الحديثة تسمى " الترجمة الفورية ! ".

كما إن ظهور كلمة الله (بالتجسّد)، واتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص السيد المسيح (كلمة الله).

أليس هذا أيضاً صورة من صور الترجمة ؟.
إذاً التجسّد الإلهي، هو الترجمة الحقيقية لذات الله.
والله الغير منظور، أصبح منظوراً فى المسيح.

" عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد "
(١تيموثاوس٣: ١٦)

والله الذى أظهر ذاته للعالم لكى يعرفه العالم بكل لغاته وأجناسه، وبالتجسّد عرّفت وفهمت البشرية من هو الله ومحبته الفائقة، لأنه لا يمكن لنبى أو رسول يستطيع أن يعّرفنا بذات الله ألا الله ذاته... **فلماذا** نستبعد أذن ترجمة شريعته لكل لغات العالم؟ حتى يفهمها العالم بكل لغاته وأجناسه أيضاً.

أذن الترجمة لكلام الله ليست بدعة حديثة يتهم بها اليهود والمسيحيون بترجمة كتبهم إلى لغات العالم ويتهمونهم بالتحريف والتبديل بسبب الترجمة، **لأن الترجمة هى الأصل فى التشريع الإلهى، لأن الشريعة موضوعة للبشر كافة لتطبيقها لصالحهم، وعلى أساس هذه الشريعة سيحاسبه الله فى يوم الحساب العظيم**، وسينال بها البشر الثواب أو العقاب، **وليست الشريعة موضوعه لسبحانه لأنه لا يحتاج لتلك الشريعة**، لأنه واضعها ومؤسسها ليس لذاته، **وإنما وضعها لنا كنبراس لحياتنا**، وتعريف البشر لخالقه حتى يعبده حق عبادة، وبدون البشر والخليقة العاقلة، **لا حاجة لتلك الشريعة اطلاقاً، ولا داعى لوجودها لأنها جاءت لأجلهم، ولذا فى** نهاية العالم وانقضاء الدهر، **ستتلاشى الشريعة وتزول بزوال لمن جاءت لأجله.**

كما أن الشريعة لا لزوم لها فى العالم الآخر فى ملكوت السماوات، للذين نالوا ثوابهم بتطبيق الشريعة عندما كانوا فى حياة العالم الأرضى، **واجتازوا الاختبار بنجاح ونالوا المكافأة، لأن الشريعة لها وقت محدد وتنتهى بانتهاء البشر.**

كما ان الشريعة لا حاجة لها لمن نالوا العقاب فى جهنم لأنها لن تفيدهم شيئاً، لأنهم **رسبوا فى الامتحان** لتطبيق الشريعة **عندما كانوا فى العالم الأرضى، ولم يستفيدوا منها لجهلهم وعنادهم وشرورهم.**

ولذلك لا يوجد استئناف او نقض لمن دخلوا جهنم بأعمالهم الشريرة، لأن الحكم أبدى ونهائى، كما ان الذين دخلوا ملكوت السماوات لا يخرجون منها ووجودهم فيها أبدى ونهائى، ولذا الشريعة لا لزوم لها بانتهاء الغرض منها. سواء فى الملكوت أو فى جهنم.

أذن لا بد للشريعة من الترجمة لكل لغات البشر، ولا تتوقف الشريعة عند لغة محددة جامدة، بل الأكثر من ذلك يجوز مراجعة ترجمة الشريعة المترجمة عندما يكون هناك ضرورة بسبب انقراض بعض كلماتها، أو صعوبة فهم معانيها القديمة.

لذلك الشريعة الموحية هى شريعة حية متجددة لكل العصور، مهما طرأ على اللغة من تطوير أو تغيير أو انقراض، فهذا كله لا يؤثر إطلاقاً على كلام الله الموحى به، فلا تنقرض الشريعة بإنقراض اللغة، ولا تزول الشريعة بزوال اللهجة، فهى باقية منذ وجودها، ولا تنتهى إلا بزوال الأرض بمن عليها، ولذا الشريعة الموحية هى المناسبة والصالحة لكل البشر لكل العصور، لأنها تحقق العدالة لكل الناس. وتحقق عالمية الديانة.

اما لو كانت التوراة والإنجيل منزلة حرف حرف وكلمة كلمة، فلا يمكن ترجمتها لأى لغة من لغات البشر التى وضعت الشريعة لأجلهم. ولذا ما فائدة الشريعة أذن.

و هنا تكون المشكلة الكبرى فى عدم ترجمة الكتاب المنزل لأصحاب هذا الرأى.

بعكس الكتاب الموحى به الذى يمكن بسهولة ترجمته، والترجمة للكتاب الموحى به إلى لغة أخرى لا تعد تحريفاً أو تبديلاً لكلام الله ·· لان الكلام الموجود فى التوراة والإنجيل موحى به بالمعنى، ويعبر عنها الرسول بلغته فى حدود المعنى الذى حدده له الله (بوحى الروح القدس) ولا يحيد عنها النبى أو الرسول قيد شعرة ··

عندما أراد انطوخيوس الثانى ترجمة التوراة من اللغة العبرية إلى اليونانية وكان ذلك فى عام ٢٨٠ ق·م وفى أثناء الترجمة لأحد شيوخ الترجمة (سمعان الشيخ) وكان يترجم سفر اشعياء. وفى أحد آياته يقول:

" هوذا العذراء تحبل وتلد أبناً ويدعى اسمه عمانوئيل اى الله معنا .."

هذه نبؤه عن السيد المسيح الذى سيولد من عذراء بدون زرع بشر، وقد شك سمعان فى هذا المعنى أن تلد عذراء بدون زرع بشر، ·· فسمع صوتاً الهى يقول:

" انك لا ترى الموت حتى ترى هذا المولود من العذراء "

وفعلاً أمد الله فى عمره وتجاوز ٣٠٠ سنه، وعندما كان فى الهيكل وقت ختان المسيح الذى ولد وله من العمر ٨ أيام، وعلى حسب عادة اليهود يجب أن يختن الصبى ٠٠ فرآه سمعان الشيخ وأخذه بين زراعية وقال له:

" أيها السيد الآن *تطلق عبدك بسلام حسب وعدك فأن عينى قد أبصرت خلاصك.* "

(لوقا١: ٢٩)

وفى نفس اليوم مات سمعان الشيخ. بعد أن رأى المولود من العذراء حسب المكتوب.

لذلك أن ترجمة الكلام الموحى به لا يغير المعنى، لان المعنى وضعه الله، والتعبير من صنع البشر، ولابد من التعبير البشرى ليشترك فى كتابة المعنى الموحى به، وهذا لا يقلل من قيمة الوحى، وليس فى الترجمة أى تحريفاً للمعنى.

أن الكتاب والشريعة موضوعان للبشر، ولابد للبشر أن يفهمها بلغته، والشريعة ليست موضوعة لله سبحانه، لان الله لا يحتاج إليها.

فأى فائدة تعود على الله فى حالة عدم الترجمة لكلماته وشريعته ؟ سوى تحجيم تلك **الشريعة** وتحديدها فى لغة معينة لقبيلة محددة، **والله غير محدود**، وبالتالى تكون شريعته الغير محدودة، **محدودة فى لغة جامدة لإحدى القبائل** وفى لهجتها .

وأى فائدة تعود على البشر من عدم ترجمة كلمات الشريعة ؟.سوى ظلماً لباقى الشعوب والقبائل، والمحاباة لبعض الناس دون الآخرين. والله سبحانه عنده جميع الناس متساويين، والكل فى منزلة واحدة وليس عنده محاباة لقبيلة دون الأخرى، لأن هذا يتنافى مع عدل الله، وهو المطلق فى عدالته.

كما أن الله يعرف شريعته بدون لغة معينة لأنه هو واضعها، ولانه ليس عنده لغة، بل هو يحوى كل لغات العالم، ولا تحده لغة أو لهجة، وإذا حدّ الله لغة معينة أو لهجة محددة فمعنى ذلك أن الله محدوداً ومحصوراً، ولا يفهم إلا تلك اللغة أو تلك اللهجة ٠٠وحاشا.

والله يهمه فى المقام الأول أن تصل شريعته إلى الناس كافة، وبلغتهم التى يفهمونها، ولا يهتم إطلاقاً أن تصلهم بلغة معينة، لان البشر مهما وصل به من العلم والمعرفة، فهم غير قادرين على فهم لغة الله الذى ليس له لُغة محددة، أو حروف جامدة، لأن لغة الله لا تحدها حروف أو كلمات، لأن الله غير محدود، ولغته غير محدودة تتجاوز كل حروف ولغات العالم، إذا جاز لنا أن نقول إن لله لغة.

إذا كان الإنسان لا يستطيع فهم لغة غيره من لغات البشر المحدودة المخلوقة،
فكيف يفهم لغة الله الخالق الغير محدود،
والتي هي فوق العقل البشرى والعقل لا يدركه.

أن الله غير محدود فى لغته، ولا تحده لغة معينة ولا حرف يقيده كالبشر، أما البشر فهم محدودين فى لغتهم ومقيدين بحروف أبجدية، وبعدد معين منها، قد تكون اللغة محصورة فى ٢٨ حرفاً كاللغة العربية، وقد تكون محصورة فى ٢٦ حرفاً كاللغة الإنجليزية، وقد تكون محصورة فى ٢٤ حرف كاللغة اليونانية، وقد تكون محصورة فى ٢٢ حرفاً كما فى اللغة العبرية، وقد تزيد هذه الحروف أو تقل من لغة لأخرى٠أن الله ليس له لغة محددة، وليس محصوراً فى عدد من الحروف أو المعانى، لأن لغة الله إذا تحددت فى عدد حروف ثابتة ومعينة، فإننا نجعل من الله إلهاً محدوداً ومحصوراً، والتحديد والحصر لا يتوافق مع عدم محدودية الله، وإذا تحدد الله بُطلت ألوهيته. فكيف نُقيد كلمات الله الغير محدودة فى حدود لغة البشر المحدودة والمقيدة، وهذا لا يجوز على الذات الإلهية ٠٠ ولا يجوز أن نجعل اللامحدود محدوداً، بسبب قصور اللغة البشرية المحدودة فى التعبير عن اللامحدود.

نلخص ما سبق فى الآتى:-

١- الله عادل، بل انه مطلق فى عدالته٠

٢- الله ليس بظالم، بل انه لا يعرف الظلم مطلقاً٠

٣- جميع البشر متساوين أمام الله، وهو لا يفّرق بين إنسان وآخر، ولا يميّز شعب على آخر أو قبيلة عن أخرى، وبالتالى لا يميز لغة شعب عن لغة شعب آخر. ولا جنس على غيرة، الكل متساوون أمام ميزان عدل الله، بغض النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة.. الخ.

٤- الله ليس له لغة معينه أو لهجة محددة، ولسان اللغة بين الشعوب هى من وضع الشعوب، واللغة قابلة للتغيير والتطوير مع مرور الزمن والعصور٠ ولغة الإنسان غير ثابتة وقاصرة ومتغيرة، وقد تظهر لغات جديدة، وقد تختفى لغات قديمة، وقد تختفى حروف وكلمات ومصطلحات لغوية، وقد تختفى تلك المصطلحات والكلمات على مر التاريخ، بدليل أين الآن لغة المصريين القدماء " الهيروغليفية "، أين لغة البابليين، ولغة الأشوريين، وعشرات من لغات العالم أندثرت فى بطون التاريخ، سواء بتلاشى اللغة تماماً، أو بتطويرها، أو بإدخال مصطلحات لغوية من لغات أخرى لم تكن بها من قبل، وحتى اللغة القبطية فى طريقها للاندثار، والذين يعرفونها قلة محدودة من الناس، وحتى اللغة العربية بها من المصطلحات الدخيلة عليها من لغات أخرى من الدول التى تم غزوها، والقرآن الكريم ذاته لا يخلوا من بعض كلمات أعجمية من الفارسية والزاردشتية والعبرية .. الخ.

أن اللغة (أى لغة) **معرضة للزوال والإحلال والتجديد والتطوير، لان لغة الإنسان ليست أزلية.. وكل ما هو ليس بأزلى فهو متغير.. وكل ما هو متغير فهو قابل للزوال.. وكل ما هو قابل للزوال قابل للعدم.. وكل ما هو قابل للعدم يكون مخلوقاً.. وكل ما هو مخلوق زائل .. لأن الأزلية من صفات الله وحدة لا غير.. وأن الشريعة ذاتها ستزول بزوال الإنسان والعالم، لأنه ليس فى العالم الآخر سواء الملكوت أو جهنم معنى لوجود الشريعة لزوال أسباب وجودها.**

لذا لابد للشريعة أن تكون قابلة للترجمة من لغة لأخرى، ومن عصر إلى آخر. وهذا أمر يحتمه عدل الله، لأن اللغة ليست أزلية، والتاريخ والشريعة يؤكدان عدم أزلية كل شئ غير الله سبحانه وتعالى، ومن يقول بغير ذلك فهو خادع لنفسه ولغيره.

أن الشريعة ستزول بزوال العالم، وتنتهى بانتهائه لانتهاء الغرض من وجودها. لأن الغرض منها هو الوسيلة لبلوغ الملكوت السماوى، وفى الملكوت السماوى لا نعلم كيف سيكون التفاهم بين سكانه، هل هى لغة الملائكة؟. وما هى لغة الملائكة ؟. هل هى لغة من لغات أهل الأرض ؟. لا أعتقد. هل هى لغة غير مسموعة ؟. لا نعلم، أو هل هى لغة توارد الخواطر وبها نكون قادرين على الفهم دون شرط السماع ؟. ربما.

أذن ما هى لغة السماء والملكوت ؟. لا نعلم، والله أعلم.

ولكن من المؤكد أنها لغة ليست من لغات أهل الأرض، بل اعتقد انها ستكون لغة واحدة يفهمها جميع الساكنون فى ملكوت السماوات من البشر الأبرار. لأن لغة الشريعة أو أى لغة هى من صنع البشر، مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض، وستزول بزوال الإنسان والأرض يوم الدينونة العظيم. والإنسان الأرضى له جسم مادى كثيف ملموس، أما الأجسام السماوية فهى أجسام نورانية بسيطة، لأنه سيتحول هذا الجسد الترابى إلى أجساد نورانية كالملائكة.

٥- أن الله ليس كالإنسان له فم ولسان ولغة، فهذا من صفات المخلوقات المحدودة وليست من صفات الخالق الغير محدود .

٦- أن الله روح لا نهائى يحوى كل الكون، فعندما يتكلم الله لا نتصور مطلقاً ان لله لغة معينة بها حروف ومصطلحات وكلمات محدودة كالإنسان، والله فوق كل ذلك، وفوق اللغة وفوق اللسان وفوق الحس والإدراك .

٧- عندما يخاطب الله البشر يخاطبهم بلغة البشر التى يفهمونها ويدركونها، وليس من المنطق والعقل أن يخاطب الله الإنسان بلغة الله، لان لغة الله لا يفهمها البشر، ولا يستطيع البشر إدراكها لأنها فوق عقلة وإدراكه .. فإذا كنا لا نستطيع أن نفهم لغة أمثالنا من البشر التى تختلف عن لغتنا، وهى لغة أرضية محسوسة بسيطة ومن صنع البشر، فكيف نفهم لغة الله السماوية غير المحسوسة التى لا صلة لها على الإطلاق بلغة أهل الأرض، كما أن الله ليس له لسان أو شفاه مثل البشر ينطق مثل نطقهم، بألفاظ لها مخارج ومقيدة بحروف وكلمات ومصطلحات.

والنتيجة المنطقية:

حيث أن لغة الله لا يفهمها أحد غير الله (إذا جاز لنا ان نعتبر أن لله لغة).

فالسؤال هنا:

كيف يكلّم الله الإنسان، ويعطيه شريعة ليسير عليها فى حياته، وتكون السبب فى هدايته.؟ وكيف يتم توصيل تلك الشريعة للإنسان ؟. وبأى لغة يمكن كتابة تلك الشريعة ؟.

فإذا استبعدنا من فكرنا اللغة الإلهية التى لا نفهمها على الإطلاق فى كتابة الشريعة، لان لغة الله لا يفهمها سوى الله، فلا يتبقى لنا سوى لغة البشر من خلال ترجمة كلام الله الموحى بالمعنى ويعبر عنها النبى أو الرسول باللفظ فى حدود المعنى الإلهى.

ومن هذا المنطق نفسه، تنازل الله بذاته وظهر بصورة البشر متخذاً جسداً إنسانياً، وهى صورة من صور الترجمة الإلهية، لكى يعّرفنا بذاته عن قرب لنفهمه حق الفهم، ويكلمنا بلغتنا التى نفهمها.
والسيد المسيح هو الترجمة الحقيقية لذات الله، ولولاه لما عرفنا الله حق المعرفة.
لأن جميع الأنبياء بدون إستثناء، فشلوا فى تعريّفنا بحقيقة الله، لأنهم مخلوقات الله المحدودة، والمخلوق المحدود لا يستطيع ان يعبر التعبير الحقيقى عن ما هية لله الغير محدود، وجميع الأنبياء هم مخلوقات الله المحدودة،
ولا أحد منهم يستطيع التعبير عن ماهية الله، لذا كانت رسالتهم غير كاملة وناقصة.

فالسيد المسيح هو الوحيد المعّبر الحقيقى لذات الله.

لظهوره بصورة مفهومة للبشر، لكى يعّرفنا بشخصه الإلهى عن قرب.

ولكى يسدد عنا الدين بفدائه على الصليب نتيجة لمحبته الفائقة، ورحمته المطلقة والمقيدة بعدله المطلق.

إذاً التجسّد الإلهى هو الترجمة الحقيقية لذات الله.

والذى أظهر ذاته للعالم لكى يعرفه العالم بكل لغاته وأجناسه. فلماذا نستبعد أذن ترجمة شريعته لكل لغات العالم ؟ حتى يفهمها العالم بكل لغاته وأجناسه ايضاً.

وإذا قال قائل أن لغة البشر هى لغة الله، فنقول:

أن لغة البشر متغيرة ومتطورة وزائلة، فبذلك نضع كلام الله سبحانه فى حالة التغير وعدم الثبات والزوال، والله ثابت لا يتغير.. لذا كان لابد لله أن يكلمنا بلغتنا التى وضعنا لها نحن قواعدها ونحوها، ومصطلحاتها وتصريف أفعالها، وحتى لو افترضنا ان الله هو الذي خلق تلك اللغة للتفاهم بين البشر، **فهى لغة مخلوقة** وليست أزلية، **وليست بالطبع لغة الله، لأن الله كل شيء فيه أزلى سرمدي**، ولغة البشر ليست أزلية او سرمدية بل هى مخلوقة للتفاهم بين البشر، **كما ان البشر استحدثوا تلك اللغة وطوروها، وأضافوا اليها وحذفوا منها، واستحدثوا لغات** كثيرة بمئات اللغات واللهجات، **وقواعد تلك اللغات من وضع البشر**، ويمكن للبشر أن **يستحدثوا لغات أخرى ولهجات جديدة. وأيضاً لأن الله فى نفس الوقت، يريد توصيل شريعته للبشر كافة، دون تفضيل شعب على أخر أو لغة على أخرى، لان الجميع عنده متساوون، لا يفضّل إنسان على الآخر بسبب لغته أو جنسه أو لونه..الخ.**

> **مما سبق نستطيع أن نقول بحق وثقه ويقين، انه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يوضع الله شريعته بلغته هو لتوصيلها للبشر. لان لغة الله لا يفهمها سواه، ولكى نفهم لغة الله، يلزم أن نكون مثله فى عدم المحدودية وحاشا!.**

إذن لابد وحتماً ان توضع الشريعة بلغة الإنسان السائدة فى الأرض، بغض النظر عن تلك اللغة، أي لغة دون تحديد، ولأى شعب دون تفضيل، وبعد ذلك يأتى دور الترجمة لتلك الشريعة لكل لغات البشر، وإلا لماذا سمح الله بتعدد اللغات، وهو القادر أن يجعل لغة واحدة لكل أهل الأرض!.

> ولكن المهم أن تصل تلك الشريعة لكل الناس على كل وجه الأرض
> وهذا هو عدل الله المطلق الذى لا خلاف عليه.

إذن كيف تصل الشريعة إلى كل الناس على كل وجه الأرض .. ؟

لا يمكن أن يتم ذلك إلا بترجمة الشريعة إلى كل لغات أهل الأرض .. ولا يمكن ترجمة الشريعة إلى كل لغات أهل الأرض إلا فى حالة واحدة فقط ووحيدة لا غير وهى:

" الشريعة الموحى بها فقط "

لأن شريعة الله لها صفة العالمية ولكل البشر، وليست ديانة محلية لقبيلة معينة أو بلسان محدد، لأن الله ليس إلهاً لقبيلة أو لشعب معين من دون العالمين، وإنما هو إلهاً لكل الشعوب.

لأنه إذا جعلنا شريعة الله هى شريعة لشعب أو قبيلة معينة، فمعنى ذلك جعلناه محدوداً ومحصوراً، وإلهاً خصوصي لهذه القبيلة أو تلك، وبما أن شريعة التوراة وأنبياء العهد القديم، وشريعة الإنجيل فى العهد الجديد، هما من عند الله سبحانه، لذا لا بد وان تكون تلك الشرائع لكل الشعوب، ولا بد وأن تترجم لكل العالم لجميع البشر.

وما هى الشريعة الموحى بها، وكيف يتم توصيلها للبشر ؟

وهى أن يختار الله رجلاً تقياً، فيجعله رسولاً أو نبياً، ويوحى إليه بفكره، وبالشريعة التى يريد توصيلها للبشر بواسطة ذلك الرسول أو النبى، وذلك في صور شتى، إما بالكلام المباشر بلغة البشر، أو بالرؤى والأحلام سواء في منامة، أو يقظته، أو يوحى إليه بالفكرة في عقله ووجدانه، أو يقذف في قلبه ما يريد توصيله، أو يرسل له ملاكاً يوضح له المعنى. **كل تلك الأمور تسمى وحياً.**

ودور النبى أو الرسول هو التعبير عن هذا الوحى بلغة البشر. وفى نفس الوقت لا يخرج النبى أو الرسول عن حدود فكر الله الموحى به، أى أن الإيحاء من الله، والتعبير واختيار الألفاظ من الإنسان، وفى هذه الحالة تشمل الشريعة فكر الله الذي يريد توصيله للبشر، ولكن بتعبير البشر، بحيث لا يخرج هذا التعبير البشرى إطلاقاً عن فكر الله الذي يريد ان يعلن عنه. والله هو الحافظ لهذا التعبير البشرى المعبر عن الفكر الموحى به، وهو يُقوِّم هذا التعبير، ليكون تعبيراً صحيحاً وسليماً، ومتوافقاً تمام الاتفاق لفكره. وليس فقط الله الحافظ لهذا التعبير للنبى أو الرسول، بل أيضاً الحافظ لمن يقوم بالترجمة لكلماته من لغة لأخرى، من الرجال العلماء فى أمور الدين، كما فعل مع سمعان الشيخ.

فى هذه الحالة يكون العنصر البشرى مشتركاً فى التعبير عن فكر الله لشريعته، وهذا لا يعتبر إقلالاً أو إنتقاصاً لشريعة الله، أو تدخلاً من البشر لتشويه فكر الله، لأن الشريعة غير موضوعة لله سبحانه، لأنه لا يحتاج إلى شريعة، وإنما البشر هم المحتاجون إلى الشريعة والعقيدة لتكون لهم هداية ونبراساً لحياتهم، ولذلك يمكن ترجمة الكتاب المقدس الموحى به إلى كل لغات العالم فى كل بقاع الأرض، لأن الترجمة فى هذه الحالة هى ترجمة فكر الله المعبّر عنها بلغة البشر، والترجمة هى الوسيلة الوحيدة لتوصيل الشريعة لكل البشر، وهذا ما يتطلبه عدل الله المطلق لكل خليقته العاقلة.

لذلك نقول أن هذه الشريعة هى كلام الله، وهى بالحقيقة كلام الله بلغة البشر، أذن الترجمة تكون فى كلام البشر المعبّر عن فكر الله بالوحى، وليست ترجمة كلام الله وفكره الذاتى، لأن

كلام الله وفكره، لا يستطيع إنسان أو ملاك أو نبى أو رسول أو أى خليقة تدركه أو تفهمه أو تستوعبه بأى حال، سوى السيد المسيح فقط، على حسب ما يقول عن ذاته:

" الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو فى حضن الآب هو خبّر".

(يوحنا ١: ١٨).

أى أن السيد المسيح هو الوحيد الذى يستطيع أن يخبر بأمور الله، لأنه مع الآب وفيه:

" الذى رآنى فقد رأى الآب " (يوحنا١٤: ٩).

"كل ما للآب هولى "

(يوحنا١٥:١٦)

الشريعة الموحاة ليست مثل الشريعة المنّزلة كلمة كلمة وحرف حرف، ولكن الشريعة الموحاة هى شريعة فكر الله، معبر عنها بلغة الإنسان، لان الإنسان طرف أساسي فى تلك الشريعة، لأنها موضوعه لأجله وله ولصالحه ولخيره..الخ.

فلابد أن يكون للإنسان دوراً فيها، لذلك فترجمة الشريعة الموحاة لا يؤدى إلى الإخلال بها أو الإنتقاص منها، لأن المهم فى الشريعة أن يصل فكر الله للإنسان وبلغة الإنسان ٠

لأنه ما الفائدة من شريعة موضوعة للبشر، ولا يستفيد منها البشر.؟
وما فائدة الزهور الجميلة ذات الرائحة الذكية،
إن لم تجد من يراها ويستنشق رحيقها.؟
وكيف يحاسب الله الإنسان فى شريعة لم يفهمها أو لم يقرأها ؟؟
وكيف يحدد الله مصير الإنسان من جنه أو نار،
على منهج لم يستوعبه ولم يستطع احتوائه، أو حتى لمجرد أن يفهمه؟
وكيف يستقيم عدل الله فى دينونة البشر الذين لم يدركوا الشريعة أو يستوعبوها.؟ وما ذنب الإنسان الذي لم تصله الشريعة بلغته ؟
وفى نفس الوقت يُحاسب عليها ويتحدد مصيره الأبدى، من عذاب وشقاء لانهاية له في نار جهنم. ولا يجدى معه استئناف ولا نقض.

وإذا قال قائل يكفى ترجمة " **تفسير المعانى** " للكتاب المقدس، وليس ترجمة النص، سيدخلنا هذا الرأى فى مناقشات لا حصر لها والنتيجة لا شئ، لأن المفسرين قد لا يتفقوا على رأى واحد، وهذا جائز، فقد يتدخل المفسّر بفكره الشخصى الغير محايد وينعكس آثره على التفسير لأنه ليس نبياً أو رسولاً، وبذلك يكون التفسير قد حاد عن الحق، وقد يكون المفسر به من المرض النفسى المتعصب لرأى خاطئ فلا يعترف بخطئه، وقد يكون المفسّر قليل الثقافة الدينية فلا يستطيع أن يغوص فى أعماق فكر الله..الخ.

هل يترك الله كتابه لهوى المفسر الذى يقنع الآخرين بوجهة نظره، التى تتدخل فيها كل العوامل الشخصية والنفسية، وبثقافته المتواضعة القاصرة ۰۰الخ.

هل سيحاسب الله الإنسان فى يوم الدينونة العظيم على كتابه الإلهى الذى وضعه للبشر ليسيرون عليه، وبشريعة لا يحيدون عنها ؟.
أم سيحاسبهم على كتاب من وضع البشر (المفسرين) ؟. ويترك كتابه الذي أوحي به جانباً، وكأنه لا وجود له، ولا قيمة فيه !!؟۰

- إن المفسرين قد يحرّفوا تفسير الكتاب الإلهى بأى صورة من صور التحرّيف أو التأويل، سواء فى المعنى أو النص أو حسب أهوائهم الشخصية، وهم فى آمان وذلك لعدم وجود نص كتابى للشريعة مُترجم إلى تلك اللغة. لكى يقارن القارئ بين النص الكتابى الإلهى والتفسير الموضوع لهذا النص، وبين هذا وذاك يصل فكر الإنسان إلى تكوين فكرة صحيحة وسليمة عن تلك الشريعة، فيختار بين اتباعها أو رفضها. وبدون وجود النص الكتابى بلغته، لا يستطيع الإنسان أن يكّون فكرة صحيحة عن الشريعة، لأنه فى هذه الحالة يكون متأثراً بفكر المفّسر وكلامه، وليس بفكر الله.

- بهذا يكون التفسير بدون وجود النص الكتابى بلغة القارئ وبالاً عليه ومصيبة كبرى، وبذلك يكون المفسر بدلاً أن يقوم بالهداية فأنه يقوم بالضلال، وهذا لا يرضى عدالة الله.

- إن كُتب التفسير ليست بديلة عن النص الكتابى الأصلى، قد تكون معينه له للفهم فقط، والإنسان غير مُلزم بأن يقرأها أو يقتنيها، وقد يستعين بها الإنسان أو لا يستعين بها على الإطلاق ۰۰ ولكن الشئ المهم والأعظم هو أن يقرأ الإنسان الكتاب الأصلى بلغته لكى يقرر الإنسان باختياره الشخصى، وبقناعة شخصية الإيمان بهذا الكتاب وبتلك الشريعة أو عدمه. وعليه يكون الحساب يوم الدينونة، وينال ثوابه أو عقابه. وذنبه يقع عليه وحده.

- لقد خلق الله الإنسان حراً فى الإرادة والتصرف والاختيار، بدليل أن الله لم يمنع أدم وحواء من السقوط وهو القادر. ولكنه يحترم إرادة الإنسان، وسبق وقد حذره من الأكل من الشجرة، وقال له: " *يوم تأكل من هذه الشجرة موتاً تموت* "، وترك الله الإنسان يقرر مصيره بإرادته الحرة، فأستمع أدم وحواء لكلام إبليس، ولم يستمعا إلى تحذير الله لهما فسقطا فى الخطية۰

وبالقياس على هذا، فأن الله يضع كتابه وشريعته بلغة إنسانية لكى تصل لكل إنسان فى كل بقعة من بقاع الأرض، وبكل لغة كتحذير له، وهذا الكتاب هو الكتاب الإلهى الموحى به، على هذا الأساس تتم محاسبة الإنسان، ويتقرر مصيره الأبدى فى الجنة أو النار، فكيف تكون محاسبة الإنسان إن لم تصله الشريعة بلغته ؟. ويكون الذى قرأه هو تفسير للشريعة وليست

الشريعة ذاتها، والتفسير معرض لأهواء البشر، لأن المفّسر مطمئن تماماً لما كتبه، ولا يتوقع تفنيد ما كتبه من الباحثين والمدققين، إذ لا يوجد الكتاب مترجماً بتلك اللغة الأخرى لكى يستطيع القارئ المقارنة والبحث فى تلك التفاسير ..

وهل كتب تفسير المعانى تحل محل الأصل الكتابى أو هى بديلاً عنها.!؟؟

فى كل الأحوال، الله سوف يحاسب البشر على شريعته التى وضعها فقط، ولا يحاسبهم على كتب المفسرين والمؤلفين.

وفى حالة عدم ترجمة كتاب الله إلى لغات الإنسان، يكون الله ظالماً له، وحاشا لله أن يكون ظالماً لأنه مطلق فى عدالته.

وهل الله عنده محاباة فى تعامله مع البشر..!؟ فيتعامل مع شعب محدود وبلغة معينة ويخصه بتعاليمه وشرائعه، ولغة هذا الشعب القليل العدد لا تزيد نسبته عن ١ر% من شعوب الأرض، ويترك ٩ر٩٩% من خليقته من اصحاب اللغات الأخرى ليكون مصيرهم جهنم بسبب عدم ترجمة الشريعة لهم وعدم إتباعهم لها؟؟.

إننا بهذا الفكر نحّجم الله ونصغره، ونجعله محدوداً مثل البشر ونجعله إلهاً أنانياً، يحابى الإنسان على حساب أخيه فى الإنسانية، ونضفى على الله صفة الإنسان الناقص، والذى يتعارض مع كمال الله. وحاشا.

عندما قال اليهود ليوحنا المعمدان إننا أولاد إبراهيم **مفتخرين بنسبهم إلى إبراهيم خليل الله، وكأنهم شعب مختار ومتميز من دون جميع الشعوب**، قال لهم يوحنا:

" لا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً .
لأنى أقول لكم إن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم "

(متى٣: ٩) و (لوقا ٣:٨)

أى انه لا فضل ولا علو مكانه للنسب والانتساب لقبيلة أو لشعب أو لأمة ما على أخرى أمام الله، لأن الجميع عنده متساوون، **ولا يهم أن يكونوا أولاداً لإبراهيم أم لغيره.**

" الذى يريد أن جميع الناس يخلصون والى محبة الله يقبلون ".

(١ تيمو ٢: ٤)

لأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، ولا تفضيل أمة على أمة أُخرجت للناس، لأن جميع الناس هم مخلوقاته، وكلهم من آدم وآدم من تراب. **إن الله عندما يضع شريعة للبشر لتكون هدايا لهم، إنما يضعها لكل البشر دون تميز أو محاباة**، فلا فرق عند الله بين الأبيض

والأسود، ولا بين العربى والإنجليزى، ولا بين الفرنسى والاسترالى٠٠الخ، **كل الناس فى ميزان العدل الإلهي واحد، والجميع فى منزلة واحدة، وإذا ميّز الله أمة عن أمة، ففى هذه الحالة يكون ميزان عدله قد أختل وحاشا .**

وإذا كان الأمر هكذا، لماذا أختار الله شعباً معيناً، لخروج الأنبياء منهم ؟.

نعم لقد اختار الله شعباً معيناً لخروج الأنبياء منهم، فكل الذين اختارهم الله ليكونوا أنبياءه، يتلقون وحيه، من موسى كاتب أول سفر وهو " التكوين "، إلى يوحنا كاتب أخر سفر وهو " الرؤيا "، على مدى ١٦٠٠ (الف وستمائة عام)، وجميعهم من بنى إسرائيل، حتى المسيح نفسه جاء من هذا النسل بالجسد، والسبب لأنهم كانوا الشعب الوحيد الذى عرّفه الله بنفسه، بأن عزل آبائهم (إبراهيم وأسحق ويعقوب) عن وثنية عشيرتهم من *أور الكلدانين*" **بأرض ما بين النهرين، وارتحال إبراهيم ووالده تارح وسارة زوجته العاقر وأبن أخيه لوط، إلى أرض غريبة سيمتلكونها فى المستقبل وهى أرض كنعان، وموت تارح أبو إبراهيم فى حاران قبل الوصول لأرض كنعان** (تكوين١١: ٣١)، **وفى أرض كنعان تمت ولادة إسحق بمعجزة إلهية** (تكوين٢٠: ١،٢). **ومن إسحق ولد يعقوب** الذى هو **(إسرائيل)، ومن أولاد يعقوب تكونت الأسباط الأثنى عشر الذين تكاثروا فى أرض مصر فى أرض جاسان بمعزل عن المصريين، وأصبح شعباً كبيراً بعد استقرارهم بمصر لمدة اكثر من ٤٠٠ سنة. ثم ظهور أول نبى وهو موسى من بين أسباطه** (سبط لاوى)، **وخرج بهم من أرض مصر بمعجزة عظيمة، وشق الله لهم البحر الأحمر وعبروا إلى سيناء لكى يعبدوا الله الواحد، ويحررهم من وثنية المصريين، وفى خلال أربعون عاماً فى سيناء، أمات الله جميع الشعب الذى خرج من أرض مصر من البالغين، والذين تأثروا بحياة الوثنية والصنمية فى أرض مصر،** ولم يسمح الله بدخولهم إلى أرض الموعد، **وأبقى على أطفالهم، وكذلك جميع نسلهم الذين ولدوا منهم فى صحراء سيناء بقيادة** (يشوع ابن نون، وكالب بن يفنة)، **وأصبح هناك جيلاً جديداً يعبد الله الواحد، ولا يعرف الوثنية، وأظهر الله معجزاته فى أرض سيناء، وكانت السماء تمطر لهم غذائهم من المن وهى** (تشبه حبات الكزبرة ولها طعم العسل)، **والسلوى** (نوع من الطيور) **طوال مدة أقامتهم بسيناء.** كما جاء بسفر الخروج.

وعند دخولهم أرض الموعد (**أرض كنعان**) بفلسطين قضوا على أغلب الشعوب الوثنية، واتخذوا أرضهم، وقسموها بين أسباطهم، **وتوالى ظهور الحكماء والأنبياء من بين أسباطهم بصفة مستمرة، وتوالت عليهم الغزوات والسبى لدول أخرى، لتأديبهم إذا حادوا عن الطريق القويم، ومكافأتهم فى حالة تطبيق شرائع الله الموحى لهم عن طريق أنبيائهم، وهكذا كان الله ينشر شريعته بين الدول بواسطة سبى اليهود لبلادهم،** وكانت أورشليم وأرض فلسطين هى

مركز إشعاع شريعة الله، والشعوب الوثنية كانت تخشى شعب إسرائيل، وتخشى إله بنى إسرائيل.

وهكذا أعلن الله ذاته لهم بالتوالى والتسلسل لتدريبهم بالتدرج فى معرفة الله وأسرار ملكوته بواسطة شريعة موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده، وأعلن ذاته لهم فى إعطائه الناموس لنبيه موسى كتاباً يستأمنون عليه. لذلك قيل أنهم:

" *استأمنوا على كتاب الله* "

(رو٣: ١،٢)

وقد أمرا لله أنبياء العهد القديم أن يكتبوا وحيه، وقد كتبوها بلغتهم العبرانية والآرامية، لغة أمتهم الرسمية. أما فى الإنجيل فباللغة اليونانية التى كانت تعتبر وقتئذ اللغة الدولية.

ولم يكن السبب لقيام الأنبياء من بنى إسرائيل هو فقط لأنهم كانوا الشعب الوحيد الذى عّرفهم الله بنفسه وآمنوا به وحسب، بل وأيضاً لأن الله نفسه، تبارك أسمه، كان عتيداً أن يظهر فى الجسد من هذا الشعب الإسرائيلى لأجل خلاص البشر، كما وعد أن يكون فى نسل إسحق (المسيح) تتبارك فيه جميع أمم الأرض، كما أن يسوع هو موضوع وحى التوراة وكُتب الأنبياء السابق للتجسد، وكما هو موضوع وحى الإنجيل اللاحق له.

ولم يجعل الله كُتب الأنبياء (وهى شاملة لناموس موسى وكل أسفار أنبياء العهد القديم) قاصرة على شعبه القديم، لأنها وأن كانت وحيه لأنبيائهم، إلا أنها كانت إعلاناً عن ذاته للعالم أجمع لرده إليه من ظُلمات الوثنية.

ولذا عمل الله على انتشار (التوراة وكُتب الأنبياء) فى كل العالم لمعرفته كإله واحد ووحيد، بثلاثة عوامل هى:

الأول : إسكان شعبه القديم (الإسرائيليون) ومعهم التوراة تشع منها أنوار المعرفة الصحيحة عن الله، فى بقعة من الأرض هى ملتقى الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، وملتقى القارات المعروفة حينئذ (أوربا، وأسيا، وأفريقيا)، وهذه البقعة هى فلسطين،. أما باقى القارات لم تكن آهلة بعد ولم تكتشف إلا فى القرون الأخيرة، واستعمروها أيضاً سكان أوربا المؤمنين بالمسيح.

الثانى : سماح الله لسبيهم من بلادهم جزاء شرورهم، وتشتيتهم فى جهات مختلفة من الأرض. فمضوا ومعهم التوراة تشع أنوارها حيثما مضوا.

الثالث : ترجمة التوراة على يد ٧٢ عالم يهودى إلى اللغة اليونانية، ٦ علماء من كل سبط من أسباط بنى إسرائيل الأثنى عشر فى عهد البطالسة سنة ٢٨٠ قبل تجسد المسيح، وانتشار هذه الترجمة فى معظم بقاع الأرض لأنها كانت وقتئذ تحت حكمهم. وبتلك الترجمة التوراتية كانت التمهيد لظهور وقبول المسيحية في كل الأرض. وبذلك تم إنتشار تعاليم وشريعة موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده.

ولم يجعل الله الإنجيل أيضاً قاصراً علي اليهود إذ كان إعلاناً عن ذاته تعالى للعالم أجمع، عن تجسده وموته كإنسان غير محدود القيمة وذبيحة كفّارية عن جميع البشر، وقيامته، كالدليل على كمال كفارته وقبولها، وعلى أنه قد تمت فيه كل رموز ونبوات التوراة التى هو محورها.

وكذلك أيضاً عمل الله تعالى على انتشار (الإنجيل)، فى العالم أجمع بعدة عوامل أيضاً هى:

الأول : أن أول وحى للإنجيل جاء فى نفس تلك البقعة المتوسطة من الأرض، وهى أرض فلسطين، مثلها مثل التوراة وكُتب الأنبياء.

الثانى : أن أول من قبلوا وحى الإنجيل وقتئذ كانوا رجالاً من اليهود الأتقياء الوافدين من كل أمة تحت السماء (اعمال٢: ٥) ، فعادوا حاملين إعلانات الإنجيل إلى كل أمة تحت السماء (كو١: ٢٣).

الثالث : أن الرب يسوع المسيح أرسل رُسله بإنجيله بالكرازة به إلى أقاصى الأرض، ومنحهم سلطان المعجزات بأسمه، لتلك الشعوب التى سينشرون فيها الإنجيل، كبرهان ودليل على صدق رسالتهم ودعوتهم دون قتال. (مرقس١٦: ١٥).

الرابع : اضطهاد اليهود للمسيحيين فى فلسطين وفى كل مكان ذهبوا إليه، أدى إلى تشتيتهم حاملين بشارة الإنجيل معهم إلى أنحاء العالم.
(أعمال ٨: ١،٥) ، (اعمال١١: ١٩،٢٠).

أما سبب اختيار الشعب اليهودى خاصة لخروج الأنبياء منهم وذلك لأن:

هذا الاختيار الإلهى لشعباً معيناً ليخرج منه الأنبياء، مثل شعب بنى إسرائيل، وذلك لكى تنمو الشريعة وتتدرج فى نموها، لأن تسلسل الشريعة يجب ان يكون متصلاً وغير منفصلاً بعضها عن بعض. كما أن العالم حينئذ كان يرزح تحت ظل الوثنية وعبادة الأصنام والشرك بالله، والنجاسة كانت جزء من عقائدهم الشهوانية، لذلك اختار الله فرداً واحداً من تلك الشعوب (إبرام)

وأفرزه عنهم، ليكوّن بواسطته شعباً أميناً لكى يحافظ على شرائعه، ويكون ذلك الشعب بعد إعداده، نبراساً لجميع الشعوب ينير ويبدد ظلام الوثنية المنتشر فى كل بقاع الأرض حينئذ. ويعامل هذا الشعب معاملة خاصة لكى يصعد به لقمة الشريعة وتدرجها. ويفصل بينهم وبين الوثنيين.

ويقوم الله برعاية هذا الشعب بقضيب من حديد، فيعاقبهم إذا أخطئوا أو حادوا عن الطريق، ويكافأهم حين يرجعون لصوابهم، وينموا بهذا الشعب رويداً رويداً على مر العصور والأجيال كالطفل الرضيع، يتولى الله رعايته حتى يُفطم، إلى أن يصل إلى ريعان شبابه، فيقوم بتربيته ويلقنه الدروس ويعلمه التفرقة بين الثواب والعقاب، ويدربه على السلوك فى الفضيلة، ويعرّفه من هو الإله الواحد خالق كل المخلوقات، وتومض معجزات أنبيائهم من حين لآخر. وعندما ترى الشعوب المحيطة هذا الأمر تتساءل وتقارن بين الإيمان بتلك الشريعة الصادرة من الإله الواحد، وتقارنه بآلهتها التى لا تنفع ولا تضر.

العهد القديم حافل بتلك المقارنات والتحديات، بين كهنة الله وبين أتباع البُعل، وعبدة الأصنام والسحرة والمشعوذين. ويتدرج الله فى تلقين شريعته لشعبه. فيعرّفه أنه عندما أخطأ فى حق الله وعصاه فأن خطيئته هذا ضد الله الغير محدود. هى خطيئة غير محدودة القصاص، وعقابها جهنم حيث الدود الذى لا يموت والنار التى لا تطفأ. وتكفيراً عن تلك الخطيئة أو الخطايا التى يرتكبها الإنسان لا بد لها من قصاص، ووضع الله الرمز فى مغفرة الخطايا فى سفك دم خروف أو تيس..." ***بدون سفك دم لا تحدث مغفرة*** ". (عبرانيين٩: ١٢). وفى نفس الوقت فأن دماء هذه التيوس والخرفان لا تكفى القصاص والكفارة لأنها محدودة والمحدود لا يكفى الغير محدود "***أن دم تيوس وثيران لا ترفع الخطايا*** ." (عبرانيين١٠: ٤). كما أن الإنسان هو الذى أخطأ وليس الحيوان، فلا بد من موت الإنسان، والإنسان محدوداً أيضاً. ووضع الله خطته لتجديد حالة الإنسان الساقط، وعودته لحالته الأولى فى البر والقداسة التى كانت له قبل العصيان والسقوط من أبوية الأوليين، فتوارثوا الخطيئة.

وعرّف الله الإنسان بخطته تدريجياً فى كيفية الخلاص من هذا القصاص الغير محدود، والتكفير عن خطاياه، فى شخص غير محدود لكى يوفّى الله حقه فى الكفّارة. ومن سيكون هذا الشخص الغير محدود الذى سيقوم بهذا العمل لفداء كل البشر ؟ . فكان لا بد من إتحاد اللاهوت الإلهى فى الناسوت البشرى. ولكى يعرّفنا الله معنى إتحاد اللاهوت بالناسوت. كان لا بد أن يعرّفنا الله بطريقة متدرجة إنه واحد فى ثالوث، ولا سيما أن الوثنية كانت سائدة فى ذلك الوقت. وتجنباً للفهم الخاطئ للثالوث، جاءت النبوءات متدرجة فى سلسلة من الأنبياء المتعاقبين على مدى عشرات الأجيال لتوضيح تلك الفكرة رويداً رويداً، تجنباً للفهم الخاطئ للفكر الوثنى، لكى لا يخلطوا بين الثالوث الإلهى والثالوث الوثنى أو تعدد الآلهة.

لذا كان لا بد من اختيار شعب معين لتكون فيهم سلسلة الأنبياء حفاظاً على تسلسل فكرة الفداء والخلاص، والتدرج فى توضيح الفكرة من جيل إلى جيل ومن عصر إلى آخر، وكان كل نبى يظهر من بنى إسرائيل يضع حجراً فى ذلك البناء النبوى، وبدون أن يدرى موقعه من هذا البناء، أو دوره فى وضوح الخُطة الإلهية، لأن مصمم هذا البناء هو سبحانه، وفى يده تتجمع كل الخيوط والأسرار.

وقد كان السيد المسيح هو حجر الزاوية لهذا البناء، والذى يدور حوله البناءون، وحين يقترب البناء إلى قمته، يجيء دور السيد المسيح لتوضيح الخُطة الإلهية لخلاص البشر، وتكتمل فيه الخُطة النهائية فى شخصه، ولكى تلتقى فيه وبه كل النبوءات، فيكون هو الذبيح الحقيقى، وفيه يلتقى الرمز بالمرموز إليه، فتبطل الذبيحة القديمة المؤقتة فى سفك دم الخرفان والتيوس، فى الذبيحة الدائمة فى سفك دم المسيح الغير محدودة ليتمم القصاص والفداء لكل البشر فى كل العصور.

لهذا كانوا بنى إسرائيل هم الشعب المختار من جميع الشعوب للقيام بتلك المهمة التى أوكلها الله لهم.

وفيهم كانت سلسلة الأنبياء المتعاقبين، للحفاظ على تدرج الشريعة فى شعب واحد. وعدم توزيع الأنبياء فى شعب من هنا، وشعب من هناك، وإلا ضاع عمل الله فى توصيل شريعته متدرجة، لأن ظهور الأنبياء من بين الشعوب المتنافرة والمتصارعة، سيكون وبالاً على الشريعة، وسبباً فى تفريق الشعوب وتناحرهم وقتالهم، وكل منهم يعتقد إنه هو صاحب الشريعة الصحيحة، وباقى الشرائع باطلة، ويضيع بينهم الحق، وتنقطع تسلسل الفكرة وخُطة الله لخلاص الإنسان، ويضيع عمل الله بين التناحر والاقتتال، والتاريخ خير شاهد على ذلك، وتُهدر عشرات المئات من السنين على مدى ظهور كل الأنبياء لتدرج الفكر الإلهى وشريعته.

وبظهور الأنبياء، حسب حكمة الله، من بين بنى إسرائيل وحدهم، تمت المحافظة على جميع الكتب النبوية تماماً، وأضافوا كل كتاب إلى سابقه فى كتاب واحد، وكأنه عقد من اللآلئ، كل لؤلؤة تضيف شيئاً جديداً على سابقتها، وتعطى فكرة أوضح عن الله وعن صفاته وتكوينه. بهذا التدرج العجيب على مدى عشرات المئات من السنين وضحت الفكرة تماماً بظهور المسيح، وتمت فيه كل النبوءات، وبفدائه توّج ذلك العقد الثمين ودشنه بدمه الكريم، وبقيامته وضع ختم الكتاب وأغلقه.

من الأهمية بمكان توحيد الشعب الذى تخرج منه الشرائع فى تسلسل أنبياءه المتعاقبين. لأنه فى حالة ظهور الأنبياء فى شعوب مختلفة فى العادات والتقاليد والأخلاق واللغة ... الخ. فهذا يؤدى إلى خلل جسيم فى تسلسل الفكر الإلهى، لأن كل شعب سيرفض النبى الذى لا يخرج منه، ويرفض الشعب الآخر النبى الذى جاء قبله من شعب مختلف بحكم الانتماء والهوية والعنصرية،

وهذا يؤدى إلى التناحر والتقاتل بين الشعوب كما سبق التوضيح، **فيضيع الهدف من الشريعة، وتضيع الخُطة الإلهية لخلاص البشر، فبدلاً من التقارب يكون النفور، وبدلاً من التآلف تكون البغضة والكراهية**، لأن هذه طبيعة الإنسان على مدى التاريخ الذى تحكمه العصبية والإيثار والتفاخر بقبيلته ورعاياه من دون الآخرين.

والتاريخ خير شاهد على ذلك فى كل عصوره، فيذكر التناحر لأصحاب الديانات المختلفة، بل يتعدى الأمر إلى المذاهب المختلفة في الديانة الواحدة، لا فرق بين دولة متخلفة أو متقدمة. فالحروب تنشب بين الشعوب من أهون الأسباب، وسفك الدماء وإهدارها بدون سبب يستدعى ذلك الإهدار. فماذا يكون الوضع أذن فى الشرائع الإلهية التى تفوق كل الأسباب حساسية وعصبية ؟ .

الأكثر من ذلك، كان **القتال** والتناحر ليس بعد ظهور **المذاهب المختلفة للعقيدة الواحدة**، وإنما أيضاً قبل ظهور تلك المذاهب، **كما حدث فى عصر الخليفة عثمان بن عفان**، لاختلاف القراءات فى القرآن الكريم، بين الشعوب المختلفة التى تم غزوها، **بالرغم انه قرآن واحد لنبى واحد، وكانوا على وشك التقاتل والتناحر فيما بينهم**. فوصل الأمر إلى الخليفة عثمان من الصحابى حذيفة بن اليمان الذى قال لعثمان **" أدرك الأمة قبل أن تهلك "، فكان القرار الذى أتخذه بأنه أحرق جميع النسخ القرآنية ذات القراءات المختلفة**، وقيل أنه جاء بخل مغلى ووضع فيه تلك النسخ فذابت فيها. **وأبقى على قراءة واحدة لنسخة واحدة، وجعله غير منقوط أو مشكول لتتوافق معه القراءات المختلفة.**

من هنا كانت أهمية الشعب المختار ليخرج منهم الأنبياء، وبعد الانتهاء من تتميم الشريعة وتتميم النبوات فى شخص المسيح، أصبح لا لزوم لشعب مختار بانتهاء مهمته، وأصبحوا مثل أى شعب آخر على وجه كل الأرض.

وبعد إكتمال الشريعة فى المسيح، بدأت ترجمة الكتاب المقدس بسرعة أكبر، لأغلب لغات العالم من مصادرة الأساسية، العبرية للعهد القديم، واليونانية للعهد الجديد. حتى يستفيد منه العالم بكل شعوبه وأجناسه كل حسب لغته. **لأن الشريعة موضوعة لكل البشر وهو حق لهم، وعدل الله يقتضى الاستفادة من شريعته لكل الناس دون تحديد، ولكل الشعوب والأمم دون تفضيل. لأن الشريعة عامة لكل الناس.**

فهذه الحكمة الإلهية العظيمة فى اختيار شعب ليكون منهم الأنبياء، حتى لا تكون الشريعة متناثرة بين شعوب مختلفة لا يربط بينهم رابط قومى واحد، أو لغة واحدة وعادات وتقاليد واحدة، وآمال واحدة، **وهدف واحد يجمعهم لعبادة الإله الواحد، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الأنبياء من أبنائهم على مدى الأجيال**. كما **لا يمكن** أن تكون الشريعة **موزعة** بين قوم من هنا وقوم من

هناك، من شعوب متناحرة متقاتلة مختلفة الطبائع والأمزجة، ومختلفة القومية واللغة، ومختلفة فى الأطماع والرئاسات. لا يتفقون على تجميع الشرائع فى كتاب واحد، وقد تتنافر تلك الشعوب وتتقاتل وتتناحر وتسفك الدماء، بحجة أن هذا النبى أفضل من ذاك، أو أن هذا النبى أحق من الإتباع دون غيره، وقد تكون العنصرية والقبلية سبباً فى تفكيك الشريعة بتلك الحُجة، وبهذا يضيع المعنى السامى لشريعة الله، وخطته فى تجديد البشرية الذى يريده سبحانه من تتابع الأنبياء فى شعب واحد، تتدرج فيه الشريعة صعوداً.

تجاوز عدد أنبياء العهد القديم فى اليهودية ٢٤ نبياً، غير المصلحين منهم من كل جيل، والذين يقومون بتطبيق الشريعة على العصور المتوالية. وكان الأنبياء يتعاقبون بسلسلة متصلة قبل المسيح على مدى ١٥٠٠ سنة منذ موت موسى عام ١٤٩١ قبل الميلاد وإلى عام ٤٠٠ قبل الميلاد وقت ظهور ملاخى النبى.

ثم جاء يوحنا المعمدان اليهودى أيضاً قبيل السيد المسيح مباشرة بستة أشهر فقط ومعاصراً له، ليكون همزة الوصل بين شريعة الناموس القديمة، وشريعة النعمة التى للمسيح، لكى يذّكر ويؤكد لبنى إسرائيل قرب خلاصهم وعتقهم من نير الخطّيئة وعبوديتها، بعد ٤٠٠ عام من إنقطاع النبوّة على يد ملاخى النبى، جاء يوحنا المعمدان كبشير ونذير، بقرب مجيء المسيا المنتظر (المسيح)، والذى كان فى وسطهم ولم يعرفوه، لأن رسالته لم تبدأ بعد، وبيوحنا تدرجت الشريعة وقربت نهايتها بالمسيح، وبه تم ربط عهودها القديمة وتحققها في المسيا المسيح المنتظر، والتمهيد وإعداد الطريق لشريعته الجديدة، وتذكيرهم بالمسيا المنتظر الذى جاء الزمان لظهوره، ويؤكد يوحنا المعمدان أيضاً، أن فى السيد المسيح تتحقق فيه جميع التنبؤات، التى ذكرها جميع أنبياء بنى إسرائيل، والمدونة فى كتبهم التى بين أيديهم، من ميلاده في المكان والزمان وحتى صلبه وقيامته. وليعِّد الشعب لقبول السيد المسيح. ولذا تم جمع كل كتُب الأنبياء فى كتاب واحد، مكون من جزأين.

الجزء الأول : العهد القديم يتمثل فى توراة موسى، وكتُب الأنبياء اللاحقين من بعده حتى قبيل المسيح مباشرة، منذ عام ١٤٩١ق.م وحتى عام ٤٠٠ ق.م.

الجزء الثانى : العهد الجديد وفيه أقوال السيد المسيح وشريعته، وتعاليم الحواريون ورسائلهم لدول العالم. لذلك يحوى الكتاب المقدس كُتب الأنبياء لمدة زمنية تقترب من ١٦٠٠ سنة، من أول سفر (التكوين) لموسى عام ١٤٩١ق.م، وحتى أخر سفر (الرؤيا) ليوحنا رسول المسيح ٩٨ ب.م. ولذلك كان الكتاب متجانساً.

يمكن تشبيه أهميه توالى الأنبياء فى شعب واحد، كالبناء متعدد الطوابق. فمثلاً لو أردنا بناء مبنى مكون من ٢٥ طابقاً. فلابد أن يقام هذا المبنى على قطعة أرض واحدة، وفى مكان ما

على أرض دولة معينة، وتحت أشراف مهندس واحد المصمم لهذا المبنى. علـى أن نبـدأ أولاً بحفر الأساس فى عمق تلك الأرض، ويجهز قواعد الأساس الخرساني، لتخرج منهـا الأعمـدة الخرسانية. ثم نبدأ البناء فى الطابق الأرضى، وبعد الانتهاء منه يبنى الطابق الأول فوق الطابق الأرضى، والطابق الثانى على أعمدة الطابق الأول، على نفس الأعمدة الممتدة فى باطن الأرض. وهكذا لباقى الطوابق حتى يكتمل بناء الطابق الأخير فى شكله الجمالى النهائى، وفـى الطـابق الأخير يكتمل البناء، بالصورة التى أرادها مصمم هذا البناء، والتى أرادها منذ البداية فى عقلـه وفكره، وبه يكتمل رونق البناء وجماله. بحيث إذا رأى الزائر هذا البناء يشعر فـى داخلـه أن مصمم هذا البناء هو شخص واحد، له شخصية متكاملة وواضحة، وكل طابق منه يكمل بعضه البعض ليزيده جمالاً وتجانساً. ويشعر بأن هذا البناء لا يحتاج إضافة أكثر من ذلك، والتوافـق العام يجعله فى صورة جميلة تسر بها العيون. ويشعر الإنسان بعظمة هذا المهنـدس الواحـد وتكشف قدرته التصميمية فى البناء. فيقدره حق قدره، لأن هذا المهندس العظيم أثبـت قدرتـه الفائقة فى إخراج هذا الجمال الرائع لهذا البناء المثالي.

ولا يمكن أن تبنى طوابق ذلك المبنى كل طابق فى مكان بعيد عن الآخر، أو كل طـابق لا يرتكز على نفس الأعمدة الخرسانية التى بالطابق أسفله، لأن عدم مراعاة تلك القواعد فى البناء يؤدى لانهيار البناء ودماره.

وبنفس القياس والمعيار، لا يمكن أن يكون الأنبياء من عدة شعوب مختلفين فـى اللغـة والعادات والتقاليد ... الخ. لأن فى تعدد الشعوب وأنبيائهم لا يكتمل بنـاء الشـريعة بالصـورة المتدرجة. فيضيع المعنى السامي والهدف بين الشعوب ولا يكتمل البناء. ويؤدى هذا إلى طمس الصورة الجمالية التى يريد بها الله توصيل شريعته للبشر. بالتالى يفتح الباب للشرك بالله، لأنـه قد يُظن أن فى تعدد الأنبياء من قبائل وشعوب متعددة مختلفة، هو تعدد للآلهة لقصـور الفكـر البشرى، كما ان كل نبى من شعب معين يرفض ضم كتابه للنبى الذى خرج من الشعب الآخـر، وبذلك تتناحر الشعوب فيما بينها لفرض شرائعها الخاصة بنبيها الـذى خـرج منهـا. وتُفنـى الشعوب بعضها البعض، وذلك يكون انتصاراً للشيطان.

ولذا كان أساس هذا البناء النبوى، بدأ تأسيسه بموسى النبـى وكَتـب التـوراة، وسـفر التكوين أول أسفاره فى عام ١٤٩١ ق.م، وتوالى ظهور الأنبياء وكتبهم التى ضُمت للتوراة لـ ٢٤ نبياً حتى جاء المسيح بإنجيله وأكمل البناء النبوى، وتم ختم الإنجيل والكتاب المقدس بسفر (الرؤيا ليوحنا الرسول) أحد تلاميذ المسيح فى عام ٩٨ ب.م. والبناء النبوى أستمر لمدة ١٦٠٠ عام حتى تم اكتماله. بعد أن وضع إبراهيم الخليل جذوره الإيمانية، وتوارثه أبناءه وأحفاده فى إسحق ويعقوب، ويسميهم الكتاب بـ " جيل الأباء ".

ولنتخيل أن كل الأنبياء الذين ظهروا على مدى عشرات المئات من السنين، خرجوا من عشرات الشعوب والقبائل المتعددة، والمختلفة فى الفكر، والعادات، والتقاليد، واللغة، والثقافة ...الخ. سأترك للقارئ أن يتخيل ما سيحدث لهذا العالم من الدمار ؟؟.

ولذلك اقتضت حكمة الله توحيد ظهور الأنبياء فى شعباً واحداً مختاراً من بين الشعوب، منعاً للإلتباس والتشكك فى مصدره الواحد. وبعد استكمال الشريعة فى صورتها النهائية يأتى دور الترجمة لكل لغات العالم لتوصيلها لجميع الأمم والشعوب دون استثناء أو تفضيل.

عالمية الشريعة:

أن عالمية الشريعة لا بد منها. ومعنى العالمية أن تصل لكل الناس ولكل الشعوب بلغته التى يفهمها ويتعامل بها. لأن الشريعة كيف تكون عالمية أن لم تكن لها ترجمة إلى كل لغات العالم. لأن الشريعة لا تقيدها لغة أو لهجة محددة. فتكون قيمة الشريعة فى عالميتها. لأن الله هو رب الجميع، وليس إله لشعب معين لبقعة معينة من الأرض. وهذا ما يقتضيه عدل الله المطلق. لذا كان الكتاب المقدس موحى به. لأن الشريعة الموحاه هى شريعة قابلة للترجمة، ولا يؤدى ترجمتها إلى الإخلال بالمعنى.

لا فضل لإنسان على إنسان أخر على الإطلاق، ولا فضل لأمه على أمه، ولا لشعب على أخر، وعندما نقول غير هذا، نجعل الله سبحانه وتعالى فى وضع الإنسان الناقص الأنانى المحدود، وحاشا لله أن يكون هكذا ويتصف بصفات الإنسان الناقص المحدود. لأن الله يحب الجميع بدون استثناء، وكما يقول الكتاب:

" .. فأنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين "

(مت٥: ٤٥).

إذن يجب أن تكون الشريعة عالمية لكل البشر، ولكل بقاع الأرض، ومترجمة لكل لغات العالم. والبديل الوحيد والأوحد لعدم ترجمة الشريعة، هى أن تتوحد كل لغات العالم فى كل العصور لجميع الأجناس، وفى كل بقاع الأرض فى لغة واحدة فقط، ولهجة ثابتة لا غير وهى لغة الشريعة. وهذا مستحيل عقلاً ومنطقاً، ومستحيل بكل علوم وأدوات القياس المعروفة وغير المعروفة، وهذا الافتراض غير واقعى وغير مقبول شكلاً ولا موضوعاً.

اليس الله سبحانه قادراً على ان تكون لغة أهل الأرض لغة واحدة ؟.

ولماذا سمح الله بتعدد اللغات؟ هل لكى يوقعهم فى الفخ الذي نصبه لهم لكى لا يفهموا الشريعة التى جاءت بغير لغتهم بحيث يكونوا غير قادرين على فهمها، وبعد ذلك يحاسبهم سبحانه ويزج بهم فى جهنم والنار الأبدية بكل عذابها، وهم ليس لهم ذنب أو جريرة سوى انهم

لا يفهمون لغة الشريعة!؟. هل الله ظالماً بكل هذا المقدار من الظلم، وقاسى القلب بكل تلك القسوة؟. لا أظن ذلك ابداً، لأن الله مطلق فى عدالتة، ومطلقاً فى حبه ورحمته.

إذن لا يوجد بديلا لنا سوى ترجمة كتاب الله إلى كل اللغات لكى يستقيم عدل الله، والترجمة هى السبيل الوحيد لوصول كلمة الله لكل البشر وهذا يؤيده العقل والمنطق.

كما أن الله سبحانه كان فى مقدوره وقدرته، أن يجعل لكل العالم لغة واحدة فقط، منذ بداية الخلق وحتى نهاية العالم، وهو القادر. ولكنه لم يفعل ؟.

فأيهما أيسر:

* هل تتم ترجمة كلمات الله الموحى بها لأنبيائه لكل لغات العالم لكى يفهمها العالم بشعوبه؟.
- أم يتعلم العالم وشعوبه لغة الشريعة بجانب لغته ؟.. أو يترك لغته الأصلية ليتعلم لغة الشريعة حتى يفهمها !؟

فإذا كانت شعوب العالم تجهل قواعد لغتها الأصلية التى يتكلمون بها، وغير قادرين على فهمها فهماً صحيحاً، فكيف يكون الحال لو طُلب منهم تعلم لغة أخرى تختلف تماماً عن لغته، كما أن اللغة ذاتها تتطور وتتغير على مدى العصور.

وإذا كان الله سبحانه لم يجعل الناس فى كل شعوب العالم يتكلمون لغة واحدة أو يجبرهم على لغة معينة، وهو القادر على ذلك، فكيف نطلب من البشر ما لم يطلبه الله ؟!.

أذن لا بد من الترجمة:

والله سبحانه جعل بعض الناس قادرين على ذلك العمل. فإن الدين يسر وليس عسر، ولا يضع الله سبحانه أحمالاً ثقيلة على كاهل البشر، وهو يعلم تماماً أن البشر غير قادرين على حملها.. وهل بعد ذلك يحاسب الله البشر على ذلك الحمل الثقيل، وهو يعلم عدم قدرة البشر على تحمله !!؟ ..

فإذن أين عدل الله ورحمته ؟ والله مطلق فى عدالته ورحمته.

أمثلة واقعية :-

على سبيل المثال سنأتى بأمثلة من واقع الحياة الأرضية لأهمية عنصر الترجمة فى العلاقات العامة والدولية والشخصية . . الخ.

عندما يذهب رئيس دولة إلى دولة أخرى ليتفاهم على موضوع معين لمشكله من المشاكل الدولية أو المحلية، **يصاحب معه المترجم الخاص بلغة هذه الدولة.**

مثلاً رئيس دولة مصر يتكلم العربية، ورئيس دولة روسيا يتكلم الروسية وكلا الرئيسين لا يفهم لغة الأخر • **فكيف يتفاهمان فى مشكلة مثل مشكلة الشرق الأوسط، ويقترحان الحلول والبدائل للحل ؟** •• **وكيف تصل فكرة المشكلة من الرئيس المصرى إلى الرئيس الروسى والعكس ؟.**

فماذا يكون الأمر إن لم يكن هناك مترجماً بينهما، لينقل الفكر من الرئيس المصرى إلى الرئيس الروسى حتى يتبادلا وجهات النظر؟. **وعمليه الترجمة هذه لا تؤدى إلى تغيير القضية موضوع المناقشة أو تحريفها بين الرئيسين.** وبعد تبادل وجهات النظر **بواسطة المترجم** يتم فى النهاية وضع الحلول واعتماد الاتفاق وتختتم الزيارة بنجاحها.

وهذا المثال سيضع أمامنا تساؤل:

ان لم يكن هناك مترجماً وسيطاً للتفاهم بين الدول فى مشكلة من المشاكل الدولية تجنباً لكوارث وحروب بينهم •• **فماذا يكون الأمر فى حالة مناقشة المشكلة وعدم تفهم وجهة النظر** لكلا من المتنازعين لسبب **اختلاف اللغة فيما بينهم**، وعدم وجود من يترجم وجه نظر الأخر، **ستكون النتيجة حروب فى كل الأرض ومشاكل لا حصر لها نتيجة عدم تفّهم الدولة لموقف الأخرى لعدم وصول أفكار وجهة نظر كل واحدة إلى الأخرى.**

وبالقياس، كيف تكون هناك **علاقات دولية** وتفاهم لكل مشاكل الحياة التى تخص العالم كله، **والمؤتمرات العلمية والعالمية والتكنولوجية، والاجتماعات فى المحافل الدولية سواء فى مجلس الأمن أو الأمم المتحدة لحل قضايا ومشاكل دول العالم الذي يمثلها مندوبين لتلك الدول من كل بلدان قارات العالم ولغاته**، والبالغ عددهم حتى كتابة هذا الكتاب ١٩١ دولة من كل بقاع الأرض، **وكل مندوب يتكلم ويدلى برأيه بلغته الذى يتقنها، وبواسطة الترجمة لكل لغات الحاضرين يفهمون ما يدور فى الاجتماع**، وبعد ذلك يتم ختم الاجتماع بقبول الاقتراح أو رفضه. **وكذلك الأبحاث الدولية والطبية، وتناقل الخبرات والتقدم العلمى**• **الخ .**

مثال أخر :

ترجمة الكتب من لغاتها الأصلية إلى لغات العالم •

كيف نستطيع أن نفهم كتاباً لشكسبير الإنجليزى مثلاً إن لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية؟ وكيف يفهمه الفرنسى والهندى والصينى والروسى ؟٠٠٠٠ الخ.

فهل معنى أن الكتاب الذى تمت ترجمته إلى لغات أخرى ان معانيه قد تحُرفت، وأفكاره قد تغيرت، **أم أنها نقلته طبق الأصل إلى اللغة الأخرى بنفس الفكرة والمعنى**، وعندما تسأل الروسى عن رأيه فى رواية شكسبير الإنجليزي فإنه لا يستطيع أن يرد على السؤال إن لم يكن قد قرأه بلغته الروسية. أو على الأقل إنه يفهم اللغة الإنجليزية.

فإذا كُنا لا نتّهم كتاب شكسبير المُترجم من لغته الإنجليزية إلى أى لغة من لغات العالم، بأنه محرفاً، وشكسبير بشراً وهو الفاني لا يستطيع حماية كتابه، ومع ذلك لا نقول أن كتابه حُرف بسبب الترجمة !!؟.

وبالقياس كيف نتّهم بالتحريف كتاب الله المقدس المُترجم من لغته الأصلية إلى أى لغة من لغات العالم؟ ومؤلفه هو الله سبحانه وتعالى وهو الباقيِ والحافظ على كتابه ومهيمن عليه.

هل البشر أكثر قدرة من الله فى المحافظة على كتبهم المُترجمة !!؟

صدقنى يا أخى أن كان البشر قادرين على حفظ كُتبهم من التحريف بسبب الترجمة، والله سبحانه غير قادر على حفظ كتابه لنفس السبب، ... فأن هذا الادعاء سيدخلنا فى جدل عقيم وسفسطة جاهلة وادعاءات كاذبة لنفوس مريضة، وفى النهاية يؤدى بنا هذا الفكر إلى الكّفر والعياذ بالله.

مثال آخر عن ضرورة عالمية الشريعة:

هب إنك كنت واحداً من الذين كُلفت **بوضع كتاب معين للثانوية العامة على مستوى الجمهورية**٠ وعلى فرض أن هناك مدرسة ثانوية **فى إحدى القرى** تدرس **كتاب آخر ملحق لهذا الكتاب، بينما** لم تدرس **كل المدارس الأخرى هذا الكتاب الملحق، بل لم تسمع عنه أو تعرفه.**

فماذا يكون الأمر **إذا وضعت أسئلة فى ذلك الكتاب الملحق** الذى لا وجود له فى كل المدارس **ووضعت الدرجة العظمى فى هذا الكتاب الملحق... وكانت مادته، مادة رسوب وليس لها دور ثان**.. فماذا يكون الأمر عندما توزع الأسئلة فى كل اللجان على مستوى الجمهورية فى ذلك الكتاب الذى **لم يدرّس للطلبة سوى فى مدرسة واحدة ووحيدة، وفى قرية نائية وآلاف المدارس لم تدرسه على مستوى الجمهورية ٠٠**

بالطبع سيقوم الطلبة **بثورة على هذا الظلم الفادح، ضد واضع الأسئلة التى لا وجود لها فى منهجهم ودراستهم.** وسيقوم أولياء الأمور **برفع الشكاوى والاحتجاجات على هذا العمل،**

وهل يترك وزير التربية التعليم هذا الأمر يمر **دون معاقبة المسئول عن وضع الأسئلة، وحرمانه من القيام بهذا العمل طوال حياته** ؟، وهل تترك الصحافة ووسائل الإعلام هذا الأمر بدون تعليق ونقد حتى لا يتكرر. **وهل يعفى واضع الأسئلة من العقاب؟.**

فإذا كنا ونحن المخلوقات الأرضية الناقصة **نتهم** واضع الأسئلة فى منهج **لم تدرسه سوى مدرسة واحدة** فقط فى أحد القرى دون الآلاف من المدارس على مستوى الجمهورية **بأنه ظالم وغير عادل، لأنه حدد مصير الطالب بالرسوب فى هذه السنة ٠٠ دون وجه حق. ولا نتقبل هذا التصرف أو نستسيغه من واضع تلك الأسئلة!؟.**

فكيف نستسيغه على الله سبحانه وتعالى الكامل العادل، والمطلق فى عدالته ؟، وكيف يسلك سبحانه هذا المسلك الشائن، ويحاسب الإنسان على شريعة لم يسمع عنها أو لم يقرأها بلغته ولم يفهمها ولم يدرسها.؟!.

كيف سيكون الحساب والدينونة يوم الحشر العظيم لكافة البشر، على تلك الشريعة الموضوعة بلغة معينه، من بين آلاف اللغات لكل الشعوب ؟. وكيف يحاسب الله الناس على حسب الشريعة التى لا وجود لها فى لغته ؟ . وعلى هذا الحساب يترتب مصير الإنسان إما فى جهنم حيث العذاب الأبدى أو الملكوت (الجنة) حيث النعيم الأبدى.

انه مصير أبدى وليس له دور ثان، ولا يجدى فيه استئناف ولا نقض.

فإذا حكمنا على الإنسان الذى **وضع إمتحاناً** لمادة **لا وجود لها** فى كل المدارس ما عدا مدرسة واحدة لمنطقة نائية ٠٠ **بأنه ظالم ومختل عقلياً ٠٠**

فكيف يجوز لله سبحانه وتعالى أن يمتحن ويدين البشر بشريعة لم يسمعوا عنها ولم يقرؤها بلغتهم التى يفهمونها، ويعتبر تلك الشريعة التى أوجدها الله لشعب محدد وقبيلة معينة وبلغة محلية، هو الامتحان العالمى لكل البشر ولكل اللغات، والمقياس لنجاحه ودخوله الملكوت، أو رسوبه ودخوله جهنم !؟.

مثال آخر:

أن الكمبيوتر الذي بين يديك، والذى تتعامل معه بكل يسر وسهولة فى مكان عملك، وبلغتك انت على مختلف البرامج والميديا، وكل شعوب العالم تتعامل مع هذا الكمبيوتر بالرغم من تعدد لغاتهم وأجناسهم، هذا الكمبيوتر له لغة لا يفهمها أغلب المتعاملون مع هذا الجهاز، ولا تستطيع أن تفهمها وهى لغة الآلة (01010101010)، وهذه اللغة لا يمكن فهمها إلا المختصون الخبراء، وهى لغة صعبة للغاية ومعقدة، ولذا فى بداية هذه التكنولوجيا وفى مراحلها الأولى، كان اللذين يستخدمون الكمبيوتر قلة قاصرة محدودة من الخبراء الذين انفقوا

كثيراً من وقتهم ومالهم وجهدهم فى تعلم تلك اللغة. وكان استخدام الكمبيوتر قاصراً على جهات محددة، وجميع الشعوب تقريباً لا تستطيع التعامل مع الكمبيوتر. بل قل أنهم جهلة وأميون.

وعندما بدأ العلماء والخبراء فى الحاسبات، وبعد دراسات وأبحاث وتجارب كثيرة استغرقت سنين عديدة، استطاعوا اخيراً " **أن يضعوا ترجمة لتلك اللغة** "، واستطاعوا ترجمة لغة الآلة في ذاكرة الحاسب ووحدة المعالجة المركزية، إلى لغة البشر وبلغاته المتعددة، وأصبح منذ ذلك الوقت الكمبيوتر متاح للجميع، وفى كل بيت وفى كل مواقع العمل لكل الشعوب والأجناس بلغاتهم المختلفة. حتى الأطفال الصغار اللذين لم يدخلوا المدارس بعد، يستخدمون الكمبيوتر بسهولة ويسر.

أذن الكمبيوتر لكى تستطيع التعامل معه وتفهمه، فلا بد وأن يكون هناك مترجماً بداخله يعمل تلقائياً وبسرعات عالية (ترجمة فورية)، وهذا المترجم يقوم بتحويل لغتك التى تتعامل بها سواء كانت العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو اليابانية .... الخ. إلى لغة الآلة (01010101010)، وبعد ان تتم المعالجة بتلك اللغة وهى لغة الآلة، تتم أعادة الترجمة مرة أخرى إلى لغتك وتراها على شاشة الكمبيوتر، وهذه العملية تتم بسرعات عالية لا تشعر بها. ولذا تم انتشار الحاسبات الآلية بسرعة مذهلة فى كل المواقع، المنازل والشركات والمصانع، والأطباء والمهندسين والمحامين ورجال الأعمال، والمصالح الحكومية والخاصة، وفى جميع المواقع بدون استثناء، حتى الأطفال ذو العامين او الثلاثة أعوام يستطيع التعامل مع هذا الجهاز فى يسر وسهولة، والفضل يرجع بالطبع للترجمة، ترجمة لغة الآلة إلى لغة الإنسان. فأصبح التعامل مع تلك التكنولجيا عالمياً سهلاً ميسورا لكل الشعوب، بنفس القدرة وبنفس الكفاءة. وأصبح الكمبيوتر متاح الاستخدام للجميع بدون استثناء، وليس قاصراً على فئة معينة من البشر.

والسؤال هنا فى هذا المثال، هل اذا ظل الكمبيوتر يعمل بلغته فقط ولم يتم بعد ترجمته، والذين يتعاملون به قلة متخصصون علمياً فى البرمجيات، لأن التعامل مع لغة الآلة تتم بطريقة البرمجيات المعقدة، هل كنت ستسمع أو ترى جهازاً فى اى موقع من المواقع ؟، وعندما يسألك شخص عن ماهية الكمبيوتر وكيف يعمل وأنت جاهل به، ماذا تقول له سوى أن تنظر إليه مشدوها مستغرباً وكأنه يكلمك عن طلاسم لا علم لك بها، وكأنه يتكلم عن شيء من العالم الآخر.

اذن الترجمة من لغة الكمبيوتر إلى لغة الإنسان يرجع لها كل الفضل فى انتشار وتفهّم استخدام الكمبيوتر. وأتاح للجميع بدون استثناء استخدامه، سواء المستخدم طفلاً أو شيخاً رجلاً أو امرأة.

فإذا كان الله سبحانه سمح بتلك التكنولوجيا بالانتشار، عن طريق الترجمة من لغة الآلة إلى لغة الإنسان، لفائدة الإنسان وتقدمه علمياً وتكنولوجيا، لكي تكون فى متناول الجميع دون تفريق، وهى لغة ارضية تفيده فى العالم الأرضى.

فكيف لا نستسيغ الترجمة فى كتاب الله سبحانه لكل لغات البشر بلغة البشر.

" من لغة الله إلى لغة الإنسان "

وذلك لفائدة الإنسان فى العالم السماوي والروحي، وهو الأهم والأكثر فائدة، لأنها تحدد مصيره فى العالم الآخر، فى نعيم الملكوت او فى جحيم النار.

هل الله يهتم بالأرضيات ويهمل السماويات ؟، ام هل الله يهتم بالمادة ويهمل الروح ؟، وهل الله يعمل على استفادة الإنسان فى عالمه الأرضى ولا يهتم بعالمه السماوى ؟، هل الله يهتم بالعالم الزائل أكثر من اهتمامه بالعالم الباقى؟، هل الله خلق البشر فقط ليبحث فى علوم الأرض واستغلاله لفائدته، ويترك العلم الأكبر فى البحث عن خالقه وعبادته ؟

اليس الله " خلق الجن والأنس ليعبدون " . كقول القرآن الكريم.

وكيف يعبدون الله وهم لم يعرفوه، ولم يستطيعوا قراءة شريعته بلغتهم التى وضعها لهم؟. وكيف يطالبهم سبحانه بعبادته وهم يجهولونه؟. وكيف يتحقق العبادة من الإنس لله وليس هناك من يعّرفهم بسبحانه من خلال شرائعه المبلغة لهم بواسطة رسله وأنبيائه.

لذا لكى تكون الرسالة عالمية لكل البشر،

لا بـد لتلك الرسالة أن تترجم لكل البشر.

أن ترجمة كلام الله فى الكتاب المقدس تم على مرحلتين:

المرحلة الأولى :

ترجمة كلام الله السماوية التى لا يفهمها سوى الله، إلى لغة نبي الله بطريقة الوحى، سواء باللغة العبرية أو الآرامية فى العهد القديم، أو اللغة اليونانية فى العهد الجديد، لأن كلام الله لا نفهمه نحن، لذا الله يوحى للنبى بالمعنى ويعبر عنه النبى باللفظ باللغة التي يعرفها هو وشعبه. بحيث يكون اللفظ لا يخرج عن المعنى المحدد له، والله هو الحافظ لهذا المعنى فى كتابه، لأن النبى يكتب بالوحي مسوقاً من الروح القدس.

وهذه المرحلة الأولى من الترجمة من كلام الله، إلى كلام البشر وحياً، بلغة نبى الله، لصالح شعبه وفائدته.

(وهى المرحلة الأولى)

المرحلة الثانية :

وهى ترجمة كتاب الله المكتوبة بلغة النبى بالوحى، إلى كل لغات العالم، حتى يمكن الاستفادة بها لكل الشعوب، وإيصال شريعة الله بلغه البشر التى يفهمها، وأن تكون الترجمة ترجمة للنص الكتابى وليست ترجمة المعانى وتفسيرها، لأن ترجمة المعانى وتفسيرها، تشوبها التحريف، وتشويه المعانى طبقاً لأهواء المفسّر.

لذا الترجمة تكون للنص فقط.

وهذا هو النوع الآخر من الترجمة، من كلام نبى الله بلغته الموحى به من الله، إلى لغات جميع البشرّ، لصالح كل البشر على كل وجه الأرض وفائدته.

(وهذه هى المرحلة الثانية والنهائية)

أن الله عادل ومطلق فى عدالته، ولا يمكن بأى حال أن يضع مصير الإنسان الأبدى من شقاء لا نهاية له بسبب أن الشريعة لا يفهمها الإنسان فى لغته، والإنسان غير مُطالب بتعلم لغة الشريعة لكى يفهمها، لأن الله لا يحمّل الإنسان بما لا طاقة له به، بل الشريعة فى مقدورها أن تصل إليه بلغته ليفهمها ويعمل بها، وبعد ذلك يأتى حساب الله له فى يوم الدينونة العظيم.

فى هذه الحالة تكون ترجمة كتاب الله ضرورة واجبه، بل لازمة لكل لغات العالم، لأن يوم الحساب والدينونة لا يفرق بين إنسان وأخر بسبب لغته أو جنسه أو لونه، ولأن الله لا يحابى إنساناً مهما كان، حتى ولو كان نبياً أو رسولاً، بل بالعكس تكون محاسبة النبى أو الرسول أكثر حزماً لأنه من المفروض ان يكون اكثر الناس حرصاً على أتباع الشريعة وتطبيقها .. ولأنه يجب ان يكون القدوة والمثل الأعلى، وفى يوم الحساب يتساوى الجميع أمام الله.

حقوق الإنسان والمحاكم الأرضية:

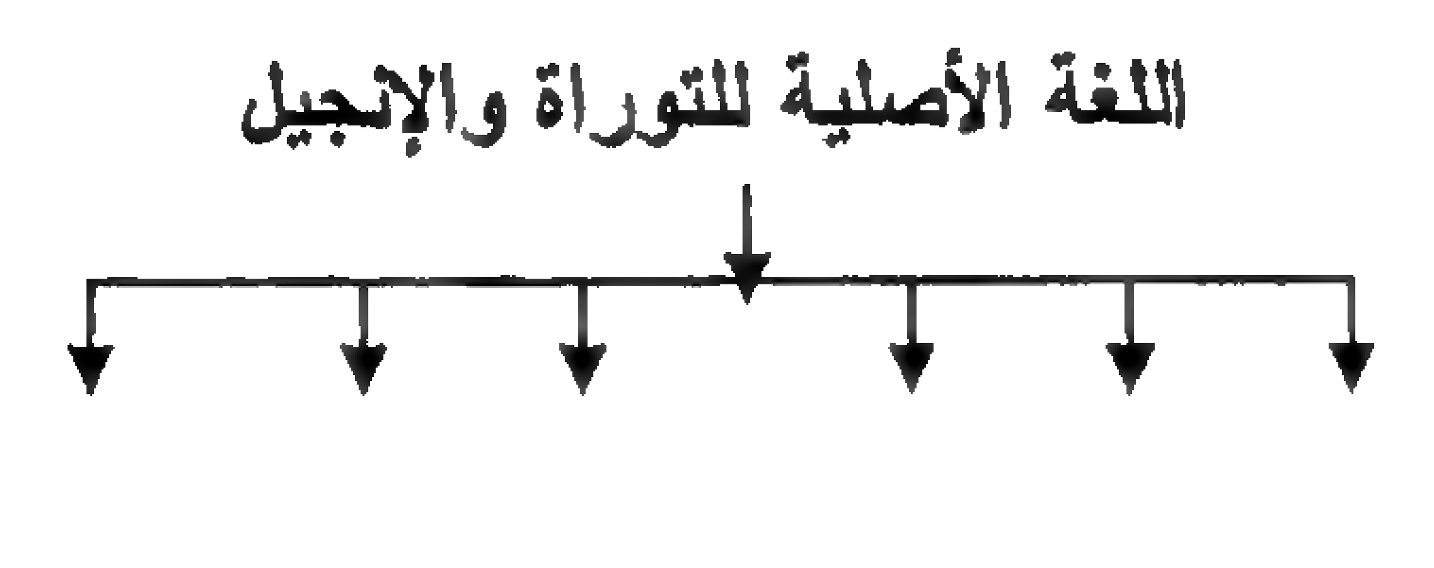
وإذا كانت القوانين الدولية لحقوق الإنسان والمحاكم الأرضية، تراعى للإنسان حقوقه وتدافع عنه حتى ولو كان هذا الإنسان أخطأ فى حق أخيه فى الإنسانية، لربما يكون هذا الإنسان مظلوماً، وهى قوانين ارضية عادلة من وضع البشر المخلوق الذي لا يمكن أن يحكم على مظلوم بالعقاب.

فكيف يعاقب الله الإنسان ظلماً فى جهنم وبأس المصير، فى شريعة لم يقرأها، وعقيدة لم يسمع عنها !؟ أو يحاسبه على قضية لا يعرف عنها شيئاً، وليس للإنسان اى ذنب أو جريرة لعدم فهم شريعة لم يقرأها بلغته، وذنبه الوحيد هو لم يتعلم لغة الشريعة !؟

فهل الإنسان المخلوق أكثر عدلاً من الله الخالق !؟.

قد يقول قائل بعد كل تلك البراهين السابقة أن تعدد الترجمات من لغة إلى أخرى وهكذا بالتسلسل قد يؤدى إلى تحريف المعنى ،

نقول أن الترجمة دائماً تتم من اللغة الأصلية إلى أى لغة فى العالم، بطريقة الترجمة من النصوص الأصلية مباشرة وليس على التوالى من لغة إلى أخرى. أى أن كل لغات العالم تترجم من اللغة الأصلية العبرية للتوراة – واليونانية للإنجيل. بهذه الطريقة:



فارسى إيطالى أسبانى فرنسى إنجليزى عربى

لغات العالم

لقد قرأتُ ادعاء فى كثير من الكتب، تزعم بأن اليهودية وتوراتهم، والمسيحية وإنجيلهم، هما لشعب معين فقط وموجه لليهود فقط لا غير، وليس للعالم أجمع، وليس لكل العصور وقد انتهت تلك الديانة بانتهاء ذلك العصر!؟.

هذا الفكر الغريب يمحى كل الجهد الذى بذله الله سبحانه بتوصيل شريعته فى آلاف السنين، ويهدم كل البناء الذى بناه الله فى تسلسل انبيائه، ويهدم الخُطة الإلهية المتدرجة لتعريف الإنسان بخالقه وكيفية خلاصه وتجديد روحه وجسده الساقط بالمعصية، ويمحى كل التعاليم النافعة والدروس المستفادة على مدى كل التاريخ، وأيضاً يجعل من الله إلهين منفصلين متغيرين، كما يتّهم تعاليم الشريعة وأصولها بالتقادم والعطب، وكأن الله لا يعلم المستقبل فيتدارك الأمر فيلغى تلك الشريعة وينسخها ليأتى بغيرها.!؟.

هذا الفكر الغير منطقى، يؤدى إلى هدم البناء المتعدد الطوابق والذى تم بناءه بعناية فائقة فى الآف السنين، من المهندس الأوحد (الله)، فائق الخبرة فى التصميم، ونسوى البناء بالأرض وكأنه لا وجود له!. ونستبدله ببناء آخر من طابق واحد على سطح الأرض بدون أساس أو جذور فى عمق الأرض !؟. وكأن البناء الأول لا قيمة له !؟. ويذهب عمل الله فى كل تلك السنين هباءاً منثوراً.

إنه إدعاء غريب، لا يستند على دليل أو برهان.

أن هذا الادعاء تمت الإجابة عليه فى هذا الفصل، ولكنى أضيف دليلاً آخر من كلام السيد المسيح نفسه عن عالمية الإنجيل وعدم تقادمه، وضرورة ان تصل الشريعة إلى كل لغات العالم

فى كل بقاع الأرض، ولكل الأجناس، وليس حكراً على اليهود كما يدعى صاحب هذا الرأى. قال السيد المسيح لتلاميذه:

"اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ".

(مرقس١٦ : ١٥).

وقال أيضاً:

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بأسم الآب والأبن والروح القدس.
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر"

(متى ٢٨: ١٩).

وأيضاً :

" ويكرز بأسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، مبتدأ من أورشليم"

(لوقا٢٤: ٤٧)

وأيضاً :

"وتكونون لى شهوداً فى أورشليم والسامرة والى اقصى الأرض"

(أعمال ١: ٨)

هل بعد هذه الأقوال التى قالها السيد المسيح بذاته عن ضرورة تبليغ رسالته لكل العالم ولجميع الأمم والشعوب حتى نهاية العالم، يقول المعترضون بعد ذلك أن الديانة المسيحية هى ديانة محلية لشعب محدد (اليهود) !؟. كيف يحدد هذه الديانة والسيد المسيح يطالب بنشرها بين كل الشعوب والأمم فى كل الأجيال ؟.

وكيف يطالب السيد المسيح بنشر الإنجيل فى كل بقاع الأرض أن لم تتم ترجمته إلى لغات كل الأرض ؟ يقول السيد المسيح :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.
وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ". (متى ٢٨: ١٩).

ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة أيضاً عن إنجيل المسيح وتابعيه بقوله:

" .... وجاعل الذين أتبعوك (المسيحيين) **فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة "**

معنى هذا أن تعاليم السيد المسيح باقية حتى انقضاء الدهر ونهاية العالم، وليست لمرحلة معينة وينتهى العمل بشريعته وينسخ بشريعة جديدة، كما ان السيد المسيح سيكون مع تلاميذه كل الأيام بروحه القدوس فى كل مراحل التاريخ وحتى نهاية العالم والأزمنة.

ونتساءل كيف تصل الشريعة لكل الشعوب وحتى انقضاء الدهر كما يوصى السيد المسيح قبل صعوده إلى السماوات، وتلاميذه وخلفاؤهم لا يتكلمون بلغة تلك الشعوب ؟.

وكيف كما يقول القرآن الكريم **أن أتباع المسيح** سيكونون فوق الذين كفروا **حتى يوم القيامة، وهل يعتقد المعترض لترجمة الإنجيل، أن تلاميذ السيد المسيح أو خلفاؤهم يذهبون لكل بلاد العالم ليبشروا بالإنجيل فى مواعظهم بلغتهم اليونانية، والسامعون لا يفهمون ما يقولون؟. وكأنهم كما يقول المثل:**

يؤذنون فى مالطة؟!

عندما نزل الروح القدس على التلاميذ فى يوم الخمسين **بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، حدثت أول ترجمة فورية فى التاريخ على لسان بطرس الرسول والحواريون الجهلاء،** وذلك فى الموعظة التى ألقاها بطرس على الجموع **من كل الأجناس ذات اللغات المختلفة، واستطاعت هذه الجموع أن تفهم كلام بطرس فى لغتهم الخاصة، وهذا يعطى البرهان لضرورة الترجمة، كما تعطى التأكيد على عالمية الإنجيل، إذ ليس قاصراً على لغة اليهود فقط، وإنما هو لجميع الناس بكل لغاتهم. كما جاء فى أعمال الرسل بالإنجيل يقول:**

" وامتلأ الجميع من الروح القدس ***وابتدءوا يتكلمون بالسنة أخرى*** *كما أعطاهم الروح أن ينطقوا. أجتمع الجمهور وتحيروا* ***لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته*** *فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض. أترى أ ليس جميع هؤلاء* ***المتكلمين جليليين ؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التى ولد فيها ؟*** *ماديون وعلاميون، والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبادوكية وبنتس واسيا وفريجية وبمفلية ومصر، ونواحى ليبية التى نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون يهودا ودخلاء. كريتيون وعرب.* ***نسمعهم يتكلمون بألسنتنا*** *بعظائم الله! فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى ان يكون هذا؟*

(أعمال الرسل ١: ٤-١٣).

نلاحظ لهذه المعجزة أن أصحابها جليليين صيادى سمك لا يعرفون سوى لغتهم المحلية، وقد منحهم الروح القدس ان يتكلموا وينطقوا بلغة جميع الشعوب، وجميع السامعون من بلاد كثيرة بلغات مختلفة كانوا يسمعون موعظة التلاميذ بلغتهم التى ولدوا بها، فتعجبوا وبهتوا قائلين ما عسى ان يكون هذا؟.

وكانت هذه المعجزة هى أول ترجمة فورية فى التاريخ للعظة، وكان هذا من عمل الروح القدس.

أليس فى هذا دليل على عالمية الإنجيل، كما أن تلك المعجزة كانت مؤشراً لضرورة ترجمة الإنجيل لكل لغات العالم، وأن الروح القدس هو الحافظ لهذه الترجمة. وهل حدثت تلك المعجزة لأى ديانة أخرى.

ولهذا السبب كان انتشار المسيحية سريعاً فى كل بلاد العالم وبكل لغاته، وانتشرت الديانة سلماً دون غزوات أو قتال، لأن الكلمة المترجمة كانت هى وسيلة الحوار والإقناع بالديانة الجديدة. من مناقشات وحوارات بين المؤمنين والوثنيين.

وبدون توصيل كلمات الله بلغة تلك البلاد بشعوبها، بترجمة تلك الشريعة إلى لغتهم التى يتفاهمون بها، لكى تصل لهم الشريعة بلغتهم ليفهموها ويتفحصوها ويقارنونها بمعتقداتهم الوثنية، وبدون تلك الطريقة فى توصيل الشريعة وفهمها، فالبديل عنها سيكون شيئاً رهيباً، وهى لغة الغزو لتلك البلاد ومحاربتها والاستيلاء عليها بشعوبها لنشر الشريعة قسراً، وإجبارهم على قبولها دون قناعة أو دراسة، وهذا مما لا يرضاه الله ولا يشجع عليه، لأن الإيمان لا بد وأن يكون صادراً من القلب والعقل. وليس بالقتل والترهيب.

والكتاب المقدس يبين تعامل الله مع البشر فى جميع مراحله وعصوره منذ آدم أول البشرية وحتى أخر رجل حتى نهاية العالم، لا يتدخل الله فى أجبار البشر على قبول شرائعه قسراً وإجباراً وخوفاً، بل حباً فيه وعبادته كإله وأب رحيم عادل.

لقد كان الله قادراً على إجبار آدم وحواء على منعهم بعدم أكلهم من الشجرة المحرمة وهو القادر، ولكنه لم يفعل.. لماذا؟، لأن الله يحترم إرادة الإنسان، وعليه أن يقرر مصيره بإرادته الحرة، وليس على الله سوى إرشاد البشر بتعاليمه وشرائعه، والمخالفة لتلك الشريعة وتعاليمه وعصيانه لها، يترتب عليه الحرمان من ملكوت الله، وزجه فى جهنم وبئس المصير، وعلى الإنسان أن يختار بين محبة الله وقبول شرائعه، أو رفض الله وعصيانه له ولشرائعه، وعلى الإنسان أن يتحمل وزر اختياره، وبالتالى ينال عقابه أو ثوابه فى الجنة أو النار.

أليس بعد كل ذلك يتبين لدى القارىء خطورة عدم ترجمة كتاب الله لكل البشر وبكل اللغات، حتى لا يكون للبشر حجة أو عذراً لعصيانهم الشريعة،

وأن عدل الله المطلق، ورحمته المطلقة يسرت سبل الترجمة ونشر شرائعه بين الشعوب بكل لغاتها ولهجاتها. وبغير هذه الترجمة يكون الله ظالماً لخليقته البشرية .. وحاشا، أو يكون غير عادلاً ويحابى قوماً على حساب كل البشرية جمعاء،

وهل يستقيم عدل الله فى تلك المحاباة، ولمصلحة من يكون تجاهل الله لتلك الشعوب المختلفة لغة عن لغة الشريعة.

****

ولذا يؤكد القرآن الكريم على تلك البديهة، فى تبليغ الرسالة لكافة العالمين، حتى لا تكـون للناس على الله حجة بقوله فى سورة النساء:

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين
***لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** وكان الله عزيزا حكيما.*

(النساء ١٦٥)

ويؤكدها د. فتحى مرعى كما طالعتنا بجريدة الأهرام القاهرية فى٣/١/٢٠٠٦، فى عمود " فكر دينى" على أهمية تبليغ الرسالة السماوية لكل البشر حتى لا يكون للناس على الله حجة أو عزراً ، بأتباعهم الشريعة، من خلال تفسيره الآية السابقة.

وختاماً لهذا الفصل نقول:

أن الكتاب المقدس هو كتاب إلهي بتعبير لغة البشر.
وهو كلمة الله المكتوبة للإنسان.

والكلمة هى لغة الحوار: وهى التى تربط بين الله والناس بواسطة الأنبياء، فهم الواسطة والوسيلة لتوصيل الكلمة الإلهية معبراً عنها بلغة الإنسان.

و الكلمة تهدف إلى: اللقاء فى المحبة، بدون هذه المحبة تبقى الكلمة سطحية، وبـدون هذا الحوار تبقى الكلمة جوفاء لا معنى لها.

فالكلمة هى روح وحياة: فيها تواصل وفيها حوار بين الله والبشر، المتمثلة فـى فئـة الأنبياء، والكلمة هى المعبرة عن الذات، والكلمة هى إعلان عن حب الله. لذا طوال ١٦ قرناً من الزمان، والله يحاورنا من خلال أنبيائه على مدى مسيرة التاريخ، حتى جاء المسيح بكلمـة الله المتجسّدة. فوضحت الصورة بكامل بهائها وجمالها وبه عرفنا الله.

فالكلمة المكتوبة: هى أجمل وأكمل تعبير عن الحب، وأفضل وسيلة للتعبير عـن محبـة شخص لآخر، فيها نكشف عن فكرنا ورغباتنا وميولنا. وبها أيضاً يكشف الله لنـا عـن ذاتـه وفكره ومحبته. يقول احد الفلاسفة:

" الله وحده يحسن الكلام عن الله، فلنسمع إليه "

ويقول آخر:

" من يجهل كلام الكتاب المقدس يجهل الله ذاته "

إذا أردت أن تعرف الله فى الكتاب المقدس أعرف لغته (وهى لغة الله بتعبير البشر). وبهـا تعرف حقيقة حب الله لنا، لأن الكلمة هى المعبرة عن الله، وهى رحلة حب عبر التاريخ.

الحقيقة فى الكتاب المقدس، هو حقيقة تاريخ حب الله للإنسان.
فالكتاب المقدس هو مسيرة حب وعهد الله مع الإنسان.

والعهد يتطلب الحوار، والعهد كلمة أعمق لغوياً عن الاتفاق.

العهد بين طرفين تكون بينهما الحب والود والاحترام، أما الاتفاق لا يتطلب الحب ولا يشترط الود والاحترام. العهد لا ينقض أبداً، والإتفاق يمكن نقضه والتنصل منه.

....

" والله مع شعبه بينهما عهداً "

عهداً قطعه الله مع إبراهيم، وتجدد وتوارث فى إسحق ويعقوب، ومنهم إلى بنى إسرائيل، فتوارثوا الحوار مع الله فى أنبيائه المتتابعين.

والكلمة الحقيقية هى إعلان حب الله للبشر:

وهى حقيقة دينية سائدة فى كل الكتاب المقدس، فالكتاب المقدس هو تاريخ خلاص بنى البشر بكلمة الله المتجسّدة، والمسيح هو الكلمة المترجمة بالتجسّد، وهو محور حب الله، ومحور تاريخ علاقة الله مع الإنسان وعهد متواصل عبر عصور ذلك التاريخ.

أليس لهذه العلاقة أن تعلن لكل البشر بكل لغاته،

أليس حب الله يشمل الجميع.

أليس المسيح هو الترجمة الحقيقية لذات الله، وبه عرفنا الله، ولمسنا حبه.

****

الفصل الرابع

الادعاء بتحريف الكتاب المقدس هل تم قبل ظهور الإسلام أم بعده.

تمهيد:

اتهامات إسلامية خطيرة بتحريف التوراة والإنجيل ولكن ليس لها أى أساس من الصحة قرآنياً:

الدارسون للقرآن الكريم من أخوتى المسلمين الصادقين والمجردين من الهوى **يعرفون انه لا تحريف فى التوراة والإنجيل**، وأن ما ذكره القرآن الكريم عن التحريف **يقصد به التحريف فى التأويل والتفسير** من بعض اليهود (فريق منهم)، **وليس تحريفاً فى النص الكتابى**، وينحصر هذا التحريف **فى التأويل** الذى ذكره القرآن الكريم فى **قضيتين فقط على وجه التحديد** فى **"التوراة " وهما:**

القضية الأولى : وهى الخاصة بإنكار ذكر محمد نبى الإسلام من اليهود عند تفسير إحدى الآيات التوراتية عن " النبى الآتى " أو نعت النبى فى التوراة.

القضية الثانية: وهى الخاصة **" بعقوبة بالجلد ", بدلاً من " الرجم ", لزانيين من أشراف يهود خيبر** والذين احتكموا لنبى الإسلام **للهروب من عقوبة الرجم في توراتهم.**

أما بالنسبة " للإنجيل ":

فلم تذكر آية واحدة قرآنية تدل على تحريف المسيحيين لإنجيلهم. ولا ينسب القرآن الكريم للمسيحيين والإنجيل أية شبهة فى التحريف. **والذين قالوا بالتحريف** هم أولئك الذين **أساءوا الفهم لبعض المفسرين الإسلاميين لقضيتين فقط أيضاً في الإنجيل على وجه التحديد أيضاً وهما:**

القضية الأولى : حول طبيعة السيد المسيح المتميزة **" بإتحاد اللاهوت بالناسوت "**، وبالتالى **" التثليث والتوحيد فى الذات الإلهية "، وهو خلاف ظاهرى فقط.** وهو ما أثبتناه بالتفصيل فى كتابنا السابق **(حقيقة التجّسد).**

القضية الثانية : وهى أيضاً **ناتجة من عدم اقتناع بعض الأخوة المسلمين بأن هذا الإنجيل الذى بين أيدينا اليوم ليس هو الإنجيل المنزل على عيسى، وهذا الفهم الخاطئ يستند** على قولهم

بأنه يوجد عند المسيحيين **أربعة أناجيل** (متى- مرقس- لوقا- يوحنا)، أما الإنجيل الذى نزل على عيسى **وهو إنجيل واحد فقط** وقد أختفى هذا الإنجيل. والبعض يدّعون أن **إنجيل برنابا (المزيف)** هو الإنجيل الصحيح. وباقى الأناجيل **(الصحيحة)** هى مزيفة ومنحولة.!؟. **وسوف نناقش هذه القضية فى فصل لاحق.**

أما المحدثين ممن يرمون التوراة والإنجيل بالتحريف فى العصور اللاحقة. فأنهم أيضاً يدّعون التحريف فى ثلاث قضايا أخرى، سنفصلها فى الفصل الثامن من هذا الكتاب.

وهى على وجه التحديد أيضاً وهى:

القضية الأولى: النبى الآتى مثل موسى ومن أخوته. من التوراة.
القضية الثانية: الذبيح هل هو إسحق أم إسماعيل. من التوراة.
القضية الثالثة: المعزى (الروح القدس) ونبى الإسلام. من الإنجيل.

أما باقى القضايا الأخرى فهى قضايا ثانوية لا تحتاج إلى إيضاح لتفسيرها، لأنها واضحة لمن يقرأها قراءة واعية كاملة بنزاهة وحيدة، في سياقها العام من الآيات، وليس باقتطاع جزء من أية وترك بقيتها، لكى يسهل عليهم إدعائهم بالتحريف بتفسيراتها.

ومع ذلك سنأتى على سبيل المثال ببعض منها للتدليل فقط.

أذن قضية التحريف وما يشاع عنها في الأوساط الإسلامية ضد التوراة والإنجيل تنحصر في تلك القضايا السبع الرئيسية، أما القضايا الثانوية، فهى ناتجة عن استقطاع آية من هنا وآية من هناك بنظام " **القص واللصق** "، وكذلك بمبدأ " **لآ تقربوا الصلاة ...**" وترك بقية الآية التى توضح سبب نزول الآية، وهى " **.. وانتم سكارى** ".

ولذا سنناقش القضايا الرئيسية السبع وهى التهم الشائعة بين العامة، وأيضاً بعض من أمثلة النوع الثانى من الاتهامات الثانوية.

وقبل البحث فى أدعاء تحريف الكتاب المقدس من الوجهة الإسلامية. سنسأل سؤال محدد ومنطقى لمدعين التحريف في التوراة والإنجيل. وهو:

هل الكتاب المقدس هو من عند الله، أم هو من عند البشر؟.

كل الأنبياء يؤكدون أنه من عند الله. **وكذلك القرآن الكريم يؤكد أن هذا الكتاب هو من عند الله.**لأنه يجعل (**التوراة والإنجيل والقرآن**) فى **منزلة واحدة** كما جاء فى سورة التوبة:

*{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله، فَيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى **التوراة والإنجيل والقرآن** }.*

(التوبة ١١١).

وفى (سورة النساء ١٣٦):

{ يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزل على رسوله (القرآن)، *والكتاب الذى أنزل من قبل* (التوراة والإنجيل)**}**.

فالكتاب المنزل فى الثلاثة واحد بتصريح القرآن، ولجميعهم قيمة واحدة لأن مصدرها واحد. والثلاثة هم الذكر الحكيم: كما جاء فى سورة الأنبياء:

{هذا ذكر من معى (القرآن) ***وذكر من قبلى*** (التوراة والإنجيل) **}.**

(سورة الأنبياء ٢٣)

وقد فسره الجلالان:

ذكر من معى أى أمتى، وهو " **القرآن** " ، وذكر من قبلى أى من الأمم وهو " **التوراة والإنجيل** " **وغيرهما من كتُب الله (كُتب الأنبياء ما بين موسى والمسيح).** "

وأيضاً يقول القرآن:

*{ قل : آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، **وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم،** لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون}*

والثلاثة هى الفرقان: كما جاء فى (ال عمران ٣٠١):

{ نزّل عليك الكتاب (القرآن) ***بالحق، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان*** **}.**

وأيضاً فى سورة (**الفرقان ١**):

{تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده }.

وفى سورة (**الأنبياء ٤٨**):

{كما آتينا موسى وهارون الفرقان }.

فالكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) **هى الفرقان.** كما صرح القرآن الكريم فى سورة (ال عمران ٣٠١): **بأن الثلاثة من عند الله** وهى عقيدة راسخة.

(الم. الله، لا إله إلا هو، الحى القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق،
مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ...}.

وقال أيضاً أن التوراة التى جاء بها موسى. وكُتب الأنبياء الذين جاءوا من بعده، والإنجيل الذى جاء به عيسى، والقرآن الذى جاء به محمد. **وأتباع هذه الكُتب هم موحدون بالله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما جاء فى سورة (البقرة ٦٢):**

{ إن الذين آمنوا (المسلمين) **والذين هادوا** (اليهود) **والنصارى** (المسيحيون) **والصابئين** (١)
من آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً،
فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون }.

القرآن الكريم يؤكد أن **كل ما هو من عند الله من شريعة لا يمكن تبديلها أو تحريفها.** والقرآن الكريم يؤكد أن **" التوراة والإنجيل والقرآن " من عند الله وهو المهيمن على كتُبه والحافظ لها.**

ولكن بعض الأخوة المسلمين ينكرون، لأسباب معروفة، أن القرآن الكريم يشهد بصحة الكتاب والإنجيل فى عهد محمد نبى الإسلام. ويقولون من عندياتهم أن شهادة القرآن بصحة التوراة والإنجيل، هى التوراة التى نزلت على موسى، والإنجيل الذى نزل على عيسى، وليس التوراة والإنجيل الحاليين الذين بين اليهود والمسيحيون اليوم !!؟ .

سبق وبيّنا استحالة تحريف التوراة والإنجيل منطقياً وعقلياً. وأوضحنا أيضاً استحالة فقد التوراة أو الإنجيل لأى سبب من الأسباب، كما وضحنا أيضاً استحالة التحريف لكتاب الله. ووضحنا ايضاً أن التوراة والإنجيل فى منزلة القرآن الكريم بشهادة القرآن الكريم نفسه.

والقرآن الكريم يؤكد على ان التوراة والإنجيل هما من عند الله وهو الذي أوحاهما وانزلاهما وهما الذكر، وهما الفرقان وأصحابها موحدون بالله.

" ويؤمنون بالله واليوم الآخر... ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

وبالتأكيد أن تلك الآية السابقة **تقصد أهل الكتاب من يهود ونصارى، كما جاءت بالأدلة والقرائن الكثيرة من الآيات القرآنية التى أوردناها وسنوردها فى فصول لاحقة، والتى تم تفسيرها من كبار المفسرين الإسلاميين.**

---

(١) الصابئون هم فريق من اليهود كانوا موجودون فى شط العرب. ويشاع أنهم من أتباع يوحنا المعمدان.

وليس كما يدعّى بعض المفسرين الغير متخصصين فى تفسيرهم لتلك الآية، كما جاءت فى بعض القنوات الفضائية بقولهم " المؤمنين بالله واليوم الآخر"، هم المقصودين من اليهود والنصارى الذين دخلوا فى الإسلام فقط ؟!، ولم تقصد اليهود والنصارى الذين على يهوديتهم أو على نصرانيتهم!.

لأنه إذا كانت الآية تقصد ما يقولون حقاً، لماذا لم تذكر الآية أيضاً الوثنيون وعابدى الأصنام والمشركين الذين دخلوا فى الإسلام من بعد شركهم ووثنيتهم وأصبحوا "مؤمنين بالله واليوم الآخر"، والجنة تحت أقدامهم، وهم كانوا قبل إيمانهم مشركين.

أليس جميع الصحابة كانوا مشركين وعابدي الأصنام وكذلك الجميع الذين دخلوا الإسلام فى عهد نبى الإسلام وكانوا يعبدون الأصنام، "مناة واللات والعزى" قبل إسلامهم وأصبحوا من حاملى لواءه، وكيف يتفق هذا مع قول القرآن الكريم إنه " انزل التوراة والإنجيل هدى للناس " كما سبق توضيحه.

وإذا كانت الآية الكريمة تقصد كل هؤلاء على إطلاقهم، من وثنيين وكفار ومشركين ويهود ونصارى..الخ. على اعتبار أن كل من يدخل الإسلام، مهما كانت هويته قبل إسلامه سواء كتابى أو وثنى أو كافر " يصبح مؤمناً بالله واليوم الآخر" لأصبح نص الآية كالآتي:

{ (...... مع حذف هذا الجزء مؤقتاً.....)، إن الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، وعملوا صالحاً، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون }.

ومن النص السابق للآية بعد افتراض الحذف المؤقت لهذا الجزء المشار إليه، نجد أن الآية الكريمة تصبح كاملة ومنطقية وغير ناقصة، وتتوافق تماماً مع تاريخ الإسلام وهدايته لكل الطوائف الذين دخلوا الإسلام، على اعتبار أن كل الذين دخلوا فى الإسلام على إطلاقهم، من بعد شركهم من الوثنيين، أو من أهل الكتاب وغيرهم. فأصبحوا:

" مؤمنين بالله واليوم الآخر. ولا خوف عليهم ولا يحزنون".

وحيث أن الآية الكريمة ليست كذلك، والله لا ينقصه التعبير، لذا المقصود من تلك الآية، هى تماماً ما شرحه كبار المفسرون الإسلاميون. كما أن الكثير من الآيات القرآنية سنوردها لاحقاً تثبت تلك الحقيقة.

وعلى سبيل المثال أن قول القرآن الكريم: " إن الذين آمنوا بالله واليوم الآخر "، المقصود بهما اليهود والنصارى أيضاً، وهم على ديانتهم، وليس على ديانة الإسلام أو دخولهم فيه كما جاءت فى الآية:

(ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون،
يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،
ويسارعون فى الخيرات، وأولئك من الصالحين)
(ال عمران ١١٣- ١١٤).

فاليهود، فى زمن محمد ص " يتلون آيات الله "، والنصارى، فى زمن محمد ص " يتلون آيات الله، آناء الليل، وهم يسجدون ". وهم " الذين آمنوا بالله واليوم الآخر " سواء اليهودى أو المسيحى، فالتوراة والإنجيل، والكتاب كله، كما يتلوه أهله فى الحجاز، على أيام نبى الإسلام هو " آيات الله " فكيف يقول من يقول أن المقصود بأن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين دخلوا الإسلام فقط؟!.

فأيهما نصدق، هل نصدق قول القرآن الكريم، أم نصدق هؤلاء المفسرين لتلك الآية؟.

وفى زمن نبى الإسلام لم يزل الكتاب المقدس " آيات الله " كما نزلت.

والآن سوف نناقش ما لمقصود بالتحريف للتوراة والإنجيل والذى جاء ذكره فى القرآن الكريم. ولقد سبق وأشرنا أن التحريف الذى يقصده القرآن فى التوراة هى تحريف فى التأويل وليس تحريفاً فى النص وذلك فى القضيتين الذى سبق ذكريهما.

وتأخذ شبهة التحريف فى القرآن الكريم ثلاثة أشكال (١):

١- كتمان بعض الكتاب عن الناس.
٢- اللي بالألسن طعناً فى الديـن .
٣- تحريف الكلام عن مواضعـه.

(١) من كتاب القمص سرجيوس في التحريف.

أولاً : كتمان بعض الكتاب عن الناس:

لقد نشب صراع بين نبى الإسلام واليهود على زعامة المدينة، وبالتالى على نبـوته، وفيها يُتّهم اليهود بكتمان الحق الذى فى التوراة، وفى سورة البقرة نرى جانباً من هذا الصراع والخاص بكتمان الحق عن نبوة محمد نبى الإسلام، واليهود ظلوا ينكرون ذلك طيلة عهد الدعوة القرآنية كما جاء فى الآيات الآتية:

{ **يا بنى إسرائيل** ...آمنوا بما أنزلت **مصدقاً لما معكم**، ولا تكونوا أول كافر به، ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً، وإياى تتقون فاتقون. ولا تلبسوا الحق بالباطل، **وتكتموا الحق وانتم تعلمون** ...أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟}.

(البقرة ٤٠ – ٤٤).

فالقرآن الكريم يردع اليهود عن الكفر به قبل الجميع، مع أنه مصدق لما معهم. فالقرآن أذن يصدّق على ما هو مع بنى إسرائيل من الكتاب، وهذا التصديق خير شاهد على صحة التوراة وعدم تحريف نصها. فإذا كانت التوراة محرّفة فى عهد نبى الإسلام، لما جاءت تلك الآية لتؤكد على صحة ما بها، أى لا تحريف عندهم.

وهل القرآن الكريم يصدق على توراة محرّفة ؟ وكتاب محرّف !.

ويقول: { ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً }: فآيات الكتاب الذي مع اليهود **لم تزل آيات الله " آياتى "، أى أنها صحيحة لا تحريف فيها فى زمن النطق بها فى عهد نبى الإسلام.**

ويقول: " وأنتم تتلون الكتاب ":

فالكتاب الذى معهم لم يزل كتاب الله، **ولو دخله تحريف لما قال إنه "كتاب الله ".**

ثم يتهمهم " بتلبيس الحق بالباطل " **أى كما قال الجلالان:**

" **لا تخلطوا الحق الذى أنزلت عليكم بالباطل الذى تفترونه** ". فتلبيس الحق بالباطل هو **أدق تحديد للتأويل الباطل.** أى **أن التحريف فى التأويل أو التفسير وليس فى تغيير النص.**

فالقرآن الكريم أذن يشهد ان بنى إسرائيل يتلون فى الكتاب الحق المنزل، **حتى ولو فسروه على هواهم، فالكتاب الذى مع بنى إسرائيل هو الحق المنزل فى زمن نبى الإسلام. لأن الكتاب لو أصابه التحريف فى زمن محمد ص لما قال عنه أنه الحق المنزل.**

ثم يُقرن القرآن الكريم تلبيس الحق بالباطل، بكتمان الحق:

والاثنان يفسر بعضها بعضاً. يقول:

{ ولا تكتموا الحق وانتم تعلمون }. أى لا تكتموا الحق الذى فى الكتاب.

فما هو الحق الذى يكتمونه ؟ قال الجلالان:

" ولا تكتموا نعت محمد وانتم تعلمون أنه حق ". فقد كان محمد من **يستشهد بالتوراة على صحة نبوته، فينكر اليهود عليه ذلك. فالخلاف أذن فى التأويل أو التفسير، لا فى كتمان النص أو تحريفه أو تبديله.**

{أم تقولون: ان ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل: أانتم أعلم أم الله ؟ ومن اظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله! وما الله بغافل عمّا تعملون }.

(البقرة ١٤٠).

وكان الجدال أيضاً فى الآية السابقة على " الهدى "، (البقرة ١٣٥ – ١٤١). **بين اليهود ومحمد فى تفسير " الهدى "**. كان اليهود يشتقون كلمة " **الهدى** " من أسمهم فيقولون:

"كونوا هوداً تهتدوا " (١٣٥).

فرد عليهم القرآن أن الهدى فى الإسلام **لم تشتق من صفة اليهودى** وإنما هو كل من الذى يؤمن:

{بما أوتيَ موسى وعيسى ، وما أوتيَ النبيون من ربهم ،
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون } (١٣٦).

فيردون عليه:

﴿ ان إبراهيم واسحق ويعقوب كانوا هودا ﴾ (١٤٠).

فيرد عليهم ويقول:

"ما كان ابراهيم يهودياً او نصرانياً وإنما كان مسلماً حنيفياً "

ويستشهد بالتوراة التى معهم فى زمن محمد ويتّهم اليهود **بكتمان شهادة التوراة، كتماناً لفظياً** (معنوياً) **بالتأويل المغلوط:**

{ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله }(١٤٠).

واستشهاد القرآن الكريم بالتوراة لخير دليل على صحتها، كما هى فى أيديهم فى عهد نبى الإسلام.

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم،
وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } (١٤٦).

فالجدال هنا مع اليهود على نبوة محمدص. قال الجلالان:
" **أهل الكتاب** يعرفون محمد كما يعرفون أبنائهم بنعته في كتبهم. " **وأن فريقا منهم يكتمون الحق** ـــ أي نعت محمد ـــ **وهم يعلمون".**

ومن الواضح ان الكتمان المقصود هو التأويل الخاطيء للتوراة التى تشهد لمحمد نبى الإسلام. وما يكتمه فريق، يفضحه الفريق الآخر: أذن لا خوف على النص لا من الكتمان المادى، ولا من الكتمان المعنوى أى التأويل.

وواضح أيضاً أن التأويل المغلوط **من فريق أو بعض من اليهود فقط. وهى لا تمس نص التوراة فى شئ.**

{ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى، من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون }.

(البقرة ١٥٩).

أن القرآن الكريم يلعن **الفريق من اليهود الذى يكتم معنى الكتاب عن** الناس. ومعنى الكتاب أى **التأويل فى التفسير وليس التغيير فى النص. كما أن ذكره فريق منهم،** لا يعنى كل اليهود. **أى لا خوف على النص لأن الفريق الآخر يقف له بالمرصاد.**

*{ **إن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب،** ويشترون به ثمناً قليلاً ... أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة، فما أصبرهم على النار ! ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق، وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفي شقاق بعيد! }.*

(البقرة ١٧٤ – ١٧٦)

هنا يظهر شقاق الفريقين من اليهود على اختلافهم فى الكتاب. ففريق منهم بتأويلهم الفاسد اشتروا الضلالة بالهدى. والفريق الآخر بقى على الهدى فى حفظ الكتاب وتأويله.

وفى الآية شهادة مزدوجة على صحة الكتاب
المتداول فى الحجاز على زمن محمد ص.

أن فريقاً منهم " **يكتمون ما انزل الله من الكتاب** " : فالقرآن الكريم يشهد بأن الكتاب **فى زمنه منزل من الله**، ويشهد أيضاً " **بأن الله نزّل الكتاب بالحق** ". كما هو **فى زمن محمد نبى الإسلام والقرآن.**

وفى سورة (ال عمران) **يظل الجدال قائماً بين نبى الإسلام وبين اليهود على زمانه على صحة** رسالته**: يستشهد نبى الإسلام بالكتاب فينكرون عليه صحة شهادته كما فى الآيات الآتية:**

{*ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلوكم ...*
يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل، وتكتمون الحق وانتم تعلمون }. (٦٩ – ٧١).

قال الجلالان: " لِمَ تخلطون الحق بالباطل وتكتمون الحق أي نعت محمد، وانتم تعلمون أنه حق ". فتهمة الكتمان **تدور كلها حول صفة محمد ص النبوية فى الكتاب.**

{ *وإذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب: لتبيننه للناس* ***ولا تكتمونه***، *فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، افبئس ما يشترون* }. (١٨٧).

الآية فى خطاب بحق اليهود أيضاً: إن كتمان حقيقة الكتاب، خصوصاً فى صفة محمد النبوية، هو ضد الميثاق الذى أخذه الله فى التوراة على اليهود، أن يظهروا الحقيقة ولا يكتمونها بتأويلهم. وهذا شهادة على صحة الكتاب.

تلك هى تهمة الكتمان فى دعوة القرآن الكريم: أنها تقتصر على خلاف بين نبى الإسلام واليهود في دلالة الكتاب على نبوته. **فأنها أذن قضية تفسير وتأويل.**

فليس فيها ما يمس نص الكتاب الذى يعلنه القرآن الكريم مراراً على صحته فى عهد محمد نبى الإسلام.

****

ثانياً: تهمة اللّى فى اللسان فى تلاوة الكتاب:

تَرِد التهمة فى آيتين يفسر بعضهما بعضاً:

{*وأن منهم لفريقاً يَلوُون ألسنتهم بالكتاب، لتحسبوه من الكتاب ! وما هو من الكتاب، ويقولون:*
هو من عند الله – وما هو من عند الله.
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}
(ال عمران ٧٨).

وأيضاً:

{من الذين هادوا يحرّفون الكَلِم عن مواضعه، ويقولون: سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع، وراعنا ليًّا بألسنتهم، وطعناً بالدين }

(النساء ٤٥).

يصرح النص على أن فريقاً " من الذين هادوا " يلوون ألسنتهم فى تلاوة الكتاب، أى يقرءونه بغير القراءة الصحيحة، ويعتبرون قراءتهم هى المنزلة، وما هى بالمنزلة. ويعطى مثالاً على تلاعبهم فى الكلام قولهم:

" راعنا " فإذا لفظوها " راعْنا " عنت بلغة اليهود أرعن.

فالتهمة هى قراءة مشبوهة لآيات فى الكتاب يقصدون بها غير ما قصده الله بها فى كتابه العزيز. واختلاف القراءات، سواء كانت صحيحة أو مشبوهة، **شئ مألوف فى التوراة والإنجيل والقرآن، واختلاف القراءات لا يمس حرف النص، فهو سالم.**

واللي باللسان فى تلاوة الكتاب، أي القراءة المختلفة، يجمعها فى الآية إلى تحرّيف الكلام عن مواضعه.(النساء ٤٥). فيكون التحريف المقصود بالتهمة القرآنية **هو القراءة المختلفة.**

وهذه شهادة سلبية على سلامة نص الكتاب (التوراة)، من التحريف. والأهم من ذلك أن من يقوم بذلك التلاعب فى قراءة الكتاب **إنما هو فريق من الذين هادوا، وليس كلهم.**

ولا دخل للنصارى فى التهمة كلها على الإطلاق.

ثالثاً: تهمة التحريف نفسها:

ترِد تهمة التحريف فى خمسة مواضع: فى سورة البقرة:

*{ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم، **وقد كان فريق منهم** يسمعون كلام الله **ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه**، وهم يعلمون }*.(٧٥).

قال الجلالان: " أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمن لكم اليهود، **وقد كانت طائفة منهم** يسمعون كلام الله فى التوراة **ثم يحرّفونه أي يغيرونه من بعد ما عقلوه**، وهم يعلمون".

قال البيضاوى: " **أفتطمعون أن يصدقونكم** – يعنى اليهود – **وقد كانت طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله أي التوراة ثم يحرفونه " نعت محمد ص وآية الرجم "، أو تأويله ويفسرونه بما يشتهون.** وقيل: هؤلاء من السبعين المختارين (على زمن موسى) ... **من بعد ما عقلوه، أي**

فهموه بعقولهم ولم يبق فيه ريبة. ومعنى الآية ان أحبار اليهود ومقدّميهم كانوا على هذه الحالة، فما ظنك بسفلتهم وجهالهم، وأنهم وان كفروا وحرّفوا فيهم سابقة فى ذلك ".

ما معنى " يلّوون ألسنتهم بالكتاب "؟ .

قال البيضاوى: " يفتِلون ألسنتهم بقراءة الكتاب ... ويجوز ان يُراد: يغلطون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشَبه من الكتاب ". فالكلمة لها معنيان:

الأول : فتل إللسان فى التلاوة نفسها .

والثانى: تعقيب التـــــلاوة بشبَه عليها.

فالمعنى الثانى تفسير لا يمس النص. والمعنى الأول قراءة مغلوطة للنص نفسه، فهى أذن لا تمس النص أيضاً.

فالحديث هنا عن تحريف فريق من اليهود على زمن موسى. وهب انه يقصد تحريفهم على زمن محمد فالتحريف واقع من فريق، لا يقرهم عليه الفريق الآخر.

والفريق المنافق لا يغيّر النص نفسه بل يغيّر معناه، أي كما يقول البيضاوى: " يؤولونه ويفسرونه بما يشتهون ". وآنى لهم أن يغيروا النص والفريق الآخر لهم بالمرصاد!.

وتهمة التحريف أي التأويل تنحصر كلها، بإجماع المفسرين، فى أمرين:

وهما " نعت محمد، وآية الرجم ". فمحمد ص يرى صفة نبوته فى الكتاب، واليهود لا يرونها. فالخلاف فى التأويل لا فى تغيير النص.

وقد فسر بعض اليهود رجم الزاني والزانية بالجلد والضرب، بدل من الرجم، كما سنرى، فالخلاف أيضاً بين نبى الإسلام وفريق من اليهود في تأويل حكم التوراة، لا في تحريف نصّها، كما تدل القرينة فى قوله:

{ يحرفونه من بعد ما عقلوه، وهم يعلمون } أي من بعد ما فهموه حقَّ فهمه.

فليس في " التحريّف " المذكور فى آية البقرة من تحريف فى الحرف أو النص، وذلك بنص القرآن القاطع فى الآية (١٢١):

{ الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته }

أي يقرءونه كما انزل وهذه الآية (البقرة ١٢١). تقطع قطعاً مبرماً كل تهمة بتحريف. وعلى كل حال فالكلام فى اليهود وتوراتهم، لا فى النصارى وإنجيلهم.

كما جاء فى سورة النساء (٤٥):

{من الذين هادوا، يحرفون الكَلِم عن مواضعه، ويقولون: سمعنا وعصينا. واسمع غيرُ مُسمعٍ. وراعنا. ليّاً بألسنتهم وطعناً فى الدين. ولو انهم قالوا: سمعنا وأطعنا. واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم. ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا}.

أوجز البيضاوى موقف المفسرين جميعاً بقوله:

" **من الذين هادوا قوم " يحرفون الكلام عن مواضعه "، أي يميلونه عن مواضعه التي** وضعها الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها. **أو يؤولونه** على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه". **فالتحريف إذن تحريف فى التأويل أو التفسير فى المعنى. فلا تغيير فى النص، كما** ان الفاعلون ذلك التأويل **بعضهم: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه "**، فالبعض الآخر **لا يقرونهم فى ذلك**، لأنهم، بنص القرآن القاطع: " **يتلون الكتاب حق تلاوته " أي كما " أنزل". ثم إن المفسرين يترددون بين تغيير النص، أو تأويل المعنى، فلا أحد يجزم بتغيير حرف النص. والقرآن يقول: " عن مواضعه "، ويسمّي ذلك " ليّاً بألسنتهم "**، ويعطى على ذلك ثلاثة أمثلة: " **سمعنا وعصينا، واسمع غير مسمع، وراعنا "**. من هذه **الأمثلة نفهم: ان التحريف لا يقع على حرف التوراة نفسه، بل يقع فى كلام اليهود أنفسهم** فى مخاطبة نبى الإسلام، **فهم يتلاعبون فى كلامهم ما بين لغتهم** (العبرية) **والعربية، كقولهم فى " راعنا " و" رَعْنا " اي " يا أرعن"** في لغتهم. **فالتحريف يقصد كلام اليهود مع النبي لا كلام التوراة**، بدليل قوله: ***"طعناً فى الدين "***. **وهب أن التحريف المقصود يقصد التوراة نفسها، فالآية تفسر التحريف، بقولها: " ليّاً بألسنتهم " أي يقرءون التوراة، فى المواضع المقصودة، بقراءة غير صحيحة، والنص يبقى سالماً بلا تغيير.**

لذلك فتفسير التحريف المقصود بأنه تغيير فى النص ذاته تنفيه كل القرائن القرآنية القريبة والبعيدة ... لذلك يرفض الفخر الرازى (المفسر الكبير)، **تفسير التحريف بمعنى تغيير النص ذاته فيقول:**

" لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ ".(فى تفسير المائدة ٤٤).
ويقول أيضاً: " أن تحريف التوراة والإنجيل ممتنع لأنهما كانا كتابين بلغا من الشهرة والتواتر إلي حيث يتعذر ذلك فيهما " (مجلد ٢ ص١٣٢، ١٣٣).

وكم أظهر دهشته عندما كان يسمع أن أحداً يقول **بتحريفهما** فقد قال فى تفسير آية ٤٦ من سورة النساء التى ورد بها القول:

" من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه " كيف يمكن التحريف فى الكتاب الذى بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور فى الشرق والغرب ". (مجلد٣ ص ٣٣٧، ٣٣٨).

وكرر الرازى عجبه هذا إذ قال: " لأن إخفاء مثل هذه التفاصيل التامة فى كتاب وصل إلى أهل الشرق والغرب ممتنع " (مجلد ٤ ص ٢١).

وهذا هو موقف صحيح البخارى:

" يحرّفون الكلام عن مواضعه أي يزيلونه، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من الله تعالى، ولكنهم يتأولونه على غير تأويله ". (أحمد أمين ضحى الإسلام: ٣٤٦، ٣٥٨)

أذاً ليس هناك تحريف للتوراة. والنصارى وإنجيلهم براء من ذلك.

وفى سورة المائدة:

{ ولقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل...فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، **يحّرفون الكلام عن مواضعه** ونسوا حظاً مما ذكروا به}. (١٣- ١٤).

وفى آية المائدة (١٤). نجد تعبير آية النساء نفسه (٤٥). فتعليقنا عليه واحد. ونلاحظ ان التهمة منسوبة إلى اليهود، لا إلى النصارى وإنجيلهم.

والرازى الكبير يفهمها مثل صحيح البخارى، فيقول:

" إن المراد بالتحريف إلقاء الشبهة الباطلة، **والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى الباطل، بوجوه الحيل اللفظية،** كما يفعل أهل البدع فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم. وهذا هو الأصح".

ولنا هنا قرينة على صحة تفسير البخارى والرازى، من الآية (١٦) التى تليها فى الخطاب نفسه لليهود:

{ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا، يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير }.

فالقرآن الكريم يقرن التحريف بالإخفاء، إخفاء المعنى المقصود، لأن النص كان شائعاً متواتراً فى العالمين قبل بعثة محمد ص. وهب حاول بعض من اليهود فى الحجاز بالتحريف فى إخفاء المعنى المقصود، فهل ينطبق هذا على اليهود كلهم فى دولة الفرس، وفى دولة الروم، وفى كل العالم !.؟ وموضوع التحريف فى آية المائدة (١٤) هو دائماً صفة نبى الإسلام فى التوراة.

قال الجلالان:

" يحرّفون الكلام الذي في التوراة من نعت محمد ص. **وغيره... وتركوا نصيباً مماً أمروا به في التوراة من أتباعِ محمد** ص". فالنبي العربي يتهم اليهود، **أو بالحرى فريقاً منهم بتأويل شهادة التوراة بحقه تأويلاً غير صحيح**. فالخلاف بين محمد ص واليهود على **تفسير النبي الموعود**. **تقول التوراة " بالنبي الآتي " مثل موسى، فقرأها محمد** ص **" النبي الأمي "**، فأنكروا ذلك عليه، كما أنكروه من قبل على عيسى ابن مريم. **وفي الحالتين، ان تفسير اليهود للآية في التوراة لا يمس حرفها.".**

والنصارى في ذلك كله براء من التهمة،
فلا يعنيهم اتهام القرآن الكريم على الإطلاق.

وفي سورة المائدة، النص الأخير في التحريف المزعوم:

{ ومن الذين هادوا، سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك. يحرّفون الكلام من بعد مواضعه. يقولون: أن أوتيتم هذا فخذوه، وأن لم تأتوه فاحذروا }.(٤٤).

فالتحريف هنا مقرون بقصة يشير إليها النص. فسّره الزمخشري فيقول:

" روي أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة، وهما محصنان، وحدّهما الرجم في التوراة. فكرهوا رجمهما لشرفهما. فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ص. **عن ذلك. وقالوا:**

إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا، وأن أمركم بالرجم، فلا تقبلوا. وأرسلوا الزانيين معهم. فأمرهم بالرجم. فأبوا أن يأخذوا به. فجعل بينه وبينهم حكماً ابن صوريا، من فدك. **فشهد بالرجم "**. وقالوا في ختام القصة، ان النبي، **بعد شهادة الحبر اليهودي من فدك، أمر برجمهما، فرجموهما عند باب المسجد، لإقامة حدّا التوراة عليهما.**

ويسجل لنا ايضاً ابن كثير في تفسيره لسورة المائدة (٥: ٤٨:٤٣). ان التوراة في عهد محمد ص **سليمة وكانت بين يدي نبي الإسلام نفسه، عندما جاء بعض اليهود يسألونه عن عقوبة الزنا، فأخذ الوسادة التي كان يجلس عليها ووضع التوراة فوقها، ثم أمسك بالتوراة وقال: "آمنت بك وبمن أنزلك ". وقد جاء الحديث نفسه في سنن أبي داود.**

(مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني رقم ٤٤٤٩).

وأسباب النزول كلها، والمحدّثون، والمفسرون كلهم يقرنون التحريف المذكور في سورة المائدة بقصة الزانيين من يهود خيبر. فالتهمة مقصورة على آية في التوراة، والتحريف المقصود هو " تفسير الرجم بالجلد "، وليس تغيير النص. بدليل أنه تم رجمهما وهو الحدّ

المكتوب فى التوراة بشهادة الحبر اليهودى الذى من فدك الذى طبّق نص التوراة. كما ان الذى أراد تفسير الجلد بدلاً من الرجم هو **فريق " من الذين هادوا " لا جميعهم** بشهادة فتوى ابن صوريا، وإقامة محمد ص الحد على الزانيين، بدون اعتراض ولا قتال، لكن فى أعراض ظاهر.".

وفى سورة (ال عمران ٢٣) **نفس المعنى المقصود لنفس القضية، فتقول الآية:**

{ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب، يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون }.

قال الجلالان : " نزل فى اليهود : زنى منهم اثنان. فتحاكموا إلى النبى ص. **فحكم عليهما بالرجم. فجيء بالتوراة، فوجد فيها. فرجما. فغضبوا ".**

فلو كان فى التوراة نفسها تحّريف لما سمأّها " كتاب الله". واستشهاد نبى الإسلام بتلاوة التوراة شاهد على انه يعتبرها "كتاب الله " فى زمانه. والتحريف المقصود هو فى تأويل معرض لآية واحدة، والدليل ايضاً أن عقوبة الزانى هو الرجم فى توراة اليهود، لم يحتكموا لهذا الحكم، فذهبوا لمحمد ليتم جلدهم تخفيفاً كحكم القرآن بدلاً من رجمهما فى حكم التوراة، ولكن نبى الإسلام طبق ما جاء فى التوراة التى بين يديه بالرجم فرجما.

وهذه هى قصة التحريف التى تملأ القرآن

من سورة (ال عمران) **الى سورة** (المائدة).

لذلك ينقض الرازى معنى التحريف بتغيير النص، ويفسّر التحريف المقصود بالتأويل الباطل: حيث أن **تغيير النص لا يمكن فى الكتاب المنقول بالتواتر.**

فمن تأويل فريق من اليهود لآية الرجم بالجلد – آية واحدة – **أطلق القوم تهمة التحرّيف النصى على التوراة كلها: فما أظلمهم بحق كتاب من كُتب الله !؟.**

والخلاف الآخر فى موضوع التحريف:

هو قراءة نبوّة موسى فى " النبى الآتى " بمعنى " النبى الأمى "، كما قرأها محمد ص **ومن معه فأنكر اليهود ذلك.** (سيأتي التفصيل فى الفصل الأخير من هذا الكتاب).

وهكذا تنحصر تهمة التحرّيف الوارد لفظها فى القرآن، بحق فريق من اليهود، فى لفظين من آيتين فى التوراة.

تلك هى التهمة الضخمة التى تملأ الكتب وصحف التفسير، متجنين على التوراة والإنجيل بأنهما محرفان !. وقد رأينا ما هو المقصود بالتحريف، فى تلك القضيتين الذى سبق توضيحيهما. وقد فاتهم أسلوب القرآن الكريم فى البيان وهو:

التخصيص فى مظهر التعميم :

فيذكر القرآن بعض آية من التوراة بلفظ التعميم:

" يحرفون الكلام عن مواضعه "

(النساء ٤٥).

أو ***" يحرفون الكلام من بعد مواضعه "***

(المائدة ٤٤).

وهو يقصد التخصيص كما تدل تلك القرائن كلها، فأخذها القوم المحدثون بمعنى التعميم. وهذا تفسير خاطئ مغرض لبيان القرآن الكريم. فهو يقول مثلا في سورة النساء:

{ يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله }.

(النساء ٥٣)

قال الجلالان:

"يحسدون الناس أي النبى ص. (على ما آتاهم النبى من فضله) **من النبوة وكثرة النساء. فالتخصيص هنا فى معرض التعميم هو أسلوب قرآنى معروف".**

وأيضا لأبن كثير: فى تفسير نفس الآية:

" **يعنى بذلك حسدهم النبى** ص **على ما رزقه من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه له لكونه من العرب وليس من بنى إسرائيل. ".**

(ص ٤٨٧ طبعة ١٨/١٠/١٩٩٣ الناشر المكتبة القيمة).

وهذه الشهادة القرآنية فى { **الذين يتلون الكتاب حق تلاوته** } **أي يقرؤونه كما أنزل كما** فسرها الجلالان. **فهى شهادة قاطعة على نفى التحريف وعلى استحالته فى "كتاب الله" كما يسميه القرآن فى أيامه. وهذا ما يراه أيضا أحمد أمين فى ضحى الإسلام (١) يقول:**

" وذهبت طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام إلى أن التبديل وقع **فى التأويل لا فى التنزيل ... ومن حجة هؤلاء أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها** (قبل ظهور محمد ص والقرآن)**، ولا يعلم عدد نسخها إلا الله، ومن الممتنع أن يقع التواطؤ على التبديل والتغيير فى جميع تلك النسخ، بحيث لا تبقى فى الأرض نسخة إلا مبدلة، مغيرة، والتغيير على منهاج واحد. وهذا ما يحيله العقل، ويشهد ببطلانه.**

قالوا: وقد بين الله تعالى لنبيه عليه السلام محتجا على اليهود بها:

" فأتلوا بالتوراة فأتلوها، إن كنتم صادقين ".

---

(١) ضحى الإسلام جـــ ١ : ص ٣٥٨

فالقول بتحريف الكتاب استناداً إلى متشابه القرآن فى استخدام لفظ " **التحريف** " **على التعميم فى موضع التخصيص، هو تحدٍ غير سليم للمنطق والتاريخ والعقل والقرآن نفسه.**

هذه هي النتيجة الحاسمة التى نصل إليها بعد استقراء القرآن الكريم فى التزّييف المزعوم وتفسيره.

ولا يوجد على وجه الإطلاق آية واحدة من القرآن الكريم تتهم المسيحيين تصريحاً أو تلميحاً بتحريف الإنجيل أو بعضه. لأنه:

أولاً : لا يقول القرآن الكريم بتحريف نصي أو لفظي فـي التوراة .
ثانياً : تهمة التحريف، لا تقصد النصارى وإنجيلهم على الإطـلاق.

****

(صحة الكتاب " التوراة والإنجيل " عقيدة فى القرآن (١))

أن القرآن يشهد بصحة الكتاب، وصحة التنزيل فى التوراة والإنجيل، على زمان نبى الإسلام فى الحجاز. وهذه الصحة المزدوجة عقيدة راسخة متواترة فى القرآن.

الشهادة الأولى :

{ يتلونه حق تلاوته }

قد يكون التحريف الذى يتّهم به القرآن **بعض اليهود** عدم تلاوة الكتاب حق تلاوته أي تلبيس حق الكتاب بباطل تفسيرهم وتأويلهم. **ويمنع من ذلك وجود فريق من أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته، ويفوّتون على ذلك الفريق تأويلهم الباطل:**

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، يَتْلُوَنَهُ حَقَ تِلاوَتِه، أُولئكَ يؤمنون بِهِ، وَمن يَكفُر بِهِ فأولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ.}
(البقرة ١٢١).

---

(١) من كتاب القمص سرجيوس عن التحريف للتوراة والإنجيل .

فسره الجلالان: " يتلونه حق تلاوته أي يقرؤونه كما أنزل ". وكذلك ابن كثير: " يتبعونه حق اتباعه.." (ج١ ص ١٥٦ ط ٩٣)، **فالكتاب يقرؤه كثيرون من أهله، فى زمن محمد فى الحجاز كما أنزل**، وهذه شهادة القرآن القاطعة بصحة الكتاب وصحة تنزيله وصحة تلاوته. **وهذه الشهادة القاطعة تثبت أن التحريّف المذكور فى القرآن هو التأويل الباطل لا تغيير اللفظ**، وهى تقطع كل تهمة أو شبه لتحريّف فى الكتاب كله. **كما أن أتباعه مؤمنين وليس بمشركين أو كافرين، ومن يكفر بهذا الكتاب فهو من الخاسرين.**

الشهادة الثانية:

{ الكتاب المقدس كله فى زمن محمد هو كتاب الله }

أن القرآن يسمى مراراً الكتاب الذى مع أهل الكتاب فى زمانه " كتاب الله ":

{ وَلَمَا جَاءَهُم رَسُولٌ مِنَ عِندِ الله، مُصَدِق لمَا مَعَهُم، نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ الله وَرَاءَ ظُهُورِهم كَأَنهُم لاَ يَعلَمُونَ }

(البقرة ١٠١).

فالقرآن يشهد بالكتاب، ويسميه " **كتاب الله** " ويعلن ان القرآن الكريم" **مصدق لما معهم** " **أي للكتاب الذى بين أيديهم. ثلاث شهادات** لصحة الكتاب فى **آية واحدة**، وأعظمهم تصريحه ان الذى معهم هو " **كتاب الله** ".

*{ إن انزلنا التوراة فيه هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا **من كتاب الله** وكانوا عليه شهداء.}.*

(المائدة٤٧).

هذه شهادة جامعة مانعة لصحة التوراة والكتاب كله من زمن موسى حتى عهد محمد. وهى شهادة فى خمس:

1. **إن التوراة فيها هدى ونور، ولم تزل هدى ونوراً.**
2. **أن التوراة حكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا: فظلت صحيحة طيلة عهد النبوة وظل الإسلام بها صحيحاً.**
3. **وظل أهل الكتاب " شهداء "** على الكتاب **حتى زمن محمد.**
4. **وفى زمن محمد يحكم الربانيون والأحبار { بما استحفظوا من كتاب الله }** فهو لم يزل فى عهد القرآن الكريم " **كتاب الله** ".
5. **فالتوراة، والكتاب كله الذى نزل مع " النبيين الذين اسلموا "، هو " كتاب الله " بنص القرآن الكريم القاطع. ولا يمكن ان يسميه كتاب الله لو ان عليه شبهة تحريّف !.**

{ وإن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة أنفقوا مماً رزقناهم سرآ وعلانية، يرجون تجارة لن تبور.. والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه (قبله) ..ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا }.

(فاطر ٢٩- ٣٢)

سياق النص يدل على ان الكتاب الذى يذكره القرآن هو الكتاب الذى نزل من قبله، وهو موجود مع " **الذين اصطفينا من عبادنا** ". فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات " (٣٢). **فهم أهل الكتاب**، لأنه لا يصف المسلمين بهذه الأوصاف. فالكتاب الذى هو بين أيدي أهل الكتاب هو " **كتاب الله** " الذى جاء القرآن مصدقاً له.

تلك بعض الشهادات، على سبيل المثال، تشهد بان الكتاب الذى يتلوه أهل الكتاب، فى زمن محمد نبى الإسلام، ويستشهد به القرآن نفسه، هو " كتاب الله ".

والنتيجة الحاسمة : يستحيل أن يسمى القرآن هذا الكتاب الذي يصدقه " كتاب الله " لو كان محرّفاً!.

الشهادة الثالثة :

} القرآن يشهد بتنزيل الكتاب الذى يتلوه أهله فى زمانه (١){

إيمان القرآن بتنزيل الكتاب، كما هو فى زمانه وفى الحجاز، يشع من كل سور القرآن الكريم، أنوار متعددة، كما جاء فى سورة البقرة (البقرة ٢١٣):

{ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق }

فالكتاب الذي نزل مع جميع الأنبياء هو منزل من الله بالحق. وعندما يستعمل القرآن " الكتاب " معرفاً على اطلاق، **فهو يعنى الكتاب المقدس، ما لم يكن هناك قرينة تفيد لغير المعنى المقصود.**

{ إن الذين يكتمون **ما** أنزل الله من الكتاب ... **ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق**، وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد }

(البقرة١٧٤ – ١٧٥).

هذه شهادة قاطعة على صحة تنزيل الكتاب الذى وصل إلى الحجاز والى محمد، وإن صحة تنزيله قائمة فى عهد النبى العربى، مهما اختلف أهل الكتاب فى تأويله، ومهما كتم بعضهم منه على العرب.

{ **الله ....نزل عليك الكتاب بالحق**، مصدقاً لما بين يديه،
وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس }.

(ال عمران ١ –٣)

---

(١) مازال الاقتباس من المرجع السابق للقمص سرجيوس

الله أنزل التوراة والإنجيل، وهما لم يزالا هدى للناس حتى عهد محمد فى الحجاز، فلو كان فيهما تحريف لما وصفهما بالهدى للناس فى زمانه، ولما كان القرآن تصديقا للتحريف!. فلو صدق القرآن لكتاب محرف، لشملت تهمة التحريف القرآن المصدق للكتاب المحرف؟

{ يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، فقد ضل ضلالا بعيدا }.

(النساء١٣٦).

القرآن يعلن ان التنزيل واحد فى القرآن " والكتاب الذي أنزل من قبل "، وهو يخاطب أهل زمانه، لا الزمان الغابر، ويطلب الإيمان الواحد بالقرآن والكتاب الذى انزل من قبل. فلا يطلب الإيمان بكتاب محرف، ولا يعلن التنزيل فى كتاب محرف !

{قل: يا أهل الكتاب هل تنقمون منا، إلا أن آمنا بالله،
وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل }.

(المائدة ٦١).

القرآن يعلن بأسلوب واضح وصريح ايمانا واحدا بالقرآن، وبما أنزل من قبل (التوراة والإنجيل) فهل يؤمن بكتاب محرف ؟.

{قل: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل
وما أنزل إليكم من ربكم }. (المائدة ٧١)

فهل يصح أن يحمل القرآن أهل الكتاب على إقامة التوراة والإنجيل، لو كان فيهما تحريف؟

{ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة والإنجيل فيها حكم الله }.

(المائدة ٤٦).

فالقرآن يشهد ان التوراة التى مع اليهود فى زمانه، وكذلك الإنجيل وهم من أهل الكتاب فيها حكم الله، فهل يصح ذلك لو كانت محرفة ؟.

{وآتينا الإنجيل فيها هدى ونور! وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه !
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }.

(المائدة ٤٩- ٥٠)

فهل يوجد أبلغ من هذا التصريح على صحة تنزيل الإنجيل الموجود فى زمان النبي العربى، إذ هو يطلب إلى أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فى الإنجيل فأولئك هم الفاسقون؟!.

{ ثم آتينا موسى الكتاب إماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء، وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون، وها كتاب أنزلناه مبارك ...أن تقولوا: انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنا عن دراستهم لغافلين }.

(الأنعام ١٥٤- ١٥٦)

فالقرآن ومخاطبوه من العرب يؤمنون بتنزيل الكتاب على اليهود والنصارى ويأسف العرب عن "دراستهم لغافلين". فهل هذا الإيمان يتحمل شبهة تحريف فى التوراة والإنجيل ؟!.

{ وقالوا: سحران (الكتاب والقرآن) **تظاهرا ! وقالوا: إنا بكل كافرون !**

قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه، إن كنتم صادقين }.

(القصص ٤٨- ٤٩)

القرآن يرد على المشركين الذين جمعوا الكتاب المقدس والقرآن الكريم في تكفير واحد بهما، أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما، فالكتاب الذي في عهد محمد في الحجاز، فيه وفى القرآن هدى من الله واحد. فهل يصح مثل هذا التصريح مع شبهة التحريف؟ كما جاء فى (الشورى ١٣- ١٥):

{ وشرع لكم من الدين ما أوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى... فلذلك فادع واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهوائهم، وقل: آمنت بما أنزل الله من كتاب }.

أن الله شرع للعرب فى القرآن دين إبراهيم وموسى وعيسى، ويؤمر محمد بأن يستقيم على الدعوة لهذا الدين، وأن يقول: { آمنت بما أنزل الله من كتاب }.

فنبى الإسلام يؤمن بكل كتاب أنزله الله من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى، أى يؤمن بالكتاب المقدس كله (التوراة والإنجيل)، فهل يصح مثل هذا الإيمان العارم، مع شبهة التحريف ؟. فالذين يفترون على القرآن الكريم بقولهم إنه شهد بتحريف فى التوراة والإنجيل، يجعلون القرآن يناقض بعضه بعضا؟ وتكذبهم شهادة القرآن المتواصلة بصحة تنزيل الكتاب كله، كما يؤمن به فى زمانه.

الشهادة الرابعة (١):

} إيمان القرآن بالكتاب {

أن إيمان القرآن المطلق بالكتاب الذى نزل من قبله برهان قاطع على صحته. فشبهة تحريف الكتاب إهانة لإيمان القرآن بالكتاب.

} وقل : آمنت بما انزل الله من كتاب { .

(الشورى ١٥).

محمد يؤمن بالكتاب الذى يعلم دين إبراهيم وموسى وعيسى: فهو من عند الله.

---

(١) من المرجع السابق للقمص سرجيوس

{ الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون }.

(البقرة ١- ٥)

{ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض }. (البقرة ٨٥)

القرآن يلوم اليهود على إيمانهم ببعض الكتاب (كتاب اليهود) وكفرهم ببعض: فهل يصح ذلك لو كان القرآن يشك فى صحة الكتاب كله أو ببعضه؟.

وهذا الإيمان بالكتاب الذي بين أيديهم هو قضية مبدأ وأمر واقع:

{آمن الرسول بما أنزل أليه من ربه، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله }.

(البقرة ٢٨٥)

فالمسلمون يؤمنون على عهد محمد، بإرشاده، بكتب الله ورسله جميعا:

فهل يصح مع ذلك تحريف أو شبهة تحريف !؟.

{قولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم: لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون }.

(البقرة ١٣٦).

{ها انتم أولا تحبونهم ولا يحبونكم، وتؤمنون بالكتاب كله }

(ال عمران١١٩).

فالمسلمون فى عهد النبى يؤمنون بالكتاب كله، فلو فيه تحريف لما سمح النبي العربى لقومه بالإيمان به! وهذا التصريح الواضح الذى لا يقبل اللبس ينفى عن " الكتاب كله" كل شبهة تحريف!. لذلك يعلن تكرارا:

{ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم، ولا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون }

(ال عمران ٨٤).

فهم لا يؤمنون بكتب الله كما نزلت فى الماضي، بل يؤمنون بها كما وصلت إليهم فى زمن محمد فى الحجاز. وهذا الإيمان المتواتر ينقض كل شبهة تحريف.

وإليكم هذا التصريح القاطع الجامع المانع بصحة الكتاب كله، في كل كتبه:

(يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذى انزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالا بعيدا)
(النساء ١٣٥).

لاحظ قوله: " الذى أنزل من قبل ".

فالإيمان بكتب الله ورسله هو ركن من أركان الإسلام، ولا يصح إسلام بدونه. وإيمان القرآن بصحة تنزيل الكتاب هو إيمانه بصحة تنزيل القرآن.

وهذا الإيمان بكتب الله ورسله له أجر عند الله كما جاء فى (النساء ١٥١):

{ والذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم، **سوف يأتيهم أجورهم،** وكان الله غفورا رحيما }.

فهل الإيمان بكتاب محرف له أجر عند الله !؟.

فالكتاب فى كل أجزائه (التوراة – الإنجيل) هو وحى الله مثل وحى القرآن كقوله:

{ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتينا داود زبورا .. وكلم الله موسى تكليما، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل }
(النساء ١٦٢).

فلو كان جزء من الكتاب محرفا، لكان للناس حجة على الله أن لا يؤمنوا به. والقرآن يعلن ان وحيه من وحى الكتاب، فلو كان على وحى الكتاب شبهة لطال الشبهة القرآن نفسه.

إيمان القرآن بصحة تنزيل الكتاب كما وصل إليه يحمل المسلمون على عتاب أهل الكتاب فى نقمتهم عليهم:

{قل: يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل من قبل }
(المائدة ٦٢).

فالمسلمون فى عهد محمد س، يؤمنون بالكتاب كله كإيمانهم بالقرآن: وهذه هى الشهادة على صحة الكتاب كما وصل إلى الحجاز فى عهد نبى الإسلام.

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم،
وقولوا: آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون}
(العنكبوت ٤٦).

فالتنزيل واحد فى الكتاب والقرآن، والقرآن يأمر المسلمين بالتسليم بصحة التنزيل فى الكتاب كله كما فى القرآن، وهو ذات الكتاب الموجود مع أهله فى زمن القرآن.

لذلك فالقول بشبهة التحريف فى الكتاب (التوراة والإنجيل) إهانة لإيمان القرآن به.

الشهادة الخامسة:
(القرآن يصدق الكتاب: فهل يصدق القرآن على كتاب محرف؟)

إيمان القرآن بالكتاب:

أمر القرآن الكريم المسلمين فى كل العصور حتى قيام الساعة أن يؤمنوا بالكتاب (كتب اليهود والنصارى) وهو أكبر شاهد على صحته من التحريف والتبديل كما وصل إلى نبى الإسلام والمسلمين.

كما ان القرآن يصدق على الكتاب وصحته. فهل يصدق القرآن على كتابا محر فا:

" وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم "
(البقرة ٤١).

" نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه "
(ال عمران ٣).

" وهذا كتاب أنزلناه مصدق الذى بين يديه "
(الأنعام ٩٢).

" والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق، مصدقا لما بين يديه "
(فاطر ٣١).

" وما كان حديثا يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه "
(يوسف ١١١).

فالقرآن الكريم يعلن بتكرار أنه تصديق الكتاب:

فلا يصدق القرآن على كتاب محرف،
وألا تلبس هو أيضا بشبهة التحريف، لتصديقه التحريف.

يردون على ذلك بقولهم ان:

القرآن يؤمن ويشهد للكتاب الذى كان نزل على الأنبياء، لا الكتاب الذى كان فى زمانه محرفاً. ولكن فاتهم، تصريح القرآن الكريم، بأنه " مصدق لما معكم " أربع مرات (البقرة ٤١ و ٨٩ و ٩١ و النساء ٤٦). **و" إنه مصدق لما بين يديه "** (اى قبله) **سبع مرات.**

فالقرآن يشهد للكتاب الذى مع أهل الكتاب فى زمانه وليس فى الزمن الغابر.

وهذه الشهادة تصبح لا قيمة لها إذا كان فى الكتاب تحريف أو شبهة تحريف.
لأنه إذا كان بالكتاب تحريف فشهادة القرآن للكتاب شهادة زور!
حاشا، أن يكون هذا.

ومن بين النصوص التى جاءت بالقرآن:" **مصدق لما معكم** " **وهذا يجزم** بأن القرآن يقصد دائماً **الكتاب الذى مع أهل الكتاب فى الحجاز على عهد نبى الإسلام.**

الشهادة السادسة:
{ القرآن يستشهد بالكتاب: فهل يستشهد بكتاب بمحرّف؟. }

{ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده }. (الأنعام ٩٠).

هنا يأمر القرآن الكريم الإقتداء بهذا الكتاب وأنبيائه. فكيف يكون الإقتداء إذا كان محرفاً؟.

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)
) المائدة ٤٦).

فالقرآن يقر ما جاء بأحكام منصوص عليها **بالتوراة** والتي فيها " **حكم الله** ".

قال البيضاوى:

يتعجب من تحكيم اليهود محمداً، والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى عندهم.
(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ؟) .

وكذلك فى الإنجيل:

(وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه .
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.)
(المائدة ٤٩ ــ٥)

وما ينطبق على التوراة ايضاً ينطبق على الإنجيل وفيها حكم الله. ومن لم يحكم بما جاء بالإنجيل فهم الفاسقون. وهل هناك أصرح من ذلك على صحة تنزيل الإنجيل فى زمان النبى العربى، فكيف يكون محرفاً وفى نفس الوقت يدعو محمد بإتباع أحكامه؟.

(ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة)

.(الأحقاف ١٢، هود ١٧).

وهنا يجعل القرآن كتاب موسى (التوراة) إمام القرآن فى الهدى والبيان: فهل يجعل القرآن الكتاب إماماً لو ان فيه شبهة تحريف ؟!.

(وإنه (القرآن) لتنزيل رب العالمين وإنه في زبر الأولين)

(الشعراء ١٩٣- ١٩٥).

وفى زبر الأولين أى فى" كتبهم التوراة والإنجيل " (الجلالان). هل يصح للقرآن وهو تنزيل رب العالمين، بأن يشهد بأنه فى زبر الأولين لو كان على تلك الزبر شبهة تحريف؟!.

(وما أرسلنا من قبل إلا رجالاً نوحى إليهم:
فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر)

(النحل ٤٣).

أن القرآن الكريم يحيل المشركين فى خلافه معهم إلى أهل الذكر (أى أهل الكتاب)، فهل يستشهد القرآن بمحرفين، أو بكتاب محرَّف؟.

(ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله،
ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون)

(ال عمران ٢٣)

إذا أختلف محمد نبى الإسلام مع أهل الكتاب فى حكم من الأحكام، فهو يستشهد عليهم بالكتاب الذى " معهم "، وهذا دليل إيمانه به وبصحته. والقرآن يحيل محمد نفسه، فى حال الشك من صحة القرآن إلى أهل الكتاب ليستيقن كما جاء بسورة يونس:

(فأن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك).

(يونس ٩٤).

وما كان القرآن ليحيل نبيه إلى محرفين وكتاب محرف، مهما يكن مقدار هذا التحريف، سواء هذا التحريف فى آية واحدة أو جزء من آية، أو حتى كلمة واحدة أو حرف واحد. أذن ليس الكتاب محرفاً، وذلك بنص القرآن القاطع الذى يقطع كل شبهة فى تحريف الكتاب.

وكيف يحيل الله محمداً ليستشهد بكتاب محرف.

وهذه شهادة بعدم التحريف من سبحانه تعالى ذاته.

فهل يجروء بعد ذلك من يناقض كلام الله ويقول أن كتابه محرفّ.

فأيهما نصدق:

هل نصدق الله الخالق الكامل الصادق،
أم البشر المخلوقين الناقصين صدقاً وكمالاً ؟!.
****

الشهادة السابعة:

{ القرآن يأمر أهل الكتاب بإقامة التوراة والإنجيل }

أن دعوة القرآن لأهل الكتاب بإقامة التوراة والإنجيل، لا معنى لها إذا كانت التوراة والإنجيل محرّفين ! فدعوته لإقامتهما، دليل صحتهما على زمانه فى الحجاز.

" قلّ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ،
وما أنزل إليكم من ربكم ما أنزل إليك من ربك "
(المائدة ٧١).

أن القرآن الكريم يدعوا أهل الكتاب إلى إقامة التوراة والإنجيل، لأنهما كتاب الله: ويشير إلى أن التنزيل فى التوراة والإنجيل من الله سبحانه " وما أنزل إليكم من ربكم ". والتنزيل فى القرآن أيضاً من الله سبحانه " ما أنزل إليك من ربك ". أى ان الله سبحانه مصدر التوراة والإنجيل والقرآن بشهادة القرآن نفسه، فكيف يكون هناك تحريفاً فى جزء من التنزيل دون الجزء الآخر؟!.

(لو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم. منهم أمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون).
(المائدة٦٩).

أى بما أن التوراة والإنجيل كتاب الله، فإن إقامتهما بالعمل بأحكامه، يكون مصدر سعادة لأهلها. ويقرن الدعوة بالشهادة ان الكتاب فى زمن محمد ص هو:

" ما أنزل إليهم من ربهم "

فلو كان في الكتاب تحرّيف، لما كان لدعوة القرآن وشهادته معنى.

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون).

لأن التوراة فى عقيدة القرآن الكريم هو كتاب الله فى زمانه. وبالتوراة يحكم النبيون الذين أسلموا أى " أنبياء بنى إسرائيل "للذين هادوا. فالتوراة صحيحة طيلة عهد الربانيون والأحبار حتى زمن محمد نبى الإسلام، فهم شهداء على التوراة ويحكمون لبنى إسرائيل فى عهد محمد، والقرآن يشهد لأهل زمانه أن:

(من لم يحكم بما أنزل الله (فى التوراة)، فأولئك هم الكافرون).

فالقرآن يكفر من لا يحكم " بما أنزل الله " فى التوراة، فهى تنزيل الله فى زمانه.

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله).

(المائدة ٤٦).

يستنكر القرآن الكريم ويستغرب من اللجوء للنبى العربى فى التحكيم لأمر من الأمور "وعندهم التوراة فيها حكم الله " فالقرآن يعلنها صريحة بأن التوراة فى زمانه هو حق وفيها حكم الله فهى ليست محرّفة، وأن اختلفوا فى تأويل أحكامها، والاختلاف فى التأويل والتفسير لا يمس النص بقريب أو ببعيد، كتأويل حكم رجم الزاني والزانية بحكم الجلد، واحتكموا إلى محمد فى التأويل الصحيح. فأتهم ما جاء بالقرآن الكريم من تأويل الرجم بالجلد أنه "تحرّيف" لمعنى حكم الله.

ويقول كتاب الإمام الفخر الرازى ص ٣٣٨:

" أنهم كانوا يدخلون على النبي صلعم ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه".

فتهمة التحريّف المذكورة فى القرآن الكريم كله لهذه المناسبة وحدها وهى تعنى التأويل الباطل، لا تغيير اللفظ أو النص لأن لفظ التوراة هو:"حكم الله".

(وأتيناه (عيسى) الإنجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الفاسقون).

(المائدة ٤٩- ٥٠)

فى عقيدة القرآن الكريم، أن الإنجيل نور وهدى لإتباعه، كما إنه هدى وموعظة للمتقين من العرب. ويأمر القرآن أهل الإنجيل بالحكم بما أنزل الله فيه، ويفسق فى دينه من لم يحكم بما أنزل الله فى الإنجيل. فالإنجيل أيضاً فى زمن محمد نبى الإسلام هو تنزيل من الله فيه الهدى للعالمين سواء من أهل الكتاب أو من الأمميين.

فهل بعد هذا التصريح من يقول أن الإنجيل محرّف ومبدّل، وقبل ذلك ذكر ان التوراة فيها حكم الله ويحث أتباعه للامتثال لحكمه لأنه حكم الله. ويصرح القرآن الكريم بأن من لم يمتثل لأحكامهما يكون من الفاسقين. فهل هذا الكتاب محرّف ؟!.

ومن الدعوة لإقامة التوراة الاحتكام إلى أحكامها:

" قل: فأتوا بالتوراة فاتلوها، إن كنتم صادقين "

(ال عمران ٩٣)

فلو كانت أحكامها محرّفة، لما احتكم نبى الإسلام في خلافه مع اليهود اليها.

والقرآن يطلب إقامة التوراة فى أحكامها لأنـها أحكام الله لأهل زمانـه أيضاً.

" **وكتبنا عليهم فيها** (التوراة) **أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص، فمن تصدق به فهو كفّارة له: ومن لم يحكم بما أنزل الله، " فأولئك هم الظالمون ".**

(المائدة ٤٨).

فأحكام التوراة لم تزل على عهد القرآن " **ما أنزل الله** " ومن لم يحكم بها فأولئك هم الظالمون. ولم تنسخ كما يدعى البعض. كما أنها ليست محرّفة كما يدّعى البعض الآخر ظلماً وبهتاناً.

والقرآن يحتكم إلى الكتاب، بصفة كونه " كتاب الله " فى زمانه، جملة وتفصيلاً:

(من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه مَن قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، .. **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات..**).

(مائدة ٣٥).

جاء رُسل الكتاب (رُسل بنى إسرائيل) **بالبينات دليلاً على صحته، ولم يزل كتاب الله ويستشهد به القرآن بأحكامه.**

"أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الدنيا، ويوم القيامة يرَدّون إلى أشّد العذاب.! وما الله بغافل عما تعملان".

(البقرة ٨٤- ٨٥).

يتضح من هذه الآية أن القرآن الكريم **يلّوم اليهود فى زمانه**، بالإيمان ببعض الكتاب والكفر عملياً ببعضه بسبب إقامتهم لبعض أحكام التوراة من دون البعض، **ويؤمنون ببعض ويكفرون ببعض** وكلها أحكام الله. وينذرهم بعذاب الآخرة **إذ لم يقيموا أحكام التوراة كلها. وهذا كله لإيمان القرآن بأن أحكام التوراة كلها أحكام الله وأحكامه قائمة فى زمان محمد.** ومن الأهمية ان نلاحظ هنا وفى الكثير من الآيات القرآنية المشابهة التى أوردناها على سبيل المثال وليس الحصر. سواء ما جاءت بخصوص أحكام التوراة أو أحكام الإنجيل، **وعلى اتباع تلك الديانتين الاحتكام لأحكامهما فى زمن محمد** نبى الإسلام، **ومن لم يحتكم لتلك الأحكام من اليهود والنصارى فهم فاسقون وظالمون.**

أى أن القرآن الكريم لم ينسخ أحكام التوراة أو أحكام الإنجيل فى وقت ظهور الإسلام، وآياته البينات التى تصرّح به. ومن المعروف **أن الإنجيل جاء بعد التوراة بأكثر من ١٥٠٠ سنة. وآيات القرآن جاءت بما يزيد عن ٢١٠٠ عام من تدوين التوراة على يد موسى النبى.**

وبعد أكثر من ٦٠٠ عام من تدوين الإنجيل بواسطة الحواريون. فإذا كانت أحكام التوراة وأحكام الإنجيل قائمة فى زمن محمد نبى الإسلام، الذى يحث اتباع تلك الديانتين بإتباع شرائعه وأحكامه، وان الخروج على تلك الأحكام من أتباع الديانتين يعرضهم للعذاب الأليم فى نار جهنم، ويعتبر من لم يطبق بتلك الأحكام الواردة فى التوراة والإنجيل بالفاسقين والظالمين.

فمعنى ذلك ان تلك الأحكام قائمة ولم ولن تنسخ بغيرها حتى قيام الساعة. بدليل ما جاء فى سورة ال عمران ٥٥:

(يا عيسى ابن مريم أنى متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك (المسيحيين)**، فوق الذين كفروا** (المشركين)**، الى يوم القيامة).**

معنى ذلك أن شريعة وأحكام الإنجيل قائمة وغير منسوخة إلى يوم القيامة، وهذا ما يؤكده القرآن الكريم فى الآيات التى ذكرناها سواء ما يخص التوراة وأتباعها من اليهود، وما يخص الإنجيل وأتباعه من المسيحيين.

وأيضاً هذا المفهوم يؤكده السيد المسيح مراراً فى مواضع كثيرة، فعلى سبيل المثال ما قاله السيد المسيح لليهود:

" ما جئت لأنقض الناموس (١) *أو الأنبياء* (٢) *ما جئت لأنقض بل لأكمل ".*

(متى٥: ١٧)

أى أن شريعة المسيح لم تنسخ أو تنقض أو تلغى شريعة موسى أو الأنبياء من بعد موسى، بل هو تتميم للشريعة، ولم يتم نسخها لأن كلام الله لا ينسخ ولا يتغير ولا يتبدل. وليس كما يدعى الأدعياء بنسخ القرآن لشريعة أهل الكتاب.

لأن كلام الله ثابت بثبوته، وباق ببقائه، لأن الله لا زمن له والمستقبل يراه كالحاضر وكالماضي، والتاريخ والإحداث لا تؤثر فى أحكامه كالبشر. لذا أحكامه باقية إلى يوم القيامة دون تغيير أو تبديل أو نسخ.

وهذا ما نراه واضحاً فى نصوص القرآن الكريم التى ذكرناها سابقاً بآياته البينات، بأن أحكام التوراة والإنجيل باقية ومعمول بها، ليس فى زمن محمد فحسب وإنما لكل زمان ومكان وحتى يوم القيامة.

ولم تلغى أحكام القرآن أحكام التوراة أو الإنجيل كما سبق التوضيح، بل العكس يحض القرآن الكريم إتباعه للمثول لأحكامه وشرائعه.

أن تغيير الأحكام من حين لآخر ومن زمن لغيره يضع الإنسان فى موضع الشك والحيرة والريبة فى أحكام الله. ويؤدى إلى بلبلة الفكر والعقل، وإلى الاعتقاد بوجود أكثر من إله.

(١)الناموس هو توراة موسى (٢) الأنبياء هم كُتب الأنبياء بعد موسى وقبل المسيح.

ويؤدى ذلك للاعتقاد أن لكل إله أحكامه وشرائعه. وهذا ضد الإيمان ولا يقبله الله ولا يشجع عليه أحد، من الضرورى ان تكون الشرائع متكاملة، متممة بعضها البعض وغير متناقضة وغير متناسخة. لأن الله واحد وهو مصدرها.

ومن هنا نرى عظمة ما جاء بالقرآن الكريم فى تأكيد هذا الاعتقاد. وأن كان البعض من أخوتى المسلمين يرون غير ذلك، وهم قلة، فهذا لا شأن بالقرآن الكريم فيما يدّعون. ويحمّلون آياته البينات بأكثر مما تحتمل.

كما إن القرآن الكريم كله شهادة متواصلة بصحة الكتاب الذى بين أيدي أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى الحجاز على عهد محمد. فلا مجال مع هذه الشهادة المتواصلة لشبهة تحريف فى الكتاب، وهو: " **الكتاب الذى نزله الله بالحق** ".

ومحفوظاً إلى زمن القرآن وحتى قيام الساعة.

الشهادة الثامنة:

{ أهل الكتاب فى زمن محمد يتلون كتاب الله، وآيات الله }

" وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم، جاءتهم رسلهم بالبينات، والزبر والكتاب المنير" (فاطر ٢٩).

" الكتاب المنير" هو " التوراة والإنجيل " (الجلالان)." كالتوراة والإنجيل، على إرادة التفصيل دون الجمع، ويجوز ان يراد بهما واحد، والعطف لتغاير الوصفين " كتفسير (البيضاوى).وعليه نقول:

تدل القرائن ان " **البينات** " كناية عن التوراة، " **والزبر** " كناية عن الزبور أي المزامير، " **والكتاب المنير**" كناية خاصة عن الإنجيل.

وسواء كان " **الكتاب المنير**" كناية عن الكتاب كله، أو عن الإنجيل خاصة، ما كان للقرآن ليسميه فى زمانه " **الكتاب المنير**" لو كان فيه تحريفاً !.

و " الكتاب المنير " يسميه فى آية لا حقه " **كتاب الله** " كما يتلوه أهل الكتاب:

(إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مماً رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور) (فاطر ٢٩).

فأهل الكتاب فى زمان محمد " **يتلون كتاب الله** ": فلو كان فى تلاوتهم شبهة تحريف، لما أسماه " **كتاب الله** ".

ويلّوم اليهود على تعليم البرّ للناس، وعدم العمل به، وهم الذين يتلون الكتاب:

(أتأمرون الناس بالبرّ، وتنسون أنفسكم، وأنتم تتلون الكتاب، آفلا تعقلون !)

(البقرة ٤٤)

(وأن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، خاشعين الله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، ان الله سريع الحساب).

(ال عمران١٩٩).

أى أن أهل الكتاب فى زمن **محمد** ص **يؤمنون بالله وبما أنزل إليهم، فما زال كتابهم تنزيل الله،** لا تحريف فيه، **" ولا يشترون بآيات الله "** التى عندهم فى التوراة والإنجيل (الجلالان) **" ثمناً قليلاً ": فالتوراة والإنجيل فى زمن محمد والقرآن همــا: " آيات الله ".**

(الله... نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس إن الدين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام).

(ال عمران ١-٤)

فالكفر عملياً **بكتاب الله** الذى معهم، طيلة تاريخهم، يجعل اليهود موضع وعيد لهم بعذاب أليم، **لأنهم " يكفرون بآيات الله "** فالكتاب مع شذوذ اليهود عنه لم يزل منذ موسى وحتى محمد **"آيات الله ".** بشهادة مكررة متواترة. **فالكتاب المقدس لم يزل، فى عهد محمد نبى الإسلام، تنزيل الله وفيه (آيات الله). وهذه العقيدة القرآنية الشاملة تقضي على كل شبهة تحريف فى الكتاب. ومــن يقل باسم القرآن الكريم أن فى الكتاب المقدس تحريفاً، فهو يشهد على القرآن الكــريم شــهادة زور.**

الشهادة التاسعة :

{ المبدأ القرآنى العام: " لا مبدّل لكلماته " }

(وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته، وهو السميع العليم).

(الأنعام ١١٥)

لا تبديل لكلمات الله فى الكتاب والقرآن:

(واتلُ ما أوحى إليك من كتاب ربك: **لا مبدل لكلماته)**

(الكهف ٢٧)

" ولقد كُذّبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا،

حتى أتاهم نصرنا، **ولا مبدل لكلمات الله "**

(الأنعام ٣٤).

فكلمات الله التى نزلت مع الرسل، وان كذّب بها الناس، لا مبدل لها، في حرفها أو في معناها: " لا مبدّل لكلمات الله " حتى زمن نبى الإسلام. وهكذا إذا وقع في كتاب الله تحريف كما يزعمون، يسقط مبدأ القرآن نفسه: " لا مبدل لكلماته " فالله نفسه يحفظ " ذكره ".

....

الشهادة العاشرة:

{ المبدأ القرآنى الثانى: الله يحفظ كتابه. (١)}

الذكر فى لغة القرآن الكريم، كناية عن الكتاب، وهى صفة يطلقها القرآن على نفسه وعلى الكتاب:

(هذا ذكر من معي وذكر من قبلى)

(الأنبياء ٢٤).

(فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر)

(النحل ٤٣).

"ولقد كتبنا فى الزبور(٢) من بعد الذكر (٣) أن الأرض يرثها عبادى الصالحون"

(الأنبياء ١٠٥).

لذلك عندما يشّرع القرآن المبدأ:

" إنا نحن نزّلنا الذكر، وإنا له لحافظون"

(الحجر٩).

فلا يقصر قوله على القرآن فقط، بل يعنى " الذكر" على الاطلاق، أي كل كتاب منزّل، خصوصاً الكتاب الذى مع " أهل الذكر" أى أهل الكتاب، فهم " أهل الذكر " المحفوظ قبل غيرهم، والذكر على الاطلاق هو عند " أهل الذكر ".

ويقول (الجلالان):

أولئك الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته" إى يقرءونه كما أنزّل ".

---

(١) من كتاب القمص سرجيوس فى عدم تحريف التوراة والإنجيل.
(٢) الزبور هى مزامير داود : جاءت بعد التوراة بحوالى ٤٥٠ سنة.
(٣) الذكر هنا توراة موسى.

الفصل الخامس

هل نسخ القرآن التوراة والإنجيل ؟

عدم نسخ القرآن للإنجيل:

وفي هذا الفصل نناقش قضية أخرى هامة وهي:

هل نسخ القرآن الإنجيل، بمعنى هل ألغاه وحل محله؟؟.
وكذلك هل نسخ الإنجيل التوراة ؟. وهل نسخ القرآن كليهما ؟.

الواقع أن مناقشة هذا الموضوع سوف تضطرنا لطرح عدة أسئلة جوهرية:

السؤال الأول : ما هو مفهوم النسخ في لغة القرآن؟
السؤال الثاني : كيف ينسخ القرآن الإنجيل والتوراة وهو الذي صدق عليه؟
السؤال الثالث: كيف ينسخ القرآن الإنجيل وهو يأمر النبي محمد والمسلمين بالرجوع إليه؟
السؤال الرابع: كيف ينسخ القرآن الإنجيل والتوراة وهو يأمر النصارى بأن يحكموا بما فيه؟
السؤال الخامس: كيف ينسخ القرآن الإنجيل والتوراة وهو يأمر بإقامة شرائعها؟
السؤال السادس: هل نسخ القرآن التوراة وهو إمام القرآن ومصدّق عليه بلساناً عربياً ؟.
السؤال السابع : أي كتاب من الثلاثة، يختص بالناسخ والمنسوخ دون غيره؟

دعنا نناقش هذه الأسئلة بمنطق سليم مبني على آيات القرآن الكريم وأقوال علماء الإسلام الأفاضل.

النسخ ميزة للقرآن وحده فقط، فى الناسخ والمنسوخ منه (١):

قال جلال الدين السيوطى فى (الإتقان ٢:٢٢):

" النسخ مماّ خصّ الله به هذه الأمة ".

فالنسخ فى القرآن الكريم من خصائص القرآن فى أحكامه من الناسخ والمنسوخ.

أماّ فكرة نسخ القرآن للتوراة والإنجيل فهى غريبة عن القرآن ولا يقول بها على الإطلاق.

---

(١) من كتاب القمص سرجيوس في الناسخ والمنسوخ

والنسخ يقع فى العقيدة أو الشريعة، والعقيدة تسمى فى القرآن الهدى، والشريعة تسمى الدين. **والمبدأ العام فى القرآن أن الهدى فى التوراة والإنجيل والقرآن واحد**، لذلك يأمر القرآن نبيه:

(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ..
أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده).

(الأنعام ٩١).

فلا نسخ فى العقيدة ما بين القرآن والكتاب كله. والمبدأ العام فى القرآن أيضاً أن الدين فى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، لذلك يقول:

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... والذى أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

(الشورى ١٣).

فلا نسخ فى الشريعة والدين ما بين توراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد.
فمن أين أذن جاءوا ببدعة نسخ القرآن للتوراة والإنجيل ؟ :

أولاً : النسخ فى لغة القرآن:

على وجه التحديد ترد لفظة (نسخ) في أربع آيات قرآنية لا غير:

١- (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق: إنا منا نستنسخُ ما كنتم تعلمون).

(الجاثية ٢٨).

فسره الجلالان بقوله: " هذا كتابنا: ديوان الحفظة ـ الملائكة الحفظة ـ **كنا نستنسخ**:أى نثبت ونحفظ ما كنتم **تعملون** ".

فالأمر هنا يتعلق بملائكة الله الذين **يسجلون** أعمال البشر ليوم الدين.

٢- (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح فى نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)

(الأعراف ١٥٣).

النص صريح، ولا يحتاج لتعليق.

٣- (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان فى أمنيّته، فينسخ ما يلقى الشيطان، ثم يُحكم الله آياته، والله عليم حكيم)

(الحج ٥٢).

فسره الجلالان:

" **تمنى**: قرأ أمنيته: قراءته. وقد قرأ النبي ص. فى سورة النجم، بمجلس من قريش، بعد (**أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى**) بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ص. (**تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهنّ لترتجى**). ففرحوا بذلك (المشركين) . ثم اخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك **فحزن**. ..".

فالنسخ المذكور هو أذن من خصائص القرآن فى تنزيله، ولا يعنى نسخ كتاب بكتاب، أو شرع بشرع كما أسلفنا القول. والنسخ عند كل " رسول أو نبى " **من قبل محمد** نبى الإسلام **يتعلق بنسخ ما يلقيه الشيطان فى الوحى، لا بأحكام الكتاب.**

٤- (ما ننسخ من آية أو ننسِها، نأت بخير منها أو مثلها : ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير).

(البقرة ١٠٦).

تلك هى آية النسخ الشهيرة. وهى صريحة أنها تحصر النسخ **آية بآية فى القرآن نفسه.** فسره الجلالان: " نزلت لما طعن الكفار فى النسخ وقالوا، **إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر، وينهى عنه غداً** ". **فالنسخ أذن من خصائص القرآن فى تنزيله، ولا علاقة له على الإطلاق بنسخ كتاب منزل بكتاب آخر منزل، أو بنسخ شرع منزل بشرع آخر منزل.**

هذا هو الواقع القرآنى فى لغة النسخ:

إن القرآن الكريم يحصر مبدأ النسخ فى آياته وأحكامه، ولا ينظر فى تطبيق مبدأ النسخ على كتاب غيره. فالاستناد إلى آية النسخ للقول بنسخ كتاب بكتاب أو شرع بشرع هو فرية على القرآن الكريم، والقرآن منها براء.

ثانياً : النسخ فى علوم القرآن .

يذكر السيوطى فى (الإتقان ٢: ٢٠ -٢١). **معانى النسخ فيقول :**

١- " **يرد النسخ** : بمعنى الإزالة، ومنه قوله:

(فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته)

(الحج ٥٢).

٢- **وبمعنى التبديل**، ومنه:

" وإذا بدّلنا آية مكان آية، والله أعلم بما ينزل،قالوا : إنما انتَ مفترٍ ! بل أكثرهم لا يعلمون " (النحل ١٠١).

٣- وبمعنى التحويل، كتناسخ المواريث من واحد إلى واحد.

٤- **وبمعنى النقل من موضع إلى موضع: ومنه (نسخت الكتاب) إذ نقلتُ ما فيه حاكياً للفظة وخطه** ... يشهد قوله تعالى: **" إنا ننسخ ما كنتم تعلمون " النسخ مماً خص الله بــه هــذه الأمة لحِكم منها التيسير.** وقد أجمع المسلمون على جوازه. وأنكره اليهود.

وفي هذه المعاني كلها يحصر القرآن أنواع النسخ وأسماءه وأشكاله بنفسه، ولا ينظر فيها إلى غيره.

*

وقد ألفوا كتباً فى " الناسخ والمنسوخ " من القرآن تنحصر فيه، ولا تطال سواه.

ثالثاً: القول بنسخ القرآن للتوراة والإنجيل فى العقيدة ينقض القرآن نفسه لأنه:

١- الكتاب فى الثلاثة واحد.

القرآن يعلن وحدة الكتاب فى التوراة والإنجيل والقرآن:

(كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه).

(البقرة ٢١٢).

فالكتاب واحد فى التوراة والإنجيل والقرآن، فلا نسخ بينهم. والقرآن ينذر بعذاب النــار من يكفر بأحد الكتب الثلاثة لأنها كلها الكتاب:

" الذين كذبوا بالكتاب، وبما أرسلنا، فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون فى الحميم، ثم فى النار يُسجرون ".

(غافر ٧٢).

٢-التنزيل فى الثلاثة واحد:

" الله .... نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه، وانزّل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وانزل الفرقان ".

(ال عمران ١ -٣).

فالكتب الثلاثة تنزيل الله، فلا ينسخ بعضها بعضاً، بل فى نظر القرآن يصدّق بعضــها بعضاً كما جاء:

(وقفينا على أثارَهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة. وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين ... وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) **ومهيمناً عليه)** أي شاهداً له . (المائدة ٤٦- ٥١).

(فالكتاب الذى يصدّق كتاباً لا ينسخه. والإسلام فى الثلاثة واحد)

(قل: آمنا بالله وما أنزل علينا، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين).

(ال عمران ٨٣ -٨٥).

فالإسلام، فى نظر القرآن واحد، من إبراهيم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد، ولا دين عند الله غير هذا الإسلام التوراتى الإنجيلي القرآنى: فهل ينسخ الإسلام نفسه بنفسه؟.

ومن مبادئ الإسلام الإيمان بكتبه تعالى ورسله بلا تفريق:

(يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزّل على رسوله،
والكتاب الذى أنزّل من قبل،
ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالاً بعيداً)

(النساء ٣٥)

" المسلمون مأمورون بالإيمان (بالكتاب كله). "

وهذا الإيمان لا يضيره اختلاف طرق العبادة:

" ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب.
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ".

(البقرة ١٧٧).

فالكتاب واحد، والنبوة واحدة، والإسلام واحد، والإيمان واحد:

فهل من نسخ مقبول معقول، بعد هذا كله فى نظر القرآن الكريم ؟.

إن الكتاب (التوراة) هو إمام القرآن فى الهدى والبيان، فكيف ينسخه؟: قال:

(ومن قبله كتاب موسى (التوراة) إماماً ورحمة، وهذا كتاب (القرآن) مصدّق لساناً عربياً)

(الأحقاف ١٢).

فالكتاب هو إمام القرآن، وما القرآن سوى نسخة عربية مصدّقة للكتاب الإمام، فكيف ينسخه؟.

إعلان القرآن أنه لا يفرّق بين كُتب الله ورسله شاهد انه لا ينسخها:

(لا نفرّق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون)

(البقرة ١٣٦ ، ال عمران ٨٥).

إعلان القرآن المتواتر أنه " تصديق " للكتاب كله فهو برهان قاطع على عدم نسخه:

*- (وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم) (البقرة ٤١)
*- (وهو الحق مصدق لما معهم). (البقرة ٩١).
*- (نزله على قلبك بإذن الله مصدّقاً لما بين يديه). (البقرة ٩٧).
*- (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم).(النساء ٤٦).
*- (وهذا لكتاب أنزلناه بالحق مبارك مصدّق الذى بين يديه).(يوسف ١١١)

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذى بين يديه، وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين).

(يونس ٣٧).

فسر البيضاوى هذه الآية الأخيرة: " جاء تصديقاً أي مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهودة على صدقها ... (فهو) شاهد على صحتها. وتفصيلاً للكتاب أى تفصيل ما أثبت وحقق من العقائد والشرائع ".

فالقرآن الكريم تصديق للكتاب أي مطابق له: فكيف يتجاسر أحدهم ويزعم انه نسخه !؟. فالقول بأن القرآن نسخ التوراة والإنجيل هو نقض لتعليم القرآن كله. وما يقول بذلك إلاّ جاهل بالقرآن أو متجاهل لتعليمه.

صفة القرآن إنه " تصديق " للتوراة والإنجيل،
والقول بالتصديق والنسخ، هو قولان نقيضان لا يتفقان.

فليس فى القرآن الكريم تعليم لنسخ التوراة والإنجيل، بل " تصديق الذى بين يديه " أي قبله. (يونس ٣٦).

رابعاً: والقول بنسخ شرع القرآن لشرع التوراة والإنجيل ينقض القرآن نفسه. سنورد للقرآن ثلاثة مواقف. وفيها لا ذكر لنسخ شرع بشرع.:

الموقف الأول:

يعلن انه ينقل للعرب شرع الكتاب وسننه:

(أ) " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ". (الشورى ١٣).

فسره البيضاوي:

" أي شرع لكم من الدين، دين نوح ومحمد وما بينهما من أرباب الشرع، وهو الأصل المشترك فيما بينهم (أقيموا الدين) وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله ".

فالدين يعنى الشريعة أو الشرع، لأنه الطاعة في أحكام الله.

ففي هذه الآية ثلاثة تصاريح:

الأول : أن الشرع من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد هو واحد، لأن مصدرهم واحد وهو الله.

الثاني : أن القرآن يُشرّع للعرب شرع الكتاب.؟

الثالث: إنه لا يصح تفريقٍ في الشرع بين شرع إبراهيم وشرع موسى وشرع عيسى وشرع محمد. فالقرآن الذى يُشرع للعرب شرع الكتاب، لا ينسخ شرعه شرع الكتاب. بل نقل الشرع بلغة العرب وبلسان عربى ولا ينسخه.

(ب) **" يريد الله ليبّين لكم ويهديكم سُنن الذين من قبلكم "** (النساء ٢٥)

فسره الجلالان:

" سنن الذين من قبلكم: طرائق الأنبياء فى التحريم والتحليل ". فالقرآن الذى يهدى العرب ويبين لهم طرائق الأنبياء فى التحريم والتحليل، كيف ندّعى انه ينسخ شرائع الأنبياء فى التحليل والتحريم ؟.

الموقف الثانى : يعلن استقلال كل أمة فى شرعها.

(١) (إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها .. الربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء... ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون).

(المائدة ٤٧)

(وهذه هى أمة اليهود وشرعهم)

(٢) (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون).

(المائدة ٤٩ – ٥٠)

(وهذه هى أمة المسيحيون وشرعهم)

(٣) (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق (القرآن) مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فاحكم بينهم بما انزل الله، ولا تتبع أهوائهم عماً جاءك من الحق).

(وهذه تخص أمة الإسلام وشرعهم)

(لكلٍ جعلنا منكم شرعه ومنهاجاً. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)

(المائدة ٥١)

القرآن الكريم يأمر أهل التوراة بشرعها، وأهل الإنجيل بشرعة، وأهل القرآن بشرعة. ثم يعطى المبدأ العام فى الشرع وهو:

(لكل جعلنا منكم شِرعه ومنهاجاً)

وهو مبدأ استقلال الأمم الثلاثة بشرع كتابهم.

وقد فسره الجلالان:

" لكل جعلنا منكم، أيها الأمم، شريعة وطريقاً واضحاً في الدين ، تمشون عليه، ولو شاء الله لجعلكم على شريعة واحدة، ولكن فرَّقكم فرقاً ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة، لينظر المطيع منكم والعاصي، فسارعوا إلى الخيرات ".

وقال د. محمد سيد طنطاوى (١) فى جريدة الأهرام القاهرية فى شأن تلك الشرائع واستقلال كل أمة وشرعها يقول سيادته:

" **وكان** من رحمة الله تعالى. ورأفته بعباده أن أرسل الرسل الكرام لإخراج الناس من ظلمات البغي والشرك والعدوان، إلى نور التوحيد والعدل والإحسان.

وكانت رسالة الرسل جميعاً **واحدة فى أصولها،** فهم جميعاً قد دعوا الناس إلى إخلاص العبادة لله. تعالى. وحده، وبوجوب التحلي بمكارم الأخلاق كالصدق والرحمة والعفاف، والتحلي عن الكذب والقسوة والفحشاء والمنكر من القول والفعل.

وإذا وجد خلاف بين الشرائع التى جاء بها الرسل الكرام، **فأن هذا الخلاف لا يكون إلا فى الفروع لا فى الأصول، وفى الجزئيات لا فى الكليات.**

قال تعالى:

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) (سورة المائدة الآية ٤٨).

والمقصود بلفظ الكتاب الأول : القرآن الكريم وآل فيه العهد.

والمقصود بلفظ الكتاب الثاني: جنس الكتب السماوية السابقة، **فيشمل التوراة والإنجيل وآل فيه للجنس.**

وقوله سبحانه: " ومهيمناً عليه " أى ورقيباً على ما سبقه من الكتب السماوية، وأميناً وحاكماً عليها، **لأنه هو الذى يشهد لها بالصحة،** ويقرر أصول شرائعها.

قال الإمام ابن جرير.رحمه الله. : " **وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب.** يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن عليه.

والمعنى: لقد أنزلنا إليك. يا محمد. القرآن الجامع لكل ما اشتملت عليه الكتب السماوية السابقة عليه من هدايات.

وقد أنزلناه ملتبساً بالحق الذى لا يحوم حوله الباطل، **وجعلناه مؤيداً لما في الكتب التي**

تقدمته، من دعوة إلى عبادة الله.تعالى. وحده، وإلى التمسك بمكارم الأخلاق، وجعلناه كذلك أميناً ورقيباً وحاكماً عليها. **وما دام** هذا هو شأن القرآن الذى أنزلناه عليك. أيها الرسول الكريم. فأحكم بين الناس جميعاً به. ولا تتبع فى حكمك أهواء المخالفين لك. لأنك لو أتبعت أهوائهم لصرفوك عن الحق.

ويستمر سيادته:

ثم قال.تعالى.:

" لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجاً "

أى لكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية، **جعلنا شريعة ومنهاجاً خاصين بها:**

فالأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى. عليهما السلام.

كانت شريعتها ما فى التوراة من أحكام.

والأمة التى كانت من عهد عيسى.عليه السلام. إلى بعثة محمد" صلى الله عليه وسلم ":

كانت شريعتها الإنجيل.

وأما هذه الأمة الإسلامية: فشريعتها ما فى القرآن من أحكام.

لأنه مشتمل على ما جاء فى الكتب السابقة عليه من أصول الدين وكلياته التى لا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة. وزاد عليها ما يناسب العصر الذى نزل فيه، والعصور التى تلت ذلك إلى يوم القيامة، لأن رسالة النبى " صلى الله عليه وسلم" هى الرسالة الخاتمة.

ولأنه "صلى الله عليه وسلم" لا نبى بعده، ولا كتاب بعد الكتاب الذى أنزله الله تعالى.عليه.

ورحم الله الإمام ابن كثير فقد قال عند تفسير هذه الآية: **قوله: " تعالى:**

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

هذا أخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به من رسله الكرام **من الشرائع المختلفة فى الأحكام المتفقة فى التوحيد،** كما ثبت فى صحيح البخاري عن لأبى هريرة "رضي الله عنه ". **أن رسول الله. " صلى الله عليه وسلم" قال":**

نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات. أمهاتهم شتى. ودينهم واحد".

يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله.

كما قال تعالى:

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا أله إلا أنا فأعبدون".

(سورة الأنبياء الآية : ٢٥)

وأما الشرائع فمختلفة فى الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء فى هذه الشريعة حراماً ثم يحل فى الشريعة الأخرى، كما قال.تعالى. فى شأن شريعة عيسى:

(وأحل لكم بعض الذى حرم عليكم). (سورة آل عمران الآية: ٥٠).

وبالعكس قد يكون الشيء حلالاً في هذه الشريعة ثم يحرم في شريعة أخرى، فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له.تعالى. في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

ثم بين سبحانه. بعض مظاهر قدرته، وبالغ حكمته فقال:

(لو شاء الله لجعلكم آمة واحدة، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم)

والمعنى: " لو شاء الله.تعالى. أن يجعل الأمم جميعاً أمة واحدة تدين بدين واحد وبشريعة واحدة لفعل. لأنه سبحانه. لا يعجزه شيء. ولكنه. عز وجل. لم يشأ ذلك، وإنما شاء أن يجعلكم أمماً متعددة، ليختبركم وليمتحنكم فيما أعطاهم من شرائع **مختلفة في بعض فروعها، ولكنها متحدة في جوهرها وأصولها،** فيجازي من أخلص له العبادة والطاعة بالثواب، ويعاقب من خالف أمره ونهيه بما يستحقه من عقاب. **وما دام الأمر كذلك.** فسارعوا إلى امتثال أمر ربكم، وأجتنبوا ما نهاكم عنه من شرك وعصيان وعدوان، فإليه وحده مصيركم ومرجعكم، فيجازي.سبحانه. الذين أساءوا بما عملوا، ويجازي الذين أحسوا بالحسنى.

(انتهى المقال. ولا تعليق).

(ج) ولما فارق محمد قِبلة أهل الكتاب (بيت المقدس) جاء:

(ولكل وجه هو مولّيها: فاستبقوا الخيرات) (البقرة ١٤٨).

قال البيضاوي : " والمعنى : كل وجه، الله مولّيها أهلها ".

قال الجلالان : " ولكل من الأمم قِبلة هو مولّيها وجهة في صلاته، فبادروا إلى الطاعات وقبولها ".

(لكل أمة قِبلة مستقلة: فلا تنسخ قبلة قبلة. والقبلة عنوان الدين)

(د) ولما شرع الحج إلى مكة، بدل بيت المقدس، جاء:

(لكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فإلهكم إله واحد فله أسلموا).

(الحج ٣٤).

(لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه: فلا ينازعنّك في الأمر).

(الحج ٦٧).

والمبدأ العام لكل أمة منسك وحج، كما لكل أمة شرع مستقل.

فسره الجلالان:

---

(١) شيخ الأزهر الشريف في جريدة الأهرام القاهرية الأثنين ٢٠٠٥/١١/٢١ الصفحة ١٣ تحت عنوان: " هذا هو الإسلام وحديث القرآن عن الجريمة والعقاب ".

" **لكل أمة جعلنا شريعة هم عاملون بها:** فلا تنازعنّهم فى الأمر. وادعُ إلى دين ربك إنك لعلى دين مستقيم ". **وكل أمة من الثلاثة على دين مستقيم فى الإسلام الواحد لأن لكل أمة منسكاً أو شريعة.** وهكذا يشرّع القرآن جملة وتفصيلاً **استقلال الأمم الثلاثة فى شرعها.** وفي هذا الموقف أيضاً لا ينسخ القرآن شرعاً بشرع.

الموقف الثالث :

{ يقرّ القرآن أهل الكتاب على أحكام شريعتهم }

(أ) المبدأ القرآنى العام:

(لكل منكم جعلنا شرعه ومنهاجاً).

(المائدة ٥١).

(ب) وتحريضه:

(قل: يا أهل الكتاب لستم على شيء
حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل من ربكم). (المائدة ٧١).

(ج) ويعدهم بخيرات الأرض إذا أقاموها:

" ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم،
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ".

(المائدة ٦٩).

إن القرآن الكريم يحرّض أهل التوراة وأهل الإنجيل على إقامة شريعتهم، فكيف نفتري على القرآن الكريم بأنه نسخ هذه الشريعة ؟!.

ونلاحظ إن هذا التحريض يأتي بعد قوله:

(فاحكم بينهم أو اعرض عنهم)

. (المائدة ٥).

(فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءَك من الحق).

(المائدة ٥١).

لذلك تلك الأقوال السابقة لا تنسخ استقلال أهل الكتاب على شريعتهم، مهما أختلف الفقهاء فى ذلك.

قال الزمخشرى: " قيل: كان رسول الله ص مخيراً إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم، وبين أن لا يحكم. وعن عطاء والشعبي أنهم إذا ترافعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا حكموا وان شاءوا أعرضوا. وقيل هو منسوخ بقوله:

(واحكم بينهم بما انزل الله)

وعند أبي حنيفة:

" إن احتكموا ألينا حُملوا على حكم الإسلام ". (فى تفسير المائدة ٤٦).

فالمبدأ العام:

لكل منكم جعلنا شرعه ومنهاجاً، وتحريض القرآن لأهل الكتاب بإقامة التوراة والإنجيل الذى ورد بعد الآية المُساء تفسيرها فى نسخ المبدأ العام (المائدة ٥٢). ، يجعلان مبدأ استقلال الشرائع محكماً لا نسخ فيه. فلا يصح، بنص القرآن القاطع فى المبدأ العام والتحريض، حمل أهل الكتاب عل حكم المسلمين. فإذا احتكموا إلى المسلمين يُحملون على حكم كتابهم: والتوراة فيها حكم الله:

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله).

(المائدة ٤٦)

" وليحكم أهل التوراة بما انزل الله فيه، ومن لا يحكم بما انزل الله فيه، فأولئك هم الفاسقون ". (المائدة ٥٠)

فالحكم فى شرع الكتاب وهو حكم الله المطلق:

(وأن احكم بينهم بما انزل الله). (المائدة ٥٢).

وهذا ما تم فى يهود خيبر. من حكم الرجم، **فقد حكم نبى الإسلام على الزانيين من يهود خيبر بالرجم وهو حكم التوراة، وليس حكم القرآن.**

وفى هذا الموقف الثالث أيضاً الذى يقر بمبدأ استقلال أهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل القرآن فى شرعهم، لا شبهة على الإطلاق نسخ شرع بشرع.

وهكذا كيفما تأملنا القرآن الكريم فى مواقفه كلها من الشرع ما بين القرآن والكتاب والإنجيل، لا نجد أساساً لشبهة النسخ لشرع بشرع آخر.

والذى يقول بنسخ القرآن للتوراة والإنجيل هى بدعة فى الإسلام وفرية على القرآن الكريم لا يقره.

فليس فى القرآن نسخ عقيدة بعقيدة، ولا شريعة بشريعة:

فالكتاب إمام القرآن فى العقيدة والشريعة، والقرآن تصديق الكتاب والإنجيل فى العقيدة والشريعة. كما تم توضيحه سابقاً.

كما لا يجوز نسخ القرآن للتوراة والإنجيل. كما أن التوراة والإنجيل، وخاصة التوراة هى المرجع الشامل والصالح لكل العصور لتوضيح الأمور. والمرجع الشامل للمفسرين سواء للإسلاميين، أو المسيحيين، أو اليهود. فلا غنى للبشر عنهما فى أى جيل أو عصر، والقرآن الكريم ذاته يشهد بذلك إذ يقول فى (النحل ٤٣). :

"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"

قال فى الجلالين: إن أهل الذكر هم العلماء بالتوراة والإنجيل.
وقوله: " **إن كنتم لا تعلمون" ذلك فإنهم يعلمونه"** (ص ٣٥٧).

بهذا المفهوم يُعنى أن أصحاب التوراة والإنجيل أكثر علماً فى تفسير كتابهم، ويحيل القرآن الكريم أتباعه لسؤالهم فى حالة الاستفسار فى شئ لا يعلمونه.

وقد جاءت أقوال القرآن الكريم متتابعة بالإيمان بما أنزل إلى جميع النبيين وعدم التفرقة بين أحد منهم كما جاء بسورة (البقرة ١٣٦). **وقوله فى** (النساء ٢٦). :

(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم)

مما يجعل من أهدافه الاهتداء بسنن أهل الكتاب.

وقد قال الطبرى: فى شرح آية سورة البقرة سالفة الذكر:

(وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون)

يعنى آمنا بالتوراة التى أتاها موسى، والإنجيل الذى آتاه عيسى، والكتب التى أتى بها النبيون كلهم، وأقررنا وصدقنا، أن ذلك كله هدى ونور من عند الله، فإن جميع من ذكر الله من أنبيائه على حق، مصدق بعضهم بعضاً، على منهاج واحد، فى الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته " (تفسير الطبرى ٣ ص ١٠٩).**ويقول أيضاً:**

"إن القرآن جاء مصدقاً، لما كان قبله من كُتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ومحققاً ما جاءت به رسل الله من عنده، لأن منزل جميع ذلك واحد، فلا يكون فيه اختلاف... وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى من قبل هدى للناس، بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه". (٦/١٦٠و١٦١).

وأيضاً:

قال الحاج رحمه الله الهندى فى كتابه " إظهار الحق ":

" إن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور (المزامير) **ونسخ الزبور بظهور الإنجيل، ونسخ الإنجيل بنزول القرآن لا أثر له فى القرآن ولا فى الحديث ".**

وذلك لأنه ليس فى نصوص القرآن الكريم ما يشير إلى أنه نسخ الكتاب المقدس ولا أبطل شرائعه. بل بالعكس نراه يحض أهل التوراة والإنجيل على إقامة أحكامه الإلهية بإخلاص، وقد أجمع ثقاة المفسرين كالزمخشرى والبيضاوى والجلالين، على أن القرآن لم يأت ناسخاً للكتب الإلهية التى جاءت قبله بل العكس نجده ينوه بالكتاب المقدس ويجعله إماماً للكتب ورحمة للعالمين كما فى سورة (الأحقاف ١٢) و(سورة الأنعام). **ويعتبر الكتاب المقدس هو المرجع الشامل والصالح لإزالة الشكوك كما جاء فى سورة** (يونس ٩٤).

أفلا يكون من التجني على الحقيقة تحويل بعضهم للتصديق والتأييد المشار إليهما إلى نسخ وإبطال للكتاب المقدس رغم ما فيه من تعاليم دينية يؤمن بها آلاف الملايين من البشر فى كل أرجاء المسكونة، ورغم إقرار القرآن بخطأ إهمال قراءة الكتاب المقدس بقوله:

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه).

(سورة يونس ٣٧).

وأيضاً ما جاء فى(الأنعام ١٥٦).:

(أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين.)

وواضح أن المقصود بهاتين الطائفتين هما اليهود والنصارى، وأن هناك إغفالاً من جانب المخاطبين عن دراسة هذا الكتاب رغم نزوله على الطائفتين المشار إليهما.

كما أن النسخ معناه الإبطال ورفع الحكم، وهذا لا ينطبق على نصوص التوراة والإنجيل: لأن حكمهما لا يزال قائماً ومعمولاً به لدى ربوات الملايين من بنى البشر فى جميع أنحاء العالم. وتعمل بموجب أحكامها أعظم دول العالم المتقدمة ذات السيادة والسلطة والقوة فى جميع مجالاتها.

بل أن القوانين نفسها أخُذت من شريعة موسى، وجميع الشعوب مدينة بمدنياتها القائمة لانتشار التوراة والإنجيل ووصولها إليها .. ومن المسلم به أن الحقائق الجوهرية المُعلنة فى الكتاب المقدس - كالشريعة الأدبية وموعظة السيد المسيح على الجبل - لا تقبل التغيير ولا يؤثر عليها مرور القرون والأزمنة على اختلاف عصورها وأجيالها، وما أتى به كتاب المسيحية من حيث السمو الأدبي والأخلاقي والروحي مما لا يمكن وجوده فى كتاب غيره مما يستحيل معه النسخ المزعوم.

وما جاء فى القرآن الكريم من ناسخ ومنسوخ يخص القرآن ذاته ولا يطال غيره من التوراة أو الإنجيل كما جاء فى كتاب عصمة التوراة والإنجيل (١)
وكذلك ما ذكر فى كتاب " النص المؤسس ومجتمعه" (٢) :

فالنسخ فى القرآن لا علاقة له مطلقاً بالكتاب المقدس، كما صرح بذلك أكبر علماء الإسلام، كالإمام جلال الدين السيوطى الذى قال:

" إن النسخ مما خص به الله هذه الأمة " أى الأمة الإسلامية فقط.

وقيل أن السور التى دخلها المنسوخ فقط هى ٤٠ سورة، والتى دخلها الناسخ فقط ٦ سور، والتى دخلها الناسخ والمنسوخ معاً ٢٥ سورة، فيصير عددهم ٧١ سورة، وقد جاء النسخ فى ٢٥٠ آية من القرآن. أما السور التى لم يدخلها ناسخ أو منسوخ فهى ٤٣ سورة فقط.

أما أمثلة النسخ الواردة فى القرآن على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فهى:

١. مثال نسخ آيات السلم بآيات القتال:

(١) آيات السلم والتبشير وعدم الإكراه فى الدين تنحصر فى هذه السور: (البقرة: ٢٥٦)، (يونس: ٩٩)، (الرعد: ٤٠)، (الإسراء: ١٠٥)، (الشورى: ٦).

(٢) آيات القتال التى أبطلت الآيات السابقة تجمعها فى هذه السور: ، (البقرة: ١٩١-١٩٣ و٢١٦)، (النساء: ٨٩)، (الأنفال:٣٩)، (التوبة:٥،٢٩،٧٣)، (محمد: ٤).

٢. مثال نسخ الأمر بالابتعاد عن النساء وقت الصوم وبالتصريح بالقرب منهن:

(١) آيات الابتعاد عن النساء تنحصر فى سورة (البقرة: ١٨٣).

(٢) آيات الاقتراب التى أبطلت الآية السابقة تنحصر فى نفس السورة (البقرة: ١٨٧).

٣. مثال نسخ الوعد بقبول الأديان، وبعدم قبول غير الإسلام:

(١) الوعد بقبول الأديان ينحصر فى هذه السور: (البقرة: ٦٢)، (المائدة: ٦٩)، (الحج: ١٧).

(٢) الوعيد بعدم قبول غير الإسلام ديناً فى هذه السورة: (ال عمران: ١٩و ٨٥).

٤. مثال نسخ الوعد بأن الواحد يغلب عشرة، بأن الواحد يغلب أثنين يظهر فى سورة: (الأنفال: ٦٥-٦٦)

٥. أن الله لا يأمر بالفحشاء، فى حين أنه يأمر بالفسق، كما جاء فى سورتى: (الأعراف: ٢٨)، (الإسراء: ١٦).

---

(١) من كتاب (عصمة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل) للأنبا إسحق المحرقى ص ١٠٦- ١٠٨

(٢) وجاء أيضاً فى كتاب " النص المؤسس ومجتمعه" لخليل عبد الكريم. عن النسخ فى ٧١ سورة من سور القرآن.

وهذا على سبيل المثال فقط من عشرات الآيات.
فيتضح من الآيات المذكورة أن النسخ خاص بالقرآن فقط
وليس له شأن قط بالكتاب المقدس.

ولا يوجد فى كتب اليهودية والمسيحية الناسخ والمنسوخ، لأن ربنا يعرف ما يقوله (غلاطية ٣: ١٧)، ويقول الرسول بولس:

" ليس أحد يبطل عهداً قد تمكن ولو من إنسان، أو يزيد عليه."

(غلاطية ٣: ١٥).

وإذا كان الله هو الذى وضع الشريعة فى التوراة والإنجيل فكيف يهدمها ؟! وإذا كان هو الذى أمر بها، فكيف ينقضها ويزيلها ؟! وإذا كان يحض المؤمنين بها على إتباعها حتى نهاية العالم فكيف ينسخه القرآن ؟!.

كما أن النسخ المزعوم يتعارض بشدة مع حض القرآن الكريم لأهل الكتاب (الإنجيل والتوراة) على إقامة شرائعهما وإتباع عقائدهما، مما ينفى نسخهما وإبدالها بكتاب آخر أياً كان. ولو كان الأمر كذلك لما صح أن يقول القرآن الكريم فى مخاطبة أهل التوراة وأهل الإنجيل بالاحتكام لكتابهم، وليس الاحتكام للقرآن:

فبالنسبة للتوراة يقول:

(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله).

(المائدة ٤٣).

وكذلك بالنسبة للإنجيل يقول:

(وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه). (المائدة ٤٧).

أليس فى حضه هذا على إقامة ما جاء بالتوراة والإنجيل اعتراف صريح بصحتهما وسلامتهما من التحريف ؟!.

وحيث إن القرآن الكريم يحض على الاحتكام إلى التوراة والإنجيل فى كل الأزمنة مع وجود أحكام القرآن، أليس هذا دليلاً على عدم نسخ أحكام التوراة بما جاء بالإنجيل، وأيضاً أليس هذا دليلاً على تكامل أحكام التوراة والإنجيل وعدم نسخهما بعضهم البعض. وأيضاً أليس ذلك دليلاً أن أحكام القرآن ليست بديلة لما جاء من إحكام فى التوراة والإنجيل كما سبق التوضيح.

والقرآن يشهد بأن أهل الكتاب حافظوا عليه وكانوا شهودا عليه حتى زمن محمد:

١ـ سورة المائدة (٤٤):

"وإنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء"

ما معنى هذه الآية وخاصة **" النبيون الذين أسلموا "** يقول المفسرون أنهم **الأنبياء** الذين **سلموا حياتهم لإرادة الله (تفسير الإمام عبد الله يوسف على ص ٢٦١) وطبعا لا يعني الأنبياء المسلمين:**

أولا : لأنه لا يوجد سوى نبي واحد للإسلام.

ثانيا: لأن الإسلام لم يكن قد ظهر بعد. فهؤلاء الأنبياء يحكمون على اليهود أي يرشدونهم بما في التوراة من هدى ونور.

وأهم ما في الآية هو أن **الأنبياء والربانيين** (أي المعلمون، لأن **ربوني** بالعبرية معناها معلم بالعربية)، وفي المعجم الوسيط ص ٣٢١ **(الرباني** هو: الذي يعبد الله، و الكامل العلم والعمل**)**
والأحبار (هم العلماء) [المعجم الوسيط ص ١٥١

تقول الآية الكريمة:

أن هؤلاء جميعا **" قد استؤمنوا على حفظ كتاب الله "** أى **الشهادة لصحته.**

(تفسير القرآن الكريم للإمام عبد الله يوسف علي ص ٢٦١و٢٦٢)

ويأمر النبي محمد بالاقتداء بالكتاب المقدس والأنبياء الذين هداهم:

ويوضح مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط معنى كلمة **اقتده** بالقول:
" **يفعل** مثل فعله أي **يقتدي به** وفي التنزيل العزيز **"فبهداهم اقتده"**

(المعجم الوسيط الجزء الثاني ص ٧٢٠)

فلو كان الكتاب المقدس منسوخا فكيف يأمره أن يقتدي بهداه ؟؟

ويأمرهم بالرجوع إلى أهل الذكر أي أهل الكتاب، **ليتعلموا منهم إن كانوا لا يعلمون!.**
كما جاء في سورة النحل:

"وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر" (سورة النحل ٤٣)

والنبي محمد نفسه يشهد للتوراة والإنجيل قائلا في سورة القصص:

" قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما فأتَّبِعْه ..."

(سورة القصص ٤٩)

ما أقوى هذه الشهادة!! ففي هذه الآية القرآنية الكريمة أن الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) هو من عند الله. **وأنه صادق ليتبعه محمد، وهي شهادة كافية لإثبات عدم نسخه.**

فلو كان الكتاب منسوخا، هل كان يأمرهم بالرجوع إلى أهل الكتاب ، وهل كان نبي الإسلام يشهد له بهذا الكلام ؟

رأي القرآن الكريم بالكتاب المقدس:

يصادق القرآن على ما جاء في التوراة والإنجيل في أكثر من موضع وآية. ولكن تنتشر بين المسلمين عامة فكرة أن الكتاب المقدس قد وقع عليه التحريف والتبديل، خصوصاً عندما يجدون آيات أو حوادث تبدو للوهلة الأولى متناقضة، لكنها في الحقيقة متكاملة وتحتاج إلى تفسير سليم بعيد عن الشك بوحي الله والكفر به.

أول سؤال يخطر على بالك كمسلم هو:

"إن كان قد حصل تغيير في الكتاب المقدس، فهل حدث هذا التغيير قبل وجود القرآن أو بعده ؟.

لا يمكن تحريف الكتاب المقدس يحدث قبل أو بعد وجود القرآن للأسباب والأدلة التالية:

- لدينا اليوم النسخة السينائية والفاتيكانية وعائلتيهما، وهو الأساس لكل الترجمات. ويَعود معظم هذه النسخ إلى ما قبل القرن السابع. كما تمّ العثور على التوراة (وتعود النسخة لحوالي سنة ١٥٠ ق.م.) وذلك سنة ١٩٤٧ في مغائر قمران في الأردن، وأتت مطابقة لما كان متداولاً ومنتشراً في العالم.

- فالتوراة التي صادق عليها القرآن، موجودة اليوم ومطابقة تماماً لنسخ التوراة الأخرى. بنفس لغتها الأصلية والتى كانت بحوزة ورقة بن نوفل فى زمن نبى الإسلام. وأيضاً كانت من بين الغنائم والأسلاب التى تم الاستيلاء عليها بواسطة جيوش المسلمين، بعد القضاء علي قبائل اليهود فى مواقعهم ولا سيما بيثرب.

ولا شك أنّ المسلمين الأوائل قد حصلوا على الكتاب المقدس ولم يُسمَع منهم أي تهجّم عليه أو أي شك في أنه كتاب الله. وقد كان منتشراً بين القبائل المسيحية بالجزيرة العربية وهى قبائل (حِميرَ وغسان وربيعة وأهل نجران والحيرة وغيرها) وكذلك القبائل اليهودية مثل (بنى قريظة وبنى النظير، وغيرهم)، كما يوجد الكثير من الأديرة المسيحية العامرة بالرهبان، ورهبانهم كانوا على صلة بنبي الإسلام وبالمسلمين على سبيل المثال(ورقة بن نوفل، وبحيرة، وعداس، وسرجس .. الخ)، فإن كانت التوراة والإنجيل قد أصابهما التغيير فعلاً، فلماذا لم يستطع المعترضون أن يظهروا الكتاب الأصلي الذى كان بحوزة تلك القبائل المسيحية واليهودية والرهبان، بعد أن تم القضاء عليهم وأخذ أسلابهم وغنائمهم، وأطفالهم ونسائهم وكتبهم

السماوية وكل ما يمتلكون. أو التى حصلوا عليها من جميع البلاد المسيحية التى تم غزوها خلال القرن الأول الهجرى من مصر والشام وكل بلاد شمال أفريقيا، حتى وصلوا للبلاد الأوربية أسبانيا (الأندلس) وعلى مشارف بلاد الغال (فرنسا)، والقسطنطينية (تركيا)، وحتى وصولوا إلى حدود روسيا.

لماذا لم يستطع المعترضون على صحة الكتاب المقدس أن يقدموا الدليل على التحريف من تلك الكتب التى حصلوا عليها واحتفظوا بها، ولماذا لم يقدموا لائحة بالآيات التي تغيّرت ولائحة بأصلها، وتعليلاً للغاية من وراء تغييرها ؟ ولا سيما أن الكثير من أهل الكتاب الذين دخلوا فى الإسلام من كل تلك البلاد التى تم غزوها يجيدون الترجمة لتلك الكتب إلى العربية والعكس، ولا سيما إنه كانت هناك طفرة كبرى فى ترجمة العلوم والفلسفة والأدب من الكتب اليونانية والأغريقية .. والعرب نقلوا تلك الحضارات لدول أوربا والتاريخ يشهد بذلك، أليس الكتاب المقدس له نصيب من تلك الصحوة الحضارية فى ترجمة الكتب، وهو أهم الكتب على الإطلاق، بالإضافة إلى وجودها أصلاً مع عرب الجزيرة العربية مترجمة بلغة العرب.

إنّ آلاف النسخ من الكتاب المقدس، والترجمات المختلفة، منها ما يعود إلى ما قبل القرن السابع ومنها ما يعود لما بعده، متطابقة ومحفوظة في عدد من المتاحف الكبرى والمراكز الدينية والعلمية (لدراسة النسخ القديمة). ولا يفوتك أن الكتاب المقدس وحده يتميّز عن جميع الكتب المكتوبة بأن مخطوطاته الموجودة في المتاحف العامة والخاصة، هي أقدم المخطوطات في العالم. وتقترب تلك المخطوطات على سبيل المثال للإنجيل إلى ٢٥٠٠٠ (خمسة وعشرون ألف) مخطوط، لذلك كل من يقول أنّ الكتاب المقدس قد حُرّف فهو ينكر التاريخ والعلم. وهروباً من حقائق أثبت التاريخ صدقها.

- لقد دافع الفخر الرازي، احد مشاهير أئمة الإسلام عن صحة الكتاب المقدس وسلامة نصّه، فقال في الجزء الثالث من كتابه صفحة ٣٢٧:

" كيف يمكن التحريف في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهورة في الشرق والغرب !؟
وكيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس؟.."

إن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى تغيير اللفظ، فكل عاقل يرى أن تغيير الكتاب المقدس كان متعذّراً لأنه كان متداولاً بين أناس كثيرين مختلفي الملل والنحل. فكان في أيدي اليهود الذين كانوا متشتتين في أنحاء الدنيا، بل كان منتشرا بين المسيحيين في أقاصي الأرض.. وهكذا، بحسب شهادة إمام أئمة الإسلام، إن تحريف الكتاب المقدس أو تبديله كان أمراً مستحيلاً.

أخي المسلم، أنت مدعو لتؤمن برسل الله وكتبه المحفوظة بقدرته تعالى حسب قرآنك، (العنكبوت٢٧و٤٧؛ النساء ١٣٦؛ آل عمران ١-٤). فالقرآن الذي تؤمن به يحثك على الإيمان بالكتاب المقدس لأن فيه النور والهدى إلى الخلاص الأبدي الذي أعده الله للبشر.

الناسخ و المنسوخ و نظرية النسخ (١)*

هذه النظرية يرفضها دون تمحيص **بعض** علماء المسلمين، **لما لها من انعكاسات سلبية على كمال القرآن.** بالمقابل نجد أن **التيارات الإسلامية** الأكثر تشددا **تتبناها وتؤيدها**، و من جملتهم بعض *المولانات* من أمثال (ديزاي)، **النظرية هذه ترتكز إلى حد ما إلى تعاليم القرآن نفسها كما يتبين من الآية التالية :**

"مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

(سورة البقرة الآية ١٠٦)

في الفترة الأولى من تاريخ الإسلام كانت هذه الآية تدل على إمكانية " **نسخ** " **(أي حذف و إلغاء) بعض المقاطع القرآنية في حين تنزل مقاطع أخرى** تعتبر " **ناسخة** " أي معوضة لها.
(المفسران الكبيران البيضاوي والزمخشري كلاهما) **قالوا:**

بأن الأجزاء المنسوخة يجب أن لا تقرأ،
و بأن الأحكام و الشرائع المبنية على أساسها يجب أن تعتبر لاغية.

كان المعتقد السائد في ذلك الوقت أن جبريل (الملاك الذي يأتي بالوحي) هو الذي كان يزيلها من القرآن. رغم هذا نجد أنه في حالات عدة كانت الأجزاء المنسوخة تبقى في المصحف إلى جانب الأجزاء الناسخة.

الآية التي قدّمنا تُقر بالفعل **بأن الله ينسخ بعضا من آياته، و كلمة** " آية " **تعني هنا و في حالات أخرى النص القرآني نفسه**، كما هو مذكور في (الآية ٧ من سورة آل عمران)، حيث يقال إن **بعض** آيات **الكتاب محكمة أي إن معناها واضح**، في حين تعتبر آيات أخرى **مجازية و هذا ما يسمى بالمتشابه** (كذلك سورة هود الآية ١)

هنالك مجال للشك في كون القرآن نفسه يشهد على إمكانية نسخ بعض من آياته، وبما أن القرآن يرمز لنصوصه بكلمة **"آيات"** فإن التأويل القائل:

---

(١)* من موقع بالانترنت تحت عنوان (جمع القرآن) **www..stmarychurch.org**

" إن النسخ يتعلق بالنص القرآني نفسه لا يمكن أن يكون عليه أي اعتراض."

لهذا يبقى السؤال مطروحا عن أي نصوص نتحدث كلما تعلق الآمر بالنسخ؟

بعض علماء المسلمين الذين ينكرون إمكانية نسخ القرآن يدّعون أن النسخ الذي ذُكر فيه يتعلق بالرسالات السماوية التي أنزلت لليهود و النصارى من قبل.

هذا التأويل، لا يقوم على أساس صحيح، لأننا لا نجد في القرآن الكريم ما يدل على أن كلمة "آيات" هي وصف للتوراة أوالإنجيل. وليس هناك ما يوحي بأن الآيات السماوية السابقة قد نُسِخت، بالعكس تماما نجد أن القرآن يصف نفسه بعبارة:

"مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ" (سورة آل عمران الآية ٣).

فالقرآن إذاً بشهادته نفسه لا يُعَد ناسخا لما سبقه من الرسالات السماوية بل بالعكس يدعي أنه جاء لإثباته ومصدقاً عليه. (كما سبق التوضيح)، هناك آيات تقول إن اليهود يجب عليهم أن يحتكموا للتوراة عوض اللجوء إلى محمد ليحكم بينهم (سورة المائدة الآية ٤٣)، ونفس الشيء طُلِب من النصارى (سورة المائدة الآية ٤٧)، وفي الآية (٦٨ من سورة المائدة)، أمر القرآن كلا من اليهود و النصارى أن يلتزموا بمبادىء التوراة والإنجيل و بما جاءهم به أنبياءهم

النسخ الذي يتحدث عنه القرآن الكريم لا يمكن أن ينسب للكتب السماوية السابقة، بل يتعلق كليا بنصوص القرآن نفسه. هكذا فُهِمت آية النسخ في العهد الأول للإسلام.

وإذا عُدنا إلى الفكرة العامية القائلة بأن نص القرآن قد حفظه الله من أوله إلى أخره، ولم يطرأ عليه أي تغيير مهما كانت درجة أهميته و لم يقع فيه كذلك أي " **نسخ** ".

فبعض العلماء المسلمون في محاولاتهم التأكيد على هذه الفرضية يلجئون إلى تأويل خاطىء للآية (١٠٦ من سورة البقرة)، تأويل لا يمكن اشتقاقه من ظاهر النص، عكس ما فعل أسلافهم من المسلمين الأوائل الذين اعتبروا أن أجزاء من القرآن قد تم فعلا نسخها وحذفها من المصحف .

هذه النظرية لا يتقبلها بعض العلماء المسلمين الآخرين، لكن ليس لنفس الأسباب. فهي مثلا تُصَور الله كأنه إله يتراجع عن ما صدر عنه من قرارات سابقة، كما لو كان معرضا لتغيير رأيه كالبشر، أو لأنه يكتشف أفكارا أحسن! بالرغم من هذا يجب أخذ النص القائل بالنسخ بمعناه الذي فُهِم على أساسه في بداية العهد الإسلامي بالإجماع (وهى النسخ فى بعض الآيات القرآنية)، وليس كما يريده بعض العلماء المعاصرون خدمة لأهوائهم الذاتية (وهى نسخ التوراة والإنجيل).

هنالك مقاطع قرآنية أخرى تدعم هذا التأويل، من بينها:

"وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"

(الآية ٦ سورة النحل).

هذه الآية الكريمة تدل بوضوح على استبدال بعض النصوص بنصوص أخرى (من القرآن نفسه)، فهي لا تقول إن الله استبدل كتابا معينا (التوراة أو الإنجيل) بكتاب آخر، بل استبدل آية بأخرى حيث تعني كلمة **"آية"** النصوص المكونة للقرآن و **ليس الكتب السماوية السابقة. هذا بالذات السبب**، في القول أن الله **قد استبدل بعضا من آياته القرآنية السابقة، والذي دفع خصوم نبى الإسلام لاتهامه بالتبديل فى الآيات**، عندما قالوا لأصحاب النبي:

" أن صاحبكم يأتيكم اليوم بأمر وينهاكم عنه غداً "

فنزلت الآية سالفة الذكر:

"مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة البقرة الآية ١٠٦)

لأنهم اعتقدوا (أى خصوم النبى من قريش) أن مسألة النسخ هذه لم تكن سوى ذريعة لتبرير نسيان محمد لنصوص آيات قرآنية سابقة.

هذا بالفعل ما يعيه بعض العلماء المسلمون الحديثون، لذلك ينكرون نظرية النسخ لآيات قرآنية فى ذات القرآن، **فيقولون** بنسخ **(التوراة والإنجيل)، بدلاً من نسخ آيات قرآنية، فى ذات القرآن.**

بالرغم من هذا نجد أن مولانا (ديزاي) يستعمل نظرية النسخ هذه للبرهنة على كمال القرآن. يقول " ديزاي ":

> " **كون الله تعالى قد نسخ بعضا من الآيات في زمن رسول الله** (صلعم) **حين كان الوحي لا زال يأتيه أمر معروف عند الجميع**... كلما أعلن رسول الله (صلعم) **أن آية قد نسخت فلا يمكن حينئذ إدخالها في المصحف**." (ديزاي، ص ٤٨,٤٩).

استدلال كهذا يزعم أن **المقاطع المفقودة من القرآن** الكريم التي تتحدث عنها **الأحاديث** يجب أن لا تعتبر كبراهين **على عدم كمال القرآن أو على تحريفه.**

تفترض هذه النظرية أن كل جزء من القرآن الكريم **لم يتم ضَمُّه للمصحف وقت جمعه أو ألغي لسبب آخر، وجب أن يكون الله قد نسخه. لهذا فلا شيء من القرآن قد فُقِد لأن ما وصلنا هو كل ما أراده الله أن يصلنا من القرآن.**

عمر بن الخطاب نفسه حار في الأمر حين علم أن نصوص لم يكن يدريها كان يقرأها الصحابي " أبي بن كعب " **ذو المعرفة الواسعة بالقرآن وهذا ما جعله يستنتج أنها قد (نُسِخت)، وقد جاء في صحيح البخاري:**

" حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا يَحْيَىعَنْ سُفْيَانَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ أُبَيٌّ (أبي بن كعب) أَقْرَؤُنَا وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ لَحَنِ أُبَيٍّ (أبي بن كعب)، وَأُبَيٌّ يَقُولُ أَخَذْتُهُ مِنْ فِي (فم) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلا أَتْرُكُهُ لِشَيْءٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

(ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) "

(صحيح البخاري كتاب، فضائل القرآن، الحديث ٤٦٢١(٧).)

من البديهي أن " **أبي بن كعب** " كان مقتنعا أنه لا يجب ترك ما تعلَّمه من محمد ﷺ مباشرة **والملجأ الوحيد لتفسير وجود تلك الآيات التي استمر في قرآءتها هو اعتبارها منسوخة.**

ورد في الحديث ذكر حالة صريحة **لآية لا توجد في المصحف الحالي وتعتبر في عداد ما نُسِخ.** لمّا كان محمد ﷺ بالمدينة جاءه بعض من الأعراب الذين كانوا موالين له طالبين منه أن يناصرهم على أعداءهم. و **بالفعل أرسل محمد سبعين من الأنصار لمآزرتهم فقاموا بقتلهم في** مكانٍ يدعى **" بئر معونة ".**

رُوِى في صحيح البخاري ":

" حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا "سَعِيدٌ" عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم أَنَّ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ **اسْتَمَدُّوا** رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَى عَدُوٍّ فَأَمَدَّهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ** كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ فِي زَمَانِهِمْ كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ **قَتَلُوهُمْ وَغَدَرُوا بِهِمْ** فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو فِي الصُّبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ** عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لَحْيَانَ قَالَ أَنَسٌ **فَقَرَأْنَا فِيهِمْ قُرْآنًا ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ رُفِعَ** بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا وَعَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ حَدَّثَهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَنَتَ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ** يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ وَبَنِي لِحْيَانَ زَادَ خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسٌ **أَنَّ أُولَئِكَ السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قُرْآنًا كِتَابًا نَحْوَهُ".**

(صحيح البخاري كتاب المغازي الحديث ٣٧٨١)

يفيدنا هذا الحديث أن آية ما، **كانت بالتأكيد جزأ من القرآن و تم نسخها لاحقا**. هذا الحديث **يعتبر مشهورا** فقد ورد عند كل من بن سعد و الطبري و الواقدي و مسلم بخصوص هذه الحادثة يقول السيوطي استنادا إلى الصحيحين:

" و نزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِع "

(الإتقان –الجزء الثاني ص ٥٥)

وهذا دليل إضافي على أن النص المذكور كان في الأصل جزأ من القرآن. المشكلة هنا وكذلك فيما يخص الآيات الأخرى التي يعتبرها الحديث منسوخة هو أن المرء لا يدري ما هي الآية التي هي " **أحسن منها أو مثلها** " التي جاءت **لتعوضها**. لأن القرآن يعلن بصراحة في آيتين (١٠٦,٢، ١٠١,١٦) **أن الله يبدل الآيات الأصلية بما هو "خَيرٌ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا"**.

فهكذا نجد أنه ذكر لنا في آية أن الخمر له محاسن و له مساوئ، و في الآية الأخرى جاءت بعدها أمر المسلمين أن لا يقربوا الصلاة و هم سكارى.

وفي النهاية تقرر في آيتين أخريتين تبعتهما، **أن الخمر محرم قطعيا. الآيتين الأخيرتين تعتبران ناسختين للآيتين السابقتين رغم بقاءهما في القرآن. هذا مثال منطقي لما يجب أن نصادفه في القرآن الكريم باعتبار أن كل آية نُسخت إلا ووُجدت آية لتكون مكانها .**

الحديث الذي ذكرناه حول قتلى بئر معونة **لم يذكر لنا الآية التي نزلت مكان الآية المنسوخة**، نفس الشيء نلاحظه بالنسبة للآيات الأُخر التي ذكرنا، **ما الذي عوّضها؟ أين الناسخ الذي وجب، أن يأتي مكان المنسوخ؟.**

من المعقول أن نعتبر أن أغلب الآيات التي قيل إنها رُفِعت (**نسخت**) **من المصحف، قد تكون إما أُهملت أو لم تكن معروفة لدى الصحابة أو نُسيت.**

(مثال ذلك المقطع الذي قال أبو موسى إنه كان يحوي الآية المتعلقة بطمع بني آدم).

(صحيح مسلم -كتاب الزكاة – رقم ١٧٤٠).

لِنُتِم هذا الفصل بعرض نصين مشهورين كان ضمن القرآن حسب المراجع الإسلامية الموثوقة و تم حذفهما خلال عملية جمع المصحف والنصين هما:

(١) في موضع آخر: "حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عبدا لله بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا يَعْنِي أَصْحَابَهُ بِبِئْرِ **مَعُونَةَ** ثَلَاثِينَ صَبَاحًا حِينَ يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَلَحْيَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَسٌ **فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ** صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الَّذِينَ قُتِلُوا أَصْحَابِ بِئْرِ مَعُونَةَ قُرْآنًا قَرَأْنَاهُ حَتَّى نُسِخَ** بَعْدُ بَلِّغُوا قَوْمَنَا فَقَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ"

(صحيح البخاري كتاب المغازي الحديث(٣٧٨٦).

وأيضاً فى نفس الموضوع نص حديث مسلم: (صحيح مسلم كتاب المساجد الحديث ١٠٨٥).

(٢) حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَعَثَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ فَاتْلُوهُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ **وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً** كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ **فَأُنْسِيتُهَا** غَيْرَ أَنِّي **قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا** وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ **وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ فَأُنْسِيتُهَا** غَيْرَ **أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (أنتهى ولا تعليق).

هذا على سبيل المثال وليس الحصر بشأن الناسخ والمنسوخ فى الآيات القرآنية.

سوى أن ننوه أن النسخ فى لغة القرآن الكريم هى ميزة تخص القرآن ذاته، ولا تطال غيره من الكتب السابقة له (التوراة والإنجيل).

وقد جاء فى كتاب لأحمد ديدات:

(ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ص)

وكذلك فى كتاب للدكتور احمد حجازى السقا:

(الأدلة الكتابية على فساد النصرانية)

يقولون من عندياتهم أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل، وأن شرط النبى أن يأتى بشريعة جديدة، وأن **المسيح لم يأت بشريعة جديدة** وإنما جاء المسيح **ليذكر بالشريعة القديمة، وقالا: أن المسيح جاء ليبشر بشريعة جديدة قادمة بدليل قوله:**

" ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء "

أى لم يجئ المسيح بشريعة لينقض شريعة موسى، أو يأتي بشريعة جديدة لينسخ القديم ".

لذا اعتبرا الكاتبان أن السيد المسيح بهذا **الاستنتاج القاصر المبتور** بأن المسيح ليس بصاحب شريعة **لأنه لم يأت بشريعة تناقض** التوراة **وأنبياء العهد القديم، لأنهما** اعتبرا أن **الشريعة التى لا تناقض سابقتها أو تنسخها ليست بشريعة جديدة ؟!.**

وبناء على هذا المفهوم القاصر، اعتبرا الكاتبان أن كل النبوءات التى ذُكرت بالعهد القديم التى تخص السيد المسيح ومجيئه، **ليست للمسيح!** وإنما جاءت تلك النبوءات لشخص آخر وهو محمد نبى الإسلام**! وهو الذى أتى بشريعة جديدة نسخت التوراة ومعها الإنجيل؟!.**

وبهذا الفكر القاصر والذى يعتقدا به الكاتبان من منظور شخصي وليس من منظور قرآني من ناسخ ومنسوخ فى شريعة الله، فكر خطير للغاية، لأنه يجعل من كلام الله دائم التغيّر، ويقوم الله سبحانه بإلغاء كلامه من آن لآخر وكأنها لم تكن، وهذا الفكر لا أريد البحث فيه لأنها تضع الذات الإلهية فى موضع غير لائق به، لأن الله هو هو الأمس واليوم وإلى الأبد، منذ الأزل وإلى الأزل إله سرمدي، ولا يعتريه ظل أو دوران أو تغيّر، وأن الله واحد وشريعته واحدة ومتكاملة، والله سبحانه لا يناقض نفسه بنسخ شريعة بشريعة. وإنما الذي يحدث فى الشريعة هى **السمو بها والتدرج فيها، والوصول بها إلى الكمال**، ومن الأرضيات إلى السماويات، ومن الماديات إلى الروحانيات، والارتفاع بالشريعة إلى أسمى رقى لها بارتقاء الإنسان من فكره البسيط إلى فكره المتدرج، ومن الرمزية فى الفداء والغفران فى الذبيحة المؤقتة، إلى الذبيحة الحقيقية فى المسيح، لكى يستطيع الإنسان فى نموه العقلي، يستطيع أن يدرك مدى الحب العظيم الذي أراده الله لنا وخصنا به دون كل مخلوقاته، ولذلك لم يفطن احمد ديدات والدكتور احمد السقا إلى الآية كاملة، وتم قص نصفها متعمداً والآية الكاملة بدون قص وهى:

"لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"

(مت٥: ١٧).

جاء المسيح لكى يكمل ما عجز عنه أنبياء العهد القديم جميعهم بدون استثناء، جاء لكى يسموا بالشريعة لأعلى درجاتها، جاء المسيح لكى يحقق فيه الفداء بسفك دمه على خشبه الصليب، جاء لكى يضع النقط فوق الحروف وليكمل ما جاء بالناموس، ليس بتغييره وإنما لإكماله والارتقاء به لأعلى حيث الله القدوس الكلى القداسة، لم ينسخ العهد القديم، وإنما شرحه وتممه وأبرزه فى شكله الروحي، الذى يلائم الناس فى كل زمان ومكان.

لأن اليهودية هى مرحلة تمهيدية للمسيحية، وان الله يقود البشرية فى طريق الكمال من العهد القديم إلى العهد الجديد إلى الملكوت. من عهد الناموس إلى عهد النعمة.

أن كانت المسيحية هى البناء الشامخ، فإن اليهودية هى أساسات هذا البناء. (١).
وأن كانت المسيحية هى الشجرة اليانعة فإن اليهودية هى الجذور لتلك الشجرة

وخلاصة القول إن كل تعاليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ثابتة، لا تقبل النسخ، وهذا يعنى أن كلمات الوحى لا تتغير بنسخ أو إلغاء، يشهد بذلك القرآن الكريم نفسه فى الآيتين ٣٤، و١١٥ من سورة الأنعام، والآية ٩٤ من سورة يونس، و ٥٧ من سورة الكهف. ولذلك المسيح وهو على خشبه الصليب صرخ بصوت عظيم قائلاً: ***" قد أكمل "***.

---

(١) من كتاب " الكتاب المقدس هل يعقل تحريفه". للأرخن حلمى القمص. ص ٣٧

واسلم الروح الإنسانية لكى يعيدها باللاهوت مرة ثانية بعد ثلاثة أيام، لأن الفداء فى هذه الحالة قد أكمل، والقضية قد أتت على نهايتها، والقصاص قد تم فى المسيح الممثل لكل البشر، والخُطة الإلهية قد اكتملت. وبذلك اكتملت الشريعة ووصلت إلى حد الكمال، ليس بإلغائها وإنما لإكمالها. (راجع كتابنا حقيقة التجسّد).

ولقد كان من الطبيعي أن يجئ إعلان الوحى المكتوب متدرجاً أى على مراحل يكمل بعضها بعضاً، إلى أن يكتمل ليصبح كاملاً فى المسيح. وليس معنى هذا أن الأديان تتطور أى تتبدل وتتغير بحسب تتابعها:

أن ديانة الله لا بد وأن تكون ديانة واحدة، لأن الله واحد.

ولا يجب أن نخلط بين تدرج الشريعة فى صعودها المتناغم المتكامل، وبين تعدد الأنبياء، وكان لا بد من ذلك التدرج التشريعي والأدبي، لأن البشرية لم تنضج دفعة واحدة.

فكان لا بد من المنتظر مرور وقت كاف حتى يتلقى عقل البشر نور الوحى ويهتدي به كاملاً لكى يتقبل فكرة التجسّد والفداء، وفكرة الثالوث في الوحدانية. وإذ قد تم ذلك التدرج على أجزاء وعلى فترات متباعدة بواسطة أنبياء بنى إسرائيل، فلا يعنى أن تلك الأجزاء متناقضة أو متناسخة لبعضها البعض، بل هى متكاملة بحسب هذا التدرج، ولا مجال فيها لتطور مزعوم. وألا لكان هناك داع لظهور ديانات جديدة ومتواصلة فى كل عصر وفى كل جيل وحتى قيام الساعة، لتتناسب مع تطور البشرية الطبيعي، لأن العالم يتطور بسرعة كبيرة، وما نراه نحن فى جيلنا الآن من تطور، لم يراه أسلافنا فى جيل آبائنا وأجدادنا، وما يراه أولادنا وأحفادنا من بعدنا من تطور سيكون مذهلاً. الأمر الذى يستحيل معه ثبات شريعة الوحي، بمنطِق التطّور.

وفضْلاً عن ذلك فإن شريعة الله سواء فى الطبيعة أو فى الضمير أو فى الأخلاق أو فى الإعلان المكتوب، مبنية على مطاليب الطبيعة التى وضعها الخالق فى العالم الطبيعي لم تتغير أو تتبدل رغم تطور الإنسان وتقدمه، وبالمثل الناموس الأدبي الذى يحدد صلة الإنسان بخالقه أى الوصايا العشر التى أعطاها الله لموسى منذ ٣٥٠٠ سنة، فهى أيضاً غير قابلة للتغيير أو النسخ، بل هى لازمة وثابتة ثبوت نواميس الطبيعة التى لا تتغير، فمثلاً فهل سمعنا أو رأينا أن قانون الجاذبية تغيرت أو تبدلت من عصر لآخر، أو القوانين الكونية أصابها التغير، أو قانون التوالد من ذكر وأنثى قد تطورت أو تبدلت بطريقة أخرى غير التى أرساها سبحانه.

هكذا أيضاً فى شريعة الله لم تتغير أو تتبدل، أو تنسخ أحداهما الأخرى أو تناقضها فهذا غير جائز بأى حال من الأحوال. وذلك لسبب بسيط للغاية:

" وهو لأن الله واحد دائم الثبات وأزلي، ولا تغيير فيه ولا تطور يعتريه "

فالمسيحية لم تناقض ناموس موسى وشريعته، بل المسيحية تأسست عليه ومن ثم لا تعتبر ناسخة أو مبطلة لليهودية وإنما هى مكملة لها (متى ٥: ١٧). (١).

فهل الوصايا العشر الذى أعطاها الله لموسى على الجبل ومكتوبة علـــى لـــوحين مـــن الحجر وهى أساس الديانة اليهودية التى تقول:

بالوحدانية لله الواحد ولا يجوز العبادة لغيره. والتى تأمر بطاعة الوالدين، والتى تنهى عن القتل، والسرقة، والزنى، وشهادة الزور، واشتهاء أموال الغير أو امرأته، أو الحلف بأسم الله بالباطل.

فهل من الممكن فى شريعة المسيح أو فى أى عصر من العصور أن تنسخ تلك الشـــريعة بشريعة جديدة تناقض شريعة موسى لتحض على الشرك بالله، وتبيح الزنى، وتصرّح بالقتـــل، وتؤيد السرقة، وتبيح شهادة الزور، واشتهاء أموال وزوجات الآخرين، والحلف باسم الله باطلاً !!؟.

فإذا كان القانون الطبيعى لا يجوز التغيير فيه أو التبديل على مر العصور والأجيال وحتى قيام الساعة وهى قوانين أرضية مخلوقة، فكيف يجوز فى شريعة الله الســـماوية الـــذى هـــو واضعها ومؤسسها، والله هو الخالق الثابت المطلق الوحيد، والذى لا يعتريه تغيير مـــن حـــال إلى حال وهو الأزلى السرمدي.

لذلك كانت الشرائع متكاملة غير متناقضة، مكمّلة بعضها البعض غير متناسخة.

لـذلك كان العهد القديم نصف كتاب المسيحية المقدس، والنصف الآخر هو العهد الجديد. وإذ قد أخذت المسيحية العهدين معاً فقد دلت بذلك لا على نسخها الديانة اليهوديـــة، **بل هى امتداد لها**، وتفسير وتحقيق. ومن ثم لا يصح اعتبار ظهور المسيحية بعد اليهودية تعاقباً فـــى الأديان، ولا تعدداً فيها، حتى يعتبرها النقاد أدياناً مختلفة العقائـــد والتســـميات، إذ أن الـــدين الصحيح لا بد أن يكون واحداً ومتكاملاً لا متناسخاً، وذلك لوحدة مصدره الإلهى. **فلذا** الأنبياء القدماء في اليهودية وهم كثيرون جاءوا بعد موسى لم نسمع لنبياً منهم نسخ تعاليم نبياً جـــاء قبله من بنى إسرائيل، لأنه لو طبقنا ذلك المنطق القاصر لكانت جميع شرائع هـــؤلاء الأنبيـــاء جاءت متناقضة ومتناسخة بعضها مع البعض الآخر.(١)

وختاماً لهذا الجزء أن القرآن الكريم يحلل الزواج من أهل الكتاب سواء منهم اليهوديـــات أو المسيحيات دون اشتراط الدخول فى الإسلام بعكس المشركات، وأحل لهم الأكل من طيباتهم. كما أن نبى الإسلام نفسه تزوج منهم، ولم يتزوج أبداً من مشركات.

---

(١) عصمة الكتاب المقدس واساحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٣

" وَطَعامُ الَّذينَ آتوُ الكتاب حِلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكم حل لّهمْ والُمحصّناتُ مِنَ المؤمنات والمحصناتُ من الّذينَ آتوُ الّكَتابَ مِنَ قَبلكمْ .."

(المائدة ٥)

ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ...ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا.".

(البقرة ٢٢١)

وجواز الأكل من طيباتهم والزواج منهم، يؤكد بها القرآن الكريم صحة التوراة والإنجيل فى زمن ظهور القرآن وعدم تحريفه، وهذا تصريح واضح بعدم شرك أهل الكتاب، لأنه لو أصاب الكتاب المقدس بعهديه التحريف والتبديل فى وقت ظهور القرآن أو قبل ظهوره، أو أن هذه التوراة ليست التوراة التى جاء بها موسى، أو هذا الإنجيل ليس هو الإنجيل الذى بشر بها عيسى، وأيضاً لو أعتبر أهل الكتاب مشركين لِما جاز للقرآن أن يصرح بالزواج منهم والأكل من طيباتهم، فى كل العصور.

أذن فى هذه الحالة أن التوراة والإنجيل فى زمن محمد نبى الإسلام، هى التوراة التى جاء بها موسى بذاتها وليست توراة منحولة، والإنجيل الذى جاء بها عيسى هو ذات الإنجيل الذى بشر به عيسى وليس غيره. وأنتشرا فى كل أرجاء العالم، وفى الجزيرة العربية منذ القرن الأول المسيحي، وكان ورقة أبن نوفل المسيحي كاتب الوحى، كما تقول كتب التفسير الإسلامية كان يكتب من الكتاب (التوراة والإنجيل) ما يشاء بالعربية، والقرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل الموجود فى عصره والذى مازال هو نفسه الذى بين أيدينا حتى اليوم والى قيام الساعة. والنتيجة المنطقية لهذا التصريح فى الآيتين السابقتين تكون: أن الكتاب المقدس بعهديه التوراة والإنجيل فى زمن محمد نبى الإسلام هى التوراة الصحيحة والإنجيل الصحيح لكتبة الإنجيل (متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا) وهى ذاتها المتداولة فى عصره، وكذلك التوراة، وألا لما صرح لأتباعه من المسلمين بالزواج منهم، والأكل من طعامهم إذا كانت محرّفة، أو كانوا مشركين. حتى هذه اللحظة.

---

(١) عصمة الكتاب المقدس واساحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٣

فبذلك يكون بناء على هذا التصريح القرآنى، أن التوراة والإنجيل فى المستقبل لن يعتريه التحريف أو التغيير لأن الله هو الحافظ له والمهيمن عليه. وألا لماذا يتم الزواج منهم حتى هذه اللحظة دون شرط دخولهم الإسلام؟. وليس من المنطق أن يقول قائل بعد ذلك، أن هذه الآيات تخص عصر محمد فقط، عندما كانت التوراة والإنجيل صحيحين وقبل تحريفهما.؟!!. **وإذا** قال قائل رغم ذلك، معنى ذلك ينكر تصديق القرآن على صحة الإنجيل والتوراة. وينكر تصريح القرآن الكريم على:" **إنه مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل**"

ويصرّح تصريحاً يخالف ما جاء به القرآن الكريم. **فأيهما نصدق:**

هل نصدق القرآن الكريم بآياته البينات التى تثبت صحة التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما لكلام الله كما أسلفنا القول ؟. **أم** نصدق البشر ممن يتهّمون زوراً كتاب الله ويرميه بالتحّريف والتبديل وهو أدعاء يخالف تماماً ما جاء بالقرآن الكريم؟. **فإذا** كان هذا الإدعاء صحيحاً لما كان القرآن يصرح بالزواج منهم والأكل من طيباتهم فى كل العصور والأجيال، وإذا جاء من يقول أن التحريف سيكون فى المستقبل، فإنه فى هذه الحالة يحكم على القرآن بأنه غير صالح لكل زمان ومكان. وإنه قاصر على جيل واحد فقط وليس لكل الأجيال مما يتناقض مع عالمية القرآن. وإذا قال قائل أن القرآن أعترف بصحة التوراة والإنجيل في زمن محمد، فيترتب على ذلك أن آيات القرآن قاصرة على جيل وزمن محمد فقط وليس لكل الأجيال، **فأيهما نصدق:**

هل نصدق الآيات الكريمة في القرآن الكريم، أم نصدق ما يقوله البشر المعترضين مما يناقض قول القرآن الكريم؟!.

ومما تقدم يتأكد أن التوراة والإنجيل كانا موجودين عند اليهود والمسيحيين، وألا فلا معنى لأمرهم بإقامة الأوامر والنواهي الموجودة بتلك الكتب إن كانت أُعدمت أو تحرَّفت، ففي الحالة الأولى تكون طاعة الأمر غير ممكنة بل مستحيلة، وأما في الثانية فطاعة المحرَّف تُضلهم عن سواء السبيل. وفي سورة البقرة :

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النصَارَى عَلَى شَيْءٍ
وَقَالَتِ النصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ "

(البقرة ٢ :١١٣)

ومعنى صيغة قوله – يتلون – إنهم كانوا في ذلك الوقت يتلون التوراة والإنجيل، وهما موجودان بين أيديهم، وإلا كان الواجب استعمال صيغة الماضي دلالة على أنهم تلوه في الماضي فقط.

وفي سورة يونس:

" فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ .... "

(يونس :٩٤)

وملخص ما حكاه جل المفسرين أن المخاطَب محمد، والمراد أمته، فسؤال أهل الكتاب محقق عندهم، ثابت في كتبهم، والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة فإن القرآن مصدق لما فيها، أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أُنزل إليه، فألفاظ هذه الآية الكريمة **تؤكد أن الكتاب المقدس كان موجوداً في زمن مجيء القرآن، وأنه يعترف بصحته، ويثق به وبقرَّائه من اليهود والنصارى،** وألا لما جاز له أن يطلب من محمد أو أمته أو كل سامع أن يسألهم ليتثبَّت الإيمان في قلوبهم ويزول عنهم الشك، **بشهادة هؤلاء الثقات وكتابهم الموجود الذي لم يُغيَّر ولم يُحرَّف، ولا ريب أنه لم يبق عند القارئ شك بسلامة الكتاب إن كان يعتقد بصدق قرآنه. وقال في سورة** (الأعراف ٧ :١٥٩) **مادحاً اليهود:**

" وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى " **أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**"

وقال البيضاوي على هذه الآية ما ملخصه، ومن بني إسرائيل طائفة يهدون الناس محقين، أو بكلمة الحق وبالحق يعدلون بينهم في الحكم، والمراد بها:

الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه، وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب.

هذه الآية تشهد أن الكتاب المقدس كان موجوداً بصحته وسلامته من كل تغيير في زمن إتيان القرآن، وكانت أمة موجودة عاملة بأوامره ونواهيه.

وملخص مفهوم هاتين الآيتين أنه يتعجب من تحكيم اليهود لصاحب القرآن مع أنهم لا يؤمنون به، والحال أن التوراة التي فيها حكم الله هي عندهم وليسوا بمؤمنين به، لإعراضهم عن تحكيمها بينهم، (كما جاء فى تحكيم اليهود لنبى الإسلام لشريفين من اليهود زنيا، فحكم عليهم بالرجم كما هو مثبت فى توراتهم).

ومن الأدلة الشاهدة أيضاً على وجود الكتاب المقدس – **أي العهدين الجديد والقديم – بسلامته حين مجيء القرآن، الاقتباسات الموجودة فيه** المصرحة **بأنها مقتبسة منهما** كما في سورة المائدة:

" وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا (أي في التوراة) أَنَّ النفسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ "

(المائدة ٥ :٤٥)

فهذه الآية منقولة من سفر الخروج ونصه:

" وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْساً بِنَفْسٍ، وَعَيْناً بِعَيْنٍ، وَسِنّاً بِسِنٍّ، وَيَداً بِيَدٍ، وَرِجْلاً بِرِجْلٍ..الخ "

(الخروج ٢١ :٢٣-٢٥)

وفي سورة الأنبياء قوله:

" **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ (كتاب داود) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ (أي التوراة) أَنَّ الْأَرْضَ (أرض الجنة أو الأرض المقدسة) يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (عامة المؤمنين).**

(الأنبياء ٢١ :١٠٥)

فهذه الآية مقتبسة من مزمور داوود ونصه:

"الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ "

(مزمور ٣٧ :٢٩)

و" الصدِّيقُونَ" هم العباد الصالحون المؤمنون المصدقون لكتاب الله.

وفي سورة الأعراف قال:

" إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ "

(الأعراف ٧ :٤٠)

فهذه الآية مقتبسة من الإنجيل كما في بشارة متى، وبشارة مرقس، وبشارة لوقا قال:

وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ"

(متى ١٩ :٢٤) ،(مرقس ١٠ :٢٥)،(لوقا ١٨ :٢٥)

فهذه الاقتباسات الثلاثة أحدها من التوراة، وثانيها من الزبور، وثالثها من الإنجيل، هي برهان جلي بأن الكتب المنزلة، التي كانت بأيدي اليهود والنصارى، هي التي بأيدينا الآن، وتُسمى بالأسماء التي كانت بعينها، فمن أول نظرة من القارئ الخبير يحكم حكماً قطعياً بأن هذه الآيات موجودة في وقتنا الحاضر، كذلك كان ينبغي لعلماء القرآن المنصفين أن يحكموا بأن **الآيات التي اقتبسها من الكتاب المقدس تدل على أنه كان موجوداً في زمن محمد،** بل الآيتان المقتبستان من التوراة والزبور في قوله **وكتبنا إليهم فيها أي التوراة وقوله ولقد كتبنا في الزبور فيهما برهان صريح أن هذين السفرين كانا موجودين حينئذ كما هما الآن.**

عدا ذلك أن كثيراً من القصص الواردة في القرآن وردت في الكتاب المقدس، ومن أمثال ذلك قصة يوسف – سورة يوسف – **وكل قصص الأنبياء، من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى ومروراً لكل الأنبياء بينهم، من داود وسليمان .. الخ. وكذلك من أحداث كالطوفان.. ومن خلق آدم من طين، وعصيانه لربه، وستة أيام الخليقة .. الخ. وكذلك يشتمل القرآن على مقتبسات كثيرة جداً من أسفار الكتاب المقدس لا يمكن تعليلها ولا فهمها إلا بمراجعة الأصل، فنقتصر على ذكر ثلاثة منها.**

١ – ورد في سورة (آل عمران ٣ :٩٣) اسم إسرائيل بدل يعقوب، وأنه حرم على نفسه طعاماً، فمن المستحيل أننا نقدر أن نفهم لماذا أبدل اسم يعقوب بإسرائيل، وما هو نوع الطعام الذي حرمه على نفسه إلا بمراجعة التوراة، أنظر سفر (التكوين ٣٢ :٢٢-٣١) حيث تجد ذلك مشروحاً شرحاً وافياً.

٢- وكذلك ورد فى القرآن الكريم أن أحد أبناء آدم قتل أخيه الآخر، ولم يذكر القرآن أسمائهما. ولكن فى التوراة فى سفر التكوين، ذكرتهما، وهما (قايين، وهابيل)، وأن القاتل هو (قـــايين) والمقتول (هابيل). والقصة مذكورة تفصيلاً.

٣- ورد فى سورة (الصافات٩٩ -١١٣) أن إبراهيم رأى فى حلم من الله بأن يذبح أبنه، ولم يذكر أسم ذلك الأبن. وفى التوراة فى سفر التكوين، تحدد أسم الذبيح تحديداً وهو (إسحق)، ومذكورة القصة تفصيلاً فى عدة صفحات .

كما أن الأحاديث النبوية المحمدية لا تخلوا من تلك الإقتباسات الكتابية (التوراة والإنجيل)، من أمثال ذلك ما ورد في كتاب (مشكاة المصابيح ص٤٨٧ من طبعة سنة ١٢٩٧ هـ البـاب الأول والفصل الأول)، في كلامه عن وصف الجنة وأهلها قال رسول الله قال: الله تعالى:

" أعددتُ لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر."

فلا يشك أحد أن هذا الحديث منقول من الرسالة الأولى لبولس الرسول إلى أهل كورنثوس،

" ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن،
ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله لمحبيه "

(١ كو ٢ :٩)

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أنه بينما يقرر نبى الإسلام أن هذا الوصف من كلام الله ينكـره كثيرون من علماء الإسلام أن بولس رسولٌ، وأن رسائله موحى بها من الله.

*****

والقرآن يشير إلى الأسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد هو الكتاب المقدس مع أنه يذكر له ثلاثة أقسام: وهي (التوراة والزبور والإنجيل).

وقد يطلق المسلمون " التوراة "، على الكتاب المقدس كله لأنه يبتدئ بالتوراة، وكثيراً ما يشير القرآن إلى أنبياء العهد القديم ويعلق على الإيمان بهم أهمية عظيمة، ومن ذلك قوله في سـورة البقرة :

"قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ
وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ
لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "

(البقرة ٢ :١٣٦)

وجاء مثل ذلك في سورة (آل عمران ٣ :٨٤)، من هنا يظهر جلياً أن القرآن يتفق مع الإنجيل في الشهادة بأن كل أسفار الكتاب في تلك الأقسام الثلاثة موحى بها.

وقد يطلق أيضاً المسيحيون اسم الإنجيل على كل أسفار العهد الجديد كما يطلقه عليها القرآن، ومن أسباب ذلك أن العهد الجديد يبتدئ بالبشائر الأربع، ومنها أن الإنجيل معناه خبر سار أو بشارة، وهذا الخبر السار خلاصة العهد الجديد من أوله إلى أخره، فسُمي به.

وكان الإنجيل، منتشراً في عصر نبى الإسلام في قسم عظيم من العالم بين الشعوب، في ثلاثة من أقسامه – **بشائره – أي بشارة (متى ١٩ :٢٤) وبشارة (مرقس ١٠ :٢٥) وبشارة (لوقا ١٨ :٢٥) كما ورد في سورة (الأعراف ٧ :٤٠)، وعلى هذا ينبغي لكل ذي عقل سليم خال من التعصب، أن يعترف بأن القرآن يشير إلى الكتاب المقدس بأنه كتاب منتشر في عصره وموحى به من الله تعالى.**

ويذكر القرآن الكريم الكتابَ المقدس بالاحترام والتعظيم، ويلقّبه بأعظم الألقاب، مثل قوله كلام الله – سورة (البقرة ٢ :٧٥)،– و الفرقان (سورة الأنبياء ٢١ :٤٨)، – وضياء وذكرى للمتقين (سورة الأنبياء ٢١ :٤٨)، – و كتاب الله (سورة البقرة ٢ :١٠١).

وفي البيضاوي وكتاب أسباب النزول يشير إلى مقام الكتاب المقدس في تفسير آية (٢٣ من سورة آل عمران)، بأن محمداً طلب من اليهود التوراة لتكون حكماً بينه وبينهم، وفوق ذلك يفيد القرآن الكريم، أن نوع الوحي الذي أُوحي به إلى محمد كالذي أوحي به إلى الأنبياء المتقدمين، كما يدل على ذلك قوله:

" قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ " (سورة آل عمران ٣ :٧٣)

وقوله:

" إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ " (سورة النساء ٤ :١٦٣)

وقوله:

" كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (سورة الشورى ٤٢ :٣)

مما ذكر تعلم أن التنزيل المنسوب إلى القرآن يجب أن ينسب إلى الأسفار المتقدمة عليه حيث أن من أول البديهيات المسلم بها في علم أصول الهندسة هو أنه إذا ساوى شيئان ثالثاً فهما متساويان لبعضهم لا محالة.

فأسفار العهدين منزلة من عند الله بنفس التنزيل الذي ينسبه القرآن لنفسه، وعليه فالقرآن يأمر أتباعه أن يعترفوا بالأسفار المتقدمة عليه كما يعترفون به بلا أقل تمييز، **وهم مأمورون أيضاً**

أن يعتقدوا بأن القرآن نزل مصدّقاً لكتاب اليهود والنصارى، ومن أمثال ذلك ما ورد في سورة آل عمران:

" نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ "

(سورة آل عمران ٣ :٣ و٤)

ولزيادة التأكيد على أن التوراة والإنجيل موحى بهما جاء في القرآن الكريم تهديد صارم لمن يكفر بهما أو يظن بهما الظنون، ومن ذلك قوله:

" الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ"

(سورة غافر ٤٠ :٧٠-٧٢)

والبيضاوي في تفسيره هذه الآية يفسر قوله الكتاب بالقرآن أو الكتب السماوية على العموم ويفسر قوله وما أرسلنا به رسلنا بسائر الكتب أو الوحي والشرائع وبمقتضى هذا التفسير على افتراض أن المقصود هنا بالكتاب ليس الكتاب المستعمل في قوله يا أهل الكتاب بل هو القرآن، تكون الكتب السماوية الأخرى هي أسفار العهد القديم والجديد لا محالة.

ويشهد القرآن الكريم أن أسفار العهد القديم تتفق مع أسفار العهد الجديد في المسائل العمومية، ومن ذلك قوله:

" وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى
وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ "

(سورة المائدة ٥ :٤٦)

من كل ما أوردناه هنا يتضح:

١ - أسفار العهد القديم والجديد، أي التوراة والزبور وأسفار الأنبياء، والإنجيل ورسائل رسل المسيح كانت جميعها منتشرة في عصر صاحب القرآن بين اليهود والنصارى.

٢ - يقرر القرآن الكريم أن هذه الأسفار موحى بها من الله، أي منزلة من عنده.

٣ - بينما يعظّم القرآن نفسه إلى أعلى درجات التعظيم، فإنه يساوي بين نفسه وبين الأسفار المقدسة المتقدمة عليه.

٤ - يسمّي القرآن الكريم الكتاب المقدس كتاب الله، وكلام الله، والفرقان، والذكر، ونوراً وهدى ورحمة، .. الخ.

٥ - يأمر القرآن الكريم محمداً أو المسلمين أن يرجعوا إلى الكتاب المقدس في تحقيق ما يرتابون فيه من أصول دينهم ويحرضون النصارى واليهود أن يفعلوا مثل ذلك.

٦ - يشير القرآن الكريم على اليهود أن يتخذوا التوراة حكَماً فيما هم فيه يختلفون.

٧ - يأمر القرآن الكريم المسلمين أن يشهدوا أنهم مؤمنون بالكتاب المقدس كما هم مؤمنون بقرآنهم.

٨ - إن الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس لهم عذاب عظيم في الآخرة كما لو لم يؤمنوا بالقرآن الكريم.

تبيّن من البراهين التي قدمناها في الفصل السابق أنه ينبغي للمسلمين الخاضعين لأوامر القرآن الكريم أن يدرسوا كتاب الله أي أسفار العهدين القديم والجديد، ويحترموه ويطيعوه، غير أن بعضهم لا يسلم معنا بهذه النتيجة استناداً على دعواهم:

١ - إن الكتاب المقدس نُسخ.

٢ - أن الأسفار المقدسة المتداولة اليوم ليست هي الأسفار التي ذكرها القرآن وشهد لها.

٣ - وبعضهم يقول ربما تكون هي بعينها؟ إلا أنه اعتراها التحريف والتبديل حتى لم تعد تستحق الكرامة ولا العناية المعطاة لها في القرآن.

ولنسلم هنا أن بعض علماء الإسلام يحاولون أن يثبتوا صحة وقوع النسخ على الكتاب المقدس، كالبيضاوي مثلاً، فإنه يقول في تفسيره على قوله:

"وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ"

(سورة التوبة ٩ :٢٩)

أي الدين الذي ينسخ سائر الأديان ويبطل مفعولها اعتقاداً وعملاً.

ثم ورد في كتاب: (عيون أخبار الرضا فصل ٣٦)، قوله:

كل نبي كان في أيام موسى وبعده كان على منهاج موسى وشريعته وتابع الكتابة إلى زمن عيسى. وكل نبي كان في أيام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابع الكتابة إلى زمن نبينا محمد. وشريعة محمد لا تُنسخ إلى يوم القيامة.

وورد في كتاب:

(هداية الطالبين إلى أصول الدين للمولوي محمد تقي الكاشاني الفارسي) ما ترجمته إلى العربية إن علماء الإسلام قرروا:

أن محمداً نبي هذا الزمان، ودينه ناسخ لأديان الأنبياء السابقين. ص ١٦٦.

ورداً على ذلك نقول إن مسألة النسخ وإن كانت مقبولة عند العامة وكثيرين من الخاصة، غير أنه يجب أن نلاحظ أن القرآن الكريم كما سبق التوضيح، لم يشر إليها بكلمة واحدة، ولا أشار إليها الحديث عند السنيين ولا الشيعيين، وبالإجمال أن هذه المسألة تشوّش تعليم القرآن الكريم وتقلبه رأساً على عقب.

ومع أن الدعوى بأن الزبور ناسخ للتوراة، والإنجيل ناسخ للزبور، دعوى باطلة ليس لها أى أساس في القرآن الكريم، ولا في الحديث البتة، وقد راجت بين عوام المسلمين رواجاً عظيماً، ولا بأس أن نورد شهادة بعض العلماء المعتبرين في هذا الصدد:

قال الحاج رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق، إن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور، ونسخ الزبور بظهور الإنجيل بهتان لا أثر له في القرآن ولا في التفاسير، بل لا أثر له في كتاب من الكتب المعتبرة لأهل الإسلام، والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة، ولا بمنسوخ من الإنجيل، وكان داود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام، وكان الزبور أدعية.

فهذا العالِم ينكر النسخ على هذه الكيفية، وقد صدق في ما قال، لأنه لا يقول بالنسخ أحد إلا إذا كان جاهلا للقرآن الكريم وللكتاب المقدس كما تم بيانه وسنبينه، اقرأ الكتاب المقدس بتأمل وخشوع حتى تقف على مشتملاته الجوهرية، وقصة الله مع البشر، وحينئذ ترى بمزيد الوضوح أن تعليم أسفار العهدين القديم والجديد واحد، وأنها سائرة على نظام واحد، ووجهتها واحدة مستدرجة في إعلان مقاصد الله الأزلية لبني الإنسان.

فتعال معى نبحث وننقر فى أصول العقيدة وشريعة الله المتدرجة فى التوراة من سفر التكوين، وهى أول سفر فى الكتاب المقدس والتوراة، إلى سفر الرؤيا، وهى آخر سفر فى الكتاب المقدس والإنجيل، لكى يتضح عدم صحة النسخ المزعوم والمفترى عليه لكتاب الله المقدس،

أن من يدعّون بنسخ التوراة والإنجيل،
فهم يهدمون خطة الله فى الفداء وخلاص البشر.
ففى التوراة أصول العقيدة وجذورها، وفى الإنجيل ثمارها،
وفى كلاهما تتضح حقيقة الشريعة الواحدة، التى غايتها فداء البشر وخلاصه
بدم يسوع المسيح المصلوب.

ففي أسفار العهد القديم نتعلم كيف خلق الله الإنسان، ثم كيف دخلت الخطية إلى العالم، ويتلو ذلك الوعد الإلهي بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية، وبعد ذلك بمئات السنين نجد أن العالم القديم قد ضل عن عبادة الله، ووقع في عبادة الأوثان والرذيلة، فتم القضاء عليهم بالطوفان، وأستبقى سبحانه نوح وأولاده. ومن نسل سام دعا الله إبراهيم من وسط قومه وأوثق معه ميثاقاً وعهداً، بأن المخلّص من موت الخطية الذي وعد به الجنس البشري يكون من ذرية ابنه الشرعي إسحاق، ثم نجد بعد ذلك أن الله يجدد الميثاق المشار إلية مع إسحاق، وجدده مع يعقوب، وينبّئهم بأنهم سينزلون إلى مصر، ثم يخرجون منها إلى أرض كنعان للغاية التي دعاهم إليها.

ثم نزلت التوراة على موسى وقد شملت على هذه المواعيد، وزادت عليها مواعيد جديدة تستحق الاعتبار، ثم توالت الأنبياء جيلاً بعد جيل، وأتوا بأقوال لا تخرج عن المعاني التي أتى بها موسى، بل غاية ما في الأمر زادتها وضوحاً وبياناً من جهة أن الإنسان خاطئ ولا بد له من مخلّص، ثم أخذوا من وقت إلى آخر يبسطّون كلامهم عن ذلك المخلص، فأنبأوا عن أعماله العجيبة، والبلدة التي سيولد فيها، وعن آلامه وموته صلباً، قبل حدوثها وتحقيقها عشرات المئات من السنين. أما الإنجيل فيخبرنا عن وقائع المخلّص وأعماله التي جاءت موضحة ومتممة لنبوات التوراة والمزامير وكل أسفار العهد القديم. والتى تحققت بالتمام والكمال فى المسيح.

ثم يخبرنا كيف بعث ذلك المخلّص رسله إلى العالم أجمع وأمرهم أن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، وبعد ذلك كيف ينتظرونه حتى يأتي مرة ثانية على سحاب السماء كما وعدهم ليدين الأحياء والأموات، ويعتق الأرض من عبودية الفساد، ويملك إلى الأبد.

وأما أسفار أعمال الرسل ورسائلهم – وهي الأجزاء المتممة لأسفار العهد الجديد – فتشرح لنا كيف ابتدأ الرسل بالكرازة بالمسيح، وسفر الرؤيا – خاتمة أسفار العهد الجديد – ينبئنا عن الضيقة العظيمة التي سيقع فيها المؤمنون بالمسيح، ثم النصر العظيم الذي يتبعها.

هذه بالاختصار سلسلة حقائق العهدين من ابتداء سفر التكوين إلى نهاية سفر الرؤيا،

فكأن الكتاب المقدس والحالة هذه يشبه عمارة عجيبة.

أساسها التوراة، والإنجيل ختامها.

وكل منهما يظهر حكمة الله وعدالته ومحبته ورحمته الفائقة وأنه خالق كل الأشياء.

ففي توراة موسى يظهر قصد الله من حيث نعمته بكل وضوح، حتى أن الذين عرفوه حسبما هو مبيَّن فيها مالوا إليه وأحبوه وعبدوه وآمنوا به ووجدوا فيه ما يشبع أشواق نفوسهم الخالدة من السلام والسعادة الحقيقية. وفي أسفار الأنبياء والمزامير تعلو هذه الأخبار إلى درجة أرفع من تلك، لأنها تشرح لنا أن الله من البدء اختار بني إسرائيل وهذَّبهم شيئاً فشيئاً صابراً على غلظة قلوبهم وشر أفعالهم وفشلهم في تأدية ما كلفهم به، وتشرح لنا مسألة أخرى هي أن بعض الرسوم الدينية ومناسك العبادة الخارجية ليست مقصودة في حد ذاتها، ولكنها خصّت ببني إسرائيل ليستعملوها مؤقتاً توصُّلاً إلى قصد معلوم وهو:

١ – إيجاد فاصل مميز بين اليهود والأمم إلى أن يأتي المخلّص الموعود به.
٢ – لتعليمهم بأن تلك الطقوس وإن كانت مؤيَّدة بأوامر إلهية، فليست إلا رموزاً لحقائق روحية، لأن العبادة المقبولة عند الله لا تقوم بشكلها الظاهر فقط، بل بالحالة التي يكون عليها قلب العابد حيث قال السيد المسيح:

" اَللّٰه رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا "

(يوحنا ٤ :٢٤)

ومما يدل على أن تلك الطقوس، ليست مقصودة لذاتها ما قاله صموئيل النبي:

" هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ ، هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ"

(١ صموئيل ١٥ :٢٢)

وورد في سفر ميخا النبي أن ملكاً يُسمى بالاق سأل:

" بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ ، هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ ، هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ، هَلْ أُعْطِي بِكْرِي عَنْ مَعْصِيَتِي، ثَمَرَةَ جَسَدِي عَنْ خَطِيَّةِ نَفْسِي "

فجاءه الجواب من قبل النبي مصرحاً بعدم فائدة الشعائر التي عدَّدها في سؤاله، ما لم تكن مقرونة بتكريس الحياة والقلب لله وهاك نص الجواب:

" قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلهِكَ "

(ميخا ٦ :٦–٨).

والسيد المسيح يوافق على هذا التعليم كل الموافقة بأصرح الأقوال وهاك ما قاله:

" تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.
اَللّه رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا "
(يوحنا ٤ :٢٣ و٢٤)

ولما أعلنت هذه الأسرار الروحية والتعاليم الراقية وقدمت الكفارة عن خطايا العالم أجمع (انظر ١ يوحنا ٢ :٢) ودرّب المسيح الحواريين وأرسلهم ليكرزوا ويبشروا بالإنجيل في كل أقطار المسكونة ويعرضوا على بني آدم هبة الله المجانية وهي الحياة الأبدية انظر (رومية ٦ :٢٣)، معطياً لهم قدرة ومعونة حتى يقيموهم من قبور خطاياهم إلى حياة البر والفضيلة ويملأوا الأرض من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر (إشعياء ١١ :٩)، ولما تم كل هذا، آن الآوان الذي ينبغي فيه حل رموز تلك العبادة القائمة بالذبائح والبخور والغسل إلى غير ذلك، مما هو مذكور بالتفصيل في التوراة بالعبادة الروحية التي كانت ترمز إليها تلك الرسوم الظاهرة، ولولا العبادة الروحية لكانت تلك الرسوم خالية من الفائدة، وإذا جاء الحقيقى استُغني عن الرمز، كما يُستغنى عن القشرة بعد نضوج الحبة، وإلى هذا المعنى أشار إرميا النبي فقال:

" هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً.
لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ.
بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ : أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً"
(إرميا ٣١ :٣١-٣٣)

ومن هذه الآيات أخذنا كلمة – العهد الجديد – وجعلناها اسما للإنجيل، وهو الجزء الثاني من الكتاب المقدس، ولاحظ كيف تتفق هذه الآيات مع قول المسيح الذي أشرنا إليه آنفاً في بشارة (يوحنا ٤ :٢٣ و٢٤)، فإنه يتبين أن كل الطقوس والشعائر اليهودية الوقتية – أو كما يسميها بعضهم الشريعة الطقسية – قد تمت تماماً في ملء روحانية العهد الجديد الذي نوى المسيح أن يعقده مع كل من يؤمن به من أية أمة كانت على الأرض، ومن أجل ذلك قال المسيح بهذا الصدد خطاب الامرأة من السامرة:

" يَا امْرَأَةُ، صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، لا فِي هذَا الْجَبَلِ، وَلا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ ، لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.
اَللّه رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا "
(يوحنا ٤ :٢١-٢٤).

ثم أن الجواب الذي أجابت به تلك المرأة المسيح يدل على أن مسألة إتمام العهد القديم بالعهد الجديد، أو بعبارة أخرى إيضاح العبادة الطقسية بالعبادة الروحية، كان معروفاً ومنتظراً، ليس فقط عند اليهود الأتقياء – انظر بشارة (لوقا ٢ :٢٩) – بل وعند المحققين من السامريين – انظر بشارة (يوحنا ٤ :١٢-٢٣).- واقتبس أحد الحواريين مقالة أرميا التي ذكرناها آنفاً في هذا الصدد، وبيّن أن ذكر العهد الجديد الذي بشر به أرميا يدل على أن يهود عصره كانوا يعتقدون بأن الطقس الموسوي شاخ وهرم، وقارب الاضمحلال واحتاج الحال إلى العهد الجديد انظر (رسالة العبرانيين ٨ :١٣)، الذي لا يبطل التوراة بل يكشف الحجاب عن حقائقها انظر إنجيل (متى ٥ :١٧)، واعلم أن الحق بحسب جوهره ثابت ودائم غير قابل التبديل ولا النسخ.

فالحقائق التي وردت في العهد القديم يجب أن تبقى حقاً إلى ما لانهاية، ولا يُقال إن العهد الجديد نسخها، بل يُقال إنه شرحها وأبرزها في شكلها الروحي الذي يلائم الناس في كل زمان ومكان.

العهد القديم، كان بين الله وبني إسرائيل فقط،
ومدته انتهت بمجيء المسيح وتأسيس ملكوته.
وأما العهد الجديد، الذي تنبأ به أرميا النبي فعهد بين الله والمؤمنين بالمسيح،
سواء كانوا من بني إسرائيل أو من الأمم.

فهذا العهد الأخير أعم وأهم من الأول، لأن الأول كان قائماً على فرائض وطقوس ورسوم، تدرّب بني إسرائيل فقط على إدراك الحقائق الروحية تدريجياً، استعداد لأن يكونوا تلاميذ للمسيح وأساتذة العالم أجمع.

فالعهد الأول والحالة هذه، يشبه بذرة محصورة في دائرة ضيقة. وأما العهد الجديد فيشبه شجرة متأصلة نامية شاغلة مكاناً متسعاً، فكأن بذرة العهد القديم أنبتت شجرة العهد الجديد، والاثنان واحد جوهراً وإن اختلفا ظاهراً.

وحيث كان الأمر كذلك فمن الخطأ المعيب أن يُقال بأن العهد القديم منسوخ والعهد الجديد ناسخ، ولعل الذين قالوا هذا القول لاحظوا الطقوس والفرائض التي خصّت ببني إسرائيل وأهملت من جانب المسيحيين، فنجيب عن ذلك أن تلك الطقوس الإسرائيلية هي بذاتها أنتجت العبادات الروحية للمسيحيين، كما تنتج البذرة شجرة تُرى كأنها شيء جديد، والحقيقة هي أنها البذرة بعينها إنما أخذت شكلاً آخر.

فلا يصحّ أن يُقال إن الشجرة نسخت البذرة ومحت أثرها من صحيفة الوجود،
بل أتمتها وأظهرت قوتها وإنتاجها بشكل محسوس.

ولا يبرح من ذهنك أن وصايا التوراة نوعان: طقسية وأدبية:

الوصية الأولى: كانت خاصة ببني إسرائيل، والكثير منه لم يكن مشروعاً إلا عندما أُوحي إلى موسى بالتوراة على جبل سيناء، ومن أجل ذلك لم يكن إبراهيم مكلفاً منها إلا بالختان فقط، وهذه ملاحظة جديرة بالالتفات، لأنها تدل على أن نفوذ الوصايا الطقسية محصور ووقتي، حتى أنه لم يشمل إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وذريتهم إلى زمن موسى، فالغرض إذاً من هذه الوصايا الطقسية هو كما أسلفنا بيانه أمران:

الأول: لأجل أن يعزل اليهود عن الأمم عزلة تامة صوناً لهم من السقوط في الوثنية التي كان لها السلطان الأعظم في تلك العصور المظلمة، واستدامت هذه العزلة إلى مجيء المسيح وتأسيس كنيسته على الأرض.

والثاني: حتى يتعلّموا عملياً أن العبادات الظاهرة القائمة في المناسك وإن كانت موحى بها من الله ليست مقصودة لذاتها، ولا تروي النفس المتعطشة إلى الله، بل غاية ما هنالك يرمز بها إلى حقائق روحية هي المقصودة بالذات كما شرحناها في غير هذا الموضع قارن (مزمور ٥١ :١٦ و١٧)، وبين ما تم مع المسيح، فلم تكن تلك الوصايا مفروضة على الأمم، وقد ضعف تأثيرها على بني إسرائيل أنفسهم منذ قيامة المسيح من الأموات،

أما الوصية الثانية: وهي الوصايا الأدبية: فهي أزلية أبدية، والناس ملتزمون بها في كل زمان ومكان، وإن كان أُوحي بها إلى موسى، إلا أن الالتزام بها من بدء الخليقة إلى منتهاها، فمن الوصايا الأدبية: لا تزن. لا تسرق. لا تقتل. لا تعبد الأصنام ..الخ، فهذه الوصايا متعلقة بذات الله تعالى وطبيعته القدوسة، من أجل ذلك ينبغي أن تكون من الأزل إلى الأبد، ولا معنى للناسخ والمنسوخ في هذا المقام.

فمن يزعم أن الإنجيل ينسخ التوراة هو على خطأ وجهل مطبق، وما الإنجيل بناسخ للتوراة بل مصدق وشارح لمعانيه، ورافع لرسومه من الجسديات إلى الروحيات.

ولهذا السبب ورد في الإنجيل أقوال تفوق الحصر من التوراة في مواضيع مختلفة، مشروحة شرحاً وافياً ومدققاً، ولقد صدق القرآن حيث أفاد في وصفه الإنجيل بكونه مصدقا للتوراة كما جاء في سورة المائدة:

(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)

(سورة المائدة ٥ :٤٦)

ولنكرر القول هنا إن الوصايا الواردة في التوراة ولم يلتزم بها المسيحيون ما هي إلا الوصايا الطقسية، على أن الإنجيل لم ينسخها ولم يبطلها بل قد أكملها وبلغها إلى درجة رضوان الله الكامل، ومن أمثلة ذلك ما ورد في التوراة أن الله فرض على بني إسرائيل تقديم الذبائح الذي كان مستعملاً من بدء الخليقة عند كل الشعوب، وأمرهم أن يقدموها في أوقات معلومة ولغايات مختلفة، منها للتكفير عن الخطايا، ولا يُعقل بداهة أن تقديم ذبائح الحيوانات يرفع خطايا البشر، وقد لاحظ ذلك داود النبي فقال:

" لأَنَّكَ لا تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلا فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لا تَرْضَى "

(مزمور ٥١ :١٦)،

وقد كمل الإنجيل التوراة في هذا الموضوع حيث يقول:

" لأَنَّ النامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ لا نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لا يَقْدِرُ أَبَداً بِنَفْسِ الذَبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، التي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وألا، فَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضاً ضَمِيرُ خَطَايَا. لكِنْ فيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. لذلكَ عِنْدَ دُخُولِه إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: ذَبِيحَةً وَقُرْبَان الم تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَداً. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ: هَئَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اَللّه. إِذْ يَقُولُ آنفاً : إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلا سُرِرْتَ بِهَا . التي تُقَدَّمُ حَسَبَ النامُوسِ. ثُمَّ قَالَ : هَئَنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ . يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ. فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً " (عبرانيين ١٠ :١-١٠)

كشف إشعياء النبي لنا سلفاً عن المقصود من تلك الذبائح الحيوانية في إنبائه عن حمل الله (إشعياء ٥٣) الذي كان ناوياً على تقديمه من بدء الخليقة (رؤيا ١٣ :٨)

وحيث أن هذا (الذبح العظيم) الذي كانت تشير إليه الذبائح الحيوانية قد حدث تقديمه، فلا لزوم لتلك الذبائح الحيوانية بعده، أما المسيحيون فلا يقدمونها اكتفاء بذبيحة المسيح، ولا يقدمها اليهود لأنهم أمروا في التوراة أن لا يقدموا ذبيحة إلا في أروشليم داخل أسوار هيكل سليمان، ومن المعلوم أن الهيكل خرب وزال من الوجود، وبُني على آثاره قبة الصخرة وفي ساحته جامع عمر وهو باق إلى اليوم، ومع أن المسيحيين لا يقدمون ذبائح حيوانية لكنهم لا يزالون يقدمون ذبائح ذات شأن عظيم عند الله، وهي ذبائح نفوسهم، أي يضحّون بأجسادهم وأرواحهم ونفوسهم ليكونوا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله الحي الأزلي، وبهذا يتممون المعنى الروحي المقصود من المحرقات المفروضة في شريعة موسى، وأشار إلى هذه الذبائح الرسول بولس بقوله:

" فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ؟ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ؟ لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ ".

(رومية ١٢ :١ و٢)

ويشير إليها أيضاً بطرس الرسول بقوله:

" كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيّاً، كَهَنُوتاً مُقَدَّساً، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ "

(١ بطرس ٢ :٥)

وقد شرَّعت التوراة فريضة غسل الجسد، ولا شك أن الغرض من هذا هو:

١ – تنظيف الجسد، فإن الله يحب أن تكون أجسادنا نظيفة وبصحة معتدلة حسب الحالة التي فُطرنا عليها، لأنه من المحتمل أن وساخة الجسد تدنس الروح.

٢ – حتى يتعلم الإنسان بالاختبار أن تنظيف الجسد وغسله مراراً وتكرار لا يطهر القلب من الأهواء الفاسدة، ولا يخلي الذهن من الأفكار الدنسة، ولا يمنح النفس مغفرة عن خطاياها السالفة، وعليه تحتاج نفوسنا إلى القداسة التي بدونه لا يعاين أحد الرب.

وقد ثبت أن الغسل اليهودي عديم التأثير وبعبارة أخرى لا يمكن أن يقدس النفس، وما هو إلا ظل ورمز إلى غسل أجلّ وأسمى وهو الغسل الروحي السماوي الذي يمكن الحصول عليه بدم المسيح فقط الذي بالإيمان به نطهر من كل خطية، من أجل ذلك ينبغي للمسيحيين الحقيقيين أن يمتثلوا أمر الرسول الصادر في هذا الشأن حيث يقول:

"*لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ* "

(٢ كورنثوس ٧ :١)

فتطهير الجسد والروح لازم لهما ولكن يجب أن نحاذر من أن نجعل تطهير الجسد علة لتطهير الروح، وشرَّعت التوراة أيضاً أن الذبائح يجب أن تُقدَّم في مكان معلوم انظر (التثنية ١٢ :١٣)، وهو المكان الذي يختاره الرب ليجعل عليه اسمه، وفي ذلك معنى رمزي يشير إلى مسكنه، انظر (التثنية ١٢ :٥)، والمكان الأول الذي اختاره الرب لهذه الغاية كان شيلوه، انظر يشوع (١٨ :١)، ثم اختار أورشليم مع أن الملك سليمان صرح بأن الهيكل الذي بناه مسكنا للرب في أورشليم ليس بالحقيقة مسكن إله بل رمزاً وعلامة محسوسة على وجوده تعالى بين شعبه، ويدل على ذلك قوله:

" لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقّاً عَلَى الأَرْضِ، هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لا تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ "

(١ ملوك ٨ :٢٧)

وأيَّد النبي إشعياء كلام سليمان في هذه المسألة في قوله:

" لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ، فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ، وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ، لأُحْيِيَ رُوحَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَلأُحْيِيَ قَلْبَ الْمُنْسَحِقِينَ"

(إشعياء ٥٧ :١٥)

ثم صادق المسيح على هذا الفكر وأيده بأقوال كثيرة بما معناه لا ينبغي أن يُسجَد لله في مكان خاص، وأن العبادة الخالصة مقبولة عن الله بدون اعتبار المكان (يوحنا٤ :٢١، ٢٤) .

وزاد هذا الاعتقاد تمكناً ورسوخاً بعد أن قدم المسيح نفسه ذبيحة خارج أسوار أورشليم، مرة واحدة أغنتنا عن ألوف من الذبائح والمحرقات، ومن ذلك الوقت فصاعد الم يبق وجه معقول لتخصيص بقعة من الأرض للعبادة ولنسبة القداسة والبركة إليها بنوع خصوصي، فترى من هنا أن العهد الجديد ليس محصوراً بين أمة ولا في إقليم دون آخر، بل هو متسع لقبول من يؤمن بالمسيح من أية أمة، وبلاد على وجه الأرض بحيث تمنح له حصته من بركات الله ومزايا الإيمان.

قد رأينا كفاية لعدم لزوم تخصيص مكان للعبادة أو تقديم الذبائح كما كان الحال في شيلوه وهيكل سليمان، ولكن الله خصص شخصاً حياً هيكلاً روحي ليس بنياناً من طوب وطين، ففيه وحده تقبل العبادة وتقدم الذبائح الروحية التي أشرنا إليها آنفاً، وهذا الشخص هو يسوع المسيح، فعلى المسيحي الحقيقي أن يقدم نفسه لله ذبيحة حية مقدسة لا في مكان مخصص بل في شخص المسيح، لكي يحوز باستحقاقه القبول والرضا عند الله، فترى مما تقدم أن شريعة الذبائح المفروضة في التوراة تمت في العهد الجديد، وارتفعت إلى اعتبار أكرم ومعنى أسمى، وتم ذلك في الساعة التي استغنى فيها الحال عن حرفية هذه الشريعة ووضحت روحانيتها.

ثم فرض في التوراة ثلاثة أعياد لليهود، وأُمرت ذكورهم أن يصعدوا في كل عيد إلى المكان الذي اختاره الرب ليظهروا أمامه (خروج ٢٣ :١٤ و١٧)، و (تثنية ١٦ :١٦)، **غير أن اليهود على مرّ السنين والأزمان غالوا في الاعتبار الخارجي لهذه الأعياد وظنوا أنهم بذلك يحرزون رضا الله والتقرُّب إليه، وإن كانوا يهملون التقوى الحقيقية فلهم في حفظ هذه الأعياد ما يكفر ذنوبهم، فغضب الله عليهم وكره أعيادهم وأرسل إليهم أنبياءه ببلاغ مخصوص في هذا المعنى، ومن ذلك قوله:**

" رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ حِمْلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصلاةَ لا أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَماً. اغْتَسِلُوا. تَنَقُّوا. أَعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ "

(إشعياء ١ :١٤-١٧)، و (عاموس ٥ :٢١)

من هنا ترى أنه لا يحوز القبول لدى الله إلا الذين يتقدمون إليه بالروح والحق، وهذا ممكن نواله في العهد الجديد بالإيمان الحي بكفارة المسيح، ويدل على ذلك قوله:

" وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ (المسيح) الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وبلا لوم وَلا شَكْوَى أَمَامَهُ "

(كولوسي ١ :٢٢)

وقوله:

" فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى الأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ، وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ، لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ "

(عبرانيين ١٠ :١٩-٢٢).

وفرض في التوراة الختان وجعله علامة للعهد المأخوذ بين الله وهو الطرف الأول، وبين إبراهيم ونسله وهو الطرف الثاني، ولكنه مشروط على الذين يتّسمون بهذه العلامة أن يؤمنوا بوعد الله، أنه يتناسل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب نسل تتبارك به جميع قبائل الأرض (تكوين ٢٧ :١-١٤) و(١٨ :١٨) و (٢٢ :١٨) و (٢٦ :٤)، وكرر الله شريعة الختان على يد موسى النبي (لاويين ١٢ :٣).

على أن الغاية المقصودة منه هي تمييز اليهود عن الأمم، ولم يكن تحقيقها في ذلك الوقت لأن كثيراً من الأمم كانوا مختتنين، فلا بد أن يكون القصد منه والحالة هذه أن يتعلم اليهود <u>أن يختتنوا قلوبهم</u> من الشهوات الحيوانية، والتوراة نفسها تؤيد هذا التأويل ومن ذلك قوله:

" فَأَخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ " (تثنية ١٠ :١٦)

وفي مواضع أخرى يفسر ختن القلب بالحب الخالص لله حيث يقول:

" وَيَخْتِنُ الرَّبُّ إِلهُكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ نَسْلِكَ، لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا " (تثنية ٣٠ :٦)

وكذلك أسفار العهد الجديد تنسج على هذا المنوال (رومية ٢ :٢٥ و٢٨ و٢٩).

ولما أكمل العهد القديم بالعهد الجديد، عيَّن الله لهذا علامةً بدل الختان، وهي فريضة "المعمودية"، يوسم بها من يؤمن بالمسيح من أية أمة كانت على وجه الأرض (متى ٢٨ :١٩) وهذا العلامة الجديدة مناسبة لكل الرجال والنساء والكبار والصغار، وأنها كالختان تعلّم نقاوة القلب.

وحلَّ العماد محل الختان للتمييز بين المؤمنين بالمسيح وبين اليهود والأمم الذين يمارس كثير منهم الختان، وأما ما يشير إليه الختان وهو طهارة القلب والنية فتشير إليه المعمودية من باب أولى (كولوسي ٣ :٥-١٧).

وفي العهد القديم فرائض أخرى كثيرة ضربنا عنها صفحاً مكتفين بالذي عددناه والمراد منها توجيه القلب إلى حقائق روحية واستيعابها، ومتى أدركناه الم تبق حاجة إلى ممارسة فرائضها المنظورة، بل تكون مضرَّة إذ يُخشى على الذين يستعملونها أن يتمسكوا بالعرض دون الجوهر، كما جرى لليهود الذين تمسكوا بطقوس ورسوم تشير إلى المسيح ورفضوا المسيح نفسه، وظنوا أنهم ناجحون بفضل هذا التمسك الباطل.

إذاً لم ينسخ الإنجيل التوراة بل أثبتها ورفع درجة طقوسها ورسومها إلى روحانية العبادة، وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله:

" لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.
فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ
أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ "
(متى ١٧:٥ و١٨)

هذه هي علاقة الإنجيل بالتوراة.

أما من جهة الوصايا الأخلاقية فقد ذكرنا أنها موافقة لإرادة الله وصفاته، فلا تقبل التغيير ولا النسخ، بل تبقى ثابتة إلى ما لا نهاية. كما أن صفات الله ثابتة، فهي في العهد القديم عينها في العهد الجديد، إلا أنها مشروحة في الأخير شرحاً مدققاً وبالغة حد الكمال، ومن أمثلة ذلك أن القتل محرَّم في التوراة (خروج ٢٠ :٣٠)، و (تثنية ٥ :١٧)، أما المسيح فقد شرح القتل في الإنجيل بإحساسات الغضب التي إن لم تُخمَد أدَّت إلى القتل المريع (متى ٥ :٢١ و٢٢)، ثم أن الزنا محرم في التوراة (خروج ٢٠ :١٤)، و (تثنية ٥ :١٨)، أما المسيح فيعتبر كل نظرة إلى النساء بشهوة هو زنا (متى ٥ :٢٧ و٢٨)، وقال شارحاً الزنى إنه وإن كان موسى أباح الطلاق لليهود لقساوة قلوبهم، فهو يحرمه إلا لعلة الزنى، ويعتبر الطلاق بغير هذه العلة زنى وتسهيلا للغير عليه أيضاً. (متى ٥ :٣١ و٣٢).

وقد حرمت التوراة القَسَم بغير الله، وكذا حرمت النطق به كذباً أو باطلاً (خروج ٢٠ :٧)، و (لاويين ١٩ :١٢)، و (تثنية ٦ :١١)، فلما جاء المسيح وجد اليهود يستعملون الأقسام في كلامهم الاعتيادي، فنهاهم عن ذلك وأمرهم بترك القسم قطعياً من غير ضرورة، وأن يتكلموا بالصدق إيجاباً وسلباً : نعم نعم لا لا. (متى ٥ :٢٣-٣٧).

وأمرت التوراة بني إسرائيل أن يحب كل منهم قريبه كنفسه (اللاويين ١٩ :١٨)، وفسر علماؤهم القريب المذكور هنا بمن كان من أمتهم، وأما الغريب فخارجٌ عن حدود هذه الوصية، ولهذا جرى لسانهم في اقتباسها بهذا المعنى أن يحبوا أمتهم ويبغضوا الأجانب.

أما المسيح ففي شرحه هذه الوصية أوجب المحبة للقريب والغريب والعدو والصديق (متى ٥ :٤٣-٤٨)، وكان بنو إسرائيل في زمن موسى يصعب حتى على خيارهم أن يخمدوا ثورة غضبهم ويتحاشوا جريمة القتل مخافة من الله، كما وأنه كان يصعب عليهم حفظ الوصايا الأخرى الناهية عن السرقة والطمع والزنى، أما في زمن المسيح لعلهم كانوا أحسن حالاً وأطيب قلب لطول عهدهم بالأنبياء والرسل وتأثير الروح القدس، حتى لم يعد يصعب عليهم حفظ هذه الوصايا وأمثالها، إلا مَن كان متوغلاً في الشر منهم، ولهذه المناسبة كان عليهم أن يرتقوا في معارج الفضيلة ويُكلَّفون بوصايا أخلاقية في منتهى الصلاح والكمال لم يحلم بها أفاضل أسلافهم، وفي ذلك الوقت جاء المسيح وفسر لهم الوصايا الأخلاقية الواردة في شريعة موسى بغاية الدقة والضبط حتى بلغت الكمال، ثم قرن تعليمه بالعمل في كل أيام حياته، وصار ممكناً بفضل قدرته المباركة ونعمة الله ومعونة الروح القدس أن يبلغ المؤمن بالمسيح حتى المحتقرون منهم إلى أعلى طبقات البر والصلاح ويسبقوا خيار بني إسرائيل في هذا المضمار.

لقد نهت شريعة موسى عن كل عمل شرير، وأما شريعة المسيح فلم تقف عند هذا الحد فقط بل تجاوزته إلى النهي عن الأفكار الشريرة، جاءت شريعة موسى بعبارة سلبية تعدّد ما نهى عنه الله، أما شريعة المسيح فأحاطت بالسلب والإيجاب، فكما نهت عن فعل الشر أمرت بفعل الخير، من أجل ذلك كان يقع تحت طائلة العقاب بموجب شريعة العقاب كل من يعمل الشر، وأما بموجب شريعة المسيح فيقع تحت طائلة موسى كل من لم يفعل الخير وإن كان بريئاً من فعل الشر، ومن أقوال المسيح في هذا المعنى مثل مشهور هو مثل السامري الصالح أوجب فيه المسيح دينونة كاهن ولاوي لم يسعفا رجلاً جريحاً بل تركاه ومضيا (لوقا ١٠ :٣٠-٣٧)، ومنها مثل العبد الذي أخذ من سيده وزنة ولم يتاجر بها، بل صرّها في منديل وحفظها عنده، فأوجب عليه العقوبة مع أنه لم يختلس من المال درهماً واحداً، لكنه لم يربح فوقه، وذلك كناية عن عدم فعل الخير (لوقا ١٩ :٢٠-٢٤).

نهت شريعة موسى بني إسرائيل عن أن يخالطوا الأمم حذراً من أن ينقادوا إلى عبادتهم الوثنية وفعالهم المنكرة، وأما شريعة المسيح فلا تقف معنا عند حد السلامة من دين الوثنيين وأفعالهم، بل توجب علينا أن نبشرهم بالمسيح ونعلمهم معرفة الإله الحقيقي حتى نربحهم ونضمهم إلى صفوفنا، إلا أنه من بعض الوجوه يوجد فرق ضروري بين العهد القديم والجديد:

العهد الأول : علَّم الناس أنهم خطاة وذوو طبيعة خاطئة أمام نظر الله القدوس، وأمرهم أن يلقوا رجاءهم على مخلّص آتٍ يولد من عذراء في بيت لحم ويقدم نفسه كفارة عن خطاياهم.

وأما العهد الثاني: فهو يبشر بأن المخلّص الموعود به قد جاء وقدّم نفسه كفارة، ليس عن خطايا اليهود فقط بل عن خطايا العالم كله، ولم يبق عليهم إلا أن يؤمنوا به فيخلصون.

ولكن هذا الفرق وحده هو تتميم في الزمان الثاني لما سبق به الوعد في الزمن الأول، ربما يظهر للبعض أنه لمناسبة تقدم العالم في المدنية والحضارة فالشريعة الذي كان ملائما للناس في زمن موسى لم يلائمهم في زمن المسيح، إذ أنه عتق وشاخ، ومثل ذلك فالشريعة الذي وضعه المسيح إذ مرَّ عليه ستمائة سنة عتق وشاخ أيضاً ولم يعد يلائم العالم في عصور تالية فولى الأدبار أيضاً .. ، فرداً على ذلك نقول:

١ - بما أن الطقوس والرسوم الدينية هي رموز تشبيهية، فيجوز أن تهرم وتشيخ متى أتى المرموز إليه، وعوضاً عما كانت مفيدة في زمن الرمز به إلا تكون مفيدة في العصور الأخرى، بل ربما أضرّت، أما المبادئ الجوهرية للدين والشريعة الحق فلا تقبل التغيير، ولا يؤثر عليها مرور القرون واختلاف العصور كالشريعة الأخلاقية، فإنها إن كانت حقاً وواجبة في زمن تبقى كذلك في كل الأزمان، فمبادئ شريعة موسى الأخلاقية كانت حقاً في زمن آدم وإبراهيم والمسيح، وهي حقٌ في هذا الزمان، وتبقى حقاً إلى يوم القيامة بل إلى مالا نهاية له، لأن جوهر الدين الحق لا يقبل التغيير ولا يعجز عن التأثير.

٢ - نقول إن كان العالم قد تقدم في المدنية والعلم يقتضي تقدمه في الدين أيضاً، ولو سلمنا جدلاً أن عصر ما بعد المسيح كان أكثر حضارة وأرقى مدنيّة من بلاد فلسطين ومن الأمة اليهودية في عصر المسيح، واقتضى تنزيل دين آخر راقياً كرقي الديانة المسيحية على الأقل من حيث المبادئ الأخلاقية وروحانية العبادة والعتق من نير الطقوس اليهودية المتراكمة. **فهل هناك شريعة أخرى جاءت أرقى منها ؟ .**

٣ - نقول إن الطبيعة البشرية واحدة في كل العصور من احتياجاتها وميولها والفساد المتسلط عليها، لذلك يحتاج البشر أجمعون إلى روح الله القدوس ليطهر قلوبهم من زمن مضى أو من حاضر أو مستقبل، إلا أن ابن آدم يميل للخطية ويحتاج إلى يد تنتشله وتقرّبه إلى الله على الرغم من ميوله الطبيعية، وهذه اليد الناشلة لا يمكن الوصول إليها إلا إن كان يتفضل الله علينا ويحبنا أولاً ويكون هو البادئ بالصلح، نعم هذا هو الإنجيل بعينه، لأنه إعلان محبة الله للعالم الأثيم، قال الرسول يوحنا أحد الحواريين الاثني عشر " نحبّه لأنه أحبنا أولاً " (١ يوحنا ٤ :١٩)، فهذه الطريقة هي أرقى وأنجع وأفضل طريقة معقولة لاجتذاب الإنسان إلى الله ومصالحته مع خالقه، ولا يقدر العقل البشري أن يتصوّر وسيلة دينية أخرى تحمل الإنسان

على إنكار نفسه، والارتفاع في درجات الصلاح والتعبد لله مثل الإيمان بأن الله أحبنا أولاً وبذل ابنه من أجلنا.

ونزيد قائلين إن دعواهم بأن التوراة منسوخة دعوى منقوضة بأقوال الأنبياء والرسل الصريحة، ومن ذلك قول إشعياء النبي مشيراً إلى أسفار العهد القديم طبعاً:

" يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ " (إشعياء ٤٠ :٨).

ويؤيد المسيح هذه الحقيقة داحضاً وقوع النسخ على أسفار العهد القديم، ومثبتاً بقاء كلماتها إلى الأبد ومن ذلك قوله:

" اَلسَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولانِ وَلكنَّ كَلامِي لا يَزُولُ "

(متى ٢٤ :٣٥)، و (مرقس ١٣ :٣١)، و(لوقا ٢١ :٣٣).

ومما يدل على أن كلام المسيح باق إلى يوم القيامة قوله:

" مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كلامي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِير "

(يوحنا ١٢ :٤٨)

وهذا الدليل لا يجهله أحد، لأنه إن كنا سندان في اليوم الأخير بموجب إنجيل المسيح، والمسيح ذاته هو الديان لكل البشر، فيقتضي أن يبقى الإنجيل بدون تبديل إلى يوم الدين، وقد أمرنا الإنجيل أمراً صريحاً أن لا نسمع لأحد يقول بكلام غير الذى يقوله لنا حتى لو أدعى إنه مرسل من الله، حتى إن جاءنا أعظم عظيم، ولو ملاك من السماء، وبشَّرنا بخلاف ما ورد في الإنجيل ... (غلاطية ١ :٨).

ولهذه الأسباب ابتعد المسيحيون الحقيقيون عن كل تعليم يخالف تعاليم معلمهم وفاديهم وديانهم المسيح، وقدموا أرواحهم ودمائهم فى سبيل التمسك بعقيدتهم، وكذلك لم يتوقعوا وحياً جديداً غير المتضمن في العهد الجديد.

ولنرجع الآن إلى الحقائق المذكورة في التوراة فنقول إنها أيضا لا تقبل النسخ، وإثبات ذلك سهل جداً، لأنه من البديهي لكل ذي فهم أن الحقيقة الواردة في الكتاب كواقعة حال يجب أن تكون صدقاً أو كذباً، أما كونها كذباً فلم يدَّعِ هذه الدعوى أحدُ من المسلمين، وأما كونها صدقاً فيستحيل نسخها كما هو مستحيل لأي حادث أن يُمحى من بطون التاريخ، ويُمحى أثره من صحيفة الوجود وفي هذا كفاية.

والآن وقد أتينا في هذا الفصل بمزيد الوضوح والجلاء بأن كل تعاليم العهد القديم والجديد الجوهرية لا تقبل التغيير ولا النسخ، أنها تمثل للناس إرادة الله وصفاته وهي منزَّهة عن التغيير والتبديل في كل العصور، وعليه فطريق الخلاص واحدة في كل الأجيال، وسيُدان الناس في اليوم الآخِر بموجب تعليم المسيح الذي رأى إبراهيم يومه بعين الإيمان وفرح به، وبالإيمان باسمه يخلُص كل إنسان، حتى الأنبياء والمرسلين..

الفصل السادس

" الإنجيل الواحد والإنجيل الرباعى "

تهمة شائعة على عدم صحة الإنجيل الذى بين أيدي المسيحيين اليوم:

فيقولون: أن القرآن يذكر الإنجيل بصيغة المفرد، ولا يعرف له تعداداً، فالإنجيل واحد فى نظر القرآن. ونحن نرى عند النصارى أربعة أناجيل . لذلك يقولون على حسب هذا الواقع، من المحال ان يكون هو الإنجيل الذى نزل على عيس، فهى منحولة أذن ومحرّفة.

ويقولون: ان القرآن هو قرآن واحد وما زال قرآن واحد ولذلك لم يطال القرآن التغيير عكس ما هو بالإنجيل.

وحيث أن المعترضون على صحة الإنجيل بسبب إنه أربعة أناجيل وليس الإنجيل الواحد. ويقرنون اعتراضهم بوحدة قرآنهم الواحد. نقول لهم لكى نفهم صحة هذا الاتهام من عدمه عقلانياً. نستعرض مقارنة الواقع الإنجيلي، والواقع القرآني تاريخياً وواقعياً على ضوء البرهان واليقين والإيمان. من كتاب القمص سرجيوس:

أولاً : الواقع القرآنى والواقع الإنجيلى .

أجل أن القرآن لا يذكر الإنجيل إلا مفرداً، فهو فى عرفه إنجيل واحد.

والأناجيل الأربعة تذكر أيضاً أن الإنجيل واحد.

يقول مرقس الرسول:

" *وبعدما ألقى يوحنا في السجن، اتى يسوع الى الجليل يدعوا **بإنجيل الله*** ". قال: " *لقد تم الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا **بالإنجيل*** " .

(مرقس ١: ١٤- ١٥).

" *وكان يطوف فى الجليل كله، يعّلم فى جوامعهم ويبشر **بإنجيل الملكوت*** ".

(متى ٤: ٢٣).

وقول المسيح لمدح المرأة التائبة قال:

" *الحق أقول لكم : أنه حيثما دُعى **بالإنجيل** فى العالم كله يُخبر أيضاً بما فعلت هذه المرأة تذكاراً لها* " (متى٢٥: ١٣).

وقبل رفعه الى السماء أوصى تلاميذه قائلاً:

"***أذهبوا الى العالم أجمع، وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها*** " (مرقس١٦: ١٥).

هذا هو الواقع الإنجيلى:

فالأناجيل الأربعة، مع رسائل الرسل الذين يدعون بالإنجيل، تُذكر الإنجيل دائماً **بالمفرد المعلّم**. (فهو فى عرف الأناجيل الأربعة). ودُعاة المسيحية، **هو أن إنجيل المسيح الواحد، وان دوّنوه بأربعة أحرف** " **أو نصوص، باتفاق المعانى واختلاف الألفاظ**، بسبب اختلاف البيئات الأربع التى دُون الإنجيل فيها.

عن شهادة الأناجيل الأربعة، نعرف أن الإنجيل واحد بأربعة أحرف. فهل فى ذلك التعدّد شبهة على صحة إنجيل المسيح الواحد ؟.

ثانياً : نزول الإنجيل على أربعة أحرف ، ونزول القرآن على سبعة أحرف.

من القدر الذى يربط تاريخ تدوين القرآن الكريم، بتاريخ تدوين الإنجيل المقدس، نصل الى هذه المقارنة البسيطة المنطقية لكى تتضح الفكرة لأصحابها المعترضون:

مشهور الحديث الشريف في نزول القرآن " على سبعة أحرف ".

(أ) نقل السيوطى في (الإتقان ١: ٤٦). :

" ورد حديث " **نزل القرآن على سبعة أحرف** " من رواية جمع من الصحابة.. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً. وقد نص أبو عبيده على تواتره. واخرج أبو يعلى في (مسنده) أن عثمان قال على المنبر: اذكر الله رجلاً سمع النبى ص **قال:**

" **أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف** "، لماً قام فقاموا حتى لم يُحصوا، فشهدوا بذلك. فقال: " **وأنا أشهد** ". وعلق على هذا الحديث بقوله:

" **اختلف** في معني هذا الحديث على نحو أربعين قولاً ... **(منها) أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة، مثل: نحو، وأقبل، وتعال، وهلّم، وعجّل، أسرع**... والى هذا ذهب سفيان وابن جرير (الطبرى) وابن وهب. ونسبه ابن عبد البرّ لأكثر العلماء... قال **ابن عبد البرّ**: " الحروف التى نزل عليها القرآن، **أنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها**، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده، كالرحمة التى هى خلاف العذاب وضده ".

وينوه السيوطى بحثه بقوله:

" **وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها (الأحرف السبعة) القراءات السبع لمصحف عثمان، وهو جهل قبيح** ". (١: ٥١)

(ب) والطبرى، شيخ المفسرين، يصدر تفسيره بشرح الحديث الشهير بقوله:

" ان اختلاف الأحرف السبعة هو اختلاف الألفاظ باتفاق المعانى ". (١: ٤٨). ثم يرد على من فسره غير هذا التفسير، كما نقل السيوطى. ويرد خصوصاً على مَن تذرّع بالآية:

***(أفلا يتدبرون القرآن، لو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافاً كثيراً)*. (النساء ٨٢)**
ليرفض تفسيره، فقال:

أنها تقصد اختلاف المعانى والأحكام، لا اختلاف الألفاظ والتعبير، بدليل اختلاف الصحابة كل في قراءته، وتصويب النبى لهم جميعاً (١: ٤٨).

أذن قبل تدوين قرآن عثمان، كان للقرآن سبعة أحرف أي سبعة نصوص بإتفاق المعانى مع اختلاف الألفاظ ..... بالرغم من اعتراض البعض.

وفى هذا الموضوع يقول الأستاذ جمال بدوى (١):

" **فى** العام الخامس والعشرين من الهجرة النبوية الشريفة وفى عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضى الله عنه، حدث ما توقعه عمر الفاروق **من اختلاف المسلمين حول قراءة القرآن الكريم**، فكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من أشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرءون بقراءة " **أبى بن كعب** " وأهل العراق يقرءون بقراءة " **عبد الله بن مسعود** " وغيرهم يقرأ بقراءة " **أبى موسى الأشعرى** " وتمسك كل فريق بصحة القراءة التى وصلت إليه عن طريق الصحابى **(على)** ما بينها وبين غيرها **من اختلاف فى حروف الأداء** مما فتح باب **الشقاق والنزاع فى قراءة القرآن، وتحول الخلاف إلى صدام** بين فرقاء كلهم حريص على نقاء القرآن وحفظه وصيانته ووحدة بنائه، **وكل فريق يعتقد أن قراءته هى عين الصواب، وقراءة الآخرين خطأ. وأخذ لكل ينكر على الآخر، ويتهمه بأشنع الاتهامات حتى كادت تحدث فتنة فى الأرض وفساد كبير**، ولعل هذا الخلاف وأن كان مرفوضاً ومكروهاً إلا إنه يكشف عن مدى حساسية المسلمين الأوائل تجاه أى تحريف فى قراءة بعض كلمات فى النص القرآنى، وأشتد الأمر على الصحابى الجليل **"حذيفة بن اليمان " " لما رأى الفتنة تطل برأسها**، فقفا عائداً إلى المدينة، وقبل أن يدخل بيته **أسرع إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال: " أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك"**.

ففزع عثمان وسائر الصحابة لما فزع له حذيفة، ولكنه الفزع الذى يشحذ العزيمة ويحفزها،

---

(١) دراسة للأستاذ جمال بدوى منشور بجريدة الأخبار المصرية فى ١٩٩٨/١٢/٢٦ ص ١٣

ورأى الخليفة بثاقب رأيه أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع ، وأن يستأصل الـداء قبل أن يعز الدواء، فجمع أعلام الصحابة وذوى البصر منهم وآجال الرأى بينهـم **فـى وأد الفتنـة ووضع حد لهذا الاختلاف وحسم مادة هذا النزاع.**

فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف موحدة يبعث بها الى الأمصار، وأن يؤمر النـاس **بإحراق ما عداها، ولا يكون هناك إلا مصحف واحد يكون هو المصحف " الإمام "** الذي يهتـدي به الناس ويعصمهم من محنة الاختلاف.. **مع ملاحظة أن المصاحف العثمانية كتبت خالية مـن النقط والشكل،** (أى من التنقيط والتشكيل والتنوين) **ولم يتم ذلك إلا فى عصـر لاحـق.** ويعلـق الشيخ أبو زهرة **خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل بأن القرآن له قراءات مختلفة هى سبع قراءات، وليست هى الحروف.**

ولكى يكون المكتوب محتملاً لهذه القـــراءات المروية بطرق متوفرة كلها.
كان لا بد أن يكون غير منقوط ولا مشكول،
ولم يكن يمكن أن يحتمل النص القراءتين إذا كان منقوطاً ومشكولاً.

" وبرغم إجماع المسلمين على عظمة العمل الذى قام به الخليفة عثمان بن عفان. فإن هذا العمل الجليل لم يعدم ظهور أراء تشنع عليه، وتتخذ عملية حرق النسخ السابقة مـن القـرآن مدخلاً للطعن فيه. وخاصة بعد أن اندلعت الفتنة بين أنصاره وخصومه، واتخـذوا مـن قـرار الحرق ذريعة لإثارة المشاعر ضده مع أن هذه العملية تمت تحت سمع وبصر كبار الصـحابة وموافقتهم ... ". (أنتهى المقال.).

وقد كتب الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٦٤٤ م – ٦٥٥ م) **مصحفه المعروف بأسـم المصحف الأمام، وقام بإحراق جميع المصاحف الأخرى، ما عدا المصحف الـذى كـان عنـد حفصة بنت عمر، فقد رفضت أن تسلمه لعثمان ليحرقه كبقية المصاحف الأخرى، وبقى عندها الى أن توفيت، ولكنه أحرق بعد ذلك، على يد مروان أمير المدينة. .**

ويقول السجستانى فى كتاب المصاحف (١)، " **فلما كان مروان أمير المدينة أرسل الـى حفصة يسألها عن الصحف ليحرقها وخشى أن يخالف بعض الكتاب بعضاً فمنعته إياها.**

قال ابن شهاب: فحدثنى سالم بن عبد الله قال:

فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها عبد الله بن عمر الى مروان ففشاها وحرقهـا مخافة أن يكون فى شىء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رحمه الله عليه "

---

(١) من كتاب " المصاحف " للسجستانى ص ٢٨

أما عن نوع الكتابة وطريقتها فى كتابة مصحف عثمان فيقول إبراهيم الأبيارى (١):

" **وما كانت الأمة العربية عهد كتابة الوحى أمة عريقة فى الكتابة. وما كان كتاب النبى إلا صورة من العصر البادىء فى الكتابة. ولم تكن الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد والكمال إملاء ورسماً. ونظرة فى المصحف، وما يحمل من صور إملائية تخالف ما استقر عليه الوضع الإملائي أخيراً، تكشف لك عما كان العرب عليه إملاء، وعما أصبحنا عليه نحن إملاء. وحين أطل عهد عثمان كاد اختلاف الناس فى قراءة المرسوم يجر الى خروجهم على المحفوظ**، من أجل هذا فزع عثمان الى نفر من الصحابة كتبوا للرسول وحيه، ليدركوا هذا المرسوم، **كي يخرجوا منه بصورة خطية تصور ما أجمع عليه الحفاظ.**"

ويقول إبراهيم الأبيارى فى ص ١٣٢: " **ما يتصل برسم المصحف وبقائه فترة غير منقوط ولا مشكول إلى زمن عبد الملك حين قام الحجاج بإسناد هذا العمل الى رجلين، هما: يحى بن يعمر والحسن البصرى، فنقطاه وشكلاه. وما نرى صحيحا هذا الذى ذهب إليه القراء من تأويلات كثيرة تكاد تحمل الكلمة عشرين وجها أو ثلاثين** أو أكثر من ذلك. **لقد بلغت طرق هذه القراءات للقراءات العشر فقط، تسعمائة وثمانون طريقة** ". (انتهى).

وتصديقاً لما جاء به السجستانى، والأبيارى، الأستاذ جمال بدوى وغيرهم، بأن قرآن عثمان لم يكن منقوطاً أو مشكولاً ،حتى يتوافق مع القراءات المختلفة.

سنستعرض بعض من الآيات القرآنية من مخطوطة سمرقند البالغ عددها ٧٥٠ مخطوط. وهى مخطوطة لمصحف عثمان بعد أن احرق المصاحف الستة، وحتى هذه المخطوطة لمصحف عثمان تختلف عن القرآن الحالى في بعض الكلمات والحروف، هذا بالإضافة الى تنقيط الكلمات وتشكيلها في فترة لاحقة والذى أمر بها الحجاج بن يوسف الثقفى في العصر الأموى لكل من يحى بن يعمر، والحسن البصرى.

(العصر الأموى بدأ من ٤٠ هـ الى ١٣٢ هـ).

والتنقيط والتشكيل ربما تسبب فى تغيير في المعانى والمقاصد، فى مصحف عثمان، ومع ذلك لم يستغل المسيحيون تلك الاختلافات في القرآن الكريم ويهاجموا القرآن الكريم بالتحريف والتبديل ، كما يهاجم أخوتى المسلمون التوراة والإنجيل بسبب ترجمته الى لغات أخرى لصالح البشرية، ويهاجمون الإنجيل المكتوب من أربع رواة من تلاميذ المسيح.

كما أن بعض الصحابة والمعاصرين لعثمان لم يوافقوه على ما قام به من حرق القرآنيات الستة، وظلوا على خلاف معه حتى قتلوه .

---

(١) من كتاب تاريخ القرآن لإبراهيم الأبيارى ص ١٣٧

ومع ذلك لم نتهم القرآن الكريم بالتحريف. بل نقول دفاعاً عن القرآن الكريم، أن الاختلاف في ألفاظ القرآن لا يغير المعنى المراد توصيله لقارىء القرآن، وإذا كان هناك مقارنة بين القرآن الكريم والإنجيل في تلك القضية فنقول:

لا خلاف إذا اعتبرنا أن تلك الخلافات مختلفة لفظاً، ومتفقة معنى. ولا يؤثر نزول القرآن على سبعة أحرف أو قراءات. أو وحي الإنجيل على أربعة أحرف أو قراءات

بل نستطيع القول أن تلك القضية في صالح الإنجيل أكثر منها لصالح القرآن الكريم، لأننا نقول أن الكتاب المقدس هو كتاب موحى به بالمعنى ويعبر عنها النبى لفظاً، لأنه موحى به وليس منزلاً كلمة كلمة وحرف حرف. بعكس القرآن الكريم فهو باعتقاد أخوتى المسلمين فهو قرآن منزل كلمة كلمة وحرف حرف لا يجوز فيه التبديل والتغيير، سواء فى الكلمة أو الحرف. ولا يجوز حتى ترجمته، وكتابنا المقدس موحى بالمعنى والنبى يعبر عنه باللفظ، بحيث لا يحيد اللفظ عن المعنى المراد توصيلة للبشر بأى حال من الأحوال.

واليك ننقل لك أيها القارىء من موقع من الإنترنت (١) صفحات بعض من تلك المخطوطات والمقابل لها في القرآن الحالي كما وردت تماماً، وبدون تعليق وهى:

القرآن الكريم

The first Korans written in kufic script, besides the one believed to have been recited by khaliph Osman (RA) at the moment of his death (H.S.32), are the Korans written in vertical form (M.3 M.74, for example). In addition to those written on parchment, there are those of the 9th -11th centuries inscribed on thick dark paper with sepia ink using delicate kufic lines على سبيل المثال: **(E.H.20, R.19, YY.752, for example).**

ويعتقد المسلمون أن مخطوطة سمرقند هي نفسها التي قرأ فيها الخليفة عثمان عند وفاته عام ٣٢ هجري. وهى موجودة بمتحف بتركيا.

وفى تلك المخطوطة اختلاف الألفاظ، واتفاق المعانى.

مع عدم وجود تنقيط او تشكيل للنص وعدم وجود فواصل بين الكلمات.

(١) من موقع http://www.geocities.com/christianityandislam

(١)

صفحة ٩٠ من المخطوطة

النص في المخطوطة يقول: " وليتق ربه، ولا تكتموا شهادة "

النص الحالي: " وليتق **الله** ربه ولا تكتموا شهادة "

(البقرة ٢:٢٨٣) النص في المخطوطة يقول: "وليتق ربه، ولا تكتموا شهادة "

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ
وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا

النص الحالي: "وليتق **الله** ربه ولا تكتموا شهادة "

(٢)

نفس الصفحة من المخطوطة

نص المخطوطة يقول: "ويعذب من يشاء وهو على كل شيء قدير"

نص القرآن الحالي يقول "ويعذب من يشاء **والله على** كل شيء قدير" البقرة ٢:٢٨٤

أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ

مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ

(٣)

صفحة ٩٢

سورة آل عمران آية ٣٧

المخطوطة: "من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب"

الحالي: "من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"

وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(٤)

صفحة ١٠٨

المخطوطة: "ويقولون هو من عند الله ويقولون على الله الكذب"

الحالي: "يقولون هو من عند الله **وما هو من عند الله** ويقولون على الله الكذب"

آل عمران ٣:٧٨

واسلم الروح الإنسانية لكى يعيدها باللاهوت مرة ثانية بعد ثلاثة أيام، لأن الفداء فى هذه الحالة قد أكمل، والقضية قد أتت على نهايتها، والقصاص قد تم فى المسيح الممثل لكل البشر، والخُطة الإلهية قد اكتملت. وبذلك اكتملت الشريعة ووصلت إلى حد الكمال، ليس بإلغائها وإنما لإكمالها. (راجع كتابنا حقيقة التجسّد).

ولقد كان من الطبيعي أن يجئ إعلان الوحى المكتوب متدرجاً أى على مراحل يكمل بعضها بعضاً، إلى أن يكتمل ليصبح كاملاً فى المسيح. وليس معنى هذا أن الأديان تتطور أى تتبدل وتتغير بحسب تتابعها:

أن ديانة الله لا بد وأن تكون ديانة واحدة، لأن الله واحد.

ولا يجب أن نخلط بين تدرج الشريعة فى صعودها المتناغم المتكامل، وبين تعدد الأنبياء، وكان لا بد من ذلك التدرج التشريعي والأدبي، لأن البشرية لم تنضج دفعة واحدة.

فكان لا بد من المنتظر مرور وقت كاف حتى يتلقى عقل البشر نور الوحى ويهتدي به كاملاً لكى يتقبل فكرة التجسّد والفداء، وفكرة الثالوث في الوحدانية. وإذ قد تم ذلك التدرج على أجزاء وعلى فترات متباعدة بواسطة أنبياء بنى إسرائيل، فلا يعنى أن تلك الأجزاء متناقضة أو متناسخة لبعضها البعض، بل هى متكاملة بحسب هذا التدرج، ولا مجال فيها لتطور مزعوم. وألا لكان هناك داع لظهور ديانات جديدة ومتواصلة فى كل عصر وفى كل جيل وحتى قيام الساعة، لتتناسب مع تطور البشرية الطبيعي، لأن العالم يتطور بسرعة كبيرة، وما نراه نحن فى جيلنا الآن من تطور، لم يراه أسلافنا فى جيل آبائنا وأجدادنا، وما يراه أولادنا وأحفادنا من بعدنا من تطور سيكون مذهلاً. الأمر الذى يستحيل معه ثبات شريعة الوحي، بمنطق التطّور.

وفضلاً عن ذلك فإن شريعة الله سواء فى الطبيعة أو فى الضمير أو فى الأخلاق أو فى الإعلان المكتوب، مبنية على مطاليب الطبيعة التى وضعها الخالق فى العالم الطبيعي لم تتغير أو تتبدل رغم تطور الإنسان وتقدمه، وبالمثل الناموس الأدبي الذى يحدد صلة الإنسان بخالقه أى الوصايا العشر التى أعطاها الله لموسى منذ ٣٥٠٠ سنة، فهى أيضاً غير قابلة للتغيير أو النسخ، بل هى لازمة وثابتة ثبوت نواميس الطبيعة التى لا تتغير، فمثلاً فهل سمعنا أو رأينا أن قانون الجاذبية تغيرت أو تبدلت من عصر لآخر، أو القوانين الكونية أصابها التغير، أو قانون التوالد من ذكر وأنثى قد تطورت أو تبدلت بطريقة أخرى غير التى أرساها سبحانه.

هكذا أيضاً فى شريعة الله لم تتغير أو تتبدل، أو تنسخ أحداهما الأخرى أو تناقضها فهذا غير جائز بأى حال من الأحوال. وذلك لسبب بسيط للغاية:

(٦)

صفحة ٢٥٢

المائدة ٥:١١٩

المخطوطة: "رضي عنهم ورضوا عنه"

الحالي: "رضي **الله** عنهم ورضوا عنه"

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(٧)

صفحة ٣٢٠، الأنعام ٦:١٤١

المخطوطة: "معروشات والنخل والزرع"

الحالي: "معروشات **وغير معروشات** والنخل والزرع"

وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟
أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً
عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ

(٨)

صفحة ٢٣٢

الأنعام ٦:١٤٦

المخطوطة: "حرمنا عليهم شحومها "

الحالي: "حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها "

المخطوطة: "حرمنا عليهم شحومها "

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ

وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ

الحالي: "حرمنا **كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا** عليهم شحومها "

هذا جزء قليل من أكثر من ٧٥٠ مخطوط
وللمزيد يمكنك مراجعة
http://www.geocities.com/christianityandislam

ومن العرض السابق نرى أن بعض الاختلافات في الحروف النصية أو الكلمات، للقرآن الكريم والتى جاءت بالمخطوطة لمصحف عثمان، والتى جاءت بنصوص القرآن الحالى لمصحفه أيضاً، فهى وأن كانت مختلفة لفظاً ولكنها متفقة معنى، هذا إذا اعتبرنا التشكيل الحالى والتنقيط صحيحاً ومتوافقاً مع نصوص القرآن العثماني.

ومع ذلك لم نتّهم نصوص القرآن الكريم بالتحريف أو التبديل.

ولكننا نقول أن تلك النصوص متفقة المعانى مختلفة لفظاً كما يقول علماء وكبار مفسرى الإسلام. والأناجيل الأربعة فهى لأنجيل واحد متفقة المعانى مختلفة لفظاً، وقل أن شئت جاءت على أربعة أحرف متفقة المعانى، كما نقول أن القرآن الكريم جاء بسبعة أحرف متفقة المعانى.
ويستكمل الطبرى شيخ المفسرين بعرض للسؤال البديهي عن الأحرف الستة الأخرى فيقول:

" فإن قال قائل: ما بال الأحرف الستة غير موجودة، إن كان الأمر على ما وصفت، وقد أقرهن رسول الله ص وأمر بالقراءة بها، وهى مأمورة بحفظها.؟ قيل له:

" لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيّرت في قراءته وحفظه بأى من تلك الأحرف شاءت. فرأت - لعلّة من العلل أوجبت عليه الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية " (١: ٥٩).
ويقول الطبرى:

(أ) والعلة التى أوجبت إتلاف الأحرف أو النصوص القرآنية الستة، كما سبق ذكره، كانت لاختلاف المسلمين واقتتالهم على أفضلية حرفهم، من مكة بحضرة الخليفة الى الثغور في معارك القتال والفتح (١ : ٦٢).

ويقول أيضاً:

(ب) "ان الأحرف الستة الآخر أسقطها عثمان ومنع من تلاوتها، ولا حاجة بنا الى معرفتها"(١: ٦٦).

(ج) ومن الذين تابعوا الطبرى فى تفسيره الصحيح لحديث الأحرف السبعة المتواتر، الزنجباني، قال:

" المراد بالأحرف السبعة أوجه من المعانى المتفقة، والألفاظ المختلفة ".

(د) وأبو جعفر النحاس في (كتاب الناسخ والمنسوخ) يقول:

" يفهم من سلف الأمة، وخيار الأئمة أن المعنى " نزل القرآن على سبعة أحرف " من إنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة السن، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى.

ومن الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وابي بن كعب، وسائر من قدّمنا الرواية عنهم، أنهم تماروا فى القرآن، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة، دون ما فى ذلك من المعانى. وأنهم احتكموا الى النبى ص. فأستقرأ كل رجل منهم، ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم، فقال رسول الله ص . للذى ارتاب منهم عند تصويبهم جميعاً:

" إن الله امرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ".

من هذا العرض الواضح والموثق من مصادره الإسلامية، لحديث الأحرف السبعة وجمع القرآن العثمانى نستخلص الحقائق التالية:

الأولى : كان القرآن قبل عثمان سبعة أحرف أو نصوص، متفقة المعانى، مختلفة الألفاظ .

الثانية: أتلف واحرق الخليفة عثمان بن عفان ستة نصوص مختلفة للقرآن واحتفظ بنص واحد فقط فرضه على الأمة، وهو النص الوحيد الذي يقرأ به القرآن حتى اليوم.

الثالثة: لم يكن مصحف عثمان منقوطاً أو مشكولاً، وقد تم تنقيطه وتشكيله فى عصر لاحق (العصر الأموى) .

الرابعة: سُميت المصاحف أو القراءات بأسماء كاتبه أو ناسخه. " مصحف حفصة " و " مصحف أبيّ بن كعب" و " مصحف عبد الله بن مسعود"، ومصحف على بن ابى طالب،

و"**مصحف عمر بن الخطاب**"، ومن التابعين **مصحف عبيد بن عمير الليثى**، و "**مصحف عطاء بن أبى رباح** "، و "**مصحف عكرمة**"، و" **مصحف مجاهد** ". (١)، ويذكر إبراهيم الأبيارى (٢) أسماء بعض المصاحف الأخرى " **مصحف موسى الأشعرى** "، و " **مصحف سالم مولى أبى حذيفة** "، و "**مصحف المقداد بن الأسود** "، وغيرهم ... وقد تم جمعه فى ما يسمى "**بمصحف عثمان أو مصاحف عثمان** " (**المصحف الأمام**)، **ومع ذلك فهو قرآن واحد. وكان مصحف عثمان كما سبق القول كما جاء فى التفاسير غير منقوط وغير مشكول.**

وبالقياس نعرف من الأناجيل الأربعة القائمة فى المسيحية حتى اليوم، بشهادة التاريخ المسيحى كله، أن **الإنجيل الواحد دوّن بأربعة أحرف أو نصوص** تنسب لكاتبه. " **إنجيل متى**" و " **إنجيل مرقس** " و " **إنجيل لوقا** " و " **إنجيل يوحنا** " . **وهو الإنجيل الواحد.**

ويحسب تعبير لغة الحديث الإسلامى نترجم هذا الواقع بقولنا:

" نزل الإنجيل على أربعة أحرف "، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى.

ولم يختلف فيها المسيحيون، ولم يقتتلوا عليها، مع أن كل واحد منها ظهر فى مكان وفى زمان غير الآخرين . بل قبلوها جميعهم بسبب " رسوليتها " التى تشهد بصحتها ، وصحة وحيها، وصحة تدوينها لإنجيل المسيح. وصدور تدوينها عن الرسل بأنفسهم أو كتبتهم شاهد لعصمتها، لتأييدهم بالروح القدس. لذلك لم يكن المسيحيون بحاجة الى إتلاف أو إحراق حرف من تلك الحروف الأربعة للإنجيل الموحى بها، ومع ذلك لم يتلفوها أو يحرقوها، لأنه ليس فى وجودها خطر على الإنجيل الصحيح في أحرفه الأربعة.

من هذا الواقع الإنجيلى المقارن للقرآن نستنتج:

أولاً : أن الإنجيل الواحد دوّن بأربعة أحرف، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى.

ثانياً : ان صحابة المسيح وكنيسته من بعدهم حفظت " **الذكر المسيحى**" بنصوصه الأربعة بإرشاد ووحي من الله، فكانت وفية لعدم إتلاف أى من نصوصه فى أحرفه الأربعة ففى المسيحية تنطبق عليها الآية :

" إنا نحن نزلنا الذكر، وانّا له لحافظون " (الحجر ٩)

---

(١) من كتاب المصاحف لأبى بكر عبد الله ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الناشر دار الكتب العلمية – بيروت – فى باب اختلاف مصاحف الصحابة ص ٦٠ إلى ٩٨، عن الخلاف بين مصاحف عشرة من مصاحف الصحابة، ثم يحدثنا من ص ٩٨ إلى ١٠١ عن الخلاف بين إحدى عشر مصحفاً أخرى من مصاحف التابعين. وكان بعضهم يكفر البعض الآخر وكاد أن تكون بينهم فتنة ص ٢٨ (٢) من كتاب تاريخ القرآن لإبراهيم الأبيارى الناشر دار القلم ص ٩١

ثالثاً : الأحرف الأربعة للإنجيل الواحد، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، هي شهادة قاطعة لصحة الوحى الإنجيلى، لأن أربع شهادات مختلفة الألفاظ متفقة المعانى. أفضل من شهادة واحدة تقوم على نص واحد، وشهادة الأربعة هو لتأكيد لصحة الإنجيل، فكانت عونا لها وليس عليها. ووجود أحرف الإنجيلين الأربعة تحوى شهادة فيها لعصمتها.

رابعاً : سميت الأناجيل بأسماء كاتبيها وهم تلاميذ المسيح وهم مصدر ثقة، ولم تجمع كتاباتهم فى إنجيل واحد وتهمل أسماء كاتبيه، **وهذا كان ميسوراً لتلاميذ المسيح أو لأحد الباباوات الأوائل ولكنهم لم يفعلوها، وفي الشرع العام: "** ***على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل حجة*** **". فكيف يكون الأمر عندما تكون الشهادة من أربعة شهود عدول** من تلاميذ المسيح المرافقين له فى تجواله وترحاله طوال مدة تبشيره، وهم شهود موثوق منهم وهم:

(متى، مرقس، ولوقا، ويوحنا)

وهذا مما يؤكد صدق القضية وصحتها.

والنتيجة : يقول الإيمان والعلم والمنطق ما يلى:

نزل القرآن على سبعة أحرف، فلم يُحفظ منها إلا حرف واحد. ونزل الإنجيل على أربعة أحرف، فحُفظت جميعاً. فالإنجيل واحد بأربعة أحرف، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى. وليس في تعدّد نصوص الإنجيل الواحد أيّ شبهة على صحته أو تحريفه، بل هى أربع شهادات للوحى الإنجيلى تثبت صحته.

ويقول العقاد فى كتاب عبقرية المسيح ص٨٨- ٩٠ فى هذا الإنجيل الرباعي الواحد:

" لأنه إذا اختلطت الروايات فى أخبار المسيح (فى الأناجيل)، فليس فى هذا لاختلاط بدع، ولا دليل قاطع عن الإنكار، لأن الأناجيل تضمنت أقوالاً فى مناسبتها، لا يهمل القول باختلافها، لأن مواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها، والمقارنة بينها وبين آثارها. **كما أن مواقع الاتفاق بينها تدل على أنها رسالة واحدة من وحى واحد**".

"عدم حرق النسخ الأصلية لأحد الأناجيل أو بعض منها أو إخفائها"

لم يتعمد أحد من تلاميذ المسيح أو من خلفاءهم الأوائل **إتلاف أو إحراق النسخ الأصلية للإنجيل أو بعض منها من أحرفها الأربعة**، بل ظلت هذه النسخ موجودة كما هى. **ولم يحرق المسيحيون القدامى حتى الكتب التى ألفها أصحاب البدع عن المسيح ولقبوها زوراً وبهتاناً باسم "الإنجيل" بل أبقاها هؤلاء المسيحيون كما هى** ، لثقتهم الكاملة فى صدق الإنجيل

الذي بين أيديهم. وليس هذا فحسب، بل شجعوا على طبعها وتوزيعها ونشروها بلغات عديدة، **مراعاة لمبدأ حرية الرأى، وليفسحوا المجال أمام الناس فى كل الأجيال للمقارنة والمقابلة بين هذه الكتب الزائفة، وبين الكتاب الحقيقى الذى بين أيديهم، الأمر الذى يدل على أمانة المسيحيين القدامى ونزهاتهم وثقتهم المطلقة فى كتابهم.**

ولم يكن هذا طبيعة المسيحيين القدامى فحسب، بل سلك مسلكهم المسيحيون فى القرون المتأخرة والحديثة وحتى هذا اليوم، **عندما تم اكتشاف إنجيل مزيف وهو " إنجيل برنابا "وكان هذا الاكتشاف لهذا الإنجيل فى عام ١٧٠٩ م، ونُسب زوراً لبرنابا أحد أسماء تلاميذ رسل السيد المسيح.**

وكاتب إنجيل برنابا المزيف هذا **يكشف بوضوح لمن يقرأه أنه لم يرى فلسطين ولم يعش بها. كما أن كتابه هذا المسمى " إنجيل برنابا " هو كتاب مزيف أُدخل حديثاً خِلسة إلى العالم مثل غيره من الكتب المزيفة، لتشويه الحقائق المسيحية ونشر أراء ومعتقدات مضادة لها، بهدف تحويل بسطاء المسيحيين عن عقائدهم.**

وبالرغم من ذلك لم يقم الباباوات ورؤساء المسيحية بحرق هذا الكتاب بمجرد اكتشافه فى أوائل القرن الثامن عشر، بل العكس هو ما حدث، فقد ترجموه لكثير من لغات العالم، ويباع حاليا فى المكتبات المسيحية بسعر زهيد وهو فى متناول الجميع، حتى يستطيع القارئ أن يقارن ويقابل الحق بالباطل، ولا خوف على العقيدة لمن يهاجمون العقيدة. كما أن الكتاب يناقض نفسه بنفسه، ومعاول الهدم الذى جاء بها، هى نفسها معاول بناء للعقيدة، وبالمقارنة والمقابلة يتضح الغث من الثمين.

الفصل السابع

بدعة إنجيل برنابا المزّيف

وهو الكتاب الذى يستندون عليه أصحاب الإدعاء بتحرّيف الإنجيل ويعتبرونه هو الإنجيل الصحيح. أما الأناجيل الصحيحة المعتمدة فيرمونها بالتزييف. أى يجعلون الباطل حق والحق باطل !!؟؟ .

وهذا الكتاب المزّيف الذى أستند عليه الدكتور احمد حجازى السقا فى كتابه:
(الأدلة الكتابية على فساد النصرانية)

وبعض من يسير على دربه، فهو يستشهد بنصوصه المزيفة على أنها الصحيحة لكى يثبت أن الأناجيل التى بين أيدينا هى الباطلة والفاسدة على حسب فكره. وكتابه كله تقريباً من الصفحة الأولى منها الى الصفحة الأخيرة قائم على هذا الكتاب المزيف مما يفقده تماماً كل مصداقية، كما أن اعتماده الكلى على هذا الكتاب الزائف أوقعه فى أخطاء كثيرة جداً متتالية. سواء كانت أخطاء تاريخية معلومة للجميع وموثقة فى وثائق التاريخ، أو **أخطاء منطقية وعقلية وعقائدية بعيدة تماماً عن الواقع.**

وهذا الكتاب عثر عليه فى القرن الثامن عشر الميلادى **أى بعد حوالي ١٧٠٠ سنة من الميلاد، وبعد أكثر من ١٦٠٠ سنة من انتشار الإنجيل،** وجد مكتوباً باللغة الإيطالية التى هى بالطبع ليست لغة برنابا الحقيقى، وقد ترجمه للغة العربية الدكتور خليل سعادة عام ١٧٠٩ م، **وكتب فى مقدمته يقول:**

> ***" إن الثقات مجمعون على أن إنجيل برنابا كُتب فى القرون الوسطى "***
> **وهذا دليل قاطع على عدم نسبته الى الرسول برنابا، ويلاحظ أن الخط والأسلوب الذى كُتب به يدل على إنه كُتب بعد ظهور كتاب دانتى والمسمى (الكوميديا الإلهية) ويلاحظ أن هذا الكتاب لم يذكر مطلقاً فى فهارس الكتب التى وضعها العرب أو الغربيين، ولم يرد فى فهارس الكتب التى وضعها مشاهير المستشرقين عن الكتب القديمة والحديثة.**

وسوف نستعرض بإيجاز ما جاء بهذا الإنجيل المزّيف من منطلق حقائق أساسية لا خلاف عليها - بالرغم من وجود الكثير من الكتب التى تدحض هذا الإنجيل - **وسوف نقارن أيضاً بعض من آياتها المزعومة بالآيات الصحيحة.**

والمكتبات المسيحية فى طول البلاد وعرضها يوجد فيها الكثير من الكتب التـى تكشـف زيف هذا الكتاب. ولكن لكى نستكمل هذا البحث وهو موضوع تحريـف الإنجيـل علـى مـن يستندون على ذلك الكتاب المزّيف سوف نشير إليه فى إيجاز حول منشأ هذا الكتاب المزّيف.

ما هو هذا الكتاب ؟ وما هى قصته ؟: .

- **مؤلف الكتاب وجنسيته:** أوربى أسباني الجنسية، **ولـم يعـش بفلسـطين ولـم يزورها.**
- **زمـن الكتـابة: فى خلال القرن الخامس عشر الميلادى وهى النسخة الأصلية.**
- **الأدلة على حداثته:** كُتب بعد انتشار **الإمبراطورية العثمانية**، ويحوى أفكاراً مستحدثة.
- **ديـانتـــــه.:** يهودى الديانة قبل **اعتناقه الإسلام.**
- **معتقـداتـه** : ضد المسيحية ، ويتعارض بعضها مع الإسلام .
- **تصـريحاتـه : أن المسيح ليس هو المسيح . بـل المسـيح هـو محمـد نبـى الإسلام!؟.**
- **ثـقافتـــــه** : يجهل طبيعة وجغرافية فلسـطين، والكتـاب ملـئ بالخرافـات والأكاذيب.
- **مصادره المعلوماتية** : من الإنجيل وتزييف آياته بالحذف والإضافة، **وبعض من المعتقـدات الإسـلامية**، ومـــن الخرافـــات الخياليـــة، ومـــن كتـــاب (الكوميديا الإلهية) للشاعر الإيطالى دانتى.
- **موضـوعـاتـــــه** : أكاذيب وتجديف لعدم إلمامه **بالتوراة أو الإنجيل أو القرآن.**
- **لغة نسخته الأولى:** اللغة الإيطالية.

أولاً : موضوع الكتاب :

يتكلم عن أن المسيا (**المسيح**) المنتظر **ليس هو يسوع المسيح** الذى جاء بالإنجيـل، **وينكـر مجيء المسيح، ويقول أن الذى جاء هو يسوع وليس المسيح، وإنما** يسوع المُسـمى المسـيح **الذى جاء ليمّهد لظهور (محمد) رسول الله الذى هو المسيح (المسيا)!؟.** الذى سـيجيء بعـده والذى خُلقت روحه (أى روح محمد) **قبل خلق العالم بستين ألف سنة ؟. ومن أجـل محمـد رسول الله خلق العالم كله حتى أن يسوع نفسه غير مستحق أن يحل سيور حذائه!؟.**

ويقول أيضاً (١): **" أن لاهوت يسوع بدعة ابتدعها الرومان . والذى صُلب هـو يهـوذا تلميذه الخائن. ومن ثم التلاميذ سرقوا جسد يهوذا ظانين أنه يسوع.**

ويقول أيضاً (٢): " **أن كتاب موسى فسد لهذا جاء كتاب داود. ثم فسد كتاب داود لذلك جاء إنجيل يسوع، وأيضاً هذا الإنجيل سيتعرض للفساد".؟ (٣).**

والكتاب يعتمد على القصص الخرافية. وبه كثير من الأخطاء التاريخية والجغرافية، والعقائدية التى فى الديانات السماوية.

ثانياً : أسم الكتاب (٤) :
" الإنجيل الصحيح ليسوع المُسمى المسيح "

من العنوان يتضح زيف هذا الإنجيل لأنه:

كون الكاتب يذكر " **الإنجيل الصحيح** " معنى ذلك أن هذا الإنجيل جاء **رداً على إنجيل غير صحيح**. أى إنه جاء تمييزاً عن إنجيل مُحّرف، وبدعة تحريف الإنجيل **لم تظهر إلا فى القرن السابع الميلادي. وهذا العنوان مؤشراً على زيفه. كون** الكاتب يذكر " **يسوع المُسمى المسيح** " **فهو ينكر أن يسوع هو المسيح أو المسيا.** ولذلك يقول فى كتابه **أن المسيح هو محمد رسول الله !؟**. والقرآن الكريم يرفض هذا الإدعاء طبعاً، **لأن القرآن يعترف بأن المسيح هو عيسى ابن مريم وليس محمد رسول الله. كما** أن قوله " **يسوع المسمى المسيح** " **وليس** " **يسوع المسيح**" كما هو فى الكتاب المقدس، دليل على **تنكره** لهذه الحقيقة، **ليضع محلها أن** " **محمداً هو المسيح** "، **مخالفاً بذلك المسلمين أنفسهم.**

ثالثاً : النسخة الأصلية للكتاب :

النسخة الأصلية باللغة **الإيطالية، وليست اللغة اليونانية**، كما فى الأناجيل (**متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا**) . وقد عثر على هذه النسخة أحد مستشارى ملك بروسيا ويدعى "**كريمر**" أحد مشاهير مدينة أمستردام سنة ١٧٠٩م. وقد تم إهداء تلك النسخة إلى البرنس "**أوجين سافوى** " الذى كان شغوفاً بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت تلك النسخة إلى مكتبة البلاط الملكى فى فينا **عام** ١٧٣٨ م، ولا تزال تلك النسخة محفوظة هناك حتى الآن، وعند فحص تلك النسخة بواسطة العلماء المختصين، **أرجعوا زمن كتابة تلك النسخة الى منتصف القرن الخامس عشر** . وهذا الكتاب مكتوب أصلاً باللهجة الإيطالية **التى كانت سائدة بعد عصر دانتي فى العصور الوسطى وليس قبل ذلك العصر.**

---

(١)، (٢)، (٤)، من كتاب " انجيل برنابا هل يعقل تصديقه " إصدار كنيسة مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء"، بقلم الأرخن أ. حلمى القمص. (٣) يعتقد مؤلف إنجيل برنابا المزيف بنسخ الشرائع بعضها البعض، بالرغم عدم وجود النسخ فى لغة الكتاب المقدس، وعدم وجود النسخ فى القرآن بالنسبة للشرائع السابقة عنه، والنسخ يخص القرآن كما بيّنا سابقا.

وبعد عدة سنوات عثر الدكتور "**منكهوس**" على نسخة من ذلك الإنجيل باللغة الأسبانية وكان مسجل بداخلها إنها مترجمة عن اللغة الإيطالية بواسطة شخص أسمه "**مصطفى العرندى** (١).

كما أجمعوا على أن الرسم الموجود على غلاف هذه النسخة هو **من طراز عربي**، وأن بالصفحة الأولى منها عبارات مكتوبة باللغة العربية مثل (الله العظيم، وإذا أرتم من الله شيئاً). كما وجد بهوامش النسخة عبارات باللغة العربية ركيكة التركيب والبعض الآخر سليم.(٢).

رابعاً : شخصية كاتب إنجيل " برنابا " .

رجح أغلب الباحثين أن "**مصطفى العرندى**" هو كاتب هذا الإنجيل وأسمه "**مصطفى**" هذا هو **الأسم الذى أتخذه بعد إسلامه**، لأن "**عرنده**" كما جاءت فى دائرة المعارف البريطانية من الأسماء الشهيرة **لعائلة أسبانية**. وسواء كان مصطفى العرندى هو الذى كتب هذا الإنجيل أم غيره ، **فإنه كتاب حديث العهد لا يمت للمسيحية بصلة** ولا يعتمد عليه ككتاب صادق باتفاق جميع العلماء والباحثين المتخصصين الشرفاء. ويقول الدكتور "**جورج سال**" العلامة الإنجليزي فى ترجمته الإنجليزية للقرآن، إنه وجد نسخة من هذا الكتاب أيضاً (إنجيل برنابا) باللغة الأسبانية تكاد تكون معاصرة للنسخة الإيطالية، كتبها شخص اسمه "**مصطفى العرندى**" ويقول إنه ترجمها عن النسخة الإيطالية **الأصلية**.

خامساً : قصة اكتشاف ذلك الإنجيل المزّيف:

حكي " مصطفى العرندى " قصة اكتشاف النسخة الإيطالية بطريقة خيالية فقال:

" **أن** هناك راهب لاتيني أسمه فارامارينو(أى الأخ مارينو)، كان يقرأ بعض رسائل القديس أيريناؤس، فوجد القديس يندد بالرسول بولس معتمداً على ما كتبه برنابا فى إنجيله، فاشتاق الأخ مارينو إلي مطالعة إنجيل برنابا. ثم إنه فى أحد المرات ذهب لمقابلة البابا "**اسكتس الخامس**" بابا روما، **وفى أثناء المقابلة ثقلت عينا البابا بالنوم**، وفى رواية أخرى **صلى لكى ينام البابا**. وانتهز الراهب الفرصة وأخذ يبحث فى مكتبة البابا، **لكى يقتل الوقت بالمطالعة ... مد يده إلى مكتبة البابا فإذا به أمام إنجيل برنابا**. ففرح جداً **وخبأ الكتاب تحت ردائه وأنتظر حتى استيقظ البابا فأستأذن منه وأنصرف.** " !؟.

وبهذه القصة الملفقة الخيالية لإظهار هذا الكتاب نفندها منطقياً للأسباب الآتية:

١- هل مرت عشرات المئات من السنين ولم يفطن أحد إلى ما كتبه أيريناؤس حتى إنه ظهر الكتاب فجأة عندما مد الراهب يده فى المكتبة عشوائياً فيخرج الكتاب فى يده !؟. وهل تشاء الأقدار فى أن يكون هذا الكتاب هو إنجيل برنابا !؟. **كما أن مؤلفات أيريناؤس موجودة حتى الآن، وكلها تتوافق مع الإنجيل الذى بين أيدينا، ومع رسائل بولس الرسول أيضاً.**

---

(١) المرجع السابق، أ حلمى القمص ص ٩ (٢) انجيل برنابا لعوض سمعان ص ٦٣.

٢- وإذا كان هذا الكتاب موضوعاً فى المكتبة فى مكان ظاهر متاحاً لكل قارئ يريد الاضطلاع. معنى ذلك إن هذا الكتاب ليس سراً يراد إخفائه من أعين الفضوليين، لأنه لو كان هذا الكتاب سراً يراد إخفائه، **لما كان مكانه فى المكتبة، وإنما يكون من الأفضل حرقه وإتلافه وتدميره بمجرد ظهوره حتى لا تقع عليه أعين الفضوليين ؟.** وإذا كان الكتاب قديم العهد **فأين كان طوال تلك القرون،** ولم يعثر عليه أحداً من قبل!؟.

٣- وهل العالم كله بجميع مكتباتها العامة والخاصة ومتاحفها، ومكتبات جميع كنائس العالم بالملايين **لا توجد بها أى نسخة أخرى من هذا الكتاب !؟. وهل النسخة الوحيدة التى وجدها الراهب فى مكتبة البابا كُتبت خصيصاً للبابا!؟.**

٤- كما أن من المعروف منطقياً وعرفياً أن البابا لا يعطى موعداً للمقابلة لأى شخص يريد مقابلته وهو مثقل بالنوم ويريد الراحة. ولا سيما إذا كان الشخص فى مركز رفيع كمركز البابا، **والذى يمثل أيضاً رئيس دولة الفاتيكان.** ولا يسمح البابا للمقابلة إلا إذا كان فى كامل استعداده ونشاطه الذهنى وبكامل زيه الرسمى، **وليس بملابس نومه!. فكيف فى هذه الحالة يفاجأ البابا برغبته فى النوم أثناء مقابلة الراهب !؟.**

وإذا أراد البابا النوم لماذا لم يصرف الراهب ويسمح له بالانصراف ؟..ولماذا يصلى الراهب لكى ينام البابا أثناء مقابلته ؟. - كما جاءت فى بعض الروايات - **ولأى سبب يريد الراهب إنجازه فى أثناء نوم البابا إذا كان ليس لديه فكرة مسبقة عما يريده ؟.**

٥- معنى ذلك أن هذا الراهب لصاً وغير أمين، ولا يستحق أن يكون راهباً كرس حياته للصدق والاستقامة، وإذا صلى لله لكى ينام البابا، **فهل يقبل الله صلوات لصاً وسارقاً !!؟. وهل الله يستجيب لمطالب اللصوص!.** وإذا رغب الراهب فى قراءة ذلك الكتاب **لماذا لم يطلب من البابا استعارته لبعض الأيام،** أو يطلب من البابا أن يسمح له **بقراءته بالمكتبة ؟.** والبابا فى هذه الحالة **سيسمح له فى أى من الاحتمالين.** لأن الكتاب موجوداً فى مكتبة فى متناول من يريده، **وليس** كتاب أسرار. **لأنه لو كان هذا الكتاب سراً يراد إخفاءه لما كان له وجود فى المكتبة .**

٦- يقول المؤيدين لهذا الإنجيل المزيّف، أن الله أراد إن يظهر هذا الكتاب الصحيح على الإنجيل المحرف لكى يكشف زيف الأناجيل التى بين أيدينا .. !؟.

نقول وأين كان الله لمدة سبعة عشر قرناً من الزمان بعد أن ساد الإنجيل فى كل بقاع الأرض، واعتنقت الشعوب والأمم تلك الديانة بالمليارات، **واستشهدوا فى سبيله وعلى الإيمان بيسوع المسيح مخلصاً وإلهاً ؟.**

فهل غلب الله النعاس أيضاً ونام سبعة عشر قرناً من الزمان !!؟. ، وعندما أستيقظ فجأة بعد تلك المدة سارع بإظهار الإنجيل الصحيح بهذه الطريقة الخرافية المُلفقة، على يد ذلك الراهب الوهمي، لكي يبطل العقيدة التى وضعها وأرساها وباركها حتى أصبحت فى كل بقاع المسكونة بكل قاراتها ودولها.

وكيف أستطاع رُسل المسيح الفقراء الصيادى سمك والمجردين من أى سلاح، والذين لا يعتمدون على أى قوة مادية أو جيوش جرارة تساعدهم على نشر عقيدتهم، إلا إذا كان روح الله القدس حليفهم يعطيهم القوة والجرأة فى نشر المسيحية بإنجيلهم الذين تسلموه من السيد المسيح والذى طلب منهم نشرها فى كل العالم وإلى أقاصى الأرض.

٧- إذاً هذه الطريقة الخيالية لا تتفق مع حكمة الله وطبيعته، وإنما تلك التمثيلية الموضوعة لاكتشاف هذا الإنجيل المزعوم، هى طريقة قاصرة صاغها مقدم الكتاب لكى يوّهم القارئ بصدق ذلك الإنجيل وقِدمه!.

ومن العجيب أن هذا المؤلف سقط فى أخطاء جسيمة، وأسقط معه كل من أستشهد بكتابه من أمثال احمد ديدات ود. احمد حجازى، وأوقعهم فى فخ لا يستطيعون الفكاك منه، والناتجة عن عدم إلمام المدعو برنابا التام، بالديانات سواء اليهودية الذى كان يعتنقها قبل إسلامه، أو الإسلام الذى أعتنقه، ومروراً بالمسيحية التى أراد أن يحاربها. كما أظهر جهله المطبق بجغرافية فلسطين مهد المسيحية، وجهله بالتاريخ وعادته، وجهله بلغة قوم القرن الأول المسيحى.

أن الكتاب ينكر ألوهية المسيح. فلو كان الكتاب متاحاً فى القرون الأولى **فلماذا لم يستشهد به** أريوس وأتباعه الذين أنكروا ألوهية السيد المسيح ؟. **وكانا لهذا الكتاب سنداً لدعواهم.**

٨- لماذا لم يرد ذكره فى المجامع المسكونية أو الإقليمية ؟ أو فى الجداول التى سجلت أسفار الكتاب المقدس، مثل جداول مورتورى وأوريجانوس، وغريغوريوس، ويوسابيوس؟. **ولماذا لم يرد ذكره فى فهارس الكتب القديمة عند العرب أو المستشرقين ؟. ولماذا لم يرد ذكره فى كتب التاريخ سواء التاريخ العربى أو الغربى؟.**

٩- جميع العلماء العرب المسلمين والمفسرين والذين ظهروا قبل القرن الرابع عشر الميلادى، لم يشيروا بالتصريح أو التلميح عن وجود ذلك الإنجيل المسمى إنجيل برنابا، لأنه لو كان له وجود فى أجيالهم لكانوا أولى الناس بنشره حتى يثبتوا نسخ إنجيل المسيح بالقرآن، وهو ما تم حالياً بطبع هذا الكتاب ونشره من قِبل ديار النشر العربية والخليجية.

١٠- كما أن هذا الإنجيل المُسمى بإنجيل برنابا يذكر أن الذى صُلب هو يهوذا الأسخريوطى وليس المسيح بعد إلقاء شبهة عليه. فلو كان هذا الإنجيل موجوداً قبل القرن الرابع عشر الميلادى. لكان هذا الإنجيل خير عون وقرينة ودليل على الاعتقاد الشائع من بعض الأخوة المسلمين بأن المسيح لم يصلب، وحيث إنه لم يوجد ذكر لهذا الإنجيل فى كتب قدامى المفسرين لدليل قاطع على عدم وجوده أصلاً.

كما أن التخبط فى شخصية المصلوب من هو، يكون فى هذه الحالة شخصيته معروفة، وتحدد فى شخص يهوذا الأسخريوطى، ولكن واقع الحال فى كتب المفسرين الإسلاميين قبل القرن الرابع عشر لم يتفقوا على شخص معين لصلبه بدلاً من المسيح، فأشاروا بأن المصلوب هو سرجس، وآخرين قالوا بتيطس، أو داود، أو يهوذا، أو أحد أعدائه الخونة دون تحديد الاسم، أو أحد أصدقائه الذين يريدون إنقاذه، والكثير من الشخصيات الغير محددة على وجه التحديد، فلو كان هذا الإنجيل موجوداً فى أجيال هؤلاء المفسرين لما كان هناك تخبط فى تحديد أسم الشخص الذى صُلب بدلاً من المسيح. ولكان قد حُسم الأمر بالنسبة لهؤلاء فى شخص واحد وهو " يهوذا الأسخريوطى " دون سواه.

١١- كُتب هذا الكتاب بعد دخول الأتراك العثمانيون لدول أوربا فى القرن الرابع عشر، لأنه جاء فى كتاب برنابا (ص ٣١٧ : ٨٨) **عن تكفين السيد المسيح أنهم** (ضمخوه بمائة رطل من الطيب) **بينما الرطل من المكاييل التى أنشأها العثمانيون،** ولا وجود لهذا المسمى لدى اليهود وسكان فلسطين قبل الغزو العثمانى.

١٢- كما أنه يتناقض قوله عن تكفين السيد المسيح بالطيب أى يعترف بموته وصلبه، وليس شخص أخر شبيهه، وفى موضع آخر يقول أن السيد المسيح ألقى شبهه على يهوذا الأسخريوطى ليصلب بدلاً منه؟!. كيف يتم التوفيق بين هذان الرأيان المتناقضان.؟!.

وسنورد تعليقات بعض الباحثين من العلماء المسلمين **فقط وشهاداتهم النزيهة على زيف " إنجيل برنابا "، وسنترك عن عمد شهادة جميع العلماء والباحثين المسيحيين العديدة،** سواء الشرقيين منهم أو الغربيين، **حتى لا يعتقد البعض من إخواننا المسلمين عن أن تلك الشهادات المسيحية تشوبها الشك أو الريبة أو المحاباة.**

أولاً : شهادات الباحثين والعلماءً المسلمين:

(١) عباس العقاد	أن الأناجيل (أناجيل المسيحيين الأربعة) **هى العمدة الوحيدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس إلى عصر المسيح. وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفى عام عمدة أحق منها بالاعتماد ". (عبقرية المسيح ص ١٢٦).**

	وكتب أيضاً موضوعاً عن إنجيل برنابا فـــى صـــحيفة الأخبـــار المصـــرية الصادرة فى ١٩٥٩/١٠/٢٦ يقول فى نقاط خمسة محددة وهى: ١- إن الكثير من عبارات الإنجيل المذكور (برنابا) كتبت بصيغة لم تكن معروفة، قبل شيوع اللغة العربية فى الأندلس وما جاورها. ٢- يستند وصف الجحيم في إنجيل برنابا إلى معلومات متأخرة لم تكن شـــائعة بين اليهود فى عصر المسيح. ٣- بعض العبارات الواردة به كانت قد تسربت إلى القارة الأوربيـــة نقـــلاً عـــن مصادر عربية. ٤- - ليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألـــوف باسم " محمد رسول الله ". ٥- تتكرر فى هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودى المطلع علـــى كتـــب قومه، ولا يرددها المسيحى المؤمن بالأناجيل المعتمدة فى الكنيسة الغربيـــة، ولا يتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى إنجيل برنابا من المناقضـــة بينـــه وبـــين نصوص القرآن، مثل القول عن محمد إنه المسيا أو المسيح.
التعليق	يحدد العقاد هنا الأناجيل التى عند المسيحيين هى الصحيحة (متى، ولوقـــا، ومرقس، ويوحنا). ويؤكد أن " الإنجيل " المنسوب إلى برنابا، هو مزيف .
(٢) خليل سعادة	وهو الذى ترجم الكتاب الى العربية فى مطلع القرن العشرين وقدم له مقدمة جاء فيها بقوله: " ثم انه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل فى كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء فى العصور القديمة أو الحديثة، حتى ولا فى مؤلفات مـــن أنقطـــع مـــنهم إلـــى الأبحاث والمجادلات الدينية " مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم" فى مثل تلك المناقشات. وليس ذلك فقط بل لم يرد ذكر لهذا الإنجيل فى فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهـــارس لأنـــدر الكتب العربية من قديمة وحديثة " (مقدمة المترجم صفحة (ط).).
(٣) الشيخ محمد رشيد رضا	وهو الذى نشر إنجيل برنابا بالعربية قال: من الأقرب إلى التصور أن كاتبه يهودى أندلسى من أهل القرون الوسطى تنصّر ثم دخل الإسلام. أتقن اللغة العربية وعرف القرآن والسنة حـــق المعرفـــة بعـــد الإحاطة بكتب العهد العتيق (التوراة) والجديد (الإنجيل). (مقدمة الناشر صفحة ش)

(٤) د. محمد شفيق غربال	فى كتابه الموسوعة العربية يقول: **" هو إنجيل مزّيف وضعه أوربى من القرن الخامس عشر وفى وصفه للوسط السياسى والدينى فى القدس أيام المسيح أخطاء جسيمة، كما يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح، إنما جاء مبشراً بمحمد الذى سيكون المسيح".**
التعليق	**كيف يكون محمد هو المسيح !؟. على حسب زعم إنجيل برنابا. وكيف يقول المسيح إنه ليس المسيح، بل إنه سيبشر بمحمد الذى هو المسيح !؟.**
(٥) على عبد الواحد وافى	وهو رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة فى كتابه الأسفار الثلاثية فى الأديان السابقة للإسلام يقول عن إنجيل برنابا: **" بعض ما يشمل عليه هذا الكتاب نفسه يحمل على الظن بأنه موضوع** (أى من وضع إنسان وليس موحى به) **فالإسلام ليس فى حاجة إلىٰ كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة ".**
التعليق	**أى أن المُسلم الحق لا يجب أن يعتمد على هذا الكتاب الذى يكتنفه الشك .**
(٦) كُتب لتاريخ الإسلامى	**مثل** (مروج الذهب، والقول الابريزى، والتاريخ الكامل، وتاريخ اليعقوبى، والبداية والنهاية، وتاريخ أبى الفدا) **ومن الكتب الحديثة مثل** (كتاب دائرة معارف الناشئين): **أن إنجيل المسيحيين هو المكتوب بواسطة متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا. فضلاً عن ذلك فقد اقتبست بعض الكتب المذكورة الكثير من الآيات التى وردت فى هذا الإنجيل، بينما لا يوجد بها أى اقتباس من الكتاب الذي يدعى " إنجيل برنابا " وهذا دليل على عدم قِدمه أو بالحرى على عدم قانونيته.**
التعليق	**عدم اقتباس نصوص من إنجيل برنابا لقدامى المفسرين، لهو أكبر دليل على حداثة ذلك الإنجيل وعدم قدمه. بعكس الإنجيل المكتوب بواسطة (متى- لوقا - مرقس - يوحنا) القديمة والاقتباسات الكثيرة من تلك الأناجيل من قديم الزمان تدل على قدمه.**

(٧) أ.د محمود بن الشريف	جاء فى كتابه (الأديان فى القرآن) يقول: " فى النسخة الأصلية التى نقلت عنها الترجمة الإيطالية. فليس الإيطالية هي لغة برنابا بل لغته العبرية. فهناك إذاً أصل عبرى نقلت عنه. أين هذا الأصل العبرى ؟ لم تحدثنا الكتب والمصادر التى تحدثت عن هذا الإنجيل أى حديث عن الأصل المنقول عنه. وما دام الأصل لا وجود له ولا سند، فنحن فى مندوحة وحِل من عدم الاعتراف به. والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، ولا دليل هنا يقطع ويجزم بأن هذا إنجيل برنابا. فيجوز أن يكون هذا الإنجيل لمفكر إيطالي أعترف بمحمد وبرسالته، وبعيسى وبرسالته فأخرج هذا الإنجيل ونسبه إلي برنابا". لا تعليق.
(٨) أ.محمد جبريل	جاء فى جريدة المساء فى ١٩/١/١٩٧٠ م قال: " فى الحقيقة أن هذا الإنجيل برغم اتفاقه فى الأغلب مع وجهة النظر الإسلامية، لم يجد رأياً إسلامياً مسؤلاً يؤكد صحته أو يدافع عنه، فالحقيقة المؤكدة من خلال تلك الأخطاء الفادحة إن كاتب إنجيل برنابا لم يكن مسيحياً، ولم يكن مسلماً كذلك، وإن كان أتيحت له الفرصة للاتصال بعلماء المسلمين في الأندلس وهو يهودياً وأسلم ". لا تعليق.

ثانياً : الأدلة على اعتناقه الإسلام من أقواله:

١ - "*أن الله خلق العالم لأجل نبى الإسلام* ". (فصل ٣٩، فصل ٨٢، فصل٢١٢).

٢ - " *أن الله خلق نبى الإسلام قبل يسوع* " . (فصل ٣٥، فصل ٣٩، فصل ٩٦).

٣ -"*وإنه لما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس:*
" *لا إله إلا الله ومحمد رسول الله* " (فصل ٤٩: ١٤).

٤ -" ولما سأل آدم الله عنه، قال له: " *إن نفسه* (محمد) *موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً*." (فصل ٣٩: ١٤).

٥ -"*أنه لما طرد آدم من الجنة، رأى مكتوباً فوق الباب " لا إله إلا الله. ومحمد رسول الله " فبكى آدم وقال: " عسى الله أن يريد أن تأتى سريعاً وتخلصنا من هذا الشقاء* ".

(فصل ٣٩:١٤، وفصل ١٤:٣٠).

---

(١)، (٦) من كتاب " انجيل برنابا " بقلم عوض سمعان ص ١٣١، ١٣٢

(٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٧)، (٨) مقتبس من كتاب انجيل برنابا هل يعقل تصديقه من " كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء". ص ٦١، ٦٢، ٦٣ بقلم الأرخن أ. حلمى القمص.

٦–*"ثم كتب الله على ظفر إبهام يد آدم اليمنى " لا إله إلا الله " وعلى ظفر إبهام يده اليسرى " محمد رسول الله "*. (فصل ٣٩: ٢٦ وفصل٤٤: ٣٠).

٧–*" ولما رأيته* (المسيح) *امتلأت عزاء قائلاً: يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سيور حذائك لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله"* (فصل ٤٤: ٣٠، ٣١).

٨–المسيح في إنجيل برنابا المزّيف يستنكر أنه المسيح، وإنما المسيح (المسيا) هو محمد بقوله: *" ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه. لأني لست أهلاً أن أحل ربطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله* (محمد) *الذي تسمونه مسيا* (يقصد محمد أيضاً) *الذي خُلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق "*. (فصل ٤٢).

" ولا تعليق "

ثالثاً : بعض من الأخطاء التاريخية والجغرافية في إنجيل برنابا المزيف

نوع الخطأ	الخطأ كما جاء بالإنجيل المزّيف (برنـابـا)
الناصرة وأورشليم	جاء في فصل (٢٠: ١، ٩٢: ٢) أن الناصرة (التي ولد فيها المسيح)، وأورشليم (عاصمة اليهود قديماً) هما ميناءان على البحر. (١).
التعليق	لم يولد المسيح في الناصرة، وإنما ولد في بيت لحم. وعاش في الناصرة. والناصرة ليست ميناء على البحر، وإنما هي مدينة على تل. وأورشليم ليست ميناء على البحر، وإنما هي مدينة مقامة على جبل. فكيف تكون الناصرة وأورشليم ميناءان على البحر !؟. وهي تبعد عشرات الأميال عن البحر !؟ أليس هذا دليل على أن كاتب ذلك الإنجيل لم يرى أو يعش في أرض فلسطين.
دمشق	جاء في فصل (٣٩: ١٣، ١٤٣: ١). " أن المسيح هرب إلى دمشق وأتخذها مركزاً للاجتماع بتلاميذه. (٢)
التعليق	أن دمشق عاصمة سوريا ولا تقع في بلاد فلسطين التي عاش فيها المسيح مع تلاميذه !.
جبل سيناء	جاء في فصل (٩٢: ١). " أن يسوع ذهب مع تلاميذه إلى جبل سيناء وقضى معهم هناك ٤٠ يوماً في الصوم ". (٣).

التعليق	جبل سيناء يبعد مئات الأميال عن فلسطين التى عاش فيها المسيح وهى فى داخل حدود مصر. فلا يمكن أن يكون المسيح قد ذهب مع تلاميذه إلى جبل سيناء بمصر ليصلى أو يصوم. والمسيح لم يأت إلى مصر إلا وهو أقل من عامين (رحلة العائلة المقدسة).... أما الجبل الذى كان يذهب إليه مع تلاميذه للصلاة فهو جبل الزيتون قرب أورشليم من الجهة الشرقية. ومن جبل الزيتون ترى التل المقام عليها مدينة أورشليم ومبانيها بكل وضوح. ومن هنا يتضح جهل كاتب إنجيل برنابا بجغرافية فلسطين ومصر ويخلط بينهما حيث إنه لم يذهب إلى فلسطين ولم يراها فى حياته. فكيف يكون من تلاميذ المسيح !؟.
الصيف فى فلسطين	جاء فى فصل (١٦٩: ١٣). " أن الحقول والأودية في فلسطين تكون جميلة فى فصل الصيف ". (٤).
التعليق	فى فصل الصيف فى فلسطين قاحلة تقريباً لأنها تعتمد على الأمطار التى لا تسقط إلا فى الشتاء. أما فى غرب أوربا فالأودية والحقول تكون جميلة فى فصل الصيف، لوجود الأنهار الدائمة الجريان بها. فأعتقد الكاتب بجهله أن فصل الصيف يكون جميلاً مزدهراً في فلسطين مثل بلاده التي عاش فيها .
مدينة نينوى	جاء فى فصل (٦٣: ٤-٧). " أن الله عزم على إهلاك نينوى لأنه لم يجد أحداً يخاف الله فى تلك المدينة التى بلغ من شرها أن الله دعا يونان النبى ليرسله إلى تلك المدينة، فحاول الهرب إلى طرسوس خوفاً من الشعب، فطرحه الله فى البحر، فابتلعته سمكة كبيرة وقذفته على مقربة من نينوى". (٥).
التعليق	مدينة نينوى هى عاصمة الإمبراطورية الآشورية. وقد شيدت على الضفة الشرقية من نهر دجلة. فهى أذن لم تكن على البحر الأبيض المتوسط كما قال الكاتب.
عصر بيلاطس وحنان وقيافا.	جاء فى فصل (٣: ٢)." أنه عندما ولد يسوع كان بيلاطس والياً على اليهودية، وحنان وقيافا رئيسي كهنة ".(٦).

التعليق	أن بيلاطس تولى كرسى الحكم على اليهودية فى سنة ٢٦م ونهاية حكمه فى سنة ٣٦م. أى تولى بيلاطس الحكم بعد ٢٦ سنة من ميلاد المسيح وليس فى وقت ميلاده كما يقول كاتب إنجيل برنابا. كما أن حنان كان رئيساً للكهنة فى المدة بين ٦-١٥ م، وقيافا فى المدة من سنة ١٨-٣٦م. أى أن كلا من حنان وقيافا لم يكونا رؤساء الكهنة وقت ميلاد المسيح. وهذا جهل من كاتب هذا الإنجيل المزيف بأحداث التاريخ.
مقاطع الرخام	جاء فى فصل (١٠٩: ٩). " إنه توجد فى فلسطين مقاطع الأحجار والرخام".(٧).
التعليق	لا توجد فى فلسطين مقاطع الرخام، بل توجد تلك المقاطع بكثرة فى إيطاليا وأسبانيا وهى مشهورة بها.
سنة اليوبيل	إنه قال فى إنجيله المسمى برنابا " أن اليوبيل يأتى كل مائة سنة.
التعليق	وهذا اليوبيل الذى يقصده هو اليوبيل الكاثوليكى الذى هو منهم. ولم يصر مئوياً إلا على يد البابا " بونيفاس الثامن "، سنة ١٣٠٠ ب.م مما يدل على وجود المؤلف لهذا الإنجيل بعد ذلك التاريخ، مع أن الأناجيل الموحى بها كتبها الرسل فى القرن الأول الميلادى.

رابعاً : جهل الكاتب بالحالة الاجتماعية فى فلسطين ، وتأثره بالحالة الاجتماعية الأوربية:

نوع الخطأ	الخطأ كما جاء بالإنجيل المزّيف (برنابا)
حفظ الخمور	جاء فى فصل (١٥٣: ٢٥). " أن اليهود فى فلسطين كانوا يضعون الخمر فى براميل يمكن دحرجتها ".(٩).
التعليق	كان اليهود يضعون الخمور فى زقاق من الجلد. ولم تعرف الحفظ فى براميل. وعادة الحفظ فى براميل هى عادة أوربية وخاصة ببلاد إيطاليا، وفرنسا، وأسبانيا.
جيوش اليهود	جاء فى فصل (٩١: ١٠). " أنه فى فلسطين ثلاثة جيوش لكل منها ٢٠٠,٠٠٠ جندى مسلحين بالسيوف ". وفى فصل (١٥٢). أن السلطتين الدينية والمدنية كانتا تسمحان للرومان بالدخول الى الهيكل اليهودى لمجادلة يسوع فى الأمور الدينية. (١٠).

التعليق	أولاً: أن فلسطين كانت محتلة من الرومان، ولم يسمح الرومان بتكوين جيوش للدول المحتلة، ولم يكن لليهود جيوش مسلحة. ثانياً: لم يسمح اليهود لغير اليهود بدخول الهيكل للمناقشة فى الأمور الدينية. والرومان مثل غيرهم من الشعوب الوثنية، لم يسمح لهم بالدخول إلا إلى دار الأمم، وهى بعيدة عن الهيكل ويفصلها عنه ثلاثة حواجز هى: دار إسرائيل، ودار النساء، ومساكن الكهنة وآخر تلك الحواجز أو الأسوار هى دار الأمم، لأنهم يعتبرون أن غير اليهودى هو رجس، ونجس.
حبل مريم	جاء فى فصل (٢: ١). " ان العذراء مريم لما وجدت إنها حبلى خافت أن يرجمها الشعب بتهمة الزنى، فاتخذت لها عشيراً يدعي يوسف ". (١١).
التعليق	لم يكن معروفاً فى بلاد فلسطين اتخاذ الفتاة عشيراً لها. بل تلك كانت معروفة فى أوربا. أما العذراء مريم فكانت مخطوبة ليوسف قبل أن يبشرها الملاك بالحبل بالمسيح.(لوقا١: ٢٦،٧).
مبارزات العشاق	جاء فى فصل (١٤١: ١٧-٢٠). وصف للمبارزات التى تقوم بين العشاق. وفى فصل (٦٣: ٢١٧). " أن يهوذا الأسخريوطى عندما صرخ أنه ليس يسوع، رماه اليهود بالحمق، ووضعوا عليه رداء ابيض ". (١٢).
التعليق	أولاً: أن المبارزات لم يكن لها وجود إلا فى غرب أوربا قبيل الثورة الفرنسية، وكانت تسمى " الفروسية " السائدة فى العصور الوسطى. ثانياً: الرداء الأبيض كانت عادة أسبانية فى بلاد الأندلس. وكانوا يضعون الرداء الأبيض علي الميت كعلامة الحداد على الموتى حتى القرن الخامس عشر، وليست تلك العادة فى فلسطين سواء فى زمن المسيح أو بعده. وقد أشار لهذه الحقيقة كتاب (ظهر الإسلام ج٣ ص ٨).
عقوبة الإعدام	جاء فى فصل (١٥٣: ٨، ١: ١٥٤).: " أن السارق يعدم شنقاً والقاتل يقطع رأسه ". (١٣).
التعليق	هاتين العقوبتين كانتا تطبقان فى غرب أوربا فى العصور الوسطى وليس فى بلاد اليهودية، لأن السارق فى هذه البلاد كان يعاقب بردّ خمسة أو أربعة أمثال ما سرق إذا كان قد باعه، وضعف ما سرقه أن لم يكن قد باعه (خروج٢٢: ١-١٥). بالإضافة إلى الذبيحة الكفارية التى كان أن يقدمها عن خطيته. أما عن القتل: أن من قتل سهواً دون عمد كان يصان من القتل بالالتجاء إلى أحد مدن الملجأ. أما من يقتل عمداً فكان يقتل بأى وسيلة وليس بقطع رأسه فقط. (عدد٣٥: ٩-٢٨).

الجمهورية	جاء فى فصل (٦٩: ٤-٩). " أن الكهنة كانوا يشغفون بركوب الخيل، دون ان تكون لهم الرغبة فى الذهاب إلى الحروب، كما أنهم كانوا يحبون المجد كالجمهوريين، دون ان تكون لهم الرغبة فى القيام بأعباء الجمهورية.(١٤).
التعليق	أولاً: أن ركوب الخيل لم يكن شائعاً لليهود فى فلسطين أيام المسيح. ثانياً: ومن تعاليم المسيح لم يدعوا إلى الحروب مع الرومان أو غيرهم : *" أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله "* ثالثاً: لم يعرف الحكم الجمهورى فى أيام المسيح، بل عرفت فى القرون الوسطى.

خامساً: اقتباسه من القرآن والعقائد والاصطلاحات الإسلامية.

نوع الاقتباس	وكما جاء بالإنجيل المزّيف (برنـــابـــا)
السجود لآدم	جاء فى فصل (٣٥: ٩). " أن الشيطان غضب عندما علم أن الله سيخلق آدم. فقال لملائكته: " انظروا. سيريد الله يوماً ما أن نسجد لهذا التراب ".(١٥).
التعليق	القول عن امتناع الشيطان عن السجود لآدم هى من اقتباسات قرآنية فقط، ولا وجود لها فى التوراة والإنجيل. كما جاءت على سبيل المثال فى سورة (الحجرات١٥: ٣٠). وكذلك فى سورة (البقرة ٣٤).
إبراهيم يكسر أصنام أبيه	جاء فى (فصلى ٢٨، ٢٩). أن إبراهيم كسر أصنام أبيه، وعلق الفأس على أكبرها قائلاً إنه هو الذى كسرها، وإنه عرف الله من مشاهدة النجوم.(١٦).
التعليق	اقتبس كاتب الإنجيل المزيف تلك القصة من القرآن الكريم لأنها لم ترد فى التوراة والإنجيل. كما جاء فى سورة (الأنعام ٦: ٧٦). وكذلك فى (الأنبياء٢١: ٦٣).
يسوع تكلم وهو طفل	جاء فى (فصل ٧: ١٠). أن يسوع تكلم وهو طفل عندما اتهم اليهود مريم العذراء بولادة المسيح منها بدون زواج.(١٧).
التعليق	اقتبست هذه القصة من القرآن الكريم لأن الإنجيل لم يوردها بأى صورة من الصور. وهذه القصة جاءت فى سورة (ال عمران٣: ٤٨). وذلك لأن عامة اليهود لم يكن يعرفون عند مولد المسيح أنه ولد بدون زواج، لأنه كان فى اعتقادهم أن يوسف هو أباه لأنه زوج مريم أمام الناس فقط.
الصلوات الخمس	جاء فى فصل(٦١: ٣ ، ١٣١: ١) . أن المسيح كان يدعو للصلاة فى (الظهر ، والمساء ، والليل ، والعشاء ، والفجر). (١٨).

التعليق	الصلوات الخمس المحددة بمواقيت هى فى الإسلام فقط. أما الصلاة فى المسيحية ليست فرضاً فى مواقيت معينة بل الصلاة فى كل وقت من أوقات اليوم بدون تحديد حسب قول السيد المسيح "*صلوا كل حين*" وليست مرتبطة بوقت محدد من النهار أو الليل. كما جاء فى (أفسس٦: ١٨). "*مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح*". وجاء أيضاً فى (تسالونيكى٥: ١٧): "*وصلوا بلا انقطاع*". أي الصلاة فى كل حين لأن صلة المصلى بالله يجب أن لا تنقطع في أى وقت. ويمكن الإنسان أن يصلى لله فى كل أوقات فراغه في قلبه وجوارحه.
الوضوء	جاء فى (فصل ٣٨: ٩). " أنه لا يقدم أحداً صلاة مقبولة إن لم يغتسل "(١٩).
التعليق	الوضوء عادة معروفة فى الإسلام، وكما جاء فى (تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٩) أن الوضوء يكفر ما قبله من الذنوب. وفى صحيح مسلم فى كتاب الطهارة: " أنه إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) خرجت كل خطية نظر إليها بعينه مع الماء". أما فى المسيحية فالوضوء (الاغتسال اللازم قبل الصلاة) هو تطهير القلب من الأهواء والشهوات والأفكار الدنيوية الباطلة، بوضعه تحت تأثير كلمة الله، لأنها هى التى تنقيه وتطهره من كل شر يوجد فيه، بجانب نظافته الشخصية. (يوحنا٣:١٥).
عدم صلب المسيح	جاء فى الفصول(١١٣: ١٣-١٧، ٢٢٠: ٢١٦)." إن يسوع لم يصلب لأنه ألقى صورته على يهوذا الذى كان يريد تسليمه لليهود فصلبوه عوضاً عن يسوع. إما يسوع فقد رفعه الله الى السماء ".(٢٠).
التعليق	قضية إلقاء الشبه وعدم صلب المسيح هذا ما يقوله بعض المسلمين، واختلفوا فى الشخص الشبيه هل يهوذا أم تيطس أم داود أو سرجس ... الخ. والبعض منهم قال صُلب فعلاً ولكنه لم يمت، وبعضهم قال صُلب المسيح ومات وقام بعد ثلاث ساعات، وآخرون قالوا بثلاثة أيام. وكاتب إنجيل برنابا أقتبس تلك الأقوال الشائعة عن أحاديث إسلامية (إسرائيليات). لأن مسألة إلقاء الشبه لا وجود لها فى المسيحية والأناجيل (متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا) على الإطلاق، لأن من أجل الفداء والصلب جاء المسيح فى الجسد. مما يؤكد بدليل قاطع أن كاتب هذا الإنجيل كتب كتابه في القرون المتأخرة بعد انتشار الإسلام ووصوله الى بلاد الأندلس.

سادساً : بعض المقارنات بين الآيات الصحيحة ، وما يقابلها فى الإنجيل المزيّف.

موضوع المقارنة	الموضوع فى الإنجيل الصحيح (متى ـ لوقا ـ مرقس ـ يوحنا)	الموضوع فى الإنجيل المزّيف (برنـابـا)
شفاء مرضى البرص	*" فرفعوا صوتهم قائلين: " يا يسوع. يا مُعلم، أرحمنـا !". فنظر وقال لهم " أذهبوا وأرو أنفسكم للكهنة ". وفيما هم منطلقون طهروا.* (تم شفائهم). (لوقا ١٧: ١١-١٩).	*" أن بعض المرضى بالبرص قالوا ليسوع :" أعطنا صحة " فقال لهم : " أيها الأغبياء أفقدتم عقلكم حتى تقولوا: أعطنا صحة !. ألا ترون أنى إنسانا نظيركم؟. .... فسمع لهم وتضرع الى الله فشفاهم.* (فصل ١٩: ١٤-١٨).
التعليق	فى الإنجيل الصحيح يستجيب المسيح بوداعه لشفاء المرضى، وفى القرآن كذلك. أما في إنجيل برنابا يغضب على المرضى يسبّهم ويصفهم بالأغبياء.!	
إقامة الموتى والخلق	*" أيها الشاب، لك أقول قم " فقام الميت فى الحال "* (لوقا ٧: ١٤). كما أقام لعازر بعد دفنه بأربعة أيام: *" لعازر هلم خارجاً " فقام من القبر فى الحال أيضاً ."* (يوحنا ١١). خلق العينين للمولود بدون عينين: *" وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، ..قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى، وقال له: " أذهب أغتسل فى بركة سلوام ... فمضى وأغتسل وأتى بصيراً.* (لوقا ٩ : ١- ٧).	" طلب البعض من يسوع أن يحي ميتاً، فخاف كثيراً ثم أتجه إلى الله وقال له: " *خذنى من العالم يارب لأن العالم مجنون، وكادوا يدعوننى إلهاً. ولما قال ذلك بكى ! . حينئذ جاء الملاك جبريل وقال له:" لا تخف يا يسوع "!!!* (فصل٤٧ : ٨) وفى فصل ٩٥- ٢٠ جاء: *" أن المسيح قال أنه لا طاقة له أن يخلق ذبابة "* وهذا يتعارض مع قول القرآن: *" ويخلق لكم من الطين طيراً.."*

التعليق	**إنجيل برنابا ينكر على المسيح عملية الخلق حتى لو كان هذا أبسط الأشياء بخلق ذبابة، والقرآن يعترف بخلق المسيح للطير من الطين، والإنجيل يذكر خلق العينين من الطين للمولود أعمى بدون عينين.** **كما أن إنجيل برنابا يذكر بأن المسيح يبكى وينتحب عند الطلب منه بعمل المعجزات، وهذا لا وجود له فى الإنجيل أو القرآن.**	
المسيح ابن الله	*" فأجاب سمعان بطرس وقال: " أنت المسيح ابن الله الحىّ". فأجاب يسوع وقال له :" طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحماً ودماً لم يُعلّن لك ، لكن ابى الذى فى السماوات ... أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ".* (متى ١٥- ١٨).	*عندما قال بطرس ليسوع: إنك المسيح " ابن الله " غضب يسوع وقال له: "أنصرف عنى".* (فصل ٧٠: ٥،٦)
التعليق	**فى الإنجيل الصحيح يمدح المسيح بطرس لدعوته له بابن الله ويعتبر المسيح أن هذا التصريح هو الإيمان الصحيح لبناء الكنيسة، وفى إنجيل برنابا ينكر هذا.**	
المسيا أو (المسيح)	جاء فى (إنجيل مرقس١: ٧) . **يقول (يوحنا المعمدان) عن المسيح:** *" يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه، أنا عمدتكم بالماء وأما هو سيعمدكم بالروح القدس".* وفى (يوحنا١: ٢٦-٣٤). **يقول يوحنا المعمدان عن المسيح أيضاً:** *أجابهم يوحنا قائلاً أنا أعمد بماء ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه هو الذى يأتى بعدى الذى*	جاء فى (فصل ٤٢). **يقول (المسيح) عن محمد:** *" ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه. لأنى لست أهلاً أن أحل ربطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله (محمد) الذى تسمونه مسيا الذى خُلق قبلى وسيأتى بعدى وسيأتى بكلام الحق ".* وفى (فصل ٤٤: ٣٠ ،٣١). **يقول (المسيح) عن محمد أيضاً:** *" يا محمد ليكن الله معك وليجعلنى أهلاً أن أحل سيور حذائك لأنى إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله ".*

	صار قدامى الذى لستُ بمستحق أن أحل سيور حذائه ... .. لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله".	
التعليق	أستبدل صاحب إنجيل برنابا المزّيف الأقوال التى قالها يوحنا المعمدان (يحى) عن المسيح، فطبقها بالتمام والكمال على أن قائلها هو المسيح وليس يوحنا. وبالتالى أعتبر صاحب الإنجيل المزعوم أن محمداً هو المسيح وهذا مما لا يقبله المسلمون. وهذا تزويراً للحقائق الإنجيلية والقرآنية . وواضح أيضاً وبصراحة تامة أن يوحنا يتكلم عن شخص معاصراً له وهو المسيح، وحيث أن يوحنا المعمدان ولد قبل المسيح بستة أشهر حسب الولادة الزمنية، إلا أن المسيح كان قبل يوحنا لاهوتياً وقبل الزمان فى الذات الإلهية، ولذا قال يوحنا: *"هو الذى يأتى بعدى الذى صار قدامى لأنه كان قبلي".* ويوحنا هذا يعمد بالماء، والمسيح سيعمد بالروح القدس كما جاء ذكره فى قول يوحنا، مع أن الإسلام ليست فيها معمودية، ولا محمد عمد بها أو أشار إليها. ولذا جاء يوحنا ليمهد الطريق لبشارة الإنجيل بواسطة المسيح. وشهد يوحنا للمسيح عندما رأى الروح القدس نازلة من السماء لتستقر على رأس المسيح فى شبه حمامة كعلامة ليوحنا من قبل الله أن المسيح هو المقصود الذى سيعمد بالروح القدس. ولذا قال يوحنا عن المسيح حينئذ : *" إنى لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه "*	

سابعاً: بعض من الخرافات فى إنجيل برنابا المزيف:

موضوع الخرافة	الخرافة كما جاءت فى الإنجيل المزّيف (برنابا)
خلق آدم	جاء فى (فصل٣٥: ٦ ، ٧،٢٦). " ان الله خلق كتلة من التراب ليصنع منها آدم. ثم تركها ٢٥ ألف سنة دون ان يفعل بها شيئاً. فبصق الشيطان عليها، وحينئذ أسرع جبريل يرفع هذا البصاق مع شيء من التراب الذى تحته، فكان للإنسان بذلك سُرَة فى بطنه ". (٢٠١).

التعليق	لماذا سوى الله كتلة التراب قبل أن يخلق آدم ويعطيه الحياة وتركها لمدة ٢٥ ألف سنة دون أن يفعل بها شيئاً !!؟. هل أراد الله من هذا الطين بتركها تلك المدة الطويلة لكى تختمر حتى تصير صالحة لخلق آدم !؟. وهذا ما يتعارض مع قدرة الله تعالى. أليس الله يقول للشيء كن فيكون فى نفس اللحظة والتو؟. وكيف تتكون الصرة من رفع البصاق. ومن المعروف أن الصرة هى ناتجة عن قطع الحبل الصرى بعد الولادة. أى أن آدم حينما خُلق لم يكن له حبل صرى.
كتلة التراب وبصاق الشيطان	جاء فى (فصل٣٩: ٨-١٢، ١٢٣: ٣). " أن الشيطان لما رأى الخيل فى الجنة تأكل العشب أوعز إليها أن تذهب إلى كتلة التراب فهاجت الخيل وأخذت تعدوا بشدة عليها. فأعطى الله روحاً لذلك الشيء النجس الباقى من التراب الذى وقع عليه بصاق الشيطان، فأصبح كلباً فأخذ ينبح حتى أزعج الخيل وطردها وبعد ذلك خلق الله آدم وامرأته من التراب والهواء والماء والنار ".(٢٢).
التعليق	كيف يكون الشيطان وهو روحاً ليس فيه مادة. ويبصق والبصاق مادة ولُعاب. فالروح لا تبصق!؟. وهل الله فى حاجة لكلب لكى يروع الخيل حتى لا تتلف كتلة الطين !؟. وهل الله حقاً خلق الإنسان من (التراب والماء والهواء والنار)، اللهم إلا إذا كان الله يريد تحميص هذه الكتلة بالنار لكى تصير صالحة للخلق!. وهذا الكلام فى خلق آدم يتعارض تماماً ما جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن. كما أن حواء خُلقت من ضلع آدم.
خلق الأنبياء	جاء فى (فصل٨:٣٥)." إنه لما علم الشيطان الذى كان بمثابة كاهن ورئيس ملائكة أن الله سيأخذ من الكتلة المذكورة (كتلة الطين) ١٤٤ ألف نبى. قال لإتباعه أن الله سيطلب منهم أن يسجدوا لها ".(٢٣).
التعليق	القول بأن الشيطان كان قبل خلق البشر بمثابة كاهن هو قول هراء. وكيف يعلم الشيطان بعلم سابق بأن الله سيخلق من كتلة التراب أنبياء، ثم يأمر الشيطان وأتباعه بالسجود لها. معنى ذلك أن الشيطان مثل الله علام الغيوب وحاشا. وأين هم الأنبياء بهذا العدد الخيالى (١٤٤ ألف نبى). أين هم وفى أى عصر ظهروا، فأن جميع الأنبياء والرسل لم يتعدوا أربعون نبياً. **أليست هذه خرافة.**
الشيطان والحية	جاء فى (فصل٤٠: ٩-١٦،١١). " أن الشيطان طلب من الحية أن تفتح فمها ليدخل فى بطنها، كما طلب منها أن تضعه بعد ذلك على مقربة من حواء، ولما فعلت ذلك، قال لحواء " يجب أن تعرفى أن الله شرير وحسود ". (٢٤).
التعليق	**الشيطان روح**، فكيف يدخل جوف الحية لتلقيه أمام حواء !؟. كما أن الروح ليست فى حاجة إلى المخلوقات المادية لكى تنقله من مكان لآخر، لأن الروح أكثر حركة وأكثر سرعة تفوق كثيراً من المخلوقات المادية. **كما أنها غير متطورة وتستطيع الانتقال دون الحاجة لمن يحملها.** كما أن الشيطان **ليس بالكائن الجاهل** أو تنقصه الذكاء والفطنة حتى يكشف نفسه لحواء ليقول عن الله سبحانه " **إنه شرير وحسود** " **مما يلفت نظر حواء لكذبه وبالتالى كشفه.**

تفاحة آدم	جاء فى فصل (٤٠: ٢٨). " **أن آدم عندما أكل من الشجرة، أراد أن يوقف نزول الطعام إلى جوفه، فوضع يده فى حلقه، فظهرت العلامة الخاصة فيه**"(٢٥).
التعليق	العلامة التى يقال وجودها فى رقبة الرجل وحده دون المرأة تسمى عند العامة "**تفاحة آدم** ". هى علامة مشتركة فى كل من الرجل والمرأة. ففى الرجل ظاهرة للعيان، **وفى المرأة تكسوها طبقة من الدهن لذلك غير ظاهرة فى المرأة**. فلو فرض جدلاً أن العلامة المذكورة التى تكونت فى حلق آدم عندما أراد إيقاف نزولها لجوفه لما ورثه البشر عنه، أن الحوادث العارضة لا تورث للأولاد عن والديهم. **فالرجل الذى قطعت يديه أو رجليه فى حادث فنسله يولدون كاملين بيدين ورجلين**. كما أن الطعام لا يمر فى الحلق وإنما فى المريء. ففى الحالة الأولى يسبب له الموت لسداد القصبة الهوائية، وفى الحالة الثانية يمر الأكل في البلعوم ومنه الي المعدة.
زحف الحية	جاء فى (فصل٤١: ٢١،٢٠). " **ان الله أمر ميخائيل أن يقطع قوائم الحية التى دخل فيه الشيطان حتى إذا أرادت السير تزحف على بطنها هى ونسلها** ".(٢٦).
التعليق	لو فرضنا جدلاً أن ميخائيل قطع قوائم (أرجل) الحية. **فإن هذا القطع لا يؤدى الي ولادة نسلها بدون قوائم، لأن النسل لا يرثون الحوادث العارضة.**
وليمة سليمان	جاء فى (فصل٧٤: ٤). " أن سليمان الحكيم كان قد اعد وليمة لكل المخلوقات، **فأنقضت سمكة على كل ما فى الوليمة من طعام وأكلته**".!.
التعليق	**خرافة لا تحتاج لتعليق.**
يحض على القذارة	جاء فى (ف٥٧: ١٤).: "**أن كل قملة كانت على إنسان حباً فى الله تتحول إلى لؤلؤة** ".(٢٧).
التعليق	**أن القذارة التى تسبب القمل تتحول كل قملة إلى لؤلؤة. وكل ما تزداد القذارة تزداد اللآلىء. أى أن الله يحض على القذارة، والله هو الطاهر القدوس كيف يشجع البشر على عدم النظافة والاغتسال !. قذارة لا ترضاه اليهودية، ولا المسيحية، ولا الإسلام الذى يبالغ فى النظافة ويعتبرها من الإيمان.**

وهناك الكثير والكثير من الخرافات والأخطاء التى حفلت به إنجيل برنابا المزيف، والمتناقضات الكثيرة التى جاءت فيه، فصل يناقض الآخر، وما ذكرناه سوى القليل.

من (١) الى (١٤) من كتاب أنجيل برنابا لعوض سمعان من ص ٦٧ الى ص ٧٢

من (١٥) الى (٢٠) المرجع الأسبق ص ٨٤،٨٥ للأرخن حلمى القمص.

من (٢١) الى (٢٧) المرجع السابق ص ١٠٥ الى ١٠٧ للأرخن حلمى القمص.

الفصل الثامن

تهمّة التحّريف بسبب التفسير الخاطئ لبعض الآيات فى التوراة والإنجيل!؟

مقدمة:

فى هذا الفصل سنوضح ثلاث قضايا رئيسية يُتهم فيها اليهود والنصارى بالتحريف لتوراتهم وإنجيلهم. أما الاتهامات الأخرى المحدثة من بعض الأقلام المعاصرين من بعض الأخوة المسلمين فهى اتهامات لا تستحق الرد لسبب بسيط، وهو لو أن الباحث بذل جهداً قليلاً في استكمال باقي الآية أو الآيات التى يستشهد بها ولا يستقطع جزءاً منها ويتجاهل بقيتها، لوجد الرد واضحاً جلياً دون عناء في نفس الآية التى يسترشد بها، هذا مثل من يستقطع جزءً من آية (لا تقربوا الصلاة ...) ويترك باقى الآية (... وانتم سكارى)، وعلى الباحث أيضاً أن يرجع لسبب النزول لتلك الآيات (أى سبب وحيها فى التوراة والإنجيل)، مثلما يرجع لسبب نزول آيات القرآن الكريم ليسترشد لمعنى الآية من أسباب نزولها، ولكن يحلوا للبعض تلك المراوغة في الاقتباس المخّل، ويستقطع جزء من آية هنا وجزء من آية هناك لموضوع آخر ليصل لمراده بطريقة (**القص واللصق**). وهو أسلوب باطل ومخادع، وبعيد كل البعد عن الأمانة والنزاهة في البحث، ليخدع بها نفسه والآخرين معتمداً على جهل القارىء بأموره الدينية، وبأمور غيره من الديانة الأخرى محل الهجوم، ومعتمداً على التلاعب باللغة والألفاظ المنمقة ولباقة الكاتب في فن الحديث.

والباحث النزيه عليه أن يرجع لكتب المفسرين من أصحاب أهل الكتاب لأنهم أدرى بدروبها وروحانياتها كما يقول المثل (لأن أهل مكة أدرى بشعابها)، لأن الكتاب المقدس بعهديه هو مكمل بعضه البعض، وفيه يلتقى الرمز في العهد القديم بالمرموز إليه في العهد الجديد، ويرتفع من الأرضيات للسماويات، ومن المادة للروح، ومن عهد الناموس الى عهد النعمة. والمعترضون يجهلون أو يتجاهلون تلك الحقيقة.

ولكن ومع ذلك ولعدم واقعية وصحة جميع الاعتراضات، فأن حماة الدين من رجاله والباحثين تصدوا لتلك الافتراءات التى لا تستند على أى دليل عقلى أو منطقى فقاموا بالرد عليهم مفندين إدعاءتهم بالعقل والمنطق والدليل والبرهان، وبالمستندات الموثقة والمخطوطات الأثرية والمحفوظة في متاحف العالم والتى اكتشفت في عصور مختلفة.

ولكن ولعدم نزاهة وحيدة الناقد المعترض، لم ينشر الرد على تلك الادعاءات الملفقة، معتمداً على جهل غالبية القراء، سواء عن قصد أم سوء نية أو جهل.

وحيث ان الاتهامات تم الرد عليها في كثير من الكتب من جهابذة علماء الدين والعلمانيين التى تملأ المكتبات المسيحية، ولا تحتاج للمزيد أو التكرار، لذا سنكتفى بالرد على بعض الاتهامات الأكثر شيوعاً والأكثر بعداً تاريخياً لتفنيدها تفصيلياً. اثنتين فى التوراة، والثالثة فى الإنجيل، يستند عليهم الكثير من الأخوة المسلمين ويعتقدون فى تفسيرهم لتلك الآيات التوراتية والإنجيلية، أنها تخص نبى من بنى إسماعيل. وبناء عليه يتّهمون اليهود والنصارى بتحريف كتابهم (التوراة والإنجيل **) لعدم تطابق تفسير وجهة نظرهم لتلك الآيات عن تفسير وجهة نظر اليهود والنصارى.**

هذه الآيات لا تزال موجودة بالتمام والكمال، سواء التى جاءت فى التوراة أو التى جاءت بالإنجيل، **منذ تدوينها بالوحى وحتى الآن،** وفى كل لغات العالم. فهى موجودة فى **النُسخ الحالية للتوراة باللغة العبرية** (لغة اليهود)، **والتى نُقلت عن النسخ الأصلية للغة العبرية أيضاً، بنفس كلماتها وحروفها،** مازالت كما هى **منذ تدوينها منذ ٣٥٠٠ سنة** وهى بين إيدى اليهود فى كل مكان بالعالم **بذات لغتها الأصلية**، **وأيضاً موجودة فى النسخة اليونانية للإنجيل** بالأديرة والكثير من الكنائس، ومتاحف العالم. والتى تعود إلى القرن الأول المسيحى، أى منذ ٢٠٠٠ سنة.

وكلا من كتب التوراة والأنبياء والإنجيل (كمخطوطات) موجودة فى من متاحف العالم وأديرتها، وميسور الاضطلاع عليها لمن يريد من الدارسين والباحثين من أى دين.

كما أننا ننبه القارئ العزيز لحقيقة هامة، وهى أننا سنفسر الآيات التى جاءت بكتابنا المقدس بخصوص تلك القضايا من الواقع الكتابى (التوراتى والإنجيلى) لأهل الكتاب، على حسب وضوح الكتاب المقدس وروحه ووحيه. وهذا حق لأهل الكتاب لا ينازعهم عليه أحداً، لأنهم أكثر دراية ودراسة وفهم لكتابهم المقدس، وتفسير آياته بروح الكتاب التفسير الصحيح لها، والمدعمة بكثير من الآيات المترابطة، التى تفسر بعضها بعضاً وليس بمبدأ " ***لا تقربوا الصلاة...*** " اى باستقطاع جزء من آية، أو نزع آية من مكانها حتى لا يتضح مفهوم تلك الآية، وتضيع الحقيقة المقصودة لمعنى الآية، بسبب (لقص واللصق) لتلك الآيات. وهو أسلوب أنتشر كثيراً فى السنوات الأخيرة، من القرن التاسع عشر وحتى اليوم.

أيضاً، ننبه عزيزنا القارئ، أننا سوف نستخدم نفس المبدأ، عندما نتعرض لتفسير آيات القرآن الكريم، سنحرص كل الحرص، كما هى عادتنا فى البحث، على استقصاء تفسيراتها من أهل العلم، من علماء الإسلام والمفسرين العظام، ومن الأحاديث الصحيحة المتفق

عليها. وليس تفسيراً شخصياً، لأن أهل القرآن أكثر دراية ودراسة وفهم له، وهو حق لهم أيضاً، لا ينازعهم عليه أحداً.

كما سنراعى مبدأ احترام الرأى الآخر، سواء كان هذا الرأى يتفق أو يختلف معنا، حتى يكون لبحثنا مصداقية وأمانة. وهذا المنهج ضرورى للبحث الجاد، وما يجب أن يفعله الباحث النزيه، لكى يظهر الحقائق ولا يطمسها، ولا يفسر ظاهر الآيات دون باطنها، أو يعتمد على تفسير الخارجين على الدين، من أصحاب البدع والهرطقات الذين يحاولون هدم كل ملّة وكل دين:

لذلك فأن أضمن التفاسير وأصدقها، هو من كان مصدره وروحه فى ذات الكتاب الإلهى الذى تفسر آياته بعضها البعض.

كما لا يجوز منطقيا وعقلياً تفسير آية توراتيه أو إنجيلية وردت في التوراة أو الإنجيل بتفسير قرآنى من مفسرين إسلاميين، ويتجاهلون في نفس الوقت التفسير التوراتى والإنجيلى لتلك الآية الواردة فيهما، طبقاً لروح الكتاب المقدس وسياق الآية وموضوعها وسبب وحيها.

تماماً وبالقياس أيضاً، لا يجوز أيضاً تفسير آية قرآنية وردت بالقرآن الكريم تفسيراً توراتى أو إنجيلى من مفسرين يهود أو مسيحيين، ويتجاهلون التفسير القرآنى لتلك الآية الواردة بالقرآن الكريم، طبقاً لروح القرآن الكريم وسياق الآية وموضوعها وسبب نزولها.

فكل آية وردت في كتاب سماوى يجب أن تفسر من ذات الكتاب الواردة فيها الآية محل التفسير، وألا أختلط الحابل بالنابل وتضاربت التفاسير في غير محلها، لأن تجاهل تفسير أهل التفسير لتلك الآية أو ذاك في عقائدها، لهو خطأ كبير يقود للضلال وليس للصواب.

ولذا لا يجوز تداخل الأمور واختلاطها مما يسبب فقدان لمعاني الآيات التي قيلت في مناسبتها وسبب وحيها أو نزولها.

كما أن التوراة والإنجيل، وخاصة التوراة لأنها أقدم الكتب السماوية على الإطلاق، هى المرجع الشامل والصالح لكل العصور لتوضيح الأمور. والمرجع الشامل للمفسرين سواء للإسلاميين، أو المسيحيين، أو اليهود. فلا غنى للمفسر عنهما فى أى جيل أو أى عصر، والقرآن الكريم يحث المؤمنين من المسلمين أن يسألوا أهل الذكر، الذين هم "*أهل الكتاب*" فى حالة غموض فى بعض الآيات التفسيرية التى جاءت فى التوراة والإنجيل، وأهل الكتاب

هم أولى بتفسير كتابهم لأنهم يفهمونه حق الفهم. وفى الآية التالية من القرآن الكريم يوضح هذا المفهوم، ويذكر أهل الذكر فى تلك الآية بأنهم (اليهود والنصارى)، إذ يقول:

" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ".

سورة (النحل ٤٣)

قال فى الجلالين: إن أهل الذكر هم العلماء بالتوراة والإنجيل. وقوله: " إن كنتم لا تعلمون " ذلك فإنهم يعلمونه (ص ٣٥٧)."

بهذا المفهوم يُعنى أن أصحاب التوراة والإنجيل أكثر علماً وفهماً ودراسة، فى تفسير كتابهم المقدس، والآيات التى جاءت فيهما، ويحيل القرآن الكريم أتباعه لسؤالهم فى حالة الاستفسار فى شئ لا يعلمونه.

ومن هذا المفهوم ومن هذا المنطلق سنفسر تلك الآيات التى جاءت بالتوراة والإنجيل، وسنفسره من الواقع التوراتى والإنجيلى، لأن تلك الآيات موجودة فى كتابنا المقدس، وليست موجودة بالقرآن الكريم، فمن المنطق والعقل أن من يقوم بتفسير تلك الآيات هم أصحابها من (أهل الكتاب وهم أهل الذكر)، لأنهم أكثر علماً من غيرهم فى تفسير آياته نظراً لأن تلك الآيات مرتبطة بروح الكتاب وبمعانيه، وبذلك لا يكون تفسير تلك الآيات التوراتية والإنجيلية من وجهه نظر أهل الكتاب تعدّى على التفسير من غير أهل الكتاب، ولا سيما أن تلك الآيات تخص أهل الكتاب وحدهم. لأن العقل والمنطق والعلم يقول بذلك.

وعلى القارىء مطلق الحرية تماماً،
فى قبول هذا التفسير التوراتى والإنجيلى أو رفضه.

كما أننا لا نقصد بهذا أن لا يتعمق الإنسان في دراسة الأديان الأخرى أو أن لا يبحث فيها (حتى ولو كان الباحث ملحداً لا يعرف الله)، بحجة أن أديان الآخرين لا يجوز البحث فيها لأنه ليس من أتباع هذا الدين، وغير قادر على فهمه وكأنه طلاسم. أو هذا الكتاب لا يمسه غير المطهرون؟.

فكيف نفهم الكتاب ونؤمن ما جاء به إذا لم يمسه الباحث ويقرآه ويتجول بين سطوره ليفهم ويدرس ويتقصى الحقائق سواء كان الباحث طاهراً أم غير طاهر؟ وهل الكتاب الطاهر يدنسه الإنسان غير الطاهر إذا مسه؟! أليس الكتاب يظل طاهراً حتى ولو مسه أدنس الناس؟. لأن كتاب الله محصناً من الله وليس كتاباً هشاً يتأثر بطهارة أو عدم طهارة الباحث. لأن كتاب الله يؤثر ولا يتأثر، لأنه وضع للناس جميعاً للبحث والدراسة، لا لكى نضعه على رف جميل أو في مكتبة.

وهل يطلب الله منا قسراً أن نؤمن به أولا قبل أن نتصفحه ونجول فيه؟!.

أليس من صفة الباحث البحث والتنقيب عن الحقائق-؟. وهل الله سبحانه يريد منا جبراً أن نؤمن بكتابه دون أن نقرأه ونقتنع به، ويتجاهل الله ثقافة الباحث ورغبته في البحث والتنقيب ؟.

أن الله لا يضع أسواراً شائكة حول الشرائع، ولا يمنع الآخرين ممن لا يدينون بتلك الشريعة من الاقتراب منها، ولا يضع ألغازاً لا يستطيع أحداً فك طلاسمها، ولكن العكس هو الصحيح، لأن:

الله يريد نشر شريعته لكل الناس، بكل اليسر والسهولة والبساطة، دون تحديد لجنس من البشر دون الآخر.

وشريعة الله هى شريعة بدون أسوار تحدها، لأن الله غير محدود، وكل الناس عنده متساويين وفى ميزان عدله واحد، وليست العقيدة أو الشريعة حكراً لأتباعها فلا يجوز لغيرهم البحث فيه. هذا المفهوم قاصر، ولا يريده الله، لأن الله سبحانه وضع الشرائع لكل البشر دون تفرقة، وقد ميز الله الإنسان عن كل المخلوقات بعقله وإرادته فى أن يبحث ويدقق. هذا البحث هو حق كفله الله للإنسان، لكى يعرف من الذى خلقه وما هو هدف حياته؟ وألا فما فائدة العقل الذى منحه سبحانه للبشر؟.

أن العقيدة وضعت لكل البشر وليست لفئة واحدة منهم. ولكن من الضرورى أن لا يفرض الباحث آرائه على الآخرين. أو يفرض قسراً ما يعتقده هو، دون رأى أهل العقيدة وأصحابها من مفسريها العظام، والرجوع إلى المصادر الموثقة. ويجب عليه أن يستشهد على صدق ما يعتقد من مصادر غير مشكوك فيها أو في صدقها. وأن يكون أميناً فى بحثه، لأن الذى يلجأ لمصادر المارقين عن الدين، والاستشهاد بأقوالهم، يجب عليه أولاً أن يبحث عن الردود التى تفند الآراء المشكوكة وأن يأخذها فى الاعتبار دون أن يطمسها، أو يستعين بآيات منزوعة من سياقها العام المتسلسل، ويبنى عليها أفكاراً قد تكون مختلفة تماماً عن المقصود منها، حتى لا يؤدى بحثه الى تبلبل الفكر وتشويش الحقائق لمن يفتقر للثقافة الدينية للكثيرين سواء للمسيحى أو غير المسيحى بغرض التضليل. مستغلا حرية النقد التى تمنحها الكنيسة للناقدين من أبنائها دون حجر لرأى أو مصادرة لفكر.

كما أن القرآن الكريم لا يحتاج العون لإثبات هويته من عقائد الآخرين،
ولا يحتاج لإقحام آيات توراتية أو إنجيلية لإثبات هويته،
أو تفسيرات لتلك الآيات الكتابية فى غير محلها،
وإذا كانت التوراة والإنجيل محرّفة فى نظر هؤلاء،
فلماذا يستشهدون بها وهى المحرفة حسب دعواهم،

ولماذا يرفضون تفسيرات معتنقيها ؟،
ويفرضون قسراً تفسيراتهم الخاصة، دون الرجوع لأصحاب تلك العقيدة، الذين هم أكثر علماً بكتابهم وأسراره.
و لماذا يؤمنون ببعض الكتاب ولا يؤمنون به كله ؟.
فإن القرآن الكريم قائم على ذاته ، ويستمد قوته من ذاته ومن آياته البّينات.

****

والقضايا الثلاثة التى أشرنا إليها هى:

القضية الأولى: آية واحدة جاءت بالتوراة عن النبى الموعود الآتى، مثل موسى.
القضية الثانية: البركة الخاصة بإسحق، والخاصة بإسماعيل، ومن هو الذبيح.
القضية الثالثة: كما جاءت بالإنجيل (المعّزى) وما المقصود بالمعّزى، هل هو الروح القدس كما يؤكده الإنجيل، أو محمد نبى الإسلام، كما يقول به بعض مفسرى الإسلام.

القضية الأولى:
(عن مجيء النبى الموعود الآتى، مثل موسى. ومن بين أخوته.)

يوجد أكثر من ٣٣٠ نبوءة فى العهد القديم، خاصة فقط بالسيد المسيح، وتخبرنا عن مجيئه فى **التاريخ المحدد والمكان المعّين** وحياته وآلامه وموته على الصليب وقيامته، تشير هذه النبوات إلى ميلاد كلمة الله المتجسّدة، المسيا (السيد المسيح) فى الجسد فى صورة ابن الإنسان. أيضاً يوجد عشرات المئات من النبوءات الأخرى التى تخُص مستقبل إسرائيل والبلاد المحيطة بها، وكذلك الإمبراطوريات المتعاقبة على مر الأجيال والتى تنبأ بها بعض من أنبياء بنى إسرائيل.

لكن توجد " **آية واحدة** " من جملة تلك الآيات **الخاصة بالسيد المسيح** يفسرها بعض الأخوة المسلمين بأنها لا تشير للمسيح، بل تشير لنبى من نسل إسماعيل، من أمة العرب.

هذه الآية جاءت فى التوراة (التثنية ١٨: ١٨)، وفيها يقول الله لموسى:

" ... لهذا أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك... وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه..".

(التثنية ١٨: ١٨)

ومن أجل أمانة البحث سنورد التفسير **الذى فسره بعض الأخوة المسلمين لهذه الآيـــة. وخاصة تفسير احمد ديدات فى كتابه (ماذا يقول الكتاب المقـــدس عـــن محمـــد)، وتفســـير الدكتور احمد حجازى السقا فى كتابه (الأدلة الكتابية على فساد النصرانية) وآخرين.**

كما سنورد التفسير **الكتابى** للمفسرين المسيحيين، **واتفاقهم التام دون أى اســـتثناء، لتلـــك الآية والتى سبق** وأشار إليها السيد المسيح **شخصياً** وفسرها **دون أى لبس وبصراحة تامة.**

بمعنى أننا سنفسر الآية التى **جاءت بالتوراة** والتى استشهد بها السيد المسيح ورُسله فى الإنجيل لذات الآية موضوع البحث **من واقع التوراة والإنجيل فقط، وهو ذات التفسير منـــذ ٣٥٠٠ سنة ومروراً بالمسيحية وحتى الآن.**

وعلى القارئ أن يقارن بين تلك التفاسير، **ويتعّرف** على معناها الحقيقـــي **بكـــل الأمانـــة والموضوعية والمنطقية – دون سوء فهم أو حساسية– وللقارئ كل الحرية فى أن يقبـــل أو يرفض تلك التفاسير،** سواء من أصحابها أو من غيرهم.

وحيث أن الكاتب احمد ديدات ذكر فى كتابه تفسير تلك الآية، التى جاءت بالتوراة من رؤيته الخاصة دون الاستعانة بالتفسير الكتابى لأى مفسّر من أهل الكتاب، كما لم يســـتعين بأى آية أخرى من آيات التوراة والإنجيل – وقد تجاهلها عن عمد – والتى تكمّل المعنى لتلك القضية التى توضح معنى الآية محل التفسير.

ولذا كان لابد من توضيح الأمور حتى لا يلتبس الأمر، لأن أحمد ديدات وآخرين قاموا بتفسير آيات جاءت فى كتابنا المقدس وليس فى القرآن الكريم، لو كان الأمر هـــو تفســـير لآيات قرآنية فقط ولا يتعداها، لما جاز لنا التعرض لتلك التفاسير، أو الاعتـــراض عليهـــا، لأنها تخص أصحابها.

ولكن المشكلة هى تفسير لآيات وردت فى التوراة والإنجيل، ويتم تفسيرها من منظور بعيد تماما عما تقصده تلك الآيات، فكان لابد من التنويه.

وفى تفسيرنا سنستشهد بنفس هذه الآية وسبب وحيها أو نزولهـــا، والآيـــات التـــى سبقتها، والآيات التى لحقتها، لتوضيح فكرتها وملابساتها، كما سنذكر الآيات الأخرى التى وردت فى التوراة، **والتى تسلك بنفس الفكر والمنهج،** والتى تحققت فى المسيح وإنجيله. **وقد وعد الله المؤمنين عموماً بمعونة الروح القدس ليفهموا الكتاب المقدس وينتفعوا به.**

قال الرب يسوع في (يوحنا ١٤: ٢٦).:

"الروح القدس يعلمكم بكل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم "

وأيضاً :

" *يرشدكم إلى جميع الحق* " (يوحنا ١٦: ٢٦).

بمعنى أن الروح القدس سيرشد المؤمنين إلى تفسير كتابهم التفسير الصحيح بإرشاد الروح القدس، وليس عن هوى دون لبس أو تشكيك، كما أن الآيات الكتابية تساعد كثيراً على فهم ما قصد الله أن نفهمه عنها.

فالذى أوحى بالكتاب هو أضمن مفسر للكتاب، والكتاب نفسه هو أضمن مفسر لنفسه. لأن الكتاب لا يمكن أن يناقض أقوال نفسه.

أما ما يحتمل تفاسير مختلفة (لآية مفردة)، فيجب مقارنتــه بتعــاليم الكتــاب فــى ذات الموضوع، واختيار التفسير الموافق لوحدة المعنى فى كل الكتاب دون شذوذ عن ذلك.

والآن سنأتى على تفسيّر بعض الأخوة المسلمين، مثل أحمد ديدات، فى كتابه المذكور سابقاً، ويؤيده فى ذلك د. احمد حجازى السقا. وآخرين يقول أحمد ديدات:

فى التوراة آية فى سفر التثنية لموسى (تثنية ١٨: ١٨) التى تقول:

" .. لهذا أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك، ...
وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه.." .
(تثنية ١٨: ١٨)

وقد فسر تلك الآية، وتبعه كثيرين، من منظور يختلف عن المعنى الحقيقى الـذى ورد بالتوراة، وأشار إليه الإنجيل بكل وضوح وصراحة فى مواضع أخرى، وقارن ديدات صفات موسى الأرضية بالنبى الموعود مقارنة بعيدة تماماً عن المقارنات الروحية المقصودة فـى تلك الآية، والواضحة فى آيات كثيرة فى التوراة والإنجيل.

وقد كان من العدل أن تُفَسّر تلك الآية بمفهوم أكثر عمقاً، وأن يتم البحث فى الآيـات التى تليها، والآيات التى تسبقها، والمناسبة التى قيلت فيها، مع الأخذ فـى الاعتبـار روح النص وروح الكتاب، وسبب وحيها. ولا تُفسر من خلال حروفها المجردة الجامدة.

يقول احمد ديدات محاوراً أحد رجال الدين المسيحي، لتفسير تلك الآيـة التوراتيـة، ليثبت أن النبى الموعود من نسل إسماعيل وليس من نسل اسحق الذى منه جاء المسـيح بالجسد، فى الآية: " ***من بين أخوتك مثلك*** **" فيقول:**

١- أن يسوع لا يشابه موسى، بسبب " مقتضى عقيدتكم " أن يسوع هو الإله المتجسد، ولكن موسى لم يكن إلهاً. بناء على ذلك فإن يسوع لا يشابه موسى.

٢- "بمقتضى عقيدتكم " مات يسوع من أجل خطايا العالم، ولكن موسى لم يمت من أجل خطايا العالم. لذلك فإن يسوع لا يشابه موسى.

٣- " بمقتضى عقيدتكم " ذهب يسوع إلى الجحيم لثلاثة أيام، ولكن موسى لم يُكلف بالذهاب إلى الهاوية. ومن ثم فإن يسوع لا يشابه موسى.

٤- كان لموسى والِدين.. وكذلك محمد كان له أب وأم، ولكن يسوع كان له أم فقط وليس له أب بشرى. ولذلك من ثم أن يسوع لا يشابه موسى.

٥- أن موسى ومحمد ولدا ولادة عادية بالأسلوب الطبيعى، مثال الاقتران الطبيعى بين الرجل والمرأة، ولكن يسوع خُلق بالقدرة الإلهية المميزة ... من ثم فإن يسوع المسيح لم يكن مثل موسى، ولكن كان محمد مثل موسى.

٦- لقد تزوج موسى ومحمد وأنجبا أولاداً. ولكن ظل يسوع المسيح أعزباً كل أيام حياته. أذن يسوع ليس مثل موسى، ولكن محمد مثل موسى.

٧- لقد كان كلاً من موسى ومحمد أنبياءً لشعوبهم فى حياتهما، ومما لا ريب فيه أن اليهود تسببوا فى مضايقة موسى ومعاناة لا حد لها، وتذمروا عليه فى البرية. كما أن المشركين من العرب جعلوا من حياة محمد حياة غير ممكنة، فلقد عانى الكثير على أيديهم، دون كلل أو ملل واضطر إلى الهجرة من أحب الأراضى الى قلبه، أرض مولده مكة المكرمة، إلى يثرب، من ثم فإن يسوع لم يكن مثل موسى ولكن محمد مثل موسى.
(لم يذكر ديدات أن المسيح أيضاً تعرض للاضطهاد الأكبر من اليهود حتى الموت. المؤلف).

٨- إن موسى ومحمد كانا نبيين مثلما كانا زعيمين... من ثم فإن يسوع ليس شبيهاً لموسى، بل محمد شبيهاً لموسى.

٩- أن كلا من محمد وموسى يرقد فى قبره على الأرض، ولكن طبقاً لتعاليمكم فإن يسوع المسيح يجلس عن يمين قوة الله ... ومن ثم أن يسوع ليس مثل موسى، ولكن محمد مثل موسى.

١٠- أن موسى ومحمد قد توفاهم الله وفاة طبيعية، ولكن وفقاً للعقيدة المسيحية فإن يسوع مات شر ميتة بقتله على الصليب. ومن ثم أن يسوع ليس مثل موسى، ولكن محمد مثل موسى.

١١- **إن موسى ومحمد أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لشعبيهما**، أما يسوع المسيح **لم يأت بدين جديد أو بشريعة جديدة أو بأحكام جديدة** على الإطلاق، بل جاء ليكمل الشريعة القديمة. وباختصار **فإنه لم ينشئ ديناً جديداً، ولم يأتى بشريعة جديدة** مثل موسى ومحمد . **من ثم فأن يسوع ليس مثل موسى ولكن موسى مثل محمد.**

(وهذا ما ذكره السيد أحمد ديدات فى شأن تفسير الآية محل البحث.).

وفى تعليقنا على البند الأخير بأن السيد المسيح لم ينشىء ديناً جديداً نقول:

أن الكاتب احمد ديدات فى هذه المقارنة لا يعترف بشريعة الإنجيل الذى جاء بها المسيح على الرغم من أن القرآن نفسه يعترف بأن الشرائع الإلهية ثلاث (التوراة، الإنجيل، القرآن)، وهى شرائع منفصلة، وتنسب لنبيها، والشرائع الثلاث منزلة وهى من تنزيل الله، وفى نظر القرآن يصدّق بعضها بعضاً، وكل شريعة هى هدى ونور للمتقين كما جاء فى سورة المائدة التى تجمع بين الشرائع الثلاث:

﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة.

وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور،

ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين

..وأنزلنا إليك الكتاب (القرآن) *بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب* (التوراة والإنجيل)

ومهيمناً عليه. (المائدة ٤٦- ٥١).

وأيضاً فى استقلال كل أمة فى شرعها:

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) .

(وهى شريعة التوراة).

(وآتيناه (عيسى) *الإنجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الفاسقون.*

(سورة المائدة)

(وهى شريعة الإنجيل).

أيضاً بالنسبة (لشريعة القرآن) وهى شريعة ثالثة غير شريعة التوراة وغير شريعة الإنجيل. كما جاء فى سورة المائدة:

(وأنزلنا إليك الكتاب (القرآن) *بالحق،*

مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) *ومهيمناً عليه).*

(وهى شريعة القرآن.).

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التى تفّرق بين الشرائع الثلاث، ولا تقول بشـريعتين (شريعة التوراة، وشريعة القرآن)، ولا تهمل أبداً شريعة الإنجيل، بل العكس تماماً تـذكر الشرائع بثلاث، هذا على سبيل المثال وليس الحصر.

وأما ما جاء فى كتاب احمد ديدات، ود. احمد حجازى بخصوص الإنجيل بأنه مكمل للتوراة وهى ليست بشريعة جديدة، نقول: فى هذه الآيات بعاليه، يـذكر القـرآن الشـرائع الثلاث منفصلة على التوالى، فأيهما نصدق: هل نصدق القرآن الكـريم. أم نصـدق احمـد ديدات ؟!. كما أن كل شريعة لها أحكامها كما جاء بسورة المائدة.

فنقول: أن الله واحد فشريعته واحدة، وإنما هى شريعة متدرجة تكمل بعضها الـبعض، والمسيح أكمل الشريعة فى صورتها السامية الروحية لأن الشرائع لا تنسخ بعضها البعض، أو تأتى بما يناقض الشرائع السابقة أو تخالفها، لان الله واحد وشرائعة غيـر متناقضـة، ولكنها متكاملة متدرجة وليست متطورة، لأن التطور يستلزم ظهور أنبياء كثيرين لكل جيل وحتى نهاية العالم، ولذا الشرائع متكاملة وليست متناقضة أو متطورة ولذا الإنجيل مكمـلاً للتوراة وشارحاً لها روحياً. (كما سبق التوضيح.).

ملاحظة هامة : يستند ديدات فى أغلب مقارناته السابقة على ما يعتقده المسيحيون فى المسيح كقوله: (بمقتضى عقيدتكم، وفقاً لعقيدتكم، وطبقاً لتعاليمكم) أى يستند الكاتب فـى المقارنة على حسب ما يعتقده المسيحيون فى مسيحهم، وهو فى نظـره اعتقـاد خـاطىء وعلى هذا الاعتقاد الخاطىء – من وجهة نظره – يبنى مقارناته السابقة فى البنود الإحدى عشر التى ذكرناها، وليس كما يعتقده هو فى مسيحنا، لكى يثبت أن المسيح ليس هو النبى المنتظر على حسب العقيدة المسيحية.

ولكن إذا كان احمد ديدات يرى غير ذلك فى اعتقاده فى المسيح، أى أن المسيح لـيس هو الإله المتجّسد، أو انه لم يقتل أو يصلب، وبالتالى لم يقم من الموت، بل صعد للسـماء حياً، أو لم يأتى من أجل خلاص البشر وفدائه، ويعتقد أن المسيح هو نبى مثل كل الأنبياء، فإذا كان هذا ما يعتقده احمد ديدات وغيره عن المسيح:

فلماذا لا يكون المسيح أذن هو النبي المنتظر على حسب اعتقاده هذا، وتنطبق عليه حينئذ الآية موضوع البحث.؟!

لأنه فى هذه الحالة لا يكون هناك خلاف فى أن يكون المسيح هو ذاته النبى المنتظر، وتنطبق عليه المقارنة، ولا سيما الآية موضوع البحث تخاطب اليهود فقط، حسب الادعـاء بقولهم، أن التوراة والإنجيل جاءت لليهود فقط، وحينئذ لم يكن هناك داع للمقارنة.

وحيث أن المسيحيون يعتقدون فعلاً كما يقول احمد ديدات (**بمقتضى عقيدتكم، وفقاً لعقيدتكم، وطبقاً لتعاليمكم**) عن المسيح. **فسوف نناقش هذه الآية ونحللها بحيدة تامة، (طبقاً لتعاليمنا وبمقتضاها، ووفقاً لعقيدتنا فى المسيح)، دون تدخل لأى آراء شخصية، من واقع الكتاب المقدس بعهديه** القديم **(التوراة والأنبياء)** ومن العهد الجديد (الإنجيل)، **الذى أشار لتلك الآية صراحة على وجه الخصوص**، وبروح الكتاب المقدس ومن معانيه الروحية المقصودة والسائدة فيها ومن واقع التفسير المسيحى الذى نعرفه والراسخ على مدى العصور.

وهناك ملاحظة هامة جداً أيضاً لم يفطن إليها ديدات أو الدكتور احمد حجازى السقا، متجاهلين عمداً، وهم العلماء الباحثين، سواء فى العقيدة أو فى حروف وكلمات اللغة، وهى كلمة: " لهذا "، لأن نص الآية التى تقول:

" .... لهذا أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك... "

أى أن هناك سبباً سابق لمنطوق الآية، أو حادث ما حدث من بنى إسرائيل، أو حسب تعبير القرآن سبب نزول تلك الآية، وواضح جداً أن سبب (نزول) **تلك الآية بناء لموقف سابق. لأن كلمة " لهذا " يدل على ذلك، فما هو الموقف السابق وسبب نزول تلك الآية، ولماذا تجاهل احمد ديدات وغيره من المعترضين هذه الكلمة " لهذا " وهم البلغاء؟.**

سنستعرض تلك الآية المذكورة، والآيات التى **قبلها**، والآيات التى **بعدها، حتى تتضح الفكرة والملابسات التى قيلت بشأنه، وسبب وحيها**. وتلك الأعداد التى جاءت فى التوراة الإصحاح ١٨ فى (تثنية ١٨: ١٥- ٢٢) **ثلاث آيات** تسبق الآية المذكورة (١٨)، وهى الآية ١٥ والآية ١٦ والآية ١٧، **وأربع آيات** لاحقة لها، من الآية ١٩ وحتى الآية ٢٢.

وهذه الآيات ثمانى آيات متكاملة، وليست آية واحدة منزوعة من سياقها العام.

كما سنذكر الآيات التى جاءت فى سفر الخروج، **والتى كانت من نتيجتها ذُكرت فى** سفر التثنية وهى الآية موضوع التفسير. **وفي تلك الآيات والسفر كله يستعرض موسى علاقة الله بشعب إسرائيل طوال سنوات التيه فى سيناء، والشريعة التى أبلغها الله لموسى .**

تقول تلك الآيات :

(١٥) ***سيقيم الرب فيكم نبياً مثلى من وسط أخوتك*** (بنى إسرائيل) ***له تسمعون.***

"(١٦) حسب *كل ما طلبتم من الرب إلهكم فى* **حوريب** *يوم الاجتماع قائلين.* ***لا نعود نسمع صوت الرب إلهنا ولا نرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا نموت.***

(١٧) *قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا.*

(١٨) ***لهذا أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به.***

(١٩) *ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به بأسمى أنا أحاسبه.*

(٢٠) *وأما النبى الذى يطغى ويتجبر فيتكلم بأسمى كلاماً لم أوصيه أن يتكلم به أو الذى يتكلم بأسم آلهة أخرى فيمُوت ذلك النبى.*

(٢١) *وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟.*

(٢٢) *فما تكلم به النبى بأسم الرب ولم يحدث ولم يصر* (لم يتحقق) *فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه.* ".

(تثنية ١٨: ١٥-٢٢).

وحيث أن الآيات القرآنية لها أسباب النزول التى توضح مفهوم الآية وتفسر معناها، كذلك الآيات التوراتية والإنجيلية لها أيضاً أسباب النزول التى توضح معنى الآية وتفسيرها. **فما هى أسباب نزول تلك الآيات التوراتية، أو قل بمعنى أدق سبب وحيها بالتعبير الكتابى؟.**

فلنرجع لبداية القصة :

منذ أكثر من ثلاثون عاماً تقريباً، والتى سبقت نزول (وحى) هذه الآيات، وبالتحديد **على جبل حوريب** فى سيناء **حيث كلم الله موسى** بعد عبوره والشعب البحر الأحمر **بمعجزة، ومناسبة تلك الآيات وسبب وحيها** فى سفر التثنية ١٨، الأعداد من ١٥ الى ٢٢، **فهى أنه عندما كلم الله موسى بتجليه على الجبل**، والشعب الإسرائيلى مجتمع أسفل الجبل يستمع **لهذا اللقاء التاريخى** بين موسى والله على قمة ذلك الجبل، **تزلزل الجبل وظهر وكأنه سيسقط على رؤوس الشعب**، وكان كلام الرب **مصحوباً بالنار والدخان وصوت بوق عظيم، فأرتعب الشعب وخافوا خوفاً عظيماً من هذا " الكلام المباشر " بين الله وموسى**، وما صاحبه من **نار ودخان وزلزلة الجبل**. وقد طلب الرب من موسى **قبل هذا اللقاء** أن يتطهر الشعب ويغسلوا ثيابهم استعداداً **لهذا اللقاء** لكى يسمعوا صوته **على جبل حوريب ويؤمنوا** به.

فماذا قال الله لموسى؟:

" .. *فقال الرب لموسى* ***ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضاً إلى الأبد..*** *فقال الرب لموسى: أذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً.* ***وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث.***

لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء. *وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلاً أحترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه.*

كل من يمس الجبل يقتل قتلاً. لا تمسه يد بل يرجم رجماً أو يرمى رمياً.
بهيمة كان أم إنسان لا يعيش. *أما عند صوت البوق فهم يصعدون الى الجبل."*

(خروج١٩: ٩-١٣). (١)

ثم نقل موسى بدوره للشعب اليهودى **أن ينفذوا أمر الرب** وقد حدث اللقاء فى اليوم الثالث كما وعده الرب كما جاء بسفر الخروج:

"... وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فأرتعد كل الشعب الذى فى المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل.(٢) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وأرتجف كل الجبل جداً. (٣*)، فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً."

(خروج١٩: ١٤-١٩).

أرتعد الشعب وخافوا خوفاً عظيماً من النار والدخان وزلزلة الجبل، وجعله دكا من تجلى الله عليه، والتى صاحبت كلام الله لموسى من تجليه على الجبل كما جاء بسفر الخروج:

" وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب أرتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى:<u>تكلم أنت معنا فنسمع. لا يتكلم معنا الله لئلا نموت</u> . فوقف الشعب من بعيد، وأما موسى فاقترب من الضباب حيث كان الله."

(خروج٢٠: ١٨-٢١).

(٣*) القرآن الكريم ذكر تلك الحادثة أيضاً في سورة الأعراف عن تجلى الله على الجبل ليكلم موسى:" .. *فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا، وخر موسى صعقاً*."(الأعراف ١١). وفى تفسير القرطبى وآخرين أن موسى رأى الله متجلياً على الجبل وكلمه على الجبل فصار الجبل دكا لتجلى الله عليه، وموسى خر صعقا.

لم يتحمل الشعب تلك الظواهر المرعبة التى صاحبت **نزول الله وتجليه على الجبل،** وكلامه المباشر لشعبه فأرتعدوا وخافوا خوفاً عظيماً، **فطلب الشعب** الإسرائيلى من موسى بأن يطلب من الله، كما جاء فى الآية السابقة، **بقولهم:**

أن لا يكلمهم إلا من خلاله لئلا يصيبهم الموت. " *لئلا نموت* ".

---

(١)، (٢) هذه الآيات قيلت بعد خروجهم من مصر بمدة قصيرة فى سيناء، وقبل نزول الآية موضوع البحث بما لا يقل عن ثلاثون عاماً.

يكرر موسى هذا القول مذكراً **بنى** إسرائيل بما طلبوه منه **مُنذ ثلاثون عاماً تقريباً** كما جاء بسفر الخروج كم سبق التوضيح، **بأن لا يكلمهم الله مباشرة أو لا يتجلى الله بلاهوته مباشرة، وخوفهم من هذا التجلى الذى أرعبهم، ولا يكلمهم الله إلا من خلاله بقولهم:**

" لا نعود نسمع صوت الرب إلهنا ولا نرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا نموت "

(تثنية ١٨: ١٦).

وقد استجاب الرب لطلب الشعب، واستحسن طلبهم، لذا قال الله لموسى:

*" ..قال لى الرب: **قد أحسنوا فى ما تكلموا. لهذا** أقيم لهم نبياً **من وسط أخوتهم مثلك**، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.*
*ويكون **أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أحاسبه.**"*

.(تثنية ١٨: ١٧ – ١٩).

ونرى فى استجابة الرب على طلب اليهود فى أن يكلمهم ليس بطريق مباشر، كما كلمهم على جبل حوريب فى سيناء وإنما **يكلمهم بطريقة أخرى، أحدي هذه الطرق تتشابه فى كلا من موسى والمسيح المنتظر فقط.** والطرق الأخرى تتشابه فى باقى الأنبياء.

وللتوضيح: أن كلام الله مستقبلاً سيكون من خلال **نبى مثل موسى من حيث الجسد، والوظيفة النبوية للمسيا (المسيح)، الذى ينفرد بكونه مماثلاً لموسى** (قارن تثنية ٣٤: ١٠)، **ومن بين أخوته (أى من أبناء بنى إسرائيل)، حيث يجب له السمع والطاعة، لأن الله سيتكلم من خلاله**، وذلك **لأن الشعب لن يستطيع احتمال سماع صوت الله مباشرة وبلاهوته المتمثل فى أبسط صورة، كما حدث فى جبل حوريب**، بالرغم أن هذا الظهور لم يكن مباشراً، **بل فى شبه صوت** مصحوباً بنار ودخان **وزلزل الجبل. ودكه (كما جاء بسورة الأعراف)، ومع ذلك لم يحتمل الشعب المجتمع أسفل الجبل هذا الظهور فى ابسط صوره.**

وحتى يحتمل الشعب هذا الظهور، ويصل الكلام لهم، كان لا بد أن يكون **ظهور لاهوت الله " الله محتجباً "، وأن يتكلم من خلال موسى، أى يكون موسى هو الوسيط بين الله والناس،** لتبليغ الرسالة ويكون **" كليم الله "، وفى المستقبل البعيد سيكون النبى (المسيا) مثل موسى**، ويكون **" اللاهوت محتجباً " فى جسد إنسان نبى مثل موسى ويكون المسيح هو " الوسيط والمُصالح بين الله والناس " وهو " كلمة الله " المتجّسدة، ومن نسل بنى إسرائيل** الذين هم نسل الأنبياء، **وذلك لكى لا يحترق الشعب بنار اللاهوت.** وهذا **اللاهوت الإلهى المتجّسد** يتكلم **من خلال جسد نبى** يعيش بين الناس ويكلمهم عن شرائعه وصفاته من

خلاله، مثلما كلم الله موسى فى العليقة (شجيرة خضراء)، المتقدة بالنار بدون أن تحترق فى جبل سيناء.(١).

هكذا يكلمنا الله من خلال المسيح اللاهوت المتجسد، دون أن نحترق بنار لا هوته . هـذا بجانب العمل العظيم الذى سيقوم به المسيح لخـلاص البشر وفدائهم والذى جاء من أجله. **وقد نفّذ الله** وعده مبدئيا فى موسى، فأصبح موسى يكلم الشعب **الكلام الذى يضعه الله فى فمه مباشرة**، وبدوره يقوم موسى بتبليغ هذا الكلام الى شعبه (**بطريقة غير مباشرة**)، لذلك سمىّ موسى "**كليم الله**"، **أى أن الله يكلم شعبه من خلاله** بكل الكلام الذى يضعه الله فـى فمه حسب ما طلبه الشعب يوم حوريب. **أما فى المستقبل**، فسـتكون "**كلمة الله**" الذاتيـة (الاهوت) هى المتجسدة فى شبه نبىٍ مثل موسى، ويكون له السمع والطاعة، ويتكلم الله من خلاله، أى أن لاهوته سيكون محتجباً فى ناسوته بصورة غير مباشرة لليهود، لئلا يحتـرق الشعب بنار لاهوته.

لأن وعد الله ليس وقتياً فى زمن موسى **فقط**، بل يمتد ذلك الوعد الى **المستقبل** والأجيـال القادمة، لأن الله هو سيد الزمان، والوقت عنده هو حاضر أبدى، والوعد الإلهى لـه صـفة الاستمرارية والدوام.

أما بالنسبة لجميع الأنبياء، باستثناء موسى والمسيح، سيكلم الله شعبه **بطريقـة مختلفـة بواسطتهم**، ولكن ليس مثل موسى "**فماً لفم**" **ككليم الله**، وليس مثـل المسـيح "**كلمـة الله الذاتية**" التى هى الله، **والتى فيها الله هو المتكلم المباشر** من خلال المسيح الذى هو:

"صورة الله الغير منظور وقد صار منظوراً في المسيح."

وإليك المقارنة بين موسى والمسيح:

بالنسبة لموسى : أن الله اللاهوت يكلم موسـى مباشرة، دون وسـاطة ملائكـة، وموسى بدوره يكلم الشعب بكلام الله الذى يضعه فى فمه فهو: "**كليم الله**" .

وبالنسبة للمسيح : أن كلمة الله اللاهوت متحدة مع الناسوت، دون وساطة ملائكـة، أذن كلام المسيح هو كلام الله **المباشر** لذا المسيح فهو: "**كلمة الله**".

أذاً فى موسى والمسيح ليس هناك وسيطاً بينهم وبين الله أما بـاقى الأنبيـاء، باستثناء موسى، المسيح (النبى حسب الجسد)، **كانت رسالتهم تُبلغ إليهم بطرق مختلفة تماماً**، وهى عن طريق الوحى، أو الأحلام، أو الرؤى، أو تفسير الملائكة لهم، لينقلوا شـريعة الله للشعب **بطريقة غير مباشرة**.

---

(١) كما جاء في سورة القصص ومن تفسير الجلالين وابن كثير وغيرهم بأن الله كلم موسى من شجرة خضراء تشتعل ولم تحترق متجلياً فيها، بقوله لموسى: "**أن يا موسى أنى أنا الله رب العالمين.**" ويقول ابن كثير: أي الذى يخاطبك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه.

أى أن هناك وسيطاً بين الله والنبى.
وهذا يختلف عن ما بين الله وموسى، وما بين الله فى صورته اللاهوتية الغير منظورة والتى صارت منظورة فى المسيح.

فموسى النبى : لا يوجد وسيط بينه وبين الله لتبليغ الرسالة.
والمسيح : النبى (حسب الجسد) **لا يوجد وسيط بينه وبين الله** لتبليغ الرسالة، لأنه هو **الله الظاهر فى الجسد،** فهو الرسالة والرسول فى نفس الوقت، **ولأنه فى الآب والآب فيه.**

أما باقى الأنبياء:
كان **هناك وسيطاً بينهم وبين الله.** مثل **الوحى،** أو **الرؤى،** أو **الأحلام،** أو **تبليغ الملائكة.**

وهذا ما جاء بالقرآن الكريم، فى كثير من سوره، **عن تميّز موسى عن سائر الأنبياء، بأنه " كليم الله " والله " يكلم موسى تكليما "، أى مباشرة بدون واسطة وحى أو ملائكة.**

أيضاً ما جاء به القرآن الكريم بشأن **المسيح بأنه " كلمة الله "،** وهذا تعبيراً أقوى من **"كليم الله "** كموسى، **لأن المسيح ذاته هو " كلمة الله "، أى هو المعبر عن كلمة الله المباشر، دون واسطة أو وحى، أو من تبليغ الملائكة كجبرائيل وغيره. كما ذكره أيضاً بنفس المعنى مفسرى الإسلام كالرازى وغيرهم.**

بهذا المعنى يكون المسيح مثل موسى، من حيث لا توجد واسطة بين الله وكلاً من موسى والمسيح، بل كانت الصلة بينهما مباشرة.

إما باقى الأنبياء بدون استثناء، **فلا بد من وجود وسيط بينهم وبين الله من أجل تبليغ أوامره ونواهيه.**

وقد جاء بالقرآن الكريم والأحاديث والسُنه فى شأن نبى الإسلام أنه يتلقى الوحى من الله، لا بطريق مباشر كموسى أو المسيح، بل بواسطة " الملاك جبريل ".

وجميع الأنبياء بدون استثناء كانوا يتلقون الوحى بطريقة غير مباشرة سواء بالرؤى أو الأحلام أو تبليغ الملائكة لهم.

وهذا ما أكده **ابن القيّم الجوزيه** فى كتابه "مدراج السالكين" **فى تقسيم الوحى الى قسمين:**

الأول : قسم التكليم الخاص : الذي يكون من الله لعبده بلا واسطة بل منه وإليه.

الثاني : قسم من التكليم العام : الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة .

ومن قول ابن القيّم نستنتج أن موسى والمسيح فقط، هما من القسم الأول من: " التكليم الخاص "، الذى فيه يتكلم الله **مع عبده بلا واسطة بل منه وإليه.**

فموسى **" كليم الله "** ، والمسيح **" كلمة الله "**

أما باقى الأنبياء جميعهم، فهم من القسم الثانى من " **التكليم العام** "، الذى فيه يتم إيصال المعنى إليهم بطرق متعددة.

وأيضاً : من حيث أوجه الوحي وطرقه: كما ذكره المفسرون الإسلاميون على الأنبياء، فالله يخاطب الأنبياء بواسطة ثلاثة أوجه:

الأول: أما بطريق **الوحى**، وهو الإلهام والقذف فى القلب، أو المنام.

الثانى: أما بطريق أن يسمعه كلاماً ولا يراه **من غير واسطة**، كما كلم الله نبيه موسى.

الثالث: أما بطريق أن يرسل الله أحد ملائكته، مثل جبريل أو غيره، فيبلغ ذلك الملك النبى البُشرى ومّا يشاء من أمر ونهى وغير ذلك.(كما حدث مع محمد ص).

من الطرق الثلاثة السابقة للوحى كما أورده ابن القيّم نرى أن الوجه الثانى وهو:

" أن الله يسمع النبى كلاماً ولا يراه من غير واسطة "
ينطبق تمام الانطباق على موسى والمسيح فقط.

أما الوجه الأول: وهو " الوحى والإلهام والقذف في القلب أو المنام ".
والوجه الثالث: وهو " ان يرسل الله أحد ملائكته مثل جبريل أو غيره فيبلغ ذلك الملك النبى البُشرى، ما يشاء من أمر ونهى وغير ذلك.

فهذا ينطبق على جميع الأنبياء، باستثناء موسى والمسيح فقط.

وفى المسيح سيكون كلام الله من خلال **" كلمة الله "** المتجسدة (المسيح)، الذى سيكون الواسطة والوسيلة لكلمة الله الذاتية المحتجبة فى جسد مقدس، أى اللاهوت محتجباً فى الناسوت لئلا يحترق الشعب بنار لاهوته. فيكون منظوراً كنبى مثل موسى ومن وسط أخوته العبرانيين حسب الجسد، والرب (اللاهوت) يتكلم من خلاله، وكل إنسان لا يسمع له سيحاسبه الرب ويدينه، وكيف لا يسمع له وهو اللاهوت بكل قداسته ؟ والذى سيصبح منظوراً في ملء الزمان.

وطلب الشعب اليهودى هذا يتوافق مع الخُطة الإلهية فى ظهور كلمته الذاتية متجسدة فى شخص نبى مثل موسى من حيث ناسوته فى ملء الزمان، وحتى يتم الفداء والخلاص.

(تم مناقشة قضية التجسّد والفداء تفصيلياً فى كتابنا " حقيقة التجّسد ".).

شروط التعّرف على النبى المنتظر والذى سيكون مثل موسى :

ويضع الله شرطاً مسبقاً لذلك النبى لكى نستطيع التعّرف عليه والتحقق من شخصيته، الذى يجب السماع له وإتباعه وقبوله، والذى سيكون مثل موسى ومن بين أخوته (أى من بين بنى إسرائيل)، وعدم الخلط بينه وبين أى نبى آخر، ولعدم حدوث لبس فى شخصيته ولا سيما أن موسى كان أول الأنبياء من بنى إسرائيل، وقد جاء بعد موسى عشرات الأنبياء، من بنى جنسه، فيحدد الله شخصية ذلك النبى " اليهودى " بشروط خاصة، تتميز عن كل هؤلاء الأنبياء المتعاقبين والذين جاءوا بعد موسى.

من بين هذه الشروط التى يجب أن تتوفر فى ذلك النبى، والذى على أساسها يتم تحديد شخصيته، أن كل ما يقوله ذلك النبى يتحقق، أى أن كلامه يصاحبه معجزات غير معتادة، تختلف عن معجزات كل الأنبياء الذين سيجيئون من بعد موسى، وان يتميز عنهم من حيث الكم والكيف سواء فى النبوءة المستقبلية أو المعجزة المنظورة الفورية. ويكون فى كلام هذا النبى الكثير من أمور مستقبلية " ونبوءات" تتحقق على مر الأجيال والعصور، و "معجزات منظورة" خلال حياته الأرضية فى الحال تتحقق بالكلمة التى ينطق بها، وتصير نافذة على الفور، ومعجزات نبوية، تتحقق فى المستقبل، بعد صعوده إلى السماوات، وتدوم حتى نهاية العالم وانقضاء الدهر، مثلما قال السيد المسيح لتلاميذه فى إنجيل متى قبل صعوده مباشرة الى السماء كما جاء فى إنجيل متى (متى٢٨: ٢٠):

" وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به،
وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر "

أى يحفظوا كلامه، ويستمعوا له " ***له تسمعون*** " حتى نهاية العالم.

ولذلك يضع الله تساؤلاً متوقعاً من الشعب اليهودى حول تحديد شخصية هذا النبى المنتظر، وكلامه الذى يتكلم به، هل هو كلام من الرب أم لا ؟.

ويجيب الله على هذا التساؤل فى صورة جواب الخبر فى الآية ٢٢ من التثنية، فيقول:

" وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب.
فما تكلم به النبى بأسم الرب ولم يحدث ولم يصر (لم يتحقق) ***فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه".***

(تثنية١٨: ٢٢).

وهذا هو الشرط الأساسى فى معرفة وتحديد شخصية ذلك النبى، وهو النبى الذى سيتكلم بكلام النبوة، التى ستتحقق فى المستقبل، والذى سيكون على يديه معجزات تتحقق فوراً فى لحظة النطق بها (ويكون متميزاً بها على جميع الأنبياء على الإطلاق). فعندما يتكلم ذلك النبى يتحقق كلامه بالمعجزات المرئية الملموسة والمنظورة فوراً وفى الحال، ليتأكد الشعب أن هذا النبى هو المعّين من قِبل الله، والذى سيأتى فى ملء الزمان، والذى تكلم عنه جميع الأنبياء وهو(المسيا المنتظر) من نسل داود حسب الجسد، ومن بين أسباط بنى إسرائيل الأخوة.

والسيد المسيح هو الوحيد من دون جميع الأنبياء الذى كانت تجرى على يديه معجزات فوق العادة، وخارقة لكل القوانين الطبيعية، من الخلق، وإقامة الموتى، وشفاء كل الأمراض، وإخراج الشياطين، وسلطانه على الطبيعة وظواهرها، والبحار والعواصف الخ.

كما أن له قدرة خارقة لكشف الغيب والمستقبل والتى لم تتأتى لأى نبى أو رسول مجتمعين، والنبوءات الذى ذكرها السيد المسيح كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

وبذلك تحقق فى المسيح هذا الشرط الذى وضعه الله لمعرفة ذلك النبى المنتظر بأن كل أقواله تتحقق وتصير، سواء فى معجزاته، أو تنبؤاته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون من بين وسط أخوته العبرانيين من بنى إسرائيل، وليس من أى شعب آخر.

هذه الآيات الكاملة التى تسبق وتلى الآية موضوع البحث عن النبى المنتظر (المسيا)، مثل موسى ومن بين أخوته من اليهود العبرانيين من بنى إسرائيل.

وقد كان من الممكن الاكتفاء بما سبق من توضيح بشأن وجه التشابه بين موسى والمسيح، وهى كافية ولا تحتاج إلى المزيد. ولكن ولزيادة المقارنة وضوحاً لأسباب أخرى عن أوجه الشبه بين موسى والمسيح فى تلك الآيات، نضيف إليها مقارنات أخرى لمن يريد المزيد. فهيا نناقشها. بما لا يزيد عن معانيها بما لا يحتمل، ولا ننقص منها بما لا يخل:

أذن من هو النبى الذى سوف يجئ بعد موسى على أن يكون مثله ومن وسط أخوته؟

من الآيات السابقة، والتعليق على مناسبتها التى قيلت فيها والتوضيح السابق الذى ذكرناه والمأخوذ من روح الكتاب المقدس ككل، وليس من آية منفردة نفصلها عن غيرها، نستنتج منها صفات النبى الذى سيكون مثل موسى (روحياً ووظيفياً) ومن وسط أخوته:

(أى من وسط بنى إسرائيل جسدياً، وليس من أى شعب آخر)

مع ملاحظة هامة جداً :

أن المقارنة بين المسيح وموسى، ليست مقارنة أرضية زائلة من تناسل من أب ومن أم، والمسيح لم يولد بهذه الطريقة، أو من قيادة موسى للحروب والغزوات، والمسيح لم يقوم بهذا وتلك، أو زعامة أرضية وقيادية لموسى، والمسيح لم يكن زعيما، أو الزواج من النساء، والمسيح لم يتزوج، أو كيفية موت موسى وموت المسيح... الخ. كما جاءت بالمقارنات الغير مسيحية لأحمد ديدات. والتى تقارن مقارنة بعيدة تماماً عن روح الكتاب المقدس ومقاصده، وفى نفس الوقت تُهمل كل الجوانب الروحية والعلوية التى هى سمة مميزة للكتاب المقدس، فيتجاهلها أحمد ديدات وغيره تماماً.

وإذا أتبعنا أسلوب أحمد ديدات فى المقارنات بين موسى ونبى الإسلام، فى الصفات المادية، والمشابهات الأرضية، سنجد أن أنبياء بنى إسرائيل هم الأقرب كثيراً لتلك الصفات والمشابهات الأرضية، ولا سيما أن هؤلاء الأنبياء هم أخوة موسى من نسل العبرانيين من بنى إسرائيل. وموسى النبى هو أول نبى من أنبياء بنى إسرائيل له شريعة مكتوبة.

فكثير من الأنبياء جاءوا بعد موسى في فترات متعاقبة ومتتالية، وهم أنبياء أيضاً من بنى إسرائيل لمدة تصل إلى ١٥٠٠ عام متواصلة قبل المسيح، وظروفهم الأرضية والمادية على حسب مقارنة أحمد ديدات تنطبق عليهم أكثر من انطباقها على نبي الإسلام، فهم ولدوا مثله من أبوين طبيعيين، وماتوا ميتة طبيعية مثله ويرقدون في قبورهم مثل موسى، وقادوا شعوبهم في حروب مع المناوئين لهم، وتزوجوا وأنجبوا أولاداً مثل موسى، ورفضوا من شعوبهم مثله، وعلموا ما علمه موسى من شريعة، ونادوا بالتوحيد وأن لا يعبدوا إلا الله الواحد كما فعل موسى، وقاسوا هؤلاء الإنبياء المراوغة من شعوبهم مثل موسى، وعملوا بعض المعجزات الحسية الملموسة. بالرغم أن نبى الإسلام على حسب تصريح القرآن الكريم لم يقم بعمل أى معجزة حسية (١) ، وجميع هؤلاء الأنبياء يتكلمون بالوحي الإلهى بكلام الله الذى يقذفه سبحانه في قلوبهم، والأكثر من ذلك أن هؤلاء الأنبياء من بين أخوة موسى، أى من بنى إسرائيل.. الخ. وهى الصفات المادية وليست الصفات الروحية المشتركة بين موسى والأنبياء الذين جاءوا بعده من بنى جلدته وأخوته، وهى تزيد عن الصفات ال ١١ التى ذكرها احمد ديدات. ولكن ومع ذلك لم نقول أن أحد هؤلاء الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى من بنى إسرائيل، إنه يشبه موسى في النواحى الروحية أو الرمزية الخاصة **(التى خصها الله لموسى والمسيح فقط)**. مثل يشوع الذى أكمل مشوار موسى إلى أرض الموعد وأستولى على الأراضى التى بحوزة الكنعانيين والعماليق والحثيين..الخ. واتبع أسلوب موسى وعلى دربه، وأنبياء آخرين مثل داود وسليمان واشعياء ودانيال وحزقيال ...الخ.

فلماذا لا يكون النبى المشار إليه في تلك النبوة يكون أحدهم؟، على حسب فكر احمد ديدات. ومع ذلك وبالرغم من التشابه المادى الكبير بينهم، وكانوا أقرب كثيراً فى صفاتهم لموسى المادية عن نبى الإسلام. ومع ذلك ليس هم المقصودين من تلك النبوة.

ان الله سبحانه الروحانى القدوس البار الدائم، عندما يضع مشابهات ومقارنات فإنما يضعها روحية سامية تتناسب مع عظمته وسموه اللاهوتى، ولا يتدنى بها ليقارنها بالأرضيات الزائلة، والمشابهات الجسدية أو الحياتية الأرضية المتدنية، أو من زعامات لحروب أو لغزوات، أو من مقارنات تشد صاحبها الى أسفل لعالم الأرض الفانيِ الزائل، بل لمقارنات تسموا بها لأعلى لعالم الروح السمائى الباقى والذى لا يزول. حتى وإن استخدم سبحانه اللغة الأرضية كمشابهات ورموز ترمز للعالم الروحى.

والكتاب المقدس فى عهده القديم كله، تتضمن الرموز والنبوات التى تشير إلى المسيا المنتظر، والتى ذكرت ميلاده وصفاته وحياته وفداءه كرمز للذبيحة المؤقتة، والتى ستتحقق فى المرموز إليه المسيح الذبيح الحقيقى فى العهد الجديد. والتوراة وكل كُتب الأنبياء فى العهد القديم تشير إلى تلك الحقيقة، والتى ستتحقق فى العهد الجديد بمجيء المسيح من نسل يهوذا حسب الجسد، ومن بين أخوة موسى من بنى إسرائيل.

وإنما التشابه بين موسى والمسيح ليس فى هذه الصفات الأرضية الزائلة، والتى لا يهتم بها الكتاب المقدس نهائياً، لأن هدف الكُتب المقدسة هو أن يسمو الإنسان ويرتفع لعالم السماء والأرواح ويحيا حياة ملكوت السماوات فى بر وقداسة تتوافق مع بر وقداسة الله.

وهذا هو الهدف الأسمى والأوحد من الشرائع.

وأما ما جاء من أمور أرضية فى كتاب الله المقدس من وصايا وسلوك وصوم وصلاة، وعقاب وقصاص، وطهارة، وزكاة وعشور ورموز.. الخ، ما هو سوى تدريبات للإنسان على السمو فى التعامل مع الآخرين، والابتعاد عن الشرور والآثام، وعبادة الأوثان، التى جميعها تعيق الوصول لمعرفة الله الواحد الحق، والتى تضع حجاباً كثيفاً بين الإنسان وخالقه، والتى تشده الى أسفل نحو العالم الأرضى الفانى وشهواتها.

---

(١) عندما طلبوا بعض مشركى العرب من محمد ص أن يصنع لهم معجزة حسية لكى يؤمنوا به، قال لهم إنه لم يبعث لعمل المعجزات، ولم يقم بعمل أى معجزة حسية فى حياته، وإن معجزته هى البلاغة، بإجماع علماء الإسلام، وكتب التفسير، إما موسى فقد صنع الكثير من المعجزات الحسية سواء فى مصر، أو عند خروجه منها، أو فى صحراء سيناء.

لأن الكتاب المقدس منّزه عن الأرضيات، ويسمو عن النقائص البشرية، ولا يهتم بالجسد ونقائصه، بل يطلب منا أن نهتم بحياة الروح والابتعاد عن شهوات الجسد، لكى تسمو بالفكر إلى ما هو أعلى، حيث فكر الله القدوس السامى المتسامى، والبار والكامل الذى يشد الوجدان والروح لأعلى.

أن الكتاب المقدس كتاب روحانى بكل المقاييس يهتم بكل ما للروح، وفى الاهتمام بالروح والوجدان يرفع قيمة الجسد إذا عشنا بالروح، وبالتالى يرفع من أسلوب حياتنا الأرضية. أى أن الجسد يستمد قيمته الإنسانية إذا سلك فى طريق الروح التى تشده لعالم السماء. أما الأرضيات فهى زائلة ومصيرها محتوم بكل ما فيها، وهذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان الذى يتبع غرائزه الجسدية ولا يعلم شيئاً عن الروح وخالقها، فالعنصر الروحى هو الباقى والذى لا يموت ولا يزول بزوال الأرضيات.

إذاً عندما نفسر آيات رائعة مثل هذه، فإن التفسير يجب أن يكون بروح الكتاب وفى عمق المعانى السامية، وليس فى قشورها السطحية الأرضية، والهدف من وجود الشريعة وتطبيقها، وليست الشريعة فى حد ذاتها سوى إنها الوسيلة لبلوغ الهدف الأسمى والأفضل فى الحياة الأخرى، كما تعرّفنا بالله الواحد الخالق، وهى تنظم حياتنا وسلوكنا، وتحذرّنا من الشرور والأدناس والشرك بالله، وتعرّفنا حقيقة من هو الله ؟ وتبين لنا عن تجسده وفدائه، حتى ننال الحياة الأبدية فى الملكوت السماوى.

وبالشريعة نعرف أخطائنا عندما نتجاوز أحكامها.
لأنها المعيار الإلهى بين الحق والباطل.

ولذلك الذى لا يفهم روح الكتاب المقدس ومقاصده السامية العلوية، لا يستطيع أن يفسره تفسيراً صحيحاً، وهذه هى مشكلة المفسرين، أو الذين يدّعون التفسير سواء من المسيحيين أسماً ولا يفهمون من المسيحية سوى أسمها. أو من غير المسيحيين الذين يفسرون آياتها بعيدة عن روح الكتاب، ويفسرونها تفسيراً سطحياً مادياً يفتقر للعمق والواقعية، سواء بحسن نية أو عن قصد.

أوجه التشابه الروحى بين موسى والسيد المسيح:

بالإضافة إلى ما سبق توضيحه من أوجه التشابه الروحى بين موسى (الرمز)، والمسيح (المرموز إليه)، سنضيف تشابهات أخرى مشتركة بين موسى والمسيح. فموسى هو الرمز لخلاص شعب إسرائيل، والمسيح هو المرموز إليه لخلاص كل شعوب العالم.

١- إمكانية ظهور الله بلاهوته وتنازله لموسى وتجليه فى العليقة الخضراء المتقدة دون أن تحترق، وفى المسيح أيضاً يمكن ظهور الله بلاهوته وتنازله لشعبه وتجليه فى الجسد ولم يحترق الجسد." ، والعليقة (الشجرة)، ترمز للجسد (الناسوت).

والكلمة **(اللاهوت) صار** (اتخذ) ***جسداً وحل بيننا*** **".**

(يوحنا ١: ١٤).

٢- فى جبل سيناء أكد الله على صدق وصلاحية شريعة العهد القديم على يد موسى بنار من السماء فى العليقة الخضراء على رأس جبل سيناء، وفى يوم الخمسين أكد الله على صدق وصلاحية شريعة العهد الجديد على يد المسيح بنزول الروح القدس باللسنة من نار من السماء على رؤوس حواريه التلاميذ.

٣- فى جبل سيناء نزلت النار من السماء على موضع واحد فى العليقة، وفى يوم الخميسين نزلت اللسنة من نار على مؤمنين كثيرين رمزاً الى حضور الله فى حياة الإنسان.

٤- موسى هو **كليم الله**، أى أن الله يكلم الشعب من خلاله. وموسى هو النبى الوحيد دون جميع الأنبياء على الإطلاق الذى كان الله يكلمه فم لفم بدون وساطة الوحى أو الرؤى أو الأحلام أو بملاك مرسل للنبى كما لسائر الأنبياء. والمسيح هو **كلمة الله**، أى هو ذات الكلمة أى الله، فيكلم الشعب مباشرة دون وساطة نبى أو رسول من خلال المسيح الكلمة المتجسدة.

٥- موسى عَبَر بالشعب الإسرائيلى من بحر العالم المتلاطم المظلم، من مصر الوثنية، إلى معرفة نور الإيمان فى سيناء، ومعرفة الله الحقيقى. والمسيح عبّر بكل الشعوب والأمم من بحور العالم الوثنى المظلم إلى معرفة الله الحقيقى بواسطة شخصه الإلهي كلمة الله.

٦- موسى حرر الشعب الإسرائيلى من عبودية المصريين ومذلتهم وقادهم إلى الحرية والنصرة. والمسيح حرر الشعوب والأمم من عبودية الشر والخطيئة والشيطان وسيطرته منذ سقوط آدم، إلى التحرر منه بالفداء العظيم الذى قدمه المسيح على الصليب.

٧- موسى مكّن الشعب الإسرائيلى من العودة إلى أورشليم الأرضية ليمتلكونها، كمُلك أرضى مؤقت للمؤمنين به. والمسيح مكّن الشعوب والأمم إلى العودة إلى أورشليم السمائية والفردوس كمُلك دائم لكل الذين يؤمنون به.

٨- موسى كان (**كاهناً**)، و(**نبياً**)، وحاكماً (**ملك**) أرضى . والمسيح كان (**كاهناً**)، و(**نبياً**)، و (**ملك**) سماوى.

٩- موسى بدأ الشريعة والناموس المكتوب، أى **كلمة الله المكتوبة** فى التوراة، والمسيح أكمل تلك الشريعة والناموس فى شخصه، أى **كلمة الله المتجسدة**، أى أن موسى بدأ الشريعة، والمسيح أكملها. حيث يقول المسيح كما جاء فى (متى ٥: ١٧).

" ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل."

١٠- كان موسى قبل استلامه الشريعة الإلهية من الله فى جبل سيناء بالجبل صائماً أربعين يوماً وأربعين ليلة. (تثنية٩: ٨)، وبعد ذلك نزل من الجبل ليبدأ عمله المُكلف به لنشر كلمة الله بين الشعب الإسرائيلى . والمسيح قبل أن يبدأ بشارته ذهب الى الجبل وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وبعد ذلك نزل من الجبل ليبدأ رسالته الذى جاء من أجل نشرها بين الشعب الإسرائيلى أولاً، ثم بعد ذلك نشرها للعالم أجمع.

١١- موسى النبى هو الوحيد الذى عرف الرب وجهاً لوجه بظهوره له بطرق شتى من وسط العليقة، ومن النار والدخان، ويكلمه مباشرة فم لفم لتبليغ رسالته وشريعته.. والمسيح هو ذاته كلمة الله وهو الأبن، وهو فى الآب والآب فيه، لاهوت واحد وجوهر واحد. ومن رأى الابن فإنه رأى الآب، وهو الوحيد الذى كان عند الآب فى السماء منذ الأزل.

١٢- ووجه الشبه أيضاً أن النبى المنتظر(المسيح)، فى آية البحث، موعوداً به أن يُرسل لبنى إسرائيل خاصة ثم للعالم، مثل موسى الذى أرسل لبنى إسرائيل.
أى يكون موسى والنبى المنتظر (المسيا) كلاهما من بين بنى إسرائيل بالتحديد، أى من وسطهم، ومن الأسباط الأخوة.

١٣- أن الله فسر فى الإنجيل ما أنبأ به فى التوراة، وأظهر بوضوح لا يقبل اللبس أن النبى الموعود به هو المسيح. (راجع تثنية ١٨: ١٩،١٥) " له تسمعون " (متى ١٧: ٥) . و(مرقس٧:٩). و(لوقا ٩: ٣٥). ثم أن المسيح طبق هذه النبوة وغيرها من نبوات التوراة على نفسه فى (يوحنا٥: ٤٦)، (راجع تكوين ١٢: ٣ و٢٢: ١٨ و٢٦: ٤ و ٢٨: ١٤). أولاً لأنه من نسل يهوذا، وبالتالى من بنى إسرائيل (متى١: ١-١٦). ،(لوقا ٣: ٢٣ - ٣٨) ، (عبرانيين ٧: ١٤).وصرف معظم حياته بين اليهود، وإليهم أرسل رُسله أولاً، ولم يرسلهم إلى الأمم إلا أخيراً (متى١٠: ٦)، (ولوقا٢٤: ٤٧)، (ومتى١٨:٢٨-٢٠). ونرى فى أعمال الرسل (٢٥:٣-٢٦). التصريح الواضح بأن آية البحث تشير إلى المسيح.

١٤- في زمن إسحق وإسماعيل لم يكن شعب إسرائيل قد وجد بعد، فإن شعب بنى إسرائيل لم يظهر إلا بعد أكثر من ٤٠٠ سنة بعد الوعد الإلهى لإبراهيم وحتى تكاثر شعب إسرائيل وخروجهم من أرض مصر على يد موسى النبى. والذى عبر بهم لأرض الموعد، وأكمل يشوع بن نون المسيرة نحو ارض كنعان، وأصبح الشعب الإسرائيلى شعباً مقسماً إلى أسباط، وقسم الأرض فيما بينهم.
ومن هنا فقط بدأ شعب إسرائيل ف الوجود وفى حكم نفسه بنفسه وليس قبل هذا.

١٥- أعطى موسى الشعب بأمر الله (**المن والسلوى**)، **طعاماً لهم فى برية سيناء، والسيد المسيح** أعطى الجموع **طعاماً فى البرية من الخمس خبزات والسمكتين:**

"فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا: إن هذا بالحقيقة النّبى الآتى إلى العالم"
(يوحنا٦: ١٤).

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا **استخدام** أداة **التعريف** للتخصيص فى كلمة **" النّبى"** لتحديد **انطباق النبوة وحصرها فى شخص واحد بعينه هو المسيح من بنى إسرائيل.**

بنى إسرائيل هم بنى يعقوب الذى هو (إسرائيل)، الذين جاءوا الى مصر فى زمن المجاعة بدعوة **من يوسف** (أبن يعقوب)، **ومن فرعون ملك مصر(فى عصر ملوك الهكسوس**). وكانوا يمثلون عائلة **يعقوب** (**إسرائيل**) **الذى تشمل أبناءه الأثنى عشر** (رؤوس الأسباط فى المستقبل) **وزوجاتهم، وأحفاد يعقوب وغلمانهم وخدامهم، وكان عددهم سبعون نفساً فقط.** هذا العدد الضئيل **لم يكن يمثل شعب بعد. ولكن بعد مرور أكثر من ٤٠٠ سنة فى أرض مصر، تزايد عدد الإسرائيليين على حسب أسباطهم الأثنى عشر، الذين هم أولاد يعقوب، الى نحو مليونين ونصف من الأنفس على الأقل،** يشمل هذا العدد الرجال الذين خرجوا من أرض مصر والقادرين على حمل السلاح الذين تجاوز عددهم عن ستمائة ألف رجل، هذا بخلاف النساء والأطفال والشيوخ.

وجاء فى كتاب (مصر القديمة الجزء التاسع للكاتب سليم حسن ص ٤٩٩) يقول:

" وعلى أى حال يبدأ تاريخ إسرائيل الحقيقى بوصفهم قوماً، منذ وقت خروجهم من أرض مصر".

وهذا الحادث أيضاً ذكر بالتفصيل فى:

(الجزء السابع من مصر القديمة للكاتب نفسه من ص ١٠٦ وما بعدها).

وكلمة وسط أخوتك وردت كثيراً فى توراة موسى لتدل على أن هذه العبارة يقصد بها الأخوة من نسل الأسباط من بنى إسرائيل فقط، وليس المقصود من أى نسل آخر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نبين معنى كلمة **وسط أخوتك** من الآيات الآتية:

"متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها فأن قلت أجعل علىّ ملكاً كجميع الأمم الذى حولى.
***فانك تجعل عليهم ملكاً** الذى يختاره الرب إلهك **من وسط أخوتك** تجعل عليهم ملكاً، **لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك**."*

(تثنية١٧: ١٤).

أى لا يجوز أن يكون **الملك** من خارج بنى إسرائيل (أجنبياً)، **بل يكون من وسط أخوة موسى** الذين هم **بنى إسرائيل** ونسلهم، وذلك فى الأرض الذى سيمتلكونها، **لأن الملك الأجنبى الذى ليس من بنى إسرائيل سيكون وثنياً يعبد الأصنام**، وسوف يجبر بنى إسرائيل على عبادة البعل والأصنام التى يعبدها هو، **لأن الشعوب دائماً تسير على دين ملوكهم، وسيعمل على سقوط بنى إسرائيل فى الهاوية والشرك بالله، لأن شعب بنى إسرائيل هو الشعب الوحيد الذى كان يعبد الله الواحد**، وجميع الشعوب فى كل الأرض **شعوب وثنية صنميه، حتى الشعوب الأخرى التى تناسلت من أولاد إبراهيم علية السلام، كانت وثنية تعبد الأصنام، مثل بنى إسماعيل، وبنى إبراهيم من قطورة (زوجته الثانية)، وبنى عيسو أخو يعقوب فجميعهم عابدون للأصنام.**

لذا كان **تحذير الله لهم أن لا يأخذوا من غير بنى إسرائيل أخوتهم، ملكاً يقودهم ويملك عليهم**. وكان **أول ملك** لبنى إسرائيل من بعد عصر القضاة هو (شاول) من سبط بنيامين، وقام باختياره الرب، وقد جاء بعد موسى بحوالى ٤٥٠ سنة، وبعده توالى الملوك الإسرائيليين (داود - سليمان - رحبعام ... الخ) .والعشرات من **الملوك وجميعهم من بنى إسرائيل أى من الأسباط الإثنى عشر ولم يكن من بينهم ملكاً من غير الأسباط طوال مملكتهم على مدى عصورها المختلفة.**

وواضح أن الملك يكون من اليهود، لأن الأعداد التالية أيضاً تقول عنه أنه:

*((.. عندما يجلس على كرسى مملكته **يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة** فى كتاب من عند الكهنة اللاويين، **فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكى يتعلم أن يتقى الرب إلهه**، ويحفظ جميع كلمات الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها لئلا يرتفع قلبه على **أخوته**))*

(تثنية ١٧: ١٥-٢٠).

والواقع الفعلى هو أن الرب أقام لليهود مملكة شاول من سبط بنيامين، ثم مملكة داود ونسله من سبط يهوذا، وموسى من سبط لاوى، وكلاهم من وسط إخوتهم أى من اليهود.

أذن فالنبى والمُلك كلاهما " من أخوتك "، فلا يمكن أن يكونا من غير اليهود.

ولا بد من الملك أن يكون من بنى إسرائيل جنساً وعقيدة، حتى يعطى له شريعة الرب ليسير على هديها ليقود شعبه بشرائعها المكتوبة فى توراة موسى، والذى يجب على هذا الملك أن يحتفظ بنسخة من هذه التوراة. حسب ماجاء فى الآية السابقة.

وقد أخبرنا الروح القدس بفم بطرس الرسول أن هذه النبوة التى جاءت بسفر التثنية للنبى الآتى مثل موسى والمبشر به، هى عن السيد المسيح كنبى فيقول:

" ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم ...فأن موسى قال للآباء أن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من أخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب.

وهذا التصريح الواضح الدامغ يبين من هو النبى الآتى مثل موسى، والذى سيأتى من بنى إسرائيل أخوته. وهو يسوع المسيح المبشر به للأمة اليهودية.

ملحوظة هامة: أن كلمة أخوة تُقال على وجهين:

الأول : على وجه التعميم:

عندما نقول أن كل شعوب العالم أخوة على اعتبار أن لهم أب واحد وأم واحدة وهما (**آدم وحواء**). وعند حدوث **الطوفان** وهلاك الشعوب ولم يتبقى غير نوح وأولاده الثلاثة (سام - حام - يافث) وزوجاتهم. **ومنهم تناسل جميع أمم الأرض**. فى هذه الحالة أيضاً يمكن القول أن **جميع الشعوب أخوة وهم جميعاً من نسل نوح (سام، وحام، ويافث)**. ويجوز على **الأقارب** اعتبارهم أخوة أيضاً.

ويجوز إطلاق كلمة أخوة على أبناء الدين الواحد، ويجوز إطلاقها أيضاً على أفراد القبيلة أو أفراد العائلة ... الخ.

الثاني: على وجه التخصيص:

وهى ما تخص الآية موضوع البحث من **وسط أخوتك**. والمقصود الأخوة هنا **على وجه التخصيص وليست على وجه التعميم. أى من أسباط إسرائيل** كما سبق التوضيح.

وإلا فما الداعى لقول الوحى من وسط أخوتك ؟. فأن كان على وجه التعميم فلا داعى لذكرها لأن جميع الشعوب أخوة، **كما أن إسحق من سارة، وإسماعيل من هاجر، ويقشان، ومدان، ومديان، وشوحا، وزمران ويشباق أخوة لأسحق من قطورة (١) زوجة إبراهيم الثانية خليل الله.**

ولكن عند ذكر(**أخوة**) يتضح المقصود **بأنه من وسط أخوة موسى أى من شعب بنى إسرائيل بالتحديد. وهذا مما جعل الوحى يقول لا تجعل عليك ملكاً أجنبياً.** أى من شعوب **أخرى من غير بنى إسرائيل . لأن كل الشعوب الأخرى وثنية عابدة للأصنام ومشركة.**

وأيضاً جاء فى (تثنية ١٨: ١).**فى نفس هذا الشأن لتوضيح معنى الأخوة بلغة التخصيص، تقول الآية:**

" ***لا يكون للكهنة اللاويين*** (أى سبط لاوى)***قسم ولا نصيب مع إسرائيل*** (باقى الأسباط)، .. *فأن الرب نصيبه. فلا يكون له نصيب* ***في وسط أخوته***، *الرب هو نصيبه كما قال له، لأن* ***الرب إلهك قد أختاره من كل جميع أسباطك لكي يقف ليخدم الهيكل باسم الرب هو وبنوه كل الأيام*** . (تثنية ١٨: ١)

أى أن الله أفرز سبط لاوى وبنوه من بين أسباط بنى إسرائيل الأثنى عشر ليكون منهم الكهنة كل الأيام لأن الرب نصيبه. ولا يأخذ سبط لاوى أى نصيب فى الأرض، التى تم توزيعها على أسباط بنى إسرائيل الإحدى عشر سبط فقط، فى كل أرض كنعان وفلسطين، **كما توضح الآية صراحة أن الأسباط هم بنى إسرائيل هم الأخوة.**

وأيضاً ما جاء فى (تثنية١٠: ٨،٩). فى هذا الشأن أيضاً:

" ***وفي ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوى ليحملوا تابوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه فيباركوا أسمه إلى هذا اليوم ... لأجل ذلك لم يكن للاوى قسم ولا نصيب مع أخوته. الرب هو نصيبه كما كلمه الرب إلهك***".

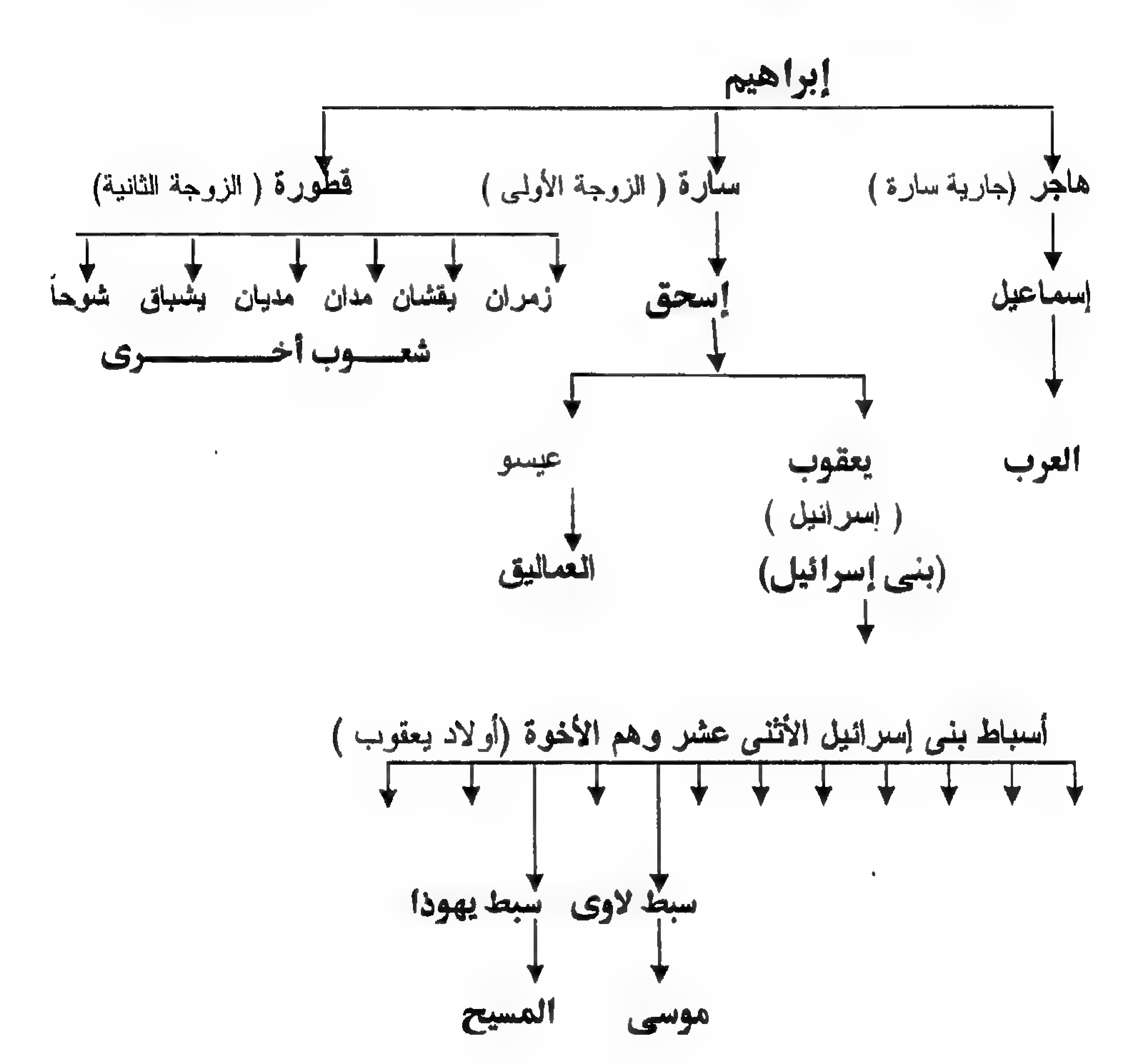
(تثنية١٠: ٨،٩)

والآتى بيان توضيحى لمعرفة سلسلة شعب بنى إسرائيل، والأخوة الأسباط، وصلة المسيح بموسى. فالمسيح من سبط يهوذا، وموسى من سبط لاوى. وكلا من يهوذا ولاوى أخوة حسب الجسد من أم واحدة (ليئة) وأب واحد (يعقوب) الذى هو إسرائيل.

---

(١) زوجة إبراهيم الثانية التى أتخذها بعد موت سارة وأنجب منها ستة أبناء ذكور. وهم يقشان، ومدان، ومديان، وشوحا، وزمران ويشباق.

أخوة موسى من الأسباط
(من بنى إسرائيل)
(موسى من سبط لاوى ، والمسيح من سبط يهوذا)
(والعهد والميثاق سيكون من نسل أسحق حسب البيان التالى)



كما أن يهوذا ولا وى أخوة من أم واحدة وهى (ليئة) زوجة يعقوب (إسرائيل).

من البيان السابق يتبين أن أخوة موسى من أسباط بنى إسرائيل. وسبط لاوى الذى منه موسى، هو أخ لسبط يهوذا الذى منه المسيح حسب الجسد، وبالرغم أن (زمران، يقشان، مدان، مديان، يشباق، شوحا) هم أخوة إسحاق وأولاد إبراهيم من زوجته الثانيـة قطـورة التى تزوجها إبراهيم بعد موت سارة. وإسماعيل أيضاً من هاجر جارية سارة، وعلى الرغم أيضاً أن (عيسو) هو أخ توأم ليعقوب (إسرائيل) ومن أم واحدة وأب واحد. ومـع ذلـك أن نسل عيسو(العماليق) لا يعتبر من الأسباط أو الأخوة. وبالتالى لا يعتبر من شعب إسـرائيل

أيضاً. وإذا كان هذا الوضع مع عيسو الأخ الشقيق التوأم ليعقوب من أم واحدة ومن أب واحد، فكيف يكون الوضع بالنسبة لإسماعيل ويعقوب (إسرائيل) وهما من جيلين مختلفين ومن أبوين مختلفين.؟.

أن بنى إسرائيل لم يعتبروا أن نسل إسماعيل ولا نسل الستة المولودون من إبراهيم أو من المولودون من سراريه، ولا نسل عيسو أخوة لهم. بل نظروا إليهم نظرتهم الى الأجنبى. وأنهم جميعاً عابدى أصنام ومشركين، ولا يعرفون الله.

كما أن الله سبحانه وتعالى **لا يعتبر كل هؤلاء المذكورين أخوة لأسحق** بدليل ما ذكر من آيات بشأنهم، وسنذكر بعض من تلك الآيات.

فعلى سبيل المثال نذكر ما جاء فى التوراة عن **(المديانيين)** الذين هم من سلالة **(إبراهيم خليل الله)** من قطورة زوجته الثانية:

"قال الله لموسى: ضايقوا المديانيين واضربوهم لأنهم ضايقوكم بمكائدهم التى كادوكم بها "

(عدد ٢٥: ١٦).

والمديانيين كانوا عابدى أصنام ومشركين.

أما (العماليق)، وهم من نسل عيسو أخو يعقوب، ونسل عيسو هم الذين ضايقوا بنى إسرائيل، **قد أوصى الله موسى عنهم بمحوهم والقضاء عليهم، لفسادهم وشركهم قائلاً:**

" تمحو ذكر عماليق من تحت السماء"

(تثنية٢٥: ١٩).

فلم يعتبر بنو إسرائيل أحداً من غير أسباطهم أخاً لهم بل كانوا يعتبرون الخارجين عن الأثنى عشر سبطاً أجانب ... والأخ محدد عندهم كما جاء فى سفر التثنية **قوله:**

"إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية، وخدمك ست سنين ففى السنة السابعة تطلقه حراً من عندك ".

(تثنية ١٥: ١٢)

أى أن الأخ والأخت يكونوا من العبرانيون أى (من بنى إسرائيل).

وهناك تحديد آخر جاء فى (تثنية ١٧: ١٣-١٦)**، وقد سبق ذكره، وهو أن يكون الملك من بين أسباط بنى إسرائيل وليس ملكاً أجنبياً.**

والحكمة فى التحديد والتحذير لأن الأجانب من غير الأسباط الأثنى عشر كانوا يعبدون الأصنام، ويسلكون فى الشر والخطيئة، فحتى لا يختلط بنى إسرائيل بهم فيفسدوا بفسادهم، ثم تحذيرهم من أن لا يقيموا عليهم ملكاً من هؤلاء الأجانب لئلا يبعدوهم عن معرفة الله الواحد.

فهل سُمع أن بنى إسرائيل فى كل تاريخهم، جاءوا بواحد من نسل إسماعيل أو عيسو وجعلوه عليهم ملكاً، حتى كنا نفسر عملهم هذا بأنهم اعتبروا إسماعيل أو عيسو أخاً لهم. وإذا كانوا لم يقبلوا من نسل إسماعيل، أومن نسل أبناء قطورة أخوة إسحاق، أو نسل عيسو أخ يعقوب التوأم ملكاً عليهم، فإذا كان والحال هكذا مع الملوك، لذلك من الأولي أن لا يقبلوا منهم من بيده أمرهم الديني، وهذا هو بيت القصيد الذى حذرهم الله من أجله أن لا يقبلوا ملكاً من الأجانب لئلا يزيغهم عن عبادة الله الحق.

لأن كل ما هو غير إسرائيلى فى ذلك الوقت فهو وثنى ومشرك بالله.

كما ان الله حذر فى هذه الآية بقوله:

" كل نفس لا تسمع لهذا النبى (المسيا المنتظر) **فى كل ما يتكلم به بأنه سيحاسبها"**

فهل يليق بعدالة الله أن يرسل لبنى إسرائيل العبرانيين، نبياً بلسان غير عبرانى، لسان لا يعرفونه ولا يفهمونه، ثم يعاقبهم بعد ذلك لأنهم لم يسمعوا له ولم يعملوا بكلامه ؟! .

والقرآن الكريم يقول صريحاً فى سورة إبراهيم:

" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه "

إذاً ليس من العدالة أن يُرسل الله نبياً عربياً بقرآن عربى مبين للأمة العربية، وأما اليهود العبرانيون فيرسل لهم نبياً بغير لغتهم ويهددهم بالهلاك إذا لم يسمعوا له. وواقع الحال نرى أن جميع أنبياء بنى إسرائيل اللاحقين لموسى جميعهم من بنى لإسرائيل.

وبالقياس: لماذا لا تنطبق الآية القرآنية الكريمة السابقة على اليهود أيضاً، بأن يكون النبى الموعود به بلسان قومهم أى من بنى إسرائيل ؟. وهذا ما يقرره القرآن، ولا سيما اليهود هُم المخَاطبين فى تلك الآية موضوع الاعتراض التى جاءت بسفر التثنية:

" سيقيم لك الرب نبياً مثلك من أخوتك .."

فى الحقيقة والواقع هذه النبوة **تنطبق على المسيح** الذى جاء بالمعجزات التى فاقت معجزات موسى وجميع الأنبياء. كما انه **عبرانى من العبرانيين لحماً ودماً ووطناً، ولغة وعادة، وسكن وسطهم، ومن بين أخوتهم.**

أما إسماعيل **الذى هو ابن هاجر ونسله من بعده، وأخوته أبناء قطورة ونسلهم، وعيسو الأخ الشقيق ليعقوب ونسله، فهم ليسوا من نسل بنى إسرائيل.**

وقد أكد بطرس الرسول (أحد تلاميذ المسيح) **هذه النبوة موضوع البحث، بالتحديد على يسوع المسيح وليس غيره عندما قال:**

" ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم ... فأن موسى قال للآباء ان نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من أخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به.
ويكون كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب. وكذلك تنبأ بهذه الأزمنة جميع الأنبياء** من صموئيل الى الذين جاءوا بعده، وانتم أحفاد هؤلاء الأنبياء، **وأبناء العهد الذى أبرمه الله لآبائنا عندما قال لإبراهيم بنسلك تنال البركة شعوب الأرض كلها.
فمن أجلكم أولاً أقام الله فتاه يسوع وأرسله ليباركم برد كل واحد عن شروره "
(أعمال: ٢٢-٢٦).

من هذا يتضح أن النبى المقصود كما جاء فى تأكيد بطرس الرسول هو المسيح الذى **يجب أن يسمع له وليس غيره، وهو من بين أخوة موسى ومن وسط شعبه** (أسباطه). **وهذا ما تؤكده التوراة والإنجيل فى مواضع كثيرة.** وهو النبى الذى سيسمع له وكلامه هو **كلام الله. وكما جاء فى إنجيل يوحنا حيث يقول السيد المسيح:**

" الكلام الذى أقوله لا أقوله من عندى، وإنما الآب الحال فيّ هو يعمل أعماله هذه ".
(يوحنا ١٤: ١١).

فى هذه الآية توضح صراحة أن كلام المسيح هو كلام الله الذي ينبغى له السمع. والأعمال التى يصنعها المسيح هى أعمال الله الحال فيه.
وأيضاً يقول:

*" الذى لا يحبنى **لا يحفظ كلامى**،*
والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى "

من الآيتين السابقتين يتضح أن المسيح يتكلم بكلام الله ذاته الحال فيه مباشرة دون وساطة، كما لموسى أن الله يكلم موسى مباشرة وينقل موسى كلامه للشعب دون وساطة جبريل، فكلام المسيح هو كلام الله الحال فيه، وإليه يجب الاستماع.

١٦ – أيضاً، من أوجه التشابه فى الهدف بين موسى والمسيح. أن موسى بدأ الطريق لتعريف الإنسان بالله وصفاته، ورموز الذبيحة الكفّارية المؤقتة.

والمسيح أكمل هذا الطريق بتعريف الإنسان بذات الله وأقانيمه، والمرموز إليه فى الذبيحة الكفارية الدائمة.

١٧ – المسيح هو النبى الذى يقول الله عنه " **له تسمعون** ". وقد جاء فى متى :

" *وفيما هو يتكلم* (المسيح) *إذا بسحابة نيرة ظللتهم*
(موسى - إيليا - المسيح)،
وصوت من السحابة (صوت الله) *قائلاً:*
" *هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت. له اسمعوا* " .
(متى١٧: ٥:)

وظهور المسيح مع موسى تحديداً يوضح تلك العلاقة الرمزية، ويؤكدها الله الآب بصوت مسموع والذى سمعه تلاميذ المسيح اللذين يرافقونه على جبل التجلّى بقوله:

" *هذا هو أبنى الحبيب الذى به سررت.* " *له اسمعوا*.

وعندما تكلم الله اختفت السحابة وموسى وإيليا وبقى المسيح فقط، أى أن كلام الله خاص بالمسيح، ويجب أن يكون له السمع.

وهذا نفس ما جاء فى آية البحث فى (تثنية ١٨: ١٨) " ...*له تسمعون*" ليعيد الله تذكرة شعبه عن النبى الآتى. وهذا الأبن هو المسيح، وهذه العبارة تكررت قبل ذلك عندما كان المسيح يعتمد فى نهر الأردن.

أى أن الله هنا يحدد الشخص المعّين الذى ينبغى له السمع والذى سبق وأشار إليه فى تثنية ١٨. وفى كلا الحادثين الله هو المتكلم.

وهذا يتوافق مع ما جاء فى التثنية:

" *لهذا يقيم الرب إلهك نبياً من وسطك من أخوتك. له تسمعون* ".

وهو نفسه النبى الآتى الذى يسمع له بنى إسرائيل وكلام الله فى فمه، لأنه هو كلمة الله. وكما جاء فى أعمال الرسل **فى العهد الجديد عن المسيح،** الذى جاء **كمثل موسى** قوله:

" فإن موسى قال للآباء أن نبياً مثلى، سيقيمه لكم الرب إلهكم من أخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به "

(أعمال الرسل٣: ٢٢)

وهذه شهادة أخرى صريحة وواضحة من ذات رُسل المسيح، بعد أكثر من ١٥٠٠ سنة من منطوق النبّوة عن النبى الآتى الذى سيكون مثل موسى، وهى تحقيقاً للنبوة التى جاءت فى التثنية:

" لهذا أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أحاسبه."

(تثنية ١٩،١٨:١٨-١٠).

١٨ - وفى نفس الآية موضوع البحث يسأل الرب ويجيب عن كيفية معرفة هذا النبى المُشار إليه قائلاً:

" وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام (أى كيف نميّز) ***الذى لم يتكلمه الرب ؟. فما تكلم به النبى ولم يصر*** (أى لم يتحقق) ***فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب.".***

وعند استعراض جميع أقوال وكلمات السيد المسيح نرى بوضوح فى كل كلمة وحرف نطق به كم هائل من النبوءات التى لا يمكن جمعها فى كتاب واحد، وكلها تحققت سواء أثناء حياته أو بعد صعوده الى السماوات أو فى يومنا هذا. فإن السيد المسيح هو روح النبّوة. وهذه النبوءات تتحقق سنة بعد أخرى، وجيل بعد جيل، ونبوءات أخرى كثيرة نحن فى انتظار تحقيقها. لأن نبوءات السيد المسيح ليست قاصرة على جيل معيّن بل تحوى كل الأجيال، وحتى المجيء الثانى للسيد المسيح فى نهاية العالم وقتله الدجال، وما بعد المجيء الثانى فى الحياة الأبدية. ودينونته للعالم.

ولم ينطق نبياً من الأنبياء بهذا الكم الهائل من النبوءات مثل ما نطق به السيد المسيح. **كما ان السيد المسيح صنع المعجزات التى تؤيد كلامه** وبذلك يكون كلامه هو الكلام الحق الذى يجب الاستماع له **" له تسمعون". لأننا لو بحثنا فى تاريخ كل الأنبياء لن نجد نبياً واحداً، أو كل الأنبياء مجتمعين، صنع ما صنعه المسيح من المعجزات الخارقة لكل النواميس الطبيعية والكونية فى مدة ثلاثة سنوات ونصف فقط،** وهى مدة كرازته. **وهى أقل مدة قياساً لمدد الأنبياء الآخرين التى تتراوح رسالتهم ما بين عشرون عاماً وثمانون عاماً،**

ومع ذلك فأن أسم المسيح ساد كل أركان العالم، وهو الاسم الأكثر أنتشاراً فى كل قارات الأرض.

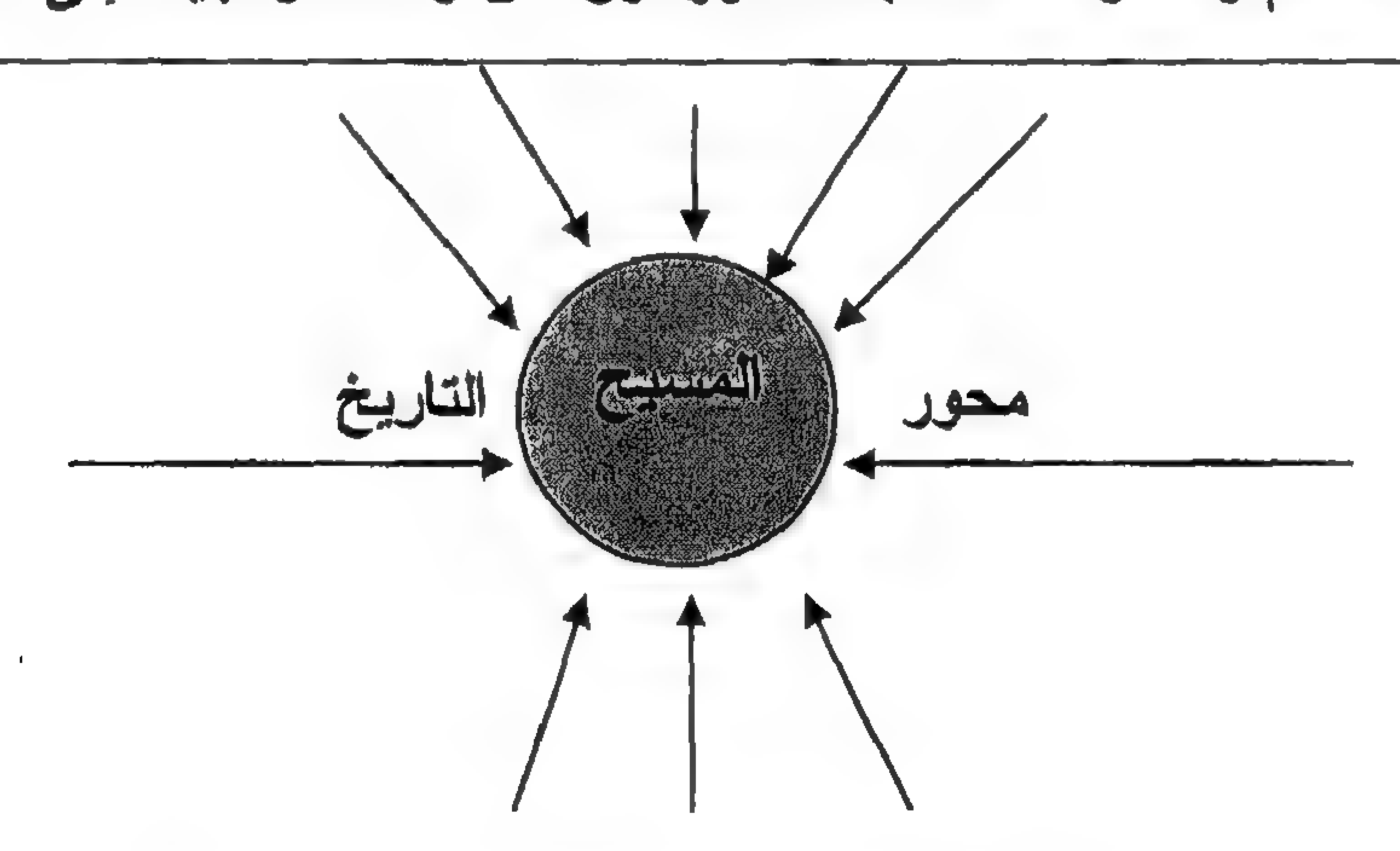
وبالتالى فقد كانت رسالته مختلفة عن جميع الأنبياء، وكان شخصه هو هدف وغاية رسالات السماء، والذى فيه تجلى الله على الأرض، ظهر فى الجسد، فقد كان الإنجيل إنجيله، والكلام كلامه، وله يكون السمع والطاعة، وهو محور وجوهر الوحى الإلهى والنبوة، وجوهر التاريخ ومركزه:

" فأن شهادة يسوع هى روح النّبوة "

(رؤ١٩: ١٠).

وقد كتب تشارلز سيرجن أكبر وأشهر وعاظ إنجلترا يقول عن المسيح:

ليسوع المسيح المركز الأول فى تاريخ العالم، كل ما جاء قبله يشير إليه، وكل ما جاء بعده يتحدث عنه، كل خطوط التاريخ تلتقى عنده، كل أحداث التاريخ تدور حوله، كل أهداف الله ومقاصده تكتمل فيه، أعظم وأخطر حدث سجله المؤرخون كان ولادته ومجيئه إلى العالم.



أذن المسيح هو محور التاريخ، وبؤرة الأحداث، وشمس البر، وفيه وبه ملتقى كل النبوات.

ولذلك كان المسيح هو رجاء جميع الأنبياء، وقد تنبأوا عنه فى كل كتبهم المقدسة، وجميع الأنبياء أشتهوا أن يروه وأن يسمعوه :

" أن أنبياء وأبرار كثيرين أشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا.
وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا "

(متى١٣: ٧)

وأيضاً أعلن ذاته قائلاً:

" لأنى أقول لكم إن أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما انتم تنظرون ولم ينظروا، وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا ".

(لوقا ١٠: ٢٤).

أذن المسيح هو مشتهى الأجيال والأمم والأنبياء، وهو النبى الآتى حسب الجسد الذى ذكره موسى فى التثنية "*نبى مثلك من بين أخوتك* ". فأن كثيرين منهم اشتهوا أن يروا ما يرونه التلاميذ ولم يروا، **وان يسمعوا ما يسمعون ولم يسمعوا، لأنه هو المتنبأ عنه الآتي، وله يكون السمع والطاعة، ومن لم يسمع له، سيحاسبه الله سبحانه.**

١٩- وليس التشابه فقط فى كل ما سبق، بل أيضاً فى الظروف التى أحاطت بطفولة موسى وطفولة المسيح: كان فرعون ملك مصر أمر بقتل كل ذكور بنى إسرائيل الذين يولدون، فقد قتل من أبناء الإسرائيليون الذكور الآف الأطفال، **ومع ذلك عاش موسى..**

وهيرودس ملك اليهود أمر بقتلٰ كل الأطفال الذكور ببيت لحم من بنى إسرائيل حتى يكون المسيح واحداً منهم، وقتل منهم الآلاف، **ومع ذلك عاش المسيح ..**

٢٠- تبنت ابنة فرعون موسى وأقام فى قصر فرعون مدة أربعين سنة، ومع ذلك عندما كبر "*أبى أن يدعى ابن فرعون* " (عبرانيين١١:٢٤)، **وربما واتته الفرصة ليصير وريثاً لعرش مصر**، ولكنه رفض تلك البنوة **ورفض أن يكون ملكاً أو وريثاً للعرش.**

والمسيح رفض كل مجد عالمى وقال " *مجداً من الناس لست أقبل* " (يوحنا٥: ٤١).. **وفى إحدى المرات** " إذ علم أنهم (بعض اليهود) **مزمعين أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً أنصرف** أيضاً الى الجبل وحده " (يوحنا٦: ١٥).. **رافضاً أن يكون ملكاً أرضياً على بنى إسرائيل.**

٢١- بعد خروج بنى إسرائيل من مصر حاربوا شعباً يُعرَف بأسم **عماليق**، بينما كان الإسرائيليون يقاتلون عماليق، **وقف موسى على أعلا التل باسطاً يديه مثل الصليب. وحينما كانت ترتفع ذرعاه كان إسرائيل ينتصر، وحينما كانت ترتخى كان إسرائيل ينهزم. لذا تخصص اثنان ليسندا ذراعيه حتى تظل مرفوعتين مثل الصليب، وهما حور وهارون** (خروج٧: ٨-١٣).. **وبهذه الوسيلة انتصر إسرائيل على عماليق.**

ونحن ننال الغلبة بواسطة المسيح المصلوب الباسط يديه أعلى تل الجلجثة على الصليب .. وبذلك ننال الغلبة والانتصار على عماليق الروحى إبليس.

ونضيف إلى ما سبق بعض التشابهات بين موسى والمسيح من كتاب هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبى آخر يأتي بعد المسيح؟ (١):

٢٢- **يقول احمد ديدات: عن موسى ومحمد**، كان كل منهما نبياً وزعيماً **قاد معارك** حربية وكان لهما السلطة التنفيذية في إصدار حكم الموت وتنفيذه، أما **المسيح فقد كان من** فئة الأنبياء الذين لا حول له ولا قوة في مواجهة المواقف العسيرة !! وعندما حوكم المسيح أمام بيلاطس قال:

" *مملكتى ليست من هذا العالم* " (يو١٨: ٣٦)، **ومن ثم فهو لا يشبه موسى!.**

من الواضح أن احمد ديدات لا يفهم إلا لغة العنف والقوة الحربية !! فالمسيح واجه أصعب المواقف بقدرة إلهية لا يملكها أحد سواه!! لو أستخدم المسيح فيها القوة وهو القادر، لسالت الدماء ومات المئات، وترمل المئات من النساء وتيتم الآلاف من الأطفال !!

(لأنه يملك القدرة العلوية التى لا تتوفر لأعتى الجيوش إذا أراد ذلك)

فهل كان المسيح لا حول له ولا قوة كما يزعمون ؟!! أم كان هو القوى ولكنه الوديع المحب الذى لم يأت ليهلك بل ليخلص، كقوله:

" ***لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص*** "

(لو٩: ٥٦).

٢٣- **أما القول** بأن المقصود بقول النبّوة: " **وأضع كلامى في فمه** " (٢)، هو وضع جبريل الكلام في فم نبى المسلمين، ودلالة على أن النبى المقصود سيكون أمياً !! يدل على أن هؤلاء الكُتاب لم يفهموا الكتاب المقدس جيداً، **فهذا القول قيل لجميع الأنبياء**، **وكذلك عن تلاميذ المسيح ورسله. فقد وضع الله كلامه في فمهم جميعاً:**

ويقول الكتاب عن أشعياء النبى:

"قد جعلت أقوالى في فمك "

(أش٥١: ١٦)

وقال الكتاب عن إليا النبى:

" ***فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله، وأن كلام الرب في فمك حق*** "

(١مل١٧: ٢٤)

---

(١) للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير ص ٤٧ (٢) المرجع السابق ص ٥٤، ٥٥

وقال ارميا النبى بالروح:

" ومد الرب يده ولمس فمى وقال الرب لى،
ها قد جعلت كلامي في فمك "
(ار١: ٩)

وقال لحزقيال النبى:

" روح الرب تكلم فيّ وكلمته على لسانى"
(٢صم: ٢٣: ٢)،

ويقول العهد الجديد:

"تكلم الله بفم انبيائه القديسين"
(لو١: ٤٨)، (لو٧٠:١)، ،(اع١: ١٦)، (اع٣: ٢١)، و(اع٤: ٢٥)

وأيضاً:

"لستم انتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم"
(مت١٠: ٢٠)

ولكن هذه النبّوة تحديداً (موضوع البحث)، **تنطبق بصورة أروع وأدق فـي شـخص الرب يسوع لأنه " كلمة الله المتجسد "، وما يخرج من فمه هو كلام الله، وما يقوله هو ما يضعه الله على فمه كنبى.** قال الرب يسوع :

"الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى .
الكلام الذى تسمعونه، ليس لى بل للآب الذى أرسلنى"
(يو١٤: ٢٤).

وقال مخاطباً ألآب:

" لأن الكلام الذى أعطيتنى قد اعطيتهم " **(يو١٧: ٨)**

كما ينطبق عليه قول النبوة " **فيكلمهم بكل ما أوصيه**، حرفياً حيث يقول:

" لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى ارسلنى
هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم ان وصيته هى حياة أبدية.
فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم"
(يو١٢: ٤٩و٥٠).

كما أن القول **أن وضع الكلام في فم النبى**، **هو دليل على إنه، هذا النبى المقصـود فى النبوّة، سيكون " أمي "، هذا قول غير منطقي وذلك لأن:**

أولاً : لأن أنبياء إسرائيل الذين وضع الله كلامه في أفواههم كان معظمهم متعلمين، ومع ذلك وضع الله كلامه في أفواههم ومنهم موسى النبى نفسه الذى وضع الله كلامه في فمه!.

ثانياً: كيف تكون هناك مماثلة وتشابه بين المتعلم والذى تهذب بكل حكمة المصريين، والأمى الذى يقولون أنه لا يعرف القراءة والكتابة؟!!. (أى لا يوجد تشابه فى تلك الصفة).

اما وجه الخلاف بين موسى ونبى المسلمين هو خلاف جوهرى يقطع بعدم التماثل بينهما، سواء من جهة الشخصيتين، أو من جهة التماثل النبوى المقصود أصلاً في النبّوة (١):

١- فموسى جاء من شعب الله المختار، ونبى المسلمين جاء من العرب.
٢- موسى ولد في مصر. وهو في مكة.
٣- موسى حفظه الله من خطر الموت الذى أحدق به وقت ميلاده، وهو لا.
٤- مات موسى ميتة طبيعية وحرس الملاك ميخائيل قبره، وهو لا.
(إذ يقال، أنه مات بتأثير السم الذى دسته له امرأة يهودية (٢)).

---

(١) للقس عبد المسيح بسيط أبو الخير ص ٥٧

(٢) من المرجع السابق ص ٤٩، ٥٠، تقول كتب الأحاديث والسير أن امرأة يهودية هى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكيم أهدت النبى شاه مسمومة، فأخذ مضغة فلاكها ثم لفظها، وقال لأصحابه امسكوا (امتنعوا)، فإن فخذها تخبرنى إنها مسمومة.. أما بشر بن البراء (الذى ابتلع ما أكله من الشاة)، قال بشر والذى أكرمك لقد وجدت (أحسست) ذلك من أكلتى حين التقمتها فما منعنى أن ألفظها إلا أني كرهت أن أبغض إليك طعامك... فأرسل النبى إلى اليهودية فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: نلت من قومى ما نلت ! قتلت أبى وعمى وزوجى فقلت إن كنت صادقاً فإن الله سيطلعك على ذلك، وأن كنت كاذباً أرحت الناس منك. فمات بشر بن البراء الذى أكل من الشاه قيل في الحال، وقيل بعد عام. ثم أمر النبى بقتل هذه المرأة فقتلت وعاش النبى بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى قبض (مات) فيه وجعل يقول في مرضه ما زلت أجد (أعانى)، من الأكلة التى أكلتها في خيبر وهذا أوان انقطاع أبهرى (وريد القلب)، من ذلك السم. وجاء في المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، وصحيح البخارى حديث ٦١٦٥ وكذلك "فتح البارى شرح صحيح البخارى" للأنام ابن حجر العسقلانى، وكذلك "فيض القدير، شرح الجامع الصغير" للإمام المناوي، و "كنز العمال" للمتقى الهندى، والحاوى للفتاوى للإمام السيوطى، وهذه عقيدة، السلف والخلف لأبن خليفة عليوي ، والبداية والنهاية لأبن كثير، و" محمد صلى الله عليه وسلم لمحمد رضا في مكتبة الجامعة العربية" قال عروة: كانت عائشة- رضى الله تعالى عنها- تقول: كان رسول الله صلعم يقول في مرضه الذى توفى فيه **"يا عائشة أنى أجد الطعام الذى أكلته بخيبر، فهذا أوان أنقطاع أبهرى من ذلك السم". ولا تعليق.**

٥- أجرى الله على يدى موسى عشرات المعجزات التى شاهدها عشرات الآلاف من بنى إسرائيل والمصريين، وهو لا.

٦- موسى كلم الله وجهاً لوجه وفماً لفم وتناقش مع الله وسمع صوت الله ورأى شبه مجده، وهو لا.

٧- موسى عبر ببنى إسرائيل البحر الأحمر ولم يغرق منهم أحد، كما أطعمهم الله عن طريقه بالمن والسلوى الذى نزل من السماء، وهو لا.

٨- تربى موسى في قصر فرعون كأمير وتعلم بكل حكمة المصريين، وهو حسب الاعتقاد الإسلامى العام أمى لا يقرأ ولا يكتب.

٩- بدء موسى نبوته في عمر الثمانين عاماً، وهو في عمر الأربعين.

١٠ - موسى توفى وعمره ١٢٠ سنة، وهو توفى وعمره ٦٣ سنة.

المسيح هو النبّى الآتى:

ولكل هذه الأسباب أعتقد اليهود وأتباع المسيح اعتقاداً جازماً بأن المسيح هو النبى الآتى، ولذا أرسل اليهود الكهنة إلى يوحنا المعمدان ليسألوه من أنت ؟. عندما كان يبشر بالملكوت ويعمد الناس فى نهر الأردن. **لأنهم كانوا يتوقعون ظهور المسيا** (المسيح) **في ذلك الوقت، وهو** النبى الذي **مثل موسى** الذي سيأتى من بنى إسرائيل **فى تلك الفترة على حسب التقدير الزمنى الوارد فى سفر دانيال عن (السبعون أسبوعاً).**

وقد ورد فى إنجيل يوحنا (يوحنا١: ١٩-٢٢). قوله:

" *وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين* ***ليسألوه من أنت.؟***

فاعترف ولم ينكر وأقر ان لست أنا المسيح،

فسألوه إذاً ماذا ؟ . إليا أنت ؟. فقال لست أنا. النّبى أنت. فأجاب لا .

فقالوا من أنت لنعطى جواباً للذين أرسلونا ؟. **ماذا تقول عن نفسك ".**

(يوحنا١: ١٩-٢٢).

لجنة تحقيقات وتقصى الحقائق:

توجد سلطة تنظيمية عُليا فى كل الديانات، تصدر الفتاوى وتشرف على مقدرات الدين ومقدساته. وفى خلال حياة الرب يسوع على الأرض، كان يوجد " **مجلس السنهدريم** " وأعضاؤه سبعون من شيوخ وكهنة ولاويين وفريسيين **يرأسهم رئيس كهنة** إلا أن هذا المجلس زال بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م. أن رؤساء الكهنة لما رأوا ما كان عليه **يوحنا**

المعمدان من العيشة النسكية، والسيرة الملائكية وما صنعه من الأعمال، **فقد كان فيه من العوامل ما لفت أنظار هذا المجلس إليه.**

فأولاً : كان رجلاً متقشفاً على غير المعتاد بل وأكثر مما تطلبه شريعة النذير (سفر العدد ٦). إذ كان يلبس وبر الجمال ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلاً برياً. **وفي هذا المظهر كان يشبه إيليا نبى إسرائيل المشهور** (متى٣: ٤ ، ٢ مل١: ٨) .

وثانياً : أنه كان يدعو بجرأة للتوبة . "***توبوا فقد أقترب ملكوت السماوات .... يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى*** ".(متى ٣).

وثالثاً : لأنه كان **يُعمد بالماء** غطساً فى نهر الأردن ، فأنحاز له تلاميذ وصار له معجبون ... **وكثيرون وأعتبروه كنبى ..**

هكذا جاء اهتمام رجال السنهدريم به، فأرسلوا له مندوبين **للتحرى والتعرف به، وهذا نشاط طيب من جهة المجمع،** لأنه جيد ألا تترك الأمور الروحية لكل من يدعى. وجيد أن تفحص الأمور بدقة، ربما يكون فى البحث فائدة ومصلحة .. هكذا جاء المندوبون بصفة رسمية يسألونه .. **إيليا أنت - النبى أنت** (١) ؟.

وكانوا يعتقدون فى أنفسهم أن وظيفتهم تقضى عليهم أن يسألوا يوحنا هذا السؤال **هل أنت المسيح** النبى الآتى، لأنهم رأوا **علامات وقت مجيئه وزمان مولده بالتحديد من كُتب الأنبياء،** وذلك بزوال قضيب الملك من يهوذا، **وانقضاء أسابيع دانيال التى تحدد مولد المسيح، فظنوا أن يوحنا المعمدان هو المسيا المنتظر كما جاء بأشعياء وملاخى النبيان،** والذى بشر **بمجيئه الأنبياء، وموسى يدعو ذلك النبى بسفر التثنية بأنه مثله ومن بين أخوته، فتقدموا إلى يوحنا** (الذى يسبق المسيح فى مولده بـ ٦ شهور فقط) **بهذا السؤال.**

فلما أنكر يوحنا كونه **المسيح.** عادوا فسألوه إن كان هو **إيليا** بالذات لأنه كان يجب على اليهود أن يفهموا أن يوحنا يتقدم **بروح إيليا.** (انظر متى١٧: ١٠)، و (مرقس٩: ١١)، و(متى١٤:١١)، و(لوقا١: ١٧).

---

(١) فى بداية الوحى لم تضح بعد فكرة لاهوت المسيح لليهود، ولكنها اتضحت رويداً رويداً تدريجياً مع تسلسل الأنبياء، حيث أن اليهود بفكرهم المادى، لم يدركوا أن المسيا (المسيح) هو ذاته النبى الآتى مثل موسى إلا فى وقت لاحق، ولم تضح لهم بصورة كاملة إلا عندما جاء المسيح <u>ليوضح لهم إنه هو النبى المنتظر الذى أشار إليه موسى النبى فى سفر التثنية</u> كما سبق التوضيح.

وقعوا فى حيرة وفكروا إنه ربما كان "**النبّى**" الذى تنبأ عنه موسى فى سفر (تثنية ١٨: ١٨). والذى سبق توضيحه وهو **النبى** الذى مثل موسى **ومن بين أخوته من بنى إسرائيل**.

وموسى هذا أيضاً سابق آخر **يتقدم مجيء المسيح** لذا سألوه قائلين " **النبّى أنت؟** " **أي النبّى الذى تنبأ عنه موسى. وبعد أن أتضح لهم جلياً، أن المسيح هو النبى الآتى قال** اليهود عند دخول المسيح أورشليم:

" هذا يسوع النبّى الذى من ناصرة الجليل ". (متى٢١: ١١).

" وهو النبى الآتى "

أى أن يسوع المسيح هو النبى المنتظر والذى أشار إليه موسى النبى، وذكره متى الرسول فى الآية السابقة، وكذلك ما أكده بطرس الرسول كما أوضحناه سابقاً.

ومع أن موسى سجّل نبوات كثيرة قالها آخرون عن المسيح، إلا أن هذه النبوة بالذات هى التى قالها موسى نفسه عن المسيح. وعن هذه النبوات قال المسيح لليهود:

" لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى "

(يوحنا٥: ٤٦).

وقال فيلبس لنثنائيل " وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة "

(يوحنا٤٥:١).

ويوحنا المعمدان الذى كان نبياً عظيماً بشهادة المسيح نفسه (متى١١: ٩-١١، لوقا٧: ٢٦-٢٨). **كان فى ذهنه هذا المفهوم المحدّد لشخص " النبى " بالألف واللام، ليحصره فى شخص واحد بعينه دون غيره من الأنبياء، أى شخص المسيح. ولذلك فأن يوحنا نفى عن نفسه أن يكون ذلك "النبى". فعندما أرسل إليه اليهود كهنة ولاويين ليسألوه ... النبى أنت ؟ أجاب لا ...** (يوحنا١: ٢١ ، قارن ١: ٢٥).

وهو نفسه قال الناس عن المسيح عندما صنع معجزة الخمس خبزات والرغيفين قالوا:

" هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم "

(يوحنا٦: ١٤).

*** حقيقة كون المسيح نبياً :**

أما عن كون المسيح نبياً فنقول إنه أخبرنا بأمور آتية فهو يشغل وظيفة " النّبى " وليس فى هذا الأمر غضاضة. لأننا لا نقول – كالآخرين - أنه مجرد نبى فقط. وإنما نقول عنه فى نفس الوقت أيضاً أنه " **ابن الله**" وأنه هو " **الله الذى ظهر فى الجسد** " وصار " ابن الإنسان " **فهو " النّبى " و " الكاهن" أيضاً وهو " الذبيحة "** وهو الكاهن الذى قدمها.

وكان بعض اليهود فى اعتقادهم القاصر المادى، كانوا يعتقدون فى المسيح الآتى، بأنه قائداً عسكرياً يخوض بهم المعارك ويقاتل الرومان ويخلصهم من استعبادهم وإذلالهم، ويملك العالم المادى ويكون ملكاً قوياً ليحررهم. استناداً بما جاء فى اشعياء النبى:

" يبشر المساكين وينادى للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق "

(اشعياء٦١).

وكذلك فى مزامير داوود، وملاخى النبيان الذين يقولا عن المسيا المنتظر:

" وسيملك على صهيون جبل قدس الرب وستعطى له أقاصى الأرض "

(مذمور ٢ ، وملا١:٣)

فهكذا كان اليهود ينتظرون قائداً عسكرياً وملكاً قوياً ليحررهم من الذل والعبودية الذى بلغ أشده تحت نير الرومان، حتى تطلب الحال المجيء الفورى لذلك المخلّص، وقد غاب عن ذهنهم بأن المسيح سيكون ملكاً وفادياً ومخلّصاً روحياً، ليحررهم من الخطيئة والإثم وعبودية الخطيئة، وليس قائداً عسكرياً.

ولذا أختلط عليهم فى بادىء الأمر، هل المسيح والنبى شخصان منفصلين أم هما لشخص واحد؟. ولكن بعد أن فهموا الحقيقة دخلوا فى الإيمان الغالبية منهم وعلى رأسهم تلاميذ المسيح ورسله، لذا جاء فى إنجيل يوحنا:

" فيلبس وجد نثنائيل . وقال وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة ".

(يوحنا١: ٤٥-٤٦)

وفيلبس ونثنائيل هذان من تلاميذ السيد المسيح، وكانوا يعرفان عن نبوات موسى والأنبياء عن النبى الآتى، مثلهم كمثل رجال السهندريم والكهنة والشيوخ.

==================================

القضية الثانية:
البركة الخاصة بإسحق، والبركة الخاصة بإسماعيل، ومن هو الذبيح.

الاعتراض:

يقولون أن التحريف أصاب التوراة أيضاً بسبب قيام اليهود باستبدال أسم أسحق بإسماعيل، فى المواعيد والامتيازات والبركات التى خصها الله له، وبالتالى قالوا أن الذبيح هو اسحق وليس إسماعيل، لكى يثبتوا أن الأنبياء قاصرين على نسل إسحق.
لذا حرّف اليهود فى كتابهم (التوراة) باستبدال أسم أسحق بدلاً من أسم إسماعيل الذى هو الابن البكر لإبراهيم، وقد وافقهم النصارى على ذلك ؟.

التحليل:

وكما تعودنا فى أبحاثنا الالتزام التام **بالحيدة الكاملة للوصول الى الحقيقة المجردة**، وبالمنطق العقلى الذى ميزا الله به الإنسان من دون مخلوقاته، **بغض النظر** عن هذا الفكر أو الرأى الذى يتوافق أو يختلف معنا. **ولذا مهما تكن الآراء المطروحة نأخذها بجدية تامة وبحيدة كاملة**، لأن البحث **والتدقيق** ضرورى لتلك الأمور **مستعينين بالمعلومات الواردة فى الكتب المقدسة، لأنها المصدر الأساسى والوحيد الموثوق فيه**، لأن **" كُتب التاريخ "** لم تسجل لنا قصة إبراهيم أو إسماعيل أو إسحق أو يعقوب ...الخ، **ولذا الكُتب السماوية هى المصدر الوحيد الموثوق فيه لتلك الحقائق، ولا يوجد كتاب آخر على ظهر الأرض يحكى قصة إبراهيم** بصورة دقيقة وتفصيلية سوى **" التوراة " فقط**، وإذا وجدت قصة إبراهيم فى كتاب آخر مؤلف بواسطة الكُتّاب أو كُتب المفسرين، **فأنها حتماً ولابد وأن يكون مصدرها الوحيد الكُتب المقدسة، وعلى وجه الخصوص (التوراة).**

ولذلك سنأخذ تلك القصة كاملة من مصادرها الأصلية
وهى من التوراة ذاتها، لعدة أسباب:

الأول: لأنها أول كتاب وأقدمها تاريخياً ذكر تلك القصة.

الثانى: لأنها أقرب زمناً من أحداثها الواقعية على أرض الواقع والتاريخ. لأن المدة المحصورة بين أحداث قصة إسماعيل وإسحق وبين كتابتها فى التوراة (٤٠٠ سنة) تقريباً، منها مائة عام فى حياة إبراهيم، لأن إبراهيم مات عن عمر (١٧٥ عاماً)، وأحداث القصة بدأت عندما كان عمر إبراهيم ٧٥ عاماً، كما أن القصة **تداولت بالتواتر من إبراهيم وأبناءه**

وأحفاده فى تلك الفترة القصيرة، ولا سيما كان **متوسط الأعمار** فى ذلك الوقت **طويلة نسبياً بالنسبة لوقتنا الحاضر**، أى أن تلك القصة كانت معروفة **بين أحفاد إبراهيم شفوياً** ومعاصرة لهم، **ومنقولة بالتواتر**، لأن كل جيل من الأبناء كان **معاصراً للجيل الذى قبله والجيل الذى بعده ولم تنقطع تلك القصص من مصادرها الرئيسية وأحداثها التى تتابعت لرجال الله**، حتى تم تدوينها **وتأكيدها** فى التوراة **بالوحى**، أما المدة بين أحداث تلك القصة **وبين الإنجيل** مدة تصل الى **(١٥٠٠ سنة)** تقريباً، وبينها **وبين القرآن (٢١٠٠ سنة)** تقريباً.

الثالث : أن التوراة هى كتاب الله كُتبت بالوحى الإلهى، وليس من تأليف بشر.

الرابع : التوراة هو **الكتاب الوحيد** الذى ذكر القصة الكاملة لأسحق وإسماعيل، **وبالتفصيل المُسهب**، بكل أطوارها، وأبعادها، وجوانبها الروحية والنفسية والمادية، **وكل ما يترتب على تلك الجوانب من نتائج** استمرت عشرات القرون **لتثبت صحتها. وأشار إليها الإنجيل وما جاء به يؤكد ما جاء فى التوراة** بشأن **أسحق** والعهود الإلهية.

الخامس: أن الإنجيل يؤيد صراحة قصة إسحاق **وإنه هو الذبيح**، وقد أشار إليها السيد المسيح ورسله الأطهار فى الإنجيل.

أى أن التوراة والإنجيل متفقتان تماماً بأن الذبيح هو إسحاق.

السادس: القرآن الكريم لم يذكر صراحة من هو الذبيح، هل هو أسحق أم إسماعيل؟، والقرآن الكريم كان **فى مقدوره** بدون شك **أن يحسم هذا الأمر بنص قرآنى قاطع لا يقبل الاحتمال أو الشك، كما حسمتها التوراة والإنجيل من قبل**، ولاسيما أن هذا **الموضوع هام لمعرفة المواعيد الإلهية** لكل من أسحق وإسماعيل، **وتأثيره على تسلسل الأنبياء** من بين بنى إسرائيل، **ومع ذلك لا توجد أى آية قرآنية على الإطلاق تصرّح أو تعلن، سواء تلميحاً أو ضمناً يؤيد أن الذبيح هو إسماعيل. وأيضاً لا توجد أى آية تنكر أن الذبيح هو إسحق.**

وهذه القصة شغلت كثيراً أذهان المفسرين الإسلاميين فى عصور مختلفة ولكنها لم تُحسم، كما أن هذه القصة جاءت بالقرآن الكريم باختصار شديد بغير تفصيل، مثلها مثل قصة " قايين وهابيل " أبنى آدم، **ولم يوضح القرآن الكريم أيضاً من قتل الآخر هل قايين القاتل أم هابيل..؟ أضف** إلى ذلك **لم يذكر القرآن الكريم أسماء أبنى آدم، كما جاء فى** سورة المائدة:

" *وأتل عليهم نبأ أبنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً **فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر** قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك أنى أخاف الله رب العالمين* ".

وفى هذه الآية **لم توضح صراحة من قتل من، وأيضاً لم توضح أسماء أبنى آدم، والتوراة ذكرت صراحة دون لبس أن قايين هو الذى قتل هابيل مع توضيح أسماءهما، وكذلك ذكرها الإنجيل**، وذكر الأسباب التى أدت لذلك **والمفسرين الإسلاميين وافقوا التوراة فى مسألة قتل قايين لهابيل**، كما **ذكرتها التوراة**، والتوراة أوردت الأسباب التى أدت لذلك، **مثلها مثل قصة أسحق الذى جاء ذكرها صراحة فى التوراة والإنجيل وبالتفصيل أن الذبيح هو إسحاق** والأسباب التى أدت لذلك. **وربما أن عدم ذكر القرآن الكريم بالتصريح فى شأن أسحق، ومن هو القاتل فى** أبنى آدم، **يرجع للمقولة التى تقول فى الأحاديث الصحيحة:**

" بأن ما لم يرد فيه نص قرآنى صريح، يمكن الرجوع فيه لأهل الكتاب "

****

الوعد الإلهى لإبراهيم:

وهو العهد الذى قطعه الله مع إبراهيم فى أن يكون له نسل من صلبه (اسحق) **وبالتحديد من (سارة) امرأته وليس من غيرها، وفى نسله تتبارك فيه جميع أمم الأرض، وفيه يتم العهد ويجعل نسله كرمل البحر.**

أما بركة إسماعيل والذى طلبها إبراهيم من الرب **فهى أيضاً بركة أعطاها الرب لإسماعيل بأن يخرج من نسله شعباً كبيراً، أثنى عشر رئيساً يلد.**

أما العهد والميثاق، الذى قطعه الله مع إبراهيم سيكون من نسل أسحق ومنه ليعقوب (إسرائيل). **والذى سيأتى منه المسيح، وفى نسله (المسيح) تتبارك فيه كل أمم الأرض.**

وهذه القصة موجودة بكل تفاصيلها وبكل الوضوح فى سفر التكوين فى الإصحاحات ١٥، ١٦، ١٧، والعدد من ١-٧ فى الإصحاح ٢١، وكذلك فى الإصحاح ٢٤ فى الأعداد الأولى منها. وعلى القارئ الرجوع إليها ليتأكد من صدق القصة كاملة بدون حذف أو تأويل أو تفسير. **وفى هذه الإصحاحات كل الأدلة الخاصة بالعهد والميثاق فى أسحق ونسله.**

ولإلقاء الضوء على تلك الحقيقة وإثباتها سنقوم **بعرض بعض من آيات التوراة التى جاءت فى تلك الإصحاحات المقدسة**، والتعليق عليها وتحليلها بكل أمانة وموضوعية من **التوراة ذاتها**، وليست لرأى شخصى، **وفى هذه الآيات القصة الكاملة للوعد الإلهى لإبراهيم وقصة مولد إسماعيل وأسحق.**

كما سنذكر التفاسير القرآنية فى هذا الموضوع ذاته **من علماء الإسلام ومن هو الذبيح حسب ما جاء فى تفسير ابن كثير وغيرهم، وبدون تعليق، مكتفياً بالتفاسير الإسلامية.**

أولاً : قصة إسحاق وإسماعيل حسب ما جاء بالتوراة.

كان أبرام يسكن **فى** أور **الكلدانيين** فى أرض ما بين النهرين **(جنوب العراق حالياً)** مع أهله وعشيرته، وكان أسم والده **(تارح)** وله من الأبناء ثلاثة (إبرام، وناحور، وهاران)، وكان أهل تلك البلاد **يعبدون الأصنام، ولكن إبراهيم بفكره لم يقتنع بعبادة الأصنام المصنوعة بالأيادى والتى لا تنفع أو تضر**، وعرف بفكره أنه لا بد وأن يكون هناك خالقاً عظيماً خالق كل المخلوقات. **وربما أختبر قوة الله فى مخلوقاته، ولذا كان يبحث عن الإله الحقيقى الذى خلقه وخالق كل خليقة**، ولا بد وأن يكون هذا الإله، **إلهاً مختلفاً عن كل ما يعبدونه من دونه.**

ونزحت تلك الأسراة الصغيرة من تلك البلاد بناء على **" أمر إلهى" بقيادة تارح** وأخذ أبنه **أبرام** وحفيده **لوط** ابن هاران، لأن هاران قد مات فى أور الكلدانيين، وساراى زوجة **أبرام العاقر، وأرتحل** بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان شمالاً عن طريق السهول ومنطقة ما بين النهرين **ليعبروا نهر الفرات في طريقهم لأرض كنعان في** منطقة **(الهلال الخصيب)**، ولكنهم وصلوا الى **(حاران) في** طريقهم واستقروا بها، فلماذا توقف تارح فى منتصف الطريق ؟. لعل ذلك كان بسبب صحته لأنه كان طاعناً فى السن، أو بسبب الجو أو الخوف وطول المسافة **(تتجاوز ١٢٠٠ كم)**، ولكن إبرام أحترم قيادة أبيه، **ولكن عندما مات تارح أبيه**، دفنه فى حاران، وأكمل أبرام المسيرة لأرض كنعان. كما جاء فى سفر التكوين:

" ... ***وكانت ساراى عاقراً ليس لها ولد،*** *وأخذ تارح أبنه ابرام وحفيده لوطاً بن هاران، وساراى كنته زوجة أبنه ابرام،* ***وأرتحل بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان.*** *لكنهم وصلوا إلى* ***حاران وأستقروا فيها.***
وهناك مات تارح وله من العمر مئتان وخمس سنين "
(تكوين ١١: ٣٠-٣٢).

دعوة أبرام (إبراهيم فيما بعد):

أنتقل أبرام بالإيمان من أور الكلدانيين إلى حاران ومنها إلى كنعان، **فقطع الله** معه عهداً بأن يكون له نسل من زوجته سارة وكانت سارة فى ذلك الوقت عمرها تجاوزت

٦٦ سنة، وإبرام تجاوز ٧٥ سنة، وأخبره بأنه سيكون مؤسساً لأمة عظيمة. وقال له أيضاً إنه لن يبارك هذه الأمة فحسب، بل ستتبارك بها أمم العالم الأخرى، وكل ذلك من أجل إبرام.

فأمة بنى إسرائيل التى ستخرج من أبرام ستكون شعباً يتبع الله ومختارة من بين شعوب الأرض (الشعب المختار)، ويكون لها تأثيرها فى الأمم التى ستتصل بهم. ومن شجرة عائلة أبرام سيولد يسوع المسيح ليخلّص البشرية، فمن خلال المسيح تستطيع كل الشعوب وكل الأمم أن تكون لها علاقة شخصية مع الله، وأن يتباركوا بركة لا حدود لها.

خطط الله أن ينشيء أمة من البشر يدعوهم خاصته، فدعا إبرام من مدينة أور المدينة التى لا تعرف الله، ولا تهتم إلا بالأمور الدنيوية إلى منطقة خصيبة تسمى كنعان، حيث يمكن أن تنشأ أمة كريمة الأخلاق، ويكون كل اهتمامها بالله. ومع أن أرض كنعان صغيرة المساحة، ولكنها كانت النقطة المركزية فى تاريخ إسرائيل، كما فى تاريخ نشأة المسيحية، فهذه الأرض التى عاش فيها أبرام، كان لها تأثير ضخم على تاريخ العالم.

" وقال الرب لإبرام: أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك وأذهب إلى الأرض التى اريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك،
وتكون بركة لكثيرين. وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك،
وتتبارك فيك جميع أمم الأرض.
فأرتحل إبرام كما أمره الرب، ورافقه لوط. وكان إبرام فى الخامسة والسبعين من عمره عندما غادر حاران. وأخذ أبرام ساراى زوجته ولوطاً ابن أخيه وكل ما جمعاه من مقتنيات. وانطلقوا إلى أرض كنعان إلى أن وصلوها.."

(تكوين١٢: ١-٥).

بعد دعوة الله لإبرام ونزوله لأرض كنعان، حدثت فى تلك الفترة مجاعة، فأرتحل جنوباً لأرض مصر، ومكث بها فترة قصيرة، ثم عاد راجعاً لأرض كنعان، وأستقر فى حبرون. وكانت لساراى جارية أسمها (هاجر) أخذتها من أرض مصر (١).

وبعد عشر سنوات من رجوعه من أرض مصر واستقراره فى أرض كنعان، لم يتحقق الوعد الإلهى لإبرام ولم تلد له سارة أبناً، لحكمة إلهية واختباراً لقوة إيمانهما فى أن يكون له نسل من سارة ليرث تلك الأرض ولتتحقق فيه البركة.

---

(١) وعلى ما يعتقد أن هاجر كانت هدية من فرعون مصر لساراى لتكون جارية خاصة لها.

وبالرغم من عدم الإنجاب منها لأنها عاقر، ومع ذلك لم يتزوج أبرام بغيرها فى أثناء حياتها، أو يتخذ له جارية أو آمة ليرزق نسل منهن، فقد كانت ساراى هى الزوجة المحبوبة لقلبه. وكان لإبرام (إبراهيم) من العمر نحو٨٥ سنة وزوجته ساراى نحو ٧٦ سنة وذلك بعد عشر سنوات من الوعد الإلهى الذي لم يتحقق بعد، وعاشت معهما جارية ساراى (هاجر) التى جاءت معها من أرض مصر مُنذ عشر سنوات.

وكان لإبرام عبداً أميناً موكل على بيته أسمه (أليعازر الدمشقى). وكان أبرام (إبراهيم) حزيناً لعدم إنجابه لنسل من امرأته ساراى المحبوبة ليرث ميراثه الكثير الذى يمتلكه، ومرت عشر سنوات ولم تنجب ساراى له ابن ليرثه ويتحقق فيه الوعد الإلهى. فأخذ إبرام يناجى ربه ليذكره بوعده طالباً منه نسلاً من زوجته ساراى، وبعد تلك المناجاة وعد الرب إبرام مجدداً، بأنه سيرزقه بنسل من زوجته ساراى، دون أن يحدد موعداً لتحقيق ذلك، فآمن إبرام بهذا الوعد الإلهى فحُسبه الله له براً كما جاء فى سفر التكوين:

" فقال إبرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماضى عقيماً ومالك بيتى اليعازر الدمشقى . وقال إبرام أيضاً إنك لم تعطينى نسلاً،
وهوذا ابن بيتى (اليعازر) وارث لى . فإذا كلام الرب إليه قائلاً:
لا يرثك هذا. بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك.
ثم أخرجه إلى خارج وقال له أنظر إلى السماء وعد النجوم أن استطعت أن تعدها. وقال له هكذا يكون نسلك فآمن بالرب فحسبه له براً.." .

(تكوين ١٥: ٢-٥)

لقد قَبل إبرام (إبراهيم فيما بعد)، وعد الله بإعطائه أبناً، بدون سؤال. إلا إنه لم ينتظر الله ليتمم وعده فى وقته المناسب وبالكيفية التى يريدها، وقد سمح الله بالتأخير لاختبار قوة إيمان إبراهيم وساراى بقدرة الله، ولكنهما أخفقا فى احتمال التجربة. فإذ ساراى ظنت أنها من المستحيل أن تعطى أبناً فى شيخوختها فاقترحت (خُطة) ظنتها كفيلة بإتمام غرض الله، وهى أن يتخذ إبراهيم أحدى جورايها (سرية) لينجب منها ابناً لتنسبه إليها.

وكان تعدد الزوجات والسرارى شائعاً وبدون ضوابط تحكمه، والتعدد قبل الشريعة كان مباحاً، ولكنه كان انتهاكاً لشريعة الله، وأمراً مميتاً لقدسية الصلات العائلية وسلامتها، ولقد نجم عن حبل هاجر من إبراهيم برغبة سارة، مشاكل لم يقتصر عليه وحده بل تعداه الى الأجيال التالية.

من الآية السابقة يتضح أن الرب **استجاب** لدعوة **إبرام** (إبراهيم)، فى أن يكون له نسل يخرج من أحشائه **وبالتحديد من زوجته ساراى العاقر المحبوبة، وليس من زوجة أو آمة أخرى غيرها**، لأن إبرام **كان فى مقدوره الزواج من غير ساراى وينجب منهن العشرات من الأولاد، دون حاجة إلى وعد إلهي** ولا سيما **تعدد الزوجات وإتخاذ الجواري** كان مسموحاً به فى ذلك الوقت، **بل هذه العادة شائعة، وكان من الشاذ فى ذلك الوقت الاكتفاء بزوجة واحدة.**

ولماذا انتظر إبرام **كل هذه السنوات حتى أصبح شيخاً عجوزاً، ولم يتزوج** من أخرى حتى ينجب منها بنين، ولا سيما أنه يعرف أن زوجته ساراى لم تنجب لأنها عاقر، **وأضاع سنوات حياته كلها فى انتظار مولود يرثه حتى صار شيخاً عجوزاً**، ولا سيما كان إبرام **غنياً جداً وله من العبيد والمواشي ثروة هائلة. لعل هذا التأخير لحكمة إلهية وضعها الله فى فكر وقلب إبراهيم، لإختباراً قاسياً قادماً**، يرسى فيها الله قواعد إيمانية، ومستقبلاً **لشعب مختار، ليدربه على الطاعة وقبول المواعيد الإلهية، والتى سيكون من نتيجتها النسل المبارك** (المسيح) **الذى ستتبارك فيه جميع أمم الأرض.**

اقترحت ساراى **على إبرام أن يدخل على جاريتها هاجر** لكى ترزق منها نسل **وتتبناه كابن لها. ولم يكن هذا التصرف غريباً فى ذلك الوقت**، فقد كانت الزوجة عندما تكون عاقراً **تعطى جاريتها لزوجها ليكون منها نسل. وعندما تبدأ الجارية فى الولادة تجلس على ركبتى سيدتها. ويحسبون الطفل المولود، طفل السيدة وليس طفل الجارية**، لقد أرادت سارة **تحقيق وعد الله بطريقتها الخاصة**، وبدون تفكير عميق وبدون صلاة، **عملت سارة كما يعمل أهل العالم من حولها، وقد أطاعها إبرام بدون تردد وعمل بنصيحتها.**

ربما رأى إبرام أن **السنوات تجرى** دون أن يكون له نسل من سارة، وأن **الرب تباطأ فى تحقيق وعده**، وربما أراد الرب من **تباطأ** فى تحقيق الوعد أن **يعلّم إبراهيم درساً فى الإيمان، ويعلمه الثقة فى وعود الرب، وأن الرب لا يخلف وعده مهما طال الزمن من وجهه نظرنا، ولكن من وجهه نظر الله فهى لا بد وأن يكون للدرس للتعليم والتوبيخ**، ولا سيما أن إبراهيم **حديث عهد بالإيمان.**

وهذا درس لنا أن لا نسمع كلمة أو نصيحة إنسان، **إذا تعارضت مع تعاليم الله، بل نسمع كلمة الله مهما بدت صعبة وغريبة، وأن لا نستعجل تحقيق الوعود الإلهية والذى وعدنا بها فى كتبه**، بل يجب علينا أن **نثق فى وعوده**. ولكن إبراهيم وسارة **أظهرا بعملهم هذا عدم إيمانهم فى أن الله سيتمم وعده بأنه سيكون لإبرام وساراى ابن ...**

وقد جاء في سفر التكوين:

" وأما ساراى امرأة إبرام فلم تلد له. **وكانت لها جارية مصرية أسمها هاجر.**
فقالت ساراى لإبرام هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة. **أدخل على جاريتى.**
لعلى أرزق منها بنين. فسمع إبرام لقول ساراى. **فأخذت ساراى امرأة إبرام**
هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان وأعطتها
لإبرام رجلها زوجة له. **فدخل على هاجر فحبلت.** ولما رأت أنها حبلت **صَغُرت**
(احتقرت) **مولاتها فى عينيها.** فقالت ساراى لإبرام ظلمى عليك.
أنا دفعت جاريتى إلى حضنك. فلما رأت أنها حبلت صَغُرتُ فى عينيها.
يقضى الرب بينى وبينك.
فقال إبرام لساراى هوذا جاريتك فى يدك. أفعلى بها ما يحسن فى عينيك.
فأذلتها ساراى. فهربت من وجهها. فوجدها ملاك على عين الماء فى البرية ...
وقال يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين.
فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى ساراى.
فقال لها ملاك الرب ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها.
وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب
ها أنت حبلى **فتلدين ابناً وتدعين أسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك.**
وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه..
فولدت هاجر لإبرام ابناً. ودعا إبرام أسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل.
وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام.".

(تكوين ١٦: ١-١٦)

من هذه القصة الواضحة والتى بإرادة ساراى ورغبتها الشخصية - وليست من رغبة الله أو لأمره - **فى امتلاك ابن لها بعد يأسها من الإنجاب،** بأنها قدمت جاريتها الخاصة لإبرام والتى جاءت بها من أرض مصر منذ عشر سنوات **والتى لم يمسّها أبرام،** كما لم يتخذها آمة، بأن يدخل عليها لكى يرزق منها نسل لكى تعوض به عدم إنجابها. **وعندما حبلت هاجر احتقرت مولاتها ساراى مما دفع ساراى أن تذل هاجر وأدت الى هروبها من وجهها.** وقد أعادها ملاك الرب الى مولاتها قائلاً لهاجر:

" ارجعى لمولاتك واخضعى تحت يديها ".

وقال لها ملاك الرب أنك ستنجبين أبنا تسميه إسماعيل لأن الله سمع لمذلتك.

كانت هاجر تتملق نفسها بشرف مركزها الجديد كزوجة إبرام، وتؤمل بأنها ستكون أماً للشعب العظيم الذى سيخرج من صلبه، بدأت تتكبر وتتفاخر، وجعلت تعامل مولاتها

باحتقار؟ وعكّر التحاسد المتبادل صفو البيت الذي كان قبلاً سعيداً، وإذ كان إبراهيم مضطراً لأن يستمع لشكايات كل من الزوجتين فقد حاول عبثاً أن يعيد الوفاق، ومع كون إبرام قد تزوج من هاجر استجابة لتوسلات ساراى الملّحة فقد وبخته سارة كأنه هو المخطىء.

لقد رغبت فى أن تنفى ضرتها بعيداً عنها، ولكن إبرام لم يسمح بذلك، لأن هاجر مزمعة أن تكون أماً لأبنه الذي يرجو بكل شغف أن يكون هو ابن الموعد، ومع ذلك كانت هاجر جارية لساراى وكانت لا تزال تحت سلطانها، ولكن روح هاجر المتكبرة لم تكن تطيق القسوة التى كانت قد أثارتها على نفسها.

"*فأذلتها ساراى فهربت من وجهها*" أنظر (تكوين ١٦: ٦-١٣)

لقد تولت ساراى الأمور بنفسها دون الله. وأعطت هاجر لإبرام لكى ينجب منها لها أبناً، فلم تكن ثقتها كاملة فى وعد الله الذى أعطاه بصفة خاصة لها ولإبرام،
بأنه سيكون لهما نسل وورثه،
وأن نسلهما سيكون كنجوم السماء وتتبارك به جميع أمم الأرض.

عندما قارب عمر إبرام أن يبلغ المائة سنة، أى بعد ٢٤ سنة تقريباً من الوعد الأول، وبعد ١٣ سنة تقريباً من الوعد الثانى بإنه سيكون له نسل من سارة، كرر له الرب وعده ثالثاً، بأنه سيعطيه أبناً، وأكد له أن الأبن الذى سيرثه ستنجبه سارة، إلا أن إبرام لم يكن يفهم الوعد بعد، فأتجه فكره فى الحال الى إسماعيل وهو متشبث باعتقاده أن مقاصد الله الرحيمة ستتم عن طريقه، ففى حبه لأبنه إسماعيل صاح قائلاً:

"*ليت إسماعيل يعيش أمامك*"
(تكوين١٧: ١٨- ٢٠).

فأعاد الرب الوعد على مسمعه بكلام لا يقبل الالتباس إذ قال:

"*بل سارة امرأتك ستلد لك أبناً وتدعو أسمه إسحق.*
وأقيم عهدى معه"

ومع ذلك فالرب لم يتغافل عن طلب إبرام فى شأن إسماعيل، بل قال له:

"*وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه... وأجعله امة كبيرة*".

أن ولادة اسحق التى تمت وتحققت أعذب الامانى بعد انتظار العمر بطوله، هذه الولادة ملأت خيام إبراهيم وسارة فرحاً، ولكن ذلك الحادث كان بالنسبة الى هاجر انهياراً لكل مطامعها وآمالها التى كانت تعتز بها، ثم إن إسماعيل الذى كان قد بلغ دور الشباب (١٤ سنة) كان الى ذلك الحين معتبراً من كل من فى المنطقة وارثاً لثروة أبرام، ولكل البركات الموعود بها لنسله.

أما الآن فقد أهمل إسماعيل وألقى جانباً، وتلك الأفراح التى شملت كل الجماعة زادت من حسداهما ونزاعيهما. مما أدى فى النهاية بان تطلب سارة من أبراهيم بطرد إسماعيل وأمه. وقد تضايق أبرام جداً من طلب ساراى بطرد إسماعيل وأمه الذى كان يحبه جداً ؟ ففى حيرته وارتباكه توسل الى الله فى طلب الإرشاد، وإذا ملاك الرب يرشده الى إجابة سارة الى طلبها، إذ أن محبته لإسماعيل أو أمه ينبغى ألا تقف مانعاً فى الطريق، فلا يمكن بغير هذه الوسيلة أن يعيد الوفاق والسعادة الى عائلته. وقدم له الملاك وعداً بحفظ إسماعيل وأمه وأن لا يتركه فتعزى أبرام.

وقد نتج فيما بعد من عدم الإيمان فى وعد الله هذا سلسلة من المشاكل. وهذا ما يحدث دائماً عندما نتولى نحن الأمور عوضاً عن الله، فنحاول تحقيق وعده ببذل جهود لا تتفق مع توجيهاته المحددة. وكان الزمن فى هذه الحالة " أعظم امتحان " لمدى استعداد أبرام وساراى لأن يتركا الله لسد احتياجيهما والاتكال عليه. وفى بعض الأحيان يكون علينا أن ننتظر. فعندما نسأل شيئا من الرب، ويتضح لنا ضرورة الانتظار فلا بد أن ننتظر لمراحم الله وتحقيق مواعيده. ولكننا مع الأسف نستعجل دائماً الأمور ونريد تحقيقها فوراً، ونحاول تحقيقها بطريقتنا الخاصة والتى قد تكون خاطئة وهذا ما فعلته ساراى تماماً.

لقد دبرت ساراى بطريقتها الخاصة فى أن تلد هاجر أبناً لإبرام، ثم لامت بعد ذلك أبرام لأنه نفّذ هذه الخُطة. لقد ألقت ساراى باللوم على شخص آخر مثلما فعل آدم وحواء فى. (تكوين١٢:٣، ١٣).

فمن السهل أن نندفع فى إحباطنا ونشير بأصابعنا إلى شخص آخر عوضاً عنا، لتعليق أخطاءنا عليه كشماعة، بدلاً من أن نعترف بالخطأ ونطلب المغفرة.

بعد أن لامت ساراى أبرام من أجل مشاكلها مع هاجر، أعطاها أبرام السلطان أن تفعل بهاجر ما تشاء. فحّولت ساراى غضبها عن أبرام وعن نفسها وصبته على هاجر. وقد عاملت ساراى هاجر بقسوة حتى إنها هربت. أن الغضب، وخاصة عندما ينشأ عن تقصيرنا نحن، يمكن أن يكون خطيراً .

هربت هاجر من سيدتها ومن مشكلتها،
ولكن ملاك الرب نصحها بالعودة لسيدتها.

فولدت هاجر إسماعيل.

لا نعرف كيف نظر إسماعيل إلى الحياة، ولكن لا بد أن هذا السؤال قد راوده في بعض الأحيان، فقد كانت حياته وأسمه ومركزه مثار صراع بين امرأتين غيورتين. لم تستطع سارة أن تنتظر ميعاد الله ووعده بأن يرزق منها أبناً، تولت الأمر بنفسها " وصممت " أن يكون لها ابن من امرأة أخرى. وقد خضعت هاجر لهذا الترتيب، ولكنها عندما حبلت، شعرت بالزهو والسمو عن سارة. وقد ولِد إسماعيل في هذا الجو المتوتر.

وظل أبرام ثلاثة عشر عاماً يظن أن وعد الله قد تحقق بمولد إسماعيل، فكان عجبه شديداً عندما سمع صوت الله ثانياً ومذكرة له بقوله: إن الأبن الذى سيحقق الله به مواعيده، سيكون ابناً لإبرام من ساراى نفسها وليس من أحد غيرها.

ولا بد أن حبل سارة وولادة إسحق – كما سيأتى ذكره لاحقاً – **كان لهما تأثير ساحق على إسماعيل. ومولد إسحق زعزع مستقبله، وعندما رأت سارة إسماعيل يغيظ أخاه غير الشقيق، كانت النتيجة أن طُردت هاجر ومعها إسماعيل من بيت إبراهيم.**

ولا يمكن أن نلّوم إسماعيل على الكثير مما حدث فى حياته،
فقد أحاطت به ظروف أكبر منه بكثير.

من هذا الجزء من القصة نرى أن إسماعيل ليس هو نسل الموعد الذى وعد الله به إبرام. **لأنه ما هى المعجزة فى أن تلد هاجر أبناً وهى صغيرة السن وليست عاقراً ؟ كما أن هذه الولادة لا تحتاج لوعد إلهي لكى تتم.**

لأنه كان فى استطاعة إبراهيم أن يتزوج من يشاء لكى يرزق أبناء كثيرون، دون الحاجة لوعد ألهى لذلك.

وقد كانت هاجر فى بيت إبراهيم **مُنذ عشر سنوات** ولم يفكر أن يدخل عليها لكى يرزق منها أبناً. **ولكن رغبة ساراى امرأته هى التى أرادت ذلك، وهى التى قدمت له جاريتها لكى يرزق منها أبناً. وهذه العادة كانت موجودة فى تلك العصور للجوارى** والإماء وسبايا الحروب، **ولصاحب الجارية الحق فى أن يقدمها لمن يشاء. وأبناء الجوارى ينسبون لمن يمتلكونهم.** ومع ذلك لم يدخل أبرام على هاجر جارية ساراى **إلا عندما قدمتها له** ساراى **لغرض الإنجاب فقط.** وهذه الرغبة كانت رغبة ساراى " **وليس أمراً إلهياً** " كما سنرى فى أسحق أبن سارة.

وفى سفر التكوين، نستكمل قصة الوعد الإلهى وبشارته لإبرام:

" ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له:
*أنا الله القدير. سر أمامى وكن كاملاً. **فأجعل عهدى بينى وبينك** وأكثرك كثيراً*
*جداً. **فسقط إبرام على وجهه**. وتكلم الله معه قائلاً.*
*أما أنا **فهوذا عهدى** معك وتكون أباً لجمهور من الأمم.*
فلا يدعى أسمك إبرام بل يكون أسمك ابراهيم .
لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم .
وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون.
وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً ابدياً.
*لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. **وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك***
***كل أرض كنعان ملكاً أبدياً**. وأكون إلههم .... وقال الله لإبراهيم،*
ساراى امرأتك لا تدعو أسمها ساراى بل أسمها سارة.
وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً.
أباركها فتكون أمماً وملوك وشعوب منها يكونون.
فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال فى قلبه هل يولد لأبن مائه سنة
وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة." .

(تكوين١٧: ١-٨)

من هذا الجزء من القصة الموحية نرى عدة حقائق واضحة وهى:

١- عندما ظهر الرب لإبرام كان له من العمر تسعة وتسعون عاماً وزوجته ساراى نحو تسعون عاماً. أى أن سارة فقدت كل أمل للإنجاب بالإضافة إلى أنها عاقر. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تنجب إلا برغبة إلهية وبأمره. ومن هنا كانت المعجزة الحقيقية التى فوق الطبيعة. بينما ولادة إسماعيل كانت طبيعية جداً ولم تكن بها أى معجزة على الإطلاق، ولا تحتاج لأمر إلهي لإتمامها. وإنما تمت برغبة ساراى وبأمرها وليس بأمر الله.

٢- أن تأكيد العهد لإبراهيم بأن يلد له أبن من سارة الذى قطعه الله مع إبرام بعد ١٣ سنة من ولادة إسماعيل، وبعد ٢٤ سنة من الوعد الأول، وهذا الوعد سيتحقق فى أبنه أسحق (المبشر به) الذى ستلده له ساراى امرأته.

٣- لذلك استبدل الله أسم أبرام إلى أسم آخر (إبراهيم) الذى معناه أباً لجمهور من الأمم. كما أستبدل أسم ساراى بعد مباركته لها الى أسم آخر (سارة)، لتكون منها أمماً وشعوب وملوك من نسلها التى سوف تلده منها لإبراهيم.

وذلك تمهيداً للنسل المبارك الذى سيأتى من سارة امرأة إبراهيم.

وقفة للتأمل:

تغيير تلك الأسماء بهذه المعانى لإبراهيم وسارة، تم قبل حدوث المعجزة مباشرة أى قبل ولادة أسحق (المبشر به)، وليس قبل ولادة إسماعيل.

وبالتالى معانى أسماؤهم الجديدة هى تمهيد لِما سيتحقق من بركات إلهية منسوبة لإبراهيم ونسله أسحق على وجه التحديد. ونستنتج من ذلك أيضاً بعد تغيير أسم (إبرام) إلى (إبراهيم)، وأيضاً أسم (ساراى) إلى (سارة)، بالمعانى الجديدة لتلك الأسماء، يترتب على ذلك، أن والد إسماعيل هو إبرام بمعناه القديم وهى ترمز فى تردده الإيمانى والشك فى تحقيق العهد. ووالد إسحق هو إبراهيم بمعناه الجديد فى نور يقين الإيمان والثقة فى تحقيق العهد، وهذا ينطبق أيضاً على سارة امرأته والتى كان اسمها ساراى قبل تغيير أسمها، إي أن طفل الموعد الذى هو إسحاق أبن إبراهيم وسارة، هو الأبن الذى سيتحقق فيه جميع المواعيد الإلهية التى سيأتى ذكرها لاحقاً، والتى تخص على وجه التحديد إسحق، وكذلك الإختبار القاسى الذى سيتعرض له أبن إبراهيم (إسحق) تحديداً، وليس أبن إبرام (إسماعيل). وتدخل إبليس لزرع الشك فى إبراهيم لإثنائه عن ذبح أبنه إسحق، وبالرغم من أن إبرام وإبراهيم (هو شخص واحد)، إلا أن تغيير الأسماء لكل من إبرام وساراى الى أسمائهم الجديدة ذات المعانى الجديدة أيضاً، لم يتم تغييرها إلا قبيل ولادة إسحق مباشرة وليس قبيل ولادة إسماعيل، توضح الحكمة الإلهية حتى فى أبسط الأشياء.

وقد تكون غير ملحوظة لقارىء التوراة العادي وغير المتخصص، ولكن فى المعنى الإلهى، كل كلمة وحرف لها معناها ومدلولها، وتغيير الأسماء بتلك المعانى الجديدة التى تمثل عهداً جديداً قطعه الله مع إبراهيم، ومرحلة إيمانية تبدأ فى طريق شعب الله المختار، ليتمم الخلاص والفداء من نسل إسحق حسب الجسد (المسيح)، والذى به غاية الخلاص البشرى، من حكم الموت الذى أوقعنا فيه آدم بعصيانه التى أقفلت باب الفردوس والملكوت لنسله، وتغيير الأسماء هذه تم عن قصد إلهي وليس عشوائياً، حتى لا يلتبس الأمر مستقبلاً بين المواعيد والبركة الإلهية الخاصة بإسحق أبن إبراهيم ومن نسله سيأتى (المسيح) حسب الجسد، والذى تتبارك فيه جميع أمم الأرض منطلقاً من أرض كنعان (فلسطين)، والمواعيد والبركة الأرضية الخاصة بإسماعيل (أبن إبرام)، بأسمه القديم، وفى نسله سيكون أمة كبيرة فى العدد.

٤- أن هذا النسل المقصود هو النسل الذى سيمتلك أرض كنعان (بفلسطين) وليس نسل آخر. وقد تحقق هذا فيما بعد فى نسل أسحق الذى هو (يعقوب) **وهم بنى إسرائيل وأسباطه الأثنى عشر اللذين هم أولاد يعقوب (إسرائيل). أما نسل إسماعيل فلم يسكن تلك الأرض فسكن فى صحراء فاران أولاً، وفيما بعد سكن نسله أرض الجزيرة العربية.**

٥- ضحك إبراهيم وسقط على وجهه مستغرباً من هذا الوعد الذى سيأتيه من سارة امرأته العاقر عندما قال:

" هل يولد لأبن مائه سنة !؟. وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة !؟."

لذلك أعتقد إبراهيم فى بادىء الأمر أن هذا الوعد سيكون فى إسماعيل لاستحالة أن يكون له أبن من سارة العاقر العجوز. ولاسيما لم تكن لإبراهيم اختبارات سابقة مع الله، ولعدم وجود شرائع سابقة ليتأكد من صحة ذلك الوعد الإلهى. **ولذلك قال إبراهيم لله :**

" ليت إسماعيل يعيش أمامك."

(تكوين ١٧: ١٨):

أى أن إبراهيم يطلب من الله أن يتحقق هذا الوعد والعهد فى إسمّاعيل والذى كان عمره فى ذلك الوقت ١٣ سنة. ولكن الله يصحح له هذا الاعتقاد الخاطىء قائلاً :

" بل سارة امرأتك تلد لك أبناً وتدعو أسمه إسحق.
وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده."

(تكوين: ١٧: ١٩)

أى أن العهد والميثاق سيكون مع أسحق ونسله من بعده، وهو ابن الموعد الذى بشر به الله إبراهيم، ومع ذلك أراد الله ترضية رغبة إبراهيم فى شأن إسماعيل فقال له:

" وإما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً.
أثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة.
ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية "

(تكوين ١٧: ٢٠-٢١) .

من هذا نرى بوضوح تأكيد الله لإبراهيم بأن العهد والميثاق سيكون لنسل إبراهيم وسيتحقق فى إسحق ونسله من بعده، وليس فى نسل إسماعيل.

وقد جاء فى سفر التكوين: **استكمالاً لتحقيق الوعد أن الله ظهر لإبراهيم ومعه ملاكان فى شبه ثلاثة رجال وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار:**

" فرفع عينيه ونظر وإذا ثلثه رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ... وقالوا له: أين سارة امرأتك. فقال ها هى فى الخيمة.
فقال أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه. وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء.
فضحكت سارة فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ.
فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت.
هل يستحيل على الرب شئ. فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك. لأنها خافت. فقال لا بل ضحكت."

(تكوين ١٨: ٩-١٥)

نرى فى الآيات السابقة تأكيداً للوعد الإلهى بأنه سيكون لسارة ابن بعد زمان الحياة، أى بعد الحمل وولادة الأبن من سارة التى ضحكت فى داخلها باستحالة حدوثها، بعد أن شاخت وهى فى التسعين من عمرها.

وبعد ٩ شهور من هذا اللقاء ولدت سارة ابن وأسمته أسحق فقالت سارة:

" قد صنع إليّ الله ضحكاً. كل من يسمع يضحك لي. **وقالت من قال لإبراهيم سارة ترضع بنين. حتى ولدت أبناً فى شيخوخته**. فكبر الولد وفُطم. **وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام أسحق.**".

(تكوين ٢١: ٦-٨)

وعندما رأت سارة إسماعيل يغيظ أخاه غير الشقيق، طلبت سارة من إبراهيم أن يطرد هاجر وأبنها إسماعيل، كما جاء بسفر التكوين (تكوين٢١: ٩-١٣).

" ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح.
فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وأبنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى أسحق . فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب أبنه.
فقال الله لإبراهيم لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك.
فى كل ما تقول لك سارة أسمع لقولها . لأنه باسحق يدعى لك نسل.
وابن الجارية أيضاً سأجعله **أمة كبيرة** لأنه نسلك ."

هذا التصرف الذى فعلته سارة وأسفر عن طرد هاجر وأبنها أغضب إبراهيم، ولكن الله طيب خاطره بأن لا يغضب، لأنه سيجعل أيضاً من نسل إسماعيل أمة كبيرة.

طرد إبراهيم، **إسماعيل وهاجر** من البيت، **وكان فى هذا حكمة أرادها الله**، فقد كان إسماعيل يكبر ويحتاج إلى مكان أوسع لرعى مواشيه، ولو بقى إسماعيل مع اسحق، ربما كانت المخاصمة بين رعاة مواشى إسحق ورعاة مواشى إسماعيل، **وربما تذكر إبراهيم ما حدث مع أبن أخيه لوط**، عندما تخاصما رعاة مواشى لوط مع رعاة مواشيه، فطلب إبراهيم من لوط أن يختار الأرض الذى سيذهب إليها، إذا أختار شمالاً، يختار هو يمينه، وإذا أختار شرقه يختار هو غربه، **حتى لا تحدث مخاصمة بينهما، ثم ان الله سبق وقد قال:**

"أن إسماعيل إنسان وحشى يده على كل واحد ويد كل واحد عليه "

ومن الصعب أن يعيش مع اسحق فى مكان واحد. ثم أن الامتحان قادم على إبراهيم، إذ يقول الله له:

" خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واصعده هناك محرقة "

فإذا سكن إسماعيل وإسحق مع إبراهيم يكون الامتحان أقل صعوبة نوعاً، **لكن إذا كان اسحق** وحده يقيم مع أبيه إبراهيم، **فان الامتحان يكون عظيماً يتناسب مع عظمة الله، ويكون نجاح إبراهيم فيه رائعاً.**

وفى الصباح أعطى إبراهيم هاجر قربة ماء وبعض الخبز، وصرفها هى وابنها إسماعيل، كما أوصاه الله، وكان إبراهيم واثقاً كل الثقة بأن الله سيرعى إسماعيل ولا يتركه يهلك، لأن الله وعده بأنه سيخرج من إسماعيل أمة كبيرة كقول سبحانه:

"أما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ".

أتخذت هاجر **طريقاً متجهاً إلى مصر موطنها الأصلى**، ولكنها تاهت فى الصحراء ونفذ **منها الماء، وكاد إسماعيل يموت عطشاً، فأرشد ملاك الله هاجر إلى بئر ماء ملأت منها القربة وسقت إسماعيل. وشجع الملاك هاجر بأن ابنها سيكون امة عظيمة**. وسكن إسماعيل **في صحراء برية فاران، ثم تزوج من زوجة مصرية**. كما جاء فى سفر التكوين:-

*" فنهض إبراهيم فى الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء **ودفعهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفيها**، ثم صرفها مع الصبى.*

***فهامت على وجهها فى برية بئر سبع**. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبى تحت أحدى الأشجار. ومضت وجلست مقابله على بعد رمية قوس*

لأنها قالت: لا أشهد موت الصبى.
فجلست مقابله ورفعت صوتها فبكت. وسمع الله بكاء الصبى. فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما الذى يزعجك يا هاجر؟ لا تخافى لأن الله قد سمع بكاء الصبى. ***وتشبثى به لأننى سأجعله أمة عظيمة.*** *ثم فتح عينيها فأبصرت* ***بئر ماء*** *فذهبت وملأت القربة وسقت الصبى فكبر وسكن في* ***صحراء فاران*** *(١) *،*
وبرع في رمى القوس. ***واتخذت له أمه زوجة من مصر*** "
(تكوين ٢١: ١٤-٢١).

بهذا يكون اسحق هو الأبن الذى سيكون منه أمماً وشعوباً، وسيتبارك فى نسله جميع أمم الأرض (أي بركة مزدوجة) **وهو ابن الموعد. أما إسماعيل فسيجعل منه أمة كبيرة.**

أما عن البركة والعهد لإسحق يقول الرب:

ولكن عهدى أقيمه مع أسحق (تحديداً) ***الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت من السنة التالية. وقال انظر الى السماء وعد النجوم أن استطعت أن تعدها.***
وقال له هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له براً."
(تكوين١٥: ٥).

---

(١)* صحراء فاران جنوب بئر سبع، الواقعة فى جنوب فلسطين، والشمال الشرقى من الحدود المصرية، وقيل أيضاً أن برية فاران تمتد حتى وسط سيناء المصرية، لأن هاجر كانت فى طريقها لأرض قومها فى مصر، وتزوج إسماعيل من مصرية من تلك الأرض التى استقرا بها، وأصبح إسماعيل زعيماً لقبيلة كبيرة، وسميت قبيلة الإسماعيليون فيما بعد، فكان الإسماعيليون قوماً من البدو يسكنون فى تلك الأراضى، وقد تزوجت إحدى بنات إسماعيل من عيسو (أخى يعقوب)، الذى كان يسكن فى أرض سعير (بلاد أدوم) جنوب البحر الميت، والإسماعيليون كان منهم تجار التوابل والبلسان الذين يذهبون إلى مصر لقربهم للحدود المصرية للتجارة، وقد بيع يوسف بواسطة أخوته لهؤلاء الإسماعيليين والذين جاءوا بيوسف إلى مصر، وباعوه بدورهم لرئيس الحرس الفرعونى (فوطيفار). وولد لإسماعيل أثنى عشر أبناً حسب وعد الرب وكانوا رؤساء قبائل، وفيما بعد، وعند موت إبراهيم دفنه إسحق وإسماعيل كما جاء فى سفر (تكوين٢٥: ٧-١٠) :

وعاش إبراهيم مئة وخمساً وسبعين سنة. ثم مات بشيبة صالحة... فدفنه ابناه إسحق وإسماعيل فى مغارة المكفيلة ... وهو الحقل الذى اشتراه إبراهيم من الحيثيين
وفيه دُفن إبراهيم وزوجته سارة "

ومازالت المقبرة فى نفس مكانها حتى يومنا هذا، وهى فى مدينة الخليل حالياً بفلسطين. وقد دُفن فيها فيما بعد، اسحق ويعقوب وليئة ورفقه. أما أولاد إسماعيل وبعد مرور وقت طويل لأجيالهم، وتكاثرهم، بعد مئات السنين، انحدروا إلى الجنوب الشرقى للخليج الى ما يسمى حالياً بشبه الجزيرة العربية. وسكنوا فيها. واستوطنوها.

وقد تحقق هذا الوعد فى نسل يعقوب أبن اسحق، والذى هو إسرائيل وأسباطه الأثنى عشر الذين هم أولاد يعقوب، **ومن نسلهم كانت البركة الإلهية بظهور الأنبياء منهم طوال عشرات المئات من السنين. وكانت البركة العظمى التى تباركت فيها جميع أمم الأرض هى السيد المسيح، وفى انتشار شريعته فى كل المسكونة كشهادة وتحقيق لتلك المواعيد الإلهية . أذن البركة فى أسحق بركة مزدوجة:**

والبركة المزدوجة هما:

١- **بركة تحقيق الوعد بظهور الأنبياء، والمسيا "*وستتبارك فى نسله جميع أمم الأرض*"**

٢- **وبركة كثرة النسل الذى سيكون "*كرمل البحر* ".** (تكوين١٧: ٢٠).

البركة الأولى : بركة سماوية تتبارك فيها جميع أمم الأرض. وتحقق هذا بتسلسل كل الأنبياء من نسل إسحاق، وفى نسله **المسيح الذى تباركت فيه كل أمم الأرض.**

وهذا ما أكده القرآن الكريم أيضاً فى سورة (العنكبوت ٢٧)، **فى قوله:**

﴿ ووهبنا له (لإبراهيم) **اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبّوة والكتاب ﴾.**

وفى تفسير ابن كثير (١) لهذه الآية يقول:

" وقوله تعالى**{ ووهبنا له إسحاق ويعقوب } كقوله:**

{ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله، وهبنا له إسحق ويعقوب} أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقربه أعينكما **وكون يعقوب ولد لإسحاق، نص عليه القرآن وثبتت به السنة النبوية، قال الله تعالى:**

{ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى؟ **قالوا نعبد إلهك وإله** آبائك **إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً }.**

وفى الصحيحين " إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم **يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام** ".

أما ما رواه العوفي عن ابن عباس فى قوله:

{ ووهبنا له إسحاق ويعقوب } قال: هما ولدا إبراهيم فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد.

وقوله تعالى: **{ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب}** ويستمر ابن العباس ويقول:

" هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلاً وجعله للناس إماماً أن جعل في ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبى بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته فجميع أنبياء بنى إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم ... ، ومبشراً بالنبى العربى خاتم الرسل.." .

أى أن الأنبياء ستكون فى ذرية نسل إسحاق ويعقوب (إسرائيل) متسلسلاً، وهى البركة التى ذكرتها التوراة بأنه فى نسل إسحاق (المسيح)، تتبارك فيه جميع أمم الأرض.

وبنى إسرائيل هم أبناء يعقوب، لأن يعقوب هو إسرائيل، وفى بنى إسرائيل سيكون فيهم الأنبياء والكتب المقدسة تحقيقاً لوعد الله لإبراهيم بأن فى نسل إسحاق ستتبارك فيه أمم الأرض.

وهذا ما أكده القرآن الكريم أيضاً فى سورة (الجاثية ١٦) :

(ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ... وفضلناهم على العالمين)

وأيضاً فى تفسير ابن كثير (٢) يقول:

يذكر الله تعالى ما أنعم به على بنى إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله المُلك فيهم ولهذا قال الله تبارك وتعالى:

(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم الطيبات)
(وفضلناهم على العالمين) أى فى زمانهم.

وبهذا يكون الله سبحانه قد فضل شعب بنى إسرائيل على العالمين، أى شعباً مختاراً من نسل أسحق ليأتمنه على أقواله، وهيئه لحفظ كلمة الله التى بدأ تدوينها موسى " كليم الله" ثم توالى الأنبياء من نسل ذلك الشعب المختار وهم بنى إسرائيل حتى المسيح " كلمة الله".

وهذا يتوافق مع ما جاء أيضاً فى سفر (الخروج) فى قول الله لموسى، ليؤكد الوعد السابق الذى وعده الله لإبراهيم فى إسحاق ويعقوب وانسالهم، ليكون منهم الشعب المختار ويكون فيهم الوعد بالخلاص وتسلسل النبوة من بنى إسرائيل كما قال الرب:

---

(١) تفسير ابن كثير (جـ ٣ ص ٣٨٨) طبعة ١٩٩٣/١١/٨ المكتبة القيمية للطباعة والنشر.

(٢) تفسير ابن كثير الجزء الرابع ص١٤٥ طبعة ١٩٩٣ المكتبة القيمية.

" فناداه الرب من الجبل قائلاً هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل.
أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين.
وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ .
فالآن أن *سمعتم لصوتي وحفظتم عهدى،* ***تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب.*** *فإن لي كل الأرض.* ***وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة..*** *فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم هذه الكلمات التى أوصاها بها الرب،* ***فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل.*** *"*

(الخروج١٩: ٢-٦).

بهذا يتفق المفهوم الإسلامى مع المفهوم التوراتى والإنجيلى، فى أن النبوة والكتب المقدسة ستكون من نسل إسحاق بن إبراهيم أبن الموعد، والبركة ستأتى من نسله حسب الجسد، والتاريخ وكتب الأنبياء تشهد بذلك.

لقد بدأ الله باختيار إبراهيم ومنحه إسحاق بمعجزة إلهية من سارة امرأتــه العجــوز العاقر، لكي يثبت له أن الله لا يستحيل عليه أمراً، كما أن الله وضــع إبــراهيم فــى عــدة اختبارات قاسية ليمتحن بها قوة إيمانه ومدى صموده، وكان الامتحان الأكبر والأعسر فــى ذبح أبنه أسحق.

وصدر أمر الله لإبراهيم فى كلمات عصرت قلب ذلك الأب عصراً قاسياً بــالحزن والألــم إذ قال:

" خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق.. وأصعده محرقة "

(تكوين٢٢: ٢).

لقد كان **إسحق** هو النور الذى ينير جوانب بيته وعزاءه فى شيخوخته، وفوق الكل كان إسحق **هو وارث البركة الموعود بها.** ولو مات هذا الأبن فى حادثة أو بمرض لتمزق قلــب **أبيه المحب، وكان رأسه الأشيب ينحنى تحت ثقل الأحزان، ولكن الله يأمره بأن يســفك دم ذلك الأبن بيده يا للهول !. . لقد ترآى له ذلك العمل مستحيل ومخيف.**

كان الشيطان قريباً من إبراهيم ليقول له: " **لا بد أن يكون الله قد غُرر به** لأن الوصية الإلهية تقول " **لا تقتل** " والله لا يمكن أن يطلب من إنسان عمل شيء سبق فنهاه عن عملــه، خرج إبراهيم الى خارج خيمته، ونظر الى السماوات الجميلة الصافية، وذكر وعد الله الــذى قدمه له منذ حوالى ثلاثين سنة، بأن نسله سيكون كثيراً جداً كنجوم السماء، **وكرمل البحــر، فأن كان هذا الوعد سيتم فى إسحق فكيف يُقتل ؟**

وقد جُرب إبراهيم لكى يعتقد انه كان واقعاً تحت وهم أو تضليل، ففى شكوكه وآلامه سجد على الأرض وصلى كما لم يصلّ قط من قبل، ليتحقق من أمر الرب هذا، وهل كان لا بد له أن يقوم بذلك الواجب المرعب، وقد تذكر الملائكة وهم يأتون إليه ليكاشفوه بقصد الله فى هلاك سدوم، **وتذكر أنهم قد قدموا له وعداً بميلاد إسحق هذا،** ثم ذهب الى المكان الذى فيه التقى مع رُسل السماء مراراً **على أمل لقاءهم مرة أخرى، ليتلقى منهم أوامر جديدة قد تكون فيه إعفائه من هذا العمل، ولكن لم يأت منهم لتفريج كربته،** وبدا كأن ظلمة داجية تكتنفه، **ولكن أمر الله كان لا يزال يرن فى أذنيه:**

" خد أبنك وحيدك الذى تحبه إسحق واصعده محرقة "

إذاً فلا بد من إطاعة هذا الأمر، ولم يكن يجرؤ على التأجيل، كان نور النهار قد بدأ يبزغ، وعليه أن يشرع فى السفر. وإذ عاد الى الخيمة ذهب إلى حيث كان اسحق مضجعاً ونائماً نومة الشاب البريء الذى لا يزعجه شيء، ولمدة لحظة تطلع الأب فى وجه ابنه الحبيب ثم تحول عنه مرتعباً، ثم ذهب إلى جوار سارة التى كانت نائمة أيضاً، **فهل يوقظها لكى تعانق ابنها مرة أخيرة ؟ وهل يخبرها بما أمره به الله ؟ لقد تاق أن يخبرها عن خبيئة نفسه لتحمل معه هذه المسئولية الرهيبة، ولكن خوفه من أنها قد تعطله عن أطاعة أمر الرب منعه من مكاشفتها بالأمر، لقد كان اسحق فرحها وفخرها، وحياتها كانت مرتبطة به، فقد ترفض محبة الأم هذه التضحية .**

أخيراً استدعى إبراهيم أبنه وأخبره بأمر الرب له بالذهاب إلى جبل بعيد لتقديم ذبيحة، وكان اسحق قد ذهب مع أبيه مراراً ليعبد الله عند بعض المذابح المختلفة التى كان يقيمها فى أثناء رحلاته من مكان لآخر، ولذلك لم يكن هذا الأمر الإلهى مثيراً لدهشتة، وبسرعة تمت كل الاستعدادات لتلك الرحلة. وأعد الحطب ووضعه على الحمار، وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه وذهبوا.

سار الأب والابن جنباً إلى جنب صامتين كان ذلك الشيخ يتأمل فى سره الرهيب، فلم يكن لديه لذلك قلب ليتكلم. **كانت أفكاره متجهة إلى الأم المحبة لأبنها والفخور به،** والى اليوم الذى سوف يعود إليها فيه وابنه ليس معه، **كان يعرف جيداً أن السكين الذى سيذبح بها ابنه ستخترق عندئذ قلبها.**

أن ذلك اليوم الذى كان أطول يوم عرفه فى حياته، مر بطيئاً متثاقلاً، فلما أقبل الليل وكان أبنه وغلاماه نياماً قضى هو ليلته فى الصلاة، **وكان لا يزال يؤمل انه سيأتى ملاك من السماء ليقول له إنه قد أُمتحن بما فيه الكفاية،** وآن لأبنه أن يعود إلى أمه سالماً، **ولكن نفسه ظلت معذبة ولم يحصل على راحة أو معونة،** ثم مر بعد ذلك يوم طويل وتلاه ليل آخر

قضاه فى التذلل والصلاة، وكان ذلك الأمر الذى سيتركه عقيماً لا يزال يرن فى أذنيه، وكان **الشيطان** قريباً منه **ليوسوس** فى أذنيه بكلام الشك وعدم الإيمان، **ولكن إبراهيم قاوم كل مقترحاته.**

وعندما أوشكوا على السفر فى صبيحة اليوم الثالث تطلع ذلك الشيخ إلى جهة الشمال **فرأى العلامة التى وعده الرب بها، إذ أبصر سحابة مجد محلقة فوق جبل المُريا، فأيقن حينئذ أن الصوت الذى سمعه كان آتياً من السماء.**

إلى هذا الحد لم يتذمر إبراهيم على الله، بل تقّوت روحه بالتأمل فى دلائل وجود الله وأمانته، لقد وهب له هذا الأبن **على غير انتظار**. أفلا يحق لمن قد وهبه هذه العطية الثمينة **أن يسترد ما قد وهب** ؟ حينئذ بالأيمان كرر ذلك الوعد القائل: " **بإسحق يدعى لك نسل** " (تكوين٣١: ١٢). **لقد** كان اسحق **أبناً لمعجزة، أفلا تستطيع القوة التى أعطته الحياة أن تعيدها إليه** ؟ وإذ نظر إبراهيم إلى ما وراء المنظور تّمسك بكلمة الله " **إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات** " (عبرانيين ١١: ١٩).

لكن ليس احد غير الله عرف **كم كانت عظيمة تضحية الأب فى تسليم أبنه للموت، وكان إبراهيم يرغب فى إلا يشاهد احد منظر الوداع بينه وبين ابنه غير الله وحده، ولذلك** أمر غلاميه **بالتخلف قائلاً لهما:**

" أما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما "

(انظر تكوين ٢٢: ٥- ٨)

فوضع الحطب على أسحق الذى سيقدم ذبيحة، واخذ هو بيده النار والسكين ثم أخذا فى الصعود إلى قمة الجبل، وكان ذلك الشاب مندهشاً يسائل نفسه قائلاً من أين لنا المحرقة ونحن بعيدان جداً عن الحظائر والقطعان ؟ **وأخيراً قال لأبيه:**

" يا أبى هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة "

آه .. ما أقسى هذا من امتحان، وبأى سيف قاطع طعنت هذه الكلمة المحببة " يا أبى " قلب إبراهيم ! لم يحن الوقت بعد، لم يقدر أن يخبره الآن **فقال له:**

" الله يرى له الخروف للمحرقة يا أبنى "

فى المكان المعين **بنيا المذبح ووضعا عليه الحطب**، وحينئذ، وبصوت مرتجف، **أخبر إبراهيم أبنه برسالة الله، ولم علم أسحق بمصيره ملكه الرعب والذهول، ولكن لم تبد منه أية مقاومة، كان يمكنه أن ينجو من ذلك المصير لو أراد**، فذلك الشيخ المهدم الذى هده الحزن وأنهكه ذلك الصراع الذى دام ثلاثة أيام لم يكن يقوى على مقاومة إرادة ابنه الشاب

القوى الناشط، إلا أن إسحق قد تربى منذ طفولته على الطاعة التامة الواثقة، فلما كشف له قصد الله أطاع وسلم من تلقاء نفسه، لقد كان شريكاً لإبراهيم فى إيمانه، وكان يحس انه شرف عظيم له أن يبذل حياته ذبيحة لله، فأخذ بكل رقة يحاول التخفيف من أحزان أبيه، ويشجع يديه الضعيفتين المرتعشتين على ربطه بالحبال ليوضع على المذبح.

وأخيراً بعدما قيلت آخر كلمات المحبة وسكبت أخر دمعة، وبعد الانتهاء من المعانقة، يرفع الأب السكين ليذبح ابنه... ولكن فجأة توقفت يده، ذلك أن ملاك الرب نادى ذلك الشيخ قائلاً:

" إبراهيم إبراهيم " فجاء الرد سريعاً يقول: " هأنذا " فعاد الصوت يقول له:
" لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً.
لأنى علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى "
(انظر تكوين٢٢: ١١- ١٨).

حينئذ نظر إبراهيم " وإذا بكبش وراءه ممسكاً فى الغابة بقرنيه " وإذا احضر تلك الذبيحة الجديدة بسرعة اصعدها عوضاً عن ابنه، ففى فرحه وشكره أطلق إبراهيم على تلك البقعة اسماً جديداً " يهوه يراه " أى أن الرب يرى (يدبر).

على جبل المُريا جدد الله عهده لإبراهيم ثانياً مثبتاً البركة له ولنسله مدى الأجيال القادمة بقسم قائلا:

" بذاتى أقسمت يقول الرب. أنى من أجل انك فعلت هذا الأمر
ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل
الذى على شاطىء البحر. ويرث نسلك باب أعدائه.
ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى ".

لقد كان يمكن لإبراهيم أن يحاور الله قائلاً أن ذبحه لأبنه يجعل الناس يعتبرونه قايين ثانيا، الأمر الذى يجعل الناس يرفضون تعاليمه ويحتقرونها، وذلك يلاشى قوته على عمل الخير مع بنى جنسه، وكان يمكنه أن يحتج بالقول أن شيخوخته تعفيه من الطاعة، ولكن الشيخ لم يتحصن وراء أى عذر من الأعذار، لقد كان إبراهيم بشراً مثلنا، وكانت له آلام وانفعالات مثلنا، ولكنه لم يقف ليتساءل عن كيف يتم الوعد لو ذبح ابنه اسحق، ولم يقف ليباحث مع قلبه المتألم، لقد عرف أن الله عادل وبار فى كل مطالبيه فأطاع أمره طاعة حرفية. ويعقوب رسول المسيح فى الإنجيل يقول :

" فآمن إبراهيم فحسب له براً ودعى خليل الله " (يعقوب٢: ٢٣).

ويقول أيضاً:

"ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح. فنرى الإيمان قد عمل أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان "

(يعقوب٢: ٢١، ٢٢).

وبولس الرسول يقول:

" الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم "

(غلاطية٣: ٧).

أن الخروف الذى قدم عوضاً عن إسحق كان يرمز إلى ابن الله (المسيح) وهو الذبح العظيم، الذى سيقدم ذبيحة عوضاً عنا، لأن الإنسان إذا حكم عليه بالموت بسبب عصيانه لشريعة الله، فالأب إذ نظر إلى ابنه قال للخاطىء : " عش قد وجدت فدية "

كانت الكائنات السماوية شهود عيان للمنظر حين امتحن إيمان إبراهيم **وخضوع إسحق لهذا الامتحان. وكان ذلك الامتحان أقسى جداً من امتحان آدم.**

أن الاذعان لأمر الله حين نهى أبوينا الأولين عن الأكل من الشجرة التى فى وسط الجنة لم يكن فيها ألم، أما الأمر الذى طلبه الله من إبراهيم فكان يتطلب أعظم تضحية انطوت على آلام هائلة، وقد شاهدت السماء كلها بدهشة وإعجاب طاعة إبراهيم التى لم يكن فيها أى تردد أو تراجع.

لقد كان من الصعب حتى على الملائكة أنفسهم أن يفهموا سر الفداء، كيف أن ملك السماء ابن الله ينبغى أن يموت لأجل الفجار.

وحين أصدر الله أمره لإبراهيم أن يقدم ابنه ذبيحة أثار ذلك اهتمام كل الخلائق السماوية، وبغيرة عظيمة راقبوا كل خطوة سار فيها إبراهيم لتنفيذ أمر الرب. وحين أجاب إبراهيم عن سؤال ابنه القائل: "*أين الخروف للمحرقة* ؟ " بقوله: "*الله يرى له الخروف* " وحين أوقفت يد الأب وهو يشرع فى ذبح ابنه، وقدم الكبش الذى قد أعده الله بدلاً من اسحق، **حينئذ ألقى نور عظيم على سر الفداء**، وحتى الملائكة فهموا فهماً عمق التدبير العجيب الذى أعده الله لخلاص بنى الإنسان (١بطرس١: ١٢).

وقد نجح إبراهيم فى هذا الامتحان الأصعب، وأجتاز الاختبار الإلهي فى أعظم ما يكون الاجتياز، ولذا كافأه الله أعظم مكافأة على الإطلاق، بأن أقسم الله بذاته بأن فى أسحق ستتحقق فيه سلسلة الأنبياء على مر العصور والأجيال حتى يتحقق الوعد النهائى فى

المسيح من ذرية إسحاق حسب الجسد، ومن بين بنى إسرائيل والذى سيتبارك فيه جميع أمم الأرض.

والتاريخ يسجل هذا الوعد بكل دقة، فجاء من بعد إسحاق أبنه يعقوب (إسرائيل) **وكرر الرب الوعد ذاته ليعقوب**، وتوالت الأنبياء من بعده ورجال الله فى نسل إبراهيم مبتدأ بإسحق (طفل الموعد) ومن نسل إسحق جاء الأنبياء، فيعقوب من بعده، ثم يوسف وهم رجال الله الأتقياء، ولكنهم لم يكونوا أنبياءاً لهم شريعة أو رسالة سوى التمهيد لبدء ظهور الأنبياء على عقيدة التوحيد، ثم توالى الأنبياء فى تسلسل دون انقطاع. فجاء موسى بأول رسالة إلهية مكتوبة، ثم يشوع بن نون، وصموئيل، وعزرا، ونحميا، وداود، وسليمان، وأشعياء، وإرميا، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبيديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاخى، ثم جاء يوحنا المعمدان قبيل المسيح مباشرة ليمهد لرسالته.

ثم جاء السيد المسيح من بنى إسرائيل حسب الجسد. والذى تباركت فيه جميع أمم الأرض حسب الوعد الإلهي، حتى إنه لا يوجد مكان على سطح الكرة الأرضية وألا فيه أتباع السيد المسيح.

أليس هذا ما تحقق فى الوعد الإلهي
بأنه فى نسل إسحاق ستتبارك فيه جميع أمم الأرض؟.

والبركة الثانية لإسحق: بركة أرضية فى أن يكون نسله كرمل البحر، ليس المقصود النسل العبرانى فقط الذى من نسل إسحق ويعقوب، وإنما أيضاً الشعوب والأمم التى ستؤمن بالمسيح والذى ستتبارك فيه جميع أمم الأرض عند مجيئه، بغض النظر عن النسب الذى ينتسبون إليه سواء من نسل اسحق ويعقوب أو من أى نسل من أنسال العالم.

لأنه بمجيء المسيح لا يكون للنسب والتفاخر من شعب دون آخر أى اعتبار له. فأن الجميع متساوين أمام الله. وأنتهى التخصيص للشعب المختار،
المتمثل بشعب إسرائيل لانتهاء مهمته بظهور المسيح.

ولذلك حين تفاخر اليهود بنسبهم لإبراهيم، بقولهم ليوحنا المعمدان بأنهم أولاداً إبراهيم. قال لهم يوحنا:

"أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم "

(متى٣: ٧-٩).

أى النسب لا يُعتد به بعد مجيء السيد المسيح فى الجسد لكل العالم. وإنما العِبرة هى فى قوة الإيمان فقط ومقداره. وليس فى النسب أو الجاه أو السلطان.

وهذا ما أكده أيضاً القرآن الكريم فى قوله:

(لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى)

أى أن قوة الإيمان هى الفيصل الوحيد فى التفضيل الإلهي، وهذا حق لا شك فيه.

فبركة إسحق أن تتبارك فى نسله جميع أمم الأرض، أى فى السيد المسيح أى بدون تحديد لجنس أو نوع لأى شعب. وتشمل كل الأمم من كل الأجناس.

والدليل على ذلك هو أن كل الأنبياء والشرائع والبركات جاءت من نسل إسحق بالتسلسل، وأنتهت فى المرموز إليه السيد المسيح، الذى هو أيضاً من نسل أسحق ويعقوب (إسرائيل) لعشرات المئات من السنوات (لمدة ١٥٠٠ سنة). كما أن كلمة فى نسله تعنى شخص واحد وهو (المسيح) لذلك لم يقل فى الأنسال كمن لكثيرين .

و فى نفس الوقت لم يظهر أى نبى من نسل إسماعيل فى تلك الفترة، أى مُنذ إسماعيل وحتى ظهور السيد المسيح فى الجسد وبعده لمدة تزيد عن ألفى عام. بل كان الظلام الروحى والفكرى وعبادة الأوثان من دون الله، هى السائدة فى نسل إسماعيل، وكذلك فى غيره من الأنسال من أولاد إبراهيم عليه السلام ، كما أن إسماعيل نفسه لم يكن نبياً أو صاحب رسالة.

واليهود والمسيحيون يؤمنون " **بإسحق الذبيح** " للأسباب التى سبق ذكرها، وما جاء أيضاً بالقرآن الكريم كما سبق التوضيح.

ونضيف إلى الأسباب السابقة. الأسباب الآتية أيضاً:

١- أن الوعد تحقق فى اسحق بأن فى نسله تباركت الأرض بالأنبياء طوال عشرات المئات من السنوات فى تسلسل مستمر دون انقطاع لمدة تزيد عن ١٥٠٠ سنة، منذ اسحق وحتى مجيء المسيح. وطوال تلك الفترة كان نسل إسماعيل يعبدون الأصنام (اللات، والعزّى، ومناة) ويشركون بالله.

٢- أن الوعد والعهد سيكون فى إسحق المولود بمعجزة من سارة زوجة إبراهيم وليس من هاجر. لأن إسحق جاء بأمر ووعد إلهى وبإرادة الله، وبشارته

لإبراهيم بأنه سيكون له ولد من سارة. أما إسماعيل فقد جاء برغبة سارة وأرادتها الشخصية.

٣- أن النسل الذى تتبارك فيه أمم الأرض سيسكنون فى أرض كنعان (فلسطين). وقد تحقق هذا بسكنى بنى إسرائيل (يعقوب) فى أرض فلسطين. وأخيراً جاء المسيح على تلك الأرض المباركة نفسها، ونشر منها دعوته إلى جميع أنحاء العالم، وتباركت فى دعوته كل أمم الأرض. أى أن نسل اسحق تباركت به كل أمم العالم حسب الوعد الإلهي لإبراهيم، لظهور عشرات الأنبياء، لعشرات المئات من السنين (تزيد على ١٥٠٠ سنة) . منطلقاً من أرض فلسطين كمركز إشعاع يضئ ظُلمات العالم الوثنى.

كما جاء فى إنجيل لوقا :

" *ويكرز .... لجميع الأمم ، مبتدأ من أورشليم ..*"

(لوقا٢٤: ٤٧).

وأيضاً فى أعمال الرسل:

" *وتكونون لى شهوداً فى أورشليم والسامرة وإلى أقصى الأرض* ".

(أعمال: ٨).

وكما جاء بإنجيل مرقس:

"*أذهبوا إلى العالم اجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها..*"

(مرقس١٦: ١٥).

وأيضاً فى إنجيل متى:

"*فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ...... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.*"

(متى ٢٨: ١٩).

وبمجيء السيد المسيح، أنتهى شعب إسرائيل كشعب الله المختار، لأن فى المسيح تمت كل النبوات لمجيئه، لأن كل النبوات السابقة تكلمت عنه وجاءت من أجله، وتم تشتيت اليهود الذين لم يقبلوا المسيح فادياً ومخلصاً فى كل أرجاء العالم منذ القرن الأول الميلادى، وأصبح الشعب المختار هم كل الذين قبلوا السيد المسيح وآمنوا به مخلصاً وفادياً، من كل الشعوب دون تفضيل ومن كل بقعة على الأرض دون تحديد.

أى أن ارض فلسطين هى الأرض الذى ظهر عليها ومنها جميع الأنبياء، والساكنون بها هم من بنى إسرائيل من نسل أسحق المبارك (طفل الموعد) وبهذا تحقق الوعد الإلهي تماماً فى مباركة الأرض بالأنبياء من هذا النسل المبارك، ومن تلك البقعة من الأرض.

وهكذا تحقق هذا الوعد وتباركت جميع أمم الأرض، بنشر الإنجيل بالوعظ والإرشاد وبالكرازة والذى قام بهذا العمل العظيم (١٢ تلميذاً + ٧٠ رسولاً) لا يحملون سيفا ولا زاداً، وبواسطتهم تم غزو جميع دول العالم بالوعظ والتبشير، وأسقطت كل الإمبراطوريات المدججة بالسلاح والعتاد، عن طريق هؤلاء المبشرين الضعفاء فى أجسامهم الأقوياء بإيمانهم، البسطاء الفقراء وصيادى سمك العُزل من السلاح، وهؤلاء المبشرين التلاميذ الذى أوكلهم السيد المسيح ٨٢ مبشراً للكرازة، لم يقوموا بهذا العمل مجتمعين، بل بفرد واحد أو فردين فقط، كل منهم يذهب إلى مدينة من مدن العالم ليدخلها لينشر فيها الدين الجديد، لعابدى الأوثان والمشركين، والذين لا قلوب لهم ولا رحمة، فقاسوا العذاب والموت.

فالسؤال هنا : كيف انتشرت المسيحية بهذا الانتشار العظيم وتباركت بها جميع أمم العالم بدون أن تساندها قوة عسكرية أو مادية، بالرغم من أن تلك الدول الوثنية كانت من أقوى الدول العسكرية كالرومان، ومن أقوى فلاسفة العالم كاليونان ..؟

الجواب :كما قال لهم السيد المسيح:

" ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر."

أليس هذا دليلاً على معاونة الله سبحانه، لنشر رسالته لتكون معجزة فى حد ذاتها، وقوة الشريعة نابعة منها، وكامنة فيها، فلم تساندها أى قوة عسكرية أو مادية، وبارك الله المبشرين ليقاوموا أعتى الإمبراطوريات شراسة ووثنية والانتصار عليها، وكل تلميذ من تلاميذ السيد المسيح انتصر على ألوف وربوات وملايين من البشر دون سلاح، وترك العالم الوثنى وثنيته وأعتنق ديانة السيد المسيح، بالرغم أن اعتناقه لتلك الديانة الجديدة كانت سبباً لعذاباته وسفك دمائه وقتله فى أبشع صورة من صور الموت والتعذيب ؟ .

أليس هذا دليلاً على رغبة الله سبحانه ورضائه على نشر شريعته بهذا الأسلوب الوديع الهادئ بالرحمة والمحبة، وبهذا تحقق الوعد الإلهي لأسحق فى أن نسله (المسيح)، ستتبارك فيه كل أمم الأرض، وكان السيد المسيح رحمة للعالمين في محبته وفداءه.

كما أن إبراهيم ذاته لم تغيب عنه تلك الحقيقة التى رآها بعين الإيمان، عن المستقبل الذى ينتظر أبنه إسحق، والوعد الإلهي الذى سيتحقق في إسحق ومن نسله من بعده، والذى سيتبارك فى نسله كل أمم الأرض، ولذلك عندما قربت أيامه قبل موته، لم يترك أبنه اسحق (**ابن الموعد**)، أن يكون فى صراع مع أخوته الذين ولدوا لإبراهيم من قطورة ومن سراريه، بعد موت سارة زوجته، بسبب الميراث الكثير المادى الذى يمتلكه إبراهيم، **والذى أعطى لأسحق كل ما يملك من الميراث**، وأعطى القليل لباقى أبنائه **وصرفهم عن ابنه اسحق** إلى مكان بعيد عنه. كما جاء فى التكوين :

"وأعطى إبراهيم أسحق كل ما له. وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن أسحق أبنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي".

(تكوين ٢٥: ٥-٦)

من هذا يتضح أن إسحق هو الابن الوحيد، والذى جاء بمعجزة إلهية، استحق البكورية والميراث دون باقى أبناء إبراهيم من السرارى الذى أعطاهم بعض العطايا وصرفهم عن أبنه أسحق وهو بعد حى.

أيضا هذا الأبن هو الذى قدمه إبراهيم ذبيحة حسب الرؤيا كما جاء فى سفر التكوين:

" وحدث بعد هذه الأمور أن الله أمتحن إبراهيم .

فقال له: يا إبراهيم. فقال ها أنذا.

فقال خُذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحق وأذهب إلى أرض المُريا (١)،

وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك ".

(تكوين٢٢: ١-٢)

ومن هنا نرى الله يخاطب إبراهيم على أن **إسحق** هو الأبن الوحيد الذى من سارة، والذى كان يعيش معه ومع سارة أمه، **أما إسماعيل فقد كان يعيش مع والدته هاجر فى برية فاران فى شمال سيناء** (جنوب غزة على حدود مصر الشمالية) **فى ذلك الوقت.**

كما أن هذا الامتحان الأصعب الذي أمر به الله إبراهيم **بأن يقدم إسحق ذبيحة، كان هدفه أن يختبر الله إبراهيم فى قوة إيمانه، وفى مدى ثقته فى هذا الوعد، ويعطى الثقة للأجيال القادمة فى الله ووعوده،** والذى سبق وأعلنه الله له، **بأن فى نسل ابنه إسحق** (المسيح) **تتبارك فيه جميع أمم الأرض،** والمسيح هو **الفدية،** الذى قدمه الله **لنفسه بنفسه،** **والكبش** الذى قدمه الله لإبراهيم فدية لأبنه إسحق **هو الرمز** (الكبش العظيم) الذى يرمز للمسيح **الذبيح الحقيقى (الذبح العظيم)، وسيكون أتباع هذا النسل من الكثرة كنجوم السماء، وكرمل البحر.**

---

(١) أرض جبل المُريا: هو جبل فى أورشليم القدس بفلسطين وهو الجبل الذى بنى عليه فيما بعد هيكل سليمان. وهى نفس المنطقة أيضاً الذى حددها الله لداود عندما أراد بناء هيكل للرب، والذى اشتراها من (بيدر اليبوسى). وبالقرب منها بنفس المنطقة تم صلب السيد المسيح .

وإذا كان **الذبيح ليس هو إسحق تحديداً**، سواء كان إسماعيل أو غيره من أبناء إبـراهيم، **لأنتفى القصد الإلهى وحكمته من هذا الامتحان، ولا يعتبر امتحاناً له قيمـة، أو أى هـدف** يرمز إليه، **لأن قيمة ذلك الامتحان تتمثل فى أن إسحق هو الموعود والمبشر به**، ومن نسله (المسيح)، **تتبارك فيه جميع أمم الأرض. وأن يجعل من نسله أمم وشـعوب**، مـن الكثـرة كرمل البحر، كما أن هذه التجربة لإبراهيم من سبحانه، **هو اختباراً لمدى إيمان إبراهيم بالله ووعده**، لأنه لا يمكن لسارة أن تنجب ثانياً وهى العاقر العجـوز، **والتـى ولـدت إسـحق بأعجوبة فريدة**، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، **أن عادة تقديم الأبناء ذبائح للآلهة كانت سائدة فى تلك العصور، ويقدمونها للآلهة عن طيب خاطر بدون أمر إلهى**، فإذا كان الـذبيح هو إسماعيل، **فلا تكون هناك أى غرابة فى ذلك على الإطلاق من تقديمه ذبيحة**، وفى هـذه الحالة **لا يتميز إبراهيم عن غيره من الوثنين الذين يقومون بهذا العمل باسـتمرار**، ولكـن الغرابة – **كل الغرابة – هو أن إسحق له وعد خاص من الله بأنه سيتزوج وينجب ويتكـاثر، ومن نسله فى نهاية الأمر سيأتى الشخص الذى ستتبارك فيه كل الشعوب والأمم. ففى حالة ذبحه ستكون كل المواعيد انهارت وكل الوعود الإلهية ذهبت إدراج الرياح، ولهذا السبب**، تدخل **إبليس لكى يشكك إبراهيم فى صدق مواعيد الله**، وأن يدخل فى فكره أن أمر الله فـى منامه بذبح إسحق، **بأنها أضغاث أحلام، ليخرجه عن الإيمان، فكيف يقتل لمن جاء فيه كـل تلك العهود والمواعيد!**. ولكن إبراهيم أنتصر على إبليس، **ولهذا يقول الكتاب عنه " حسـب له براً، وأقسم الله بذاته بعد تلك التجربة، بتتميم كل مواعيده وعهوده فى إسحق.**

كما أن هذا الأبن جاء بمعجزة غير متوقعة من امرأة عجوز فى التسعين من عمرها. ولذلك كان هذا الأمر غريباً لإبراهيم، كيف يكون هو الأبن المبارك الـذى سـيكون نسـله كنجوم السماء ورمل البحر؟، وفى ذات الوقت كيف يقدمه ذبيحة ويقضى على حياته؟.

ومن هنا كان أختباراً صعباً لإبراهيم فى مدى ثقته فى وعد الله.

امتحان صعب (١):

سمع إبراهيم سؤال الله فى الامتحان. كانت كل كلمة من السؤال مثل السيف القاسى القاتل: " ***خذ ابنك، وحيدك، الذى تحبه، اسحق، وأصعده هناك محرقة*** **". الأبن الوحيد يقتله بيده .. كيف هذا ؟!! الرجل العجوز الذي أشرف على الموت يقتل الشاب القوى الصاعد إلى الحياة ! هل يقتل الذي قبل فيه المواعيد ؟ وماذا تقول سارة عن ابنها ؟ وماذا يفعل إبراهيم لو قاوم إسحق أباه العجوز ؟ وماذا يقول إسحق عن أبيه ؟**

وماذا يقول عن إله أبيه الذى يطلب القتل ؟ ثم كيف تكون حياة إبـراهيم بعـد مـوت اسحق؟ ليت اسحق يموت ميتة عادية فى حضن أمه، لكنه سيموت مذبوحاً !، واليد التـى

تذبحه هى يد أبيه. لاشك أن إبراهيم ارتعد أمام هذه الأفكار. لابد أنه فكر فيها جميعاً، لكنه فى النهاية صمم على أن يطيع.

كان إبراهيم متأكداً أن الصوت الذى سمعه هو صوت الله الذى سمعه وعرفه من قبل. كان يعلم أن الله أمين، ولابد أنه سيحقق المواعيد السابقة. وحتى لو مات اسحق فان الله لابد أن يقيمه من بين الأموات. وفى هذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى الإنجيل:

" بالإيمان قدم إبراهيم اسحق وهو مجرب. قدم الذى قبل المواعيد وحيده، الذى قيل له إنه بإسحق يدعى لك نسل، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات "

(عبرانيين ١١: ١٧-١٩)

كان إبراهيم قد سمع المواعيد من الله عن هذا الأبن، وعرف أن هذه المواعيد لم تتم، وكان يعلم أنها لابد أن تتم. لكن إبراهيم وثق فى قوة الله، وفى تسليم وافق على أمر الله. لقد فعل ما قاله نبى الله داود:

"أسرعت ولم أتوانَ لحفظ وصاياك "

(مزمور ١١٩: ٦٠).

فى هذا نرى ثقة إبراهيم فى الرب الذى يدبر كل شيء، ومع التجربة يعطى منفذاً. لقد افتُدي الله اسحق بذبح عظيم. وتتكلم المسيحية عن الفداء وهو:

(فداء المسيح الذبح العظيم)

والخروف الذى قدمه الله لفداء إسحق،

هو الرمز للمسيح الذى قدمه الله فداء العالم. الذى أفتدى به البشرية كلها بدمه الكريم والذى بذل نفسه عن كل العالم.

وكما يقول الإنجيل:

" لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله،

متبررين مجاناً بنعمة الفداء الذى بالمسيح يسوع، الذى قدمه الله كفارة،

ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع ".

(رومية٣: ٢٢-٢٦).

هذا هو الاختبار القاسى لقوة إيمان إبراهيم بذبح اسحق ابنه الوحيد من سارة العاقر، التى لا يمكن أن يكون لها أبن آخر، بعد كبرها فى السن والذى تعدى حينئذ أكثر من مائة عاماً!. إذ كيف يقدمه ذبيحة وهو وحيده من سارة وفيه سيتحقق الوعد .

---

(١) إبراهيم خليل الله للدكتور القس منيس عبد النور ص ٥٥، ٥٦

وكيف يذبحه وقد سبق أن وعده الله بأنه فى نسل اسحق تتبارك أمم الأرض ويكــون نسله كنجوم السماء ؟.

وبالرغم أن إبراهيم **بعد موت سارة** زوجته المحبوبة **قد أتخذ له زوجة أخــرى** أســمها **قطورة**، وولدت له وحدها **ستة أولاد**، غير أولاده من السرارى، **ولكن فى حياة زوجته سارة لم يتخذ إبراهيم أى زوجة أخرى غيرها**، ولم يخبرنا الكتاب أن لإبراهيم جواري أو سرارى، غير الجارية الوحيدة الخاصة بسارة (**هاجر**)، والتى قدمتها إليه لكى يرزق لها منها بأبن.

كما أن الاختبار الإلهي لا بد وأن يكون فى أعز ما يملكه إبراهيم لكى يكون الامتحان الأصعب والأعسر، بما يتناسب مع عظمة الله وجلاله.

وذلك لعدة أسباب أيضاً هى:

١- **أن الامتحان صادر من الله لإبراهيم**. فلا بد أن يكون هذا الامتحان **فى أقوى صورة لــه بما يتناسب مع عظمة الله**، وفى نفس الوقت **يتناسب مع اختبار قوة إيمان إبراهيم وفى أعز ما يملكه من الأبناء. حتى يكون الامتحان** جديراً بتسجيله، **ويكون هذا الامتحان أيضاً هــو** الفيصل بين طاعة الله أو عصيانه. **لأنه إذا كان الامتحان فى شخص آخر غير إسحق لفقــد الاختبار أى قيمة له، ولفقد الغرض منه** فى اختبار قوة إيمان إبراهيم. **وقد يكــون الله قــد تدخل فى إرادة إبراهيم بأنه إلا يتزوج بأخرى غير سارة العاقر طوال تلك السنين حتى بلغ المائه عام، حتى لا يرزق ببنين** من زوجات أخريات، **حتى يكون للاختبار قوته لقياس قدرة إيمانه، لأنه لو كان لإبراهيم أولاداً كثيرين من زوجات وجواري وهذا حق له وهى العــادة السائدة فى تلك العصور، لما كان هناك أى تأثير لفقد أحد من أبنائــه الكثيــرين، ويكــون الامتحان ضعيفاً هيناً لا يتناسب مع عظمة الله أو قدرته، لأنه عنده ما يعوضه عــن فقــد أحدهم.**

٢- **أن عادة تقديم الأبناء ذبائح للآلهة فى الوثنية التى كانت سائدة** فى تلك العصور ومــا بعدها، **هى عادة طبيعية لا غرابة فيها أو شذوذ**. ولاسيما أن **الكنعانيين** الذى يعيش إبراهيم فى وسطهم من أكثر الشعوب التى **تقدم أبنائهم ذبائح للآلهة** ابتغاء مراضاتهم . فــإذا قــدم إبراهيم **إسماعيل** أو أحد أبنائه من السرارى - **إذا كان له - فلا يكون هناك غرابة فى ذلك أو لقياس قوة إيمانه، لأن** هذه العادة مألوفة. **وبالتالى لا يعُد هذا إختباراً أو إمتحانــاً مــن الله لإبراهيم، لأن الكثير من الوثنين فى عصره يقومون بهذا العمل بذبح أبنائهم تلقائياً لألهتهم الصنمية وبنفوس راضية تماماً، وبدون أوامر إلهية.**

٣- أن الغرابة فى تقديم إسحق ذبيحة إلهية، ليس لغرابة الأمر الإلهي فى تلك العصور، بل أن غرابته ناتجة من أن الله وعد إبراهيم بأنه فى أسحق ستتبارك فيه جميع أمم الأرض، كما إنه سيجعل نسله كنجوم السماء. فكيف يستقيم ذلك، والله يأمره بذبحة والقضاء عليه؟. وهذا الفعل ضد مواعيد وعهود الله السابقة !. كما أن هذا الأمر يؤدى إلى التشكيك فى كلام الله !. ومن هنا جاء الامتحان الأصعب والأعسر لإبراهيم.

٤- بذبح إسحق ينتهى كل أمل فى إنجاب غيره من سارة، لأن سارة فى ذلك الوقت قد وصلت من العمر لأكثر من مائة عاماً. فإذا كانت ولادة إسحق من سارة فوق التصديق عندما كانت تسعون عاماً وهى العاقر، فكيف يكون الأمر وهى فى سن تجاوز المائة عام ولا يمكن أن تلد غيره، وهو الأبن الوحيد لإبراهيم من زوجته المحبوبة سارة الذى كرس لها كل حياته، ولم يتخذ له أى زوجة أو سرارى فى حياتها. ووضع فى أسحق كل أمله ومستقبله فيه، وبالنسبة لسارة أن أسحق هو كل حياتها وبهجة قلبها وابن عمرها، والتى لا تستطيع أن تطيق الحياة بدونه . وهذا مما جعل إبراهيم لا يخبرها بأمر الله له بذبح إسحق أبنها، حتى لا يقضى عليها، ولا يجعلها تعمل على عرقلة عزمه فى القيام بهذا العمل ومخالفة أمر الله. فذهب إلى جبل المُرية فى أورشليم كما أمره الرب لذبحه وهى لا تعلم. ومن هنا كان الامتحان الأعسر والأعظم لإبراهيم.

٥- إذا كانت الذبيحة لإسماعيل أو لغيره من الأبناء من السرارى. فلا يكون هذا إمتحاناً لقوة إيمان إبراهيم. لأنه يمكن لإبراهيم إنجاب الكثيرين من الأبناء من الجوارى أو السرارى. لأن إبراهيم ليس عاقراً لا ينجب، بدليل أن إبراهيم تزوج من قطورة بعد موت سارة وكان عمره عندما تزوج قطورة تجاوز ١٤٧ عاماً والذى أنجب منها ستة أبناء، وكانت سارة هى العاقر ولم تنجب، إلا بالطريقة المعجزية التى أرادها الله وقد حدث وأنتهى الأمر.

أى أن إسحق لا يمكن تعويضه مرة ثانية من سارة. فى نفس الوقت يمكن تعويض إسماعيل أو غيره سواء من هاجر أو من غيرها.

ومن هنا أيضاً كان الامتحان الأعسر والأصعب لإبراهيم.

٦- كل هذه العوامل السابقة جعلت إبراهيم فى صراع نفسى رهيب. وعليه أن يختار بين طاعة الله، وبين الإبقاء على أبنه وحيده الذى يحبه والذى وِلد بعد مائة عام من عمره. وبين حزن سارة الذى يؤدى بها إلى الجنون المؤكد، إذا نفّذ ما أمره الله به من ذبح أسحق. وكان صراعه بين الشك واليقين. بين شكه فى وعود الله الخاصة بإسحق، وبين كيفية تنفيذ تلك الوعود إذا ذبح أبنه الوحيد من سارة. كما أن الشيطان حاول تشكيك وعرقلة

إبراهيم فى ذبح أبنه، لأنه كيف سيكون لإسحق نسل وكيف يذبحه أى يقضى عليه، لأن الذبيح إذا كان غير أسحق فإنه سيتحرر من كل تلك الصراعات النفسية المريرة.

ولذلك كان ذبح إسحق هو الامتحان الأعسر والأصعب.

٧- لذلك كافأ الله إبراهيم. بأن أقسم الله بذاته مجدداً عهوده فى إسحق بأنه سيتبارك فيه جميع أمم الأرض لأنه لم يمسك أبنه وحيده عنه. وقد نفّذ الله كل مواعيده السابقة حرفياً على مدى الأجيال فى أن يجعل من نسل إسحق الأنبياء. وختم هذه البركة فى المسيح من نسل إسحق ويعقوب (حسب الجسد). وبذلك تباركت فى نسله كل أمم الأرض. وبالمسيح قدم الكفّارة لكل البشر من آدم وحتى نهاية العالم، وكان المسيح سبب البركات لكل نسل بنى أسحق ويعقوب (إسرائيل) والعالم أجمع من كل الأجناس حسب الوعد الإلهى لإبراهيم.

٨- لو فرض جدلاً وهذا مستحيل أن اليهود قاموا باستبدال اسم إسماعيل ووضعوا مكانه أسم إسحق. فمن المعروف أن كل المواعيد الإلهية تحققت فى اسحق ونسله، وان جميع الأنبياء كانوا من نسل اسحق كما وعد الرب إبراهيم. والشواهد والتاريخ تثبت أن كل المواعيد تحققت فى بنى إسرائيل. وقد حدث ذلك واقعياً وتاريخياً .

والتاريخ والواقع يشهد بأن المواعيد قد تحققت فى نسل اسحق. أما إذا كان هناك تزوير باستبدال اسحق بإسماعيل قد حدث، فمعنى ذلك أن الله بارك هذا التزوير وسار على منهج المزورين والغشاشين والخادعين، وشجع اليهود على ذلك الغش والخداع، بدليل أن الله طوال ٢٠٠٠ سنة، منذ إبراهيم ونسله(اسحق، يعقوب، يوسف ..الخ.)، توارثت المواعيد، وأيضاً جاء بأكثر من ٤٠ نبياً ورسولاً فى العهد القديم، ورسل وتلاميذ السيد المسيح فى العهد الجديد من بنى إسرائيل (يعقوب) أيضاً، الذى هو الأبن المباشر لأسحق. وفى ذلك تأكيد لسبحانه بأن إسحق هو النسل المبارك.

وفى نفس الوقت لم يأتي بأي نبى فى تلك الفترة من نسل إسماعيل أو غيره من أبناء إبراهيم، بل كانوا جميعاً مشركين وعابدى أصنام. والشرك بالله من أعظم الكبائر التى لا غفران لها.

فحاشا لله أن يكون مزوراً أو غشاشاً أو خادعاً، لأن من يسير على منهج الغشاشين يصير منهم، وحاشا لله سبحانه أن يتدنى لمستوى البشر الخادعين.

والنتيجة المنطقية بعد تأييد الله لعهوده مع نسل اسحق، إنه لأكبر دليل على أن اسحق هو الشخص الصحيح وليس الاسم المزور كما يقول البعض دون روّية، وبالتالى يكون اسحق هو الذبيح.

٩- أن الله حقق كل مواعيده فى اسحق، بالرغم أن إسماعيل اكبر من إسحق بـــ ١٤ سنة، وذلك يرجع إلى **أن إسماعيل ولِد من هاجر برغبة سارة وإرادتها الشخصية وشكها فى مواعيد الله** بأنها سترزق بابن من صلبها، **وعندما تباطىء الله فى تحقيق ذلك لِحكمة منه لاختبار قوة إيمان إبراهيم وسارة. وليأسها من تحقيق الموعد، ورغبتها فى إسعاد زوجها الصابر والقانع والذى لم يتزوج من غيرها حباً فيها، واحتراماً لمشاعرها، وصراعه الداخلى ورغبته الشديدة فى أن يكون له ابن يرثه ويحملُ أسمه وهو الإنسان مثل كل البشر له طموحاته وحب البقاء والامتلاك، لذا قدمت سارة لإبراهيم هاجر جاريتها لكى يرزق منها لها ابن** فوافقها إبراهيم على ذلك، **فولد لها إسماعيل.**

أما بالنسبة لإسحق وهو الأبن المبشر به من الله، الذى ولِد من سارة لتحقيق الوعد الإلهي فيه، **فقد ولِد بمعجزة وبإرادة الله** ورغبته **فى مكافأة إبراهيم على إيمانه وصبره، لأن إبراهيم طلب من الله أن يرزق له بابن يرثه من سارة، وليس من غيرها.**

لأنه كان فى مقدور إبراهيم الزواج كما يشاء من الزوجات أو السرارى لتحقيق رغبته فى النسل، وإنجاب الكثير من الأبناء منذ زمن طويل، وهو حقه الطبيعي فى الزواج والإنجاب فى حالة إذا ما كانت زوجته عاقر، وحتى ولو كانت زوجته غير عاقر، **كان يمكنه الزواج بأى عدد من النساء كما هى العادة فى تلك العصور.** ولكنه لم يشأ ذلك فى وجود سارة زوجته المحبوبة. **ولذلك كان فى إسحق كل المواعيد الإلهية، كما كان فيه أيضاً اختبارا إيمانياً لإبراهيم، وامتحاناً له فى قوة إيمانه وصبره وثقته بربه.**

لذلك كان اسحق هو الذبيح. وهو الامتحان الأعسر والأصعب.

١٠- لم يذكر القرآن الكريم فى آياته البيّنات صراحة، من هو الذبيح هل هو إسحق أم إسماعيل.؟. وهل يعجز الله بأن يذكر ويصرح بوضوح من هو الذبيح؟، حتى يضع حداً لتلك البلبلة والتشويش فى التخمين والحيرة، ونحن نعلم أن سبحانه دائماً واضحاً فى كلامه وتصريحاته، حتى لا يقع الإنسان في الشك. وفى التوراة ذُكر إسحق صراحة. وفى الإنجيل أيضاً ذكر اسحق هو الذبيح. وفى الأحاديث الصحيحة تذكر:

" إذ لم يكن هناك نص صريح فى القرآن، يرجع فيه بما يوافق سنن أهل الكتاب".

وأهل الكتاب يقولون أن الذبيح هو إسحق. وهذا لا يعتبر تناقضاً أو انتقاصا فى القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم لم يذكر من هو الذبيح.

١١- لا يضير القرآن الكريم وأخوتى المسلمين، من هو الذبيح هل هو إسحق أم إسماعيل، لأن كليهما أولاد إبراهيم، لذا لم يهتم النص القرآنى كثيراً بتلك القضية لأنها قضية ثانوية بالنسبة له، ولكن بالنسبة لأهل الكتاب فهى قضية جوهرية، لمواعيد الله وعهوده، وتحققها فى نسل أسحق، فبالنسبة لليهود فهو (المسيا المنتظر) الذى تتبارك فيه جميع أمم الأرض، وبالنسبة للمسيحيين فهو مخلصهم المنتظر الذى هو المسيا أيضاً، وفى المسيح يتم الخلاص والفداء لكل البشر. وفيه تتحقق كل المواعيد.

ولذلك كافأ الله إبراهيم الذى لم يمنعه حبه لأبنه الوحيد من سارة عن تقديمه لله ذبيحة ولذلك حسب الله له ذلك براً. فمنعه الله عن ذبح أبنه فى اللحظة الأخيرة وقدم له كبشاً بديلاً عنه .

ولذلك بعد تلك الحادثة مباشرة قال الرب لإبراهيم:

" *بذاتى أقسمت يقول الرب أنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك أبنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل على شاطئ البحر... وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولى.* "

(تكوين ٢٢: ١٦-١٨)

من هذا نرى الوعد الإلهي يتأكد مرة ثالثة فى أسحق. وتكرر هذا الوعد عينه فى يعقوب الذى هو إسرائيل، ومن إسرائيل أستمر ذلك الوعد طوال مدة ظهور الأنبياء فى نسل أسحق لمدة ١٥٠٠ سنة حتى تحقق الوعد النهائى من نسل أسحق حسب الجسد بظهور المسيح بتجسّد الكلمة، وذلك من موسى أول نبى من بنى إسرائيل وحتى يوحنا المعمدان آخر نبى قبيل المسيح مباشرة. الذى هو أيضاً من نسل بنى إسرائيل حسب الجسد، وبه تباركت جميع أمم الأرض من مشارقها ومغاربها، وفى كل قارتها فى كل العالم والأمم، حتى أصبحت هى الديانة الأكثر انتشاراً فى كل بقاع الأرض من حيث العدد، كما انتشر الكتاب المقدس وتمت ترجمته إلى عشرات المئات من لغات العالم، وحتى وصل إلى ما يزيد عن ٢٢٠٠ لغة ولهجة، ويتم توزيع هذا الكتاب بالمليارات لكل شعوب الأرض قاطبة.

وهل بعد ذلك يأتى من يقول أن التوراة أصابها التحريف والتبديل بعد ما تحقق كل ما جاء بشأن أسحق والبركة لكل شعوب الأرض وكل تلك الوعود التى تحققت حرفياً ؟!.

وعلى من يدعّى التحّريف أن يقول لنا أين موضع التحرّيف فى تلك القصة ؟. وليأتى بالصحيح منها إذا أستطاع ! .

فى هذه القصة الواقع يثبت صحتها وواقعيتها، والعقل والمنطق يثبت معقوليتها، والتاريخ يشهد بصدق المواعيد وتحقيقها.

ولهذا لا يمكن للتوراة أو الإنجيل أن تكون محرفّة فى تلك القضية أيضاً.

======================

ثانياً : قصة إسحاق وإسماعيل حسب ما جاء بالقرآن الكريم:

سبق وأن بيّنا القصة الكاملة كما جاءت بالتوراة ويؤكدها الإنجيل، بأن ابن الموعد المبشر به هو أسحق، وأيضاً هو الذبيح.

وهذا هو الامتحان الأصعب والأعسر لاختبار قوة إيمان إبراهيم.

وسبق أيضاً أن ذكرنا أن القرآن الكريم لم يحسم هذه القضية صراحة أو ضمناً عن من هو أبن الموعد المبشر به ومن هو الذبيح ؟ هل هو أسحق أم إسماعيل؟.

لذا سنستعرض التفسير من واقع التفسير الإسلامى وبدون تعليق منا، وذلك من تفسير ابن كثير(١).

وعن هذا الموضوع سننقل أجزاء من هذه الصفحات من الآراء المتابينة، ففريق يقول بأن الذبيح هو أسحق وهم الغالبية، وفريق آخر يقول بأنه إسماعيل وهم أقلية، ولم تصل الآراء لرأى قاطع فى هذه القضية الهامة. وذلك بسبب عدم وضوحها فى النص القرآنى.

وإليك ما جاء فى تفسير ابن كثير من المرجع السابق:

جاء فى (سورة الصافات ٩٩ -١١٣):

(وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ٩٩ رب هب لى من الصالحين ١٠٠ فبشرنه بغلام حليم ١٠١ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ١٠٢ فلما أسلما وتله للجبين ١٠٣ وناديه أن يا إبراهيم ١٠٤ قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ١٠٥ أن هذا لهو البلوا المبين ١٠٦ وفدينهُ بذبح عظيم، ١٠٧ وتركنا عليه فى الآخرين ١٠٨ سلم على إبراهيم ١٠٩ كذلك نجزى المحسنين ١١٠ إنه من عبادنا المؤمنين ١١١ وبشرنهُ بإسحق نبياً من الصلحين ١١٢ وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما مُحسن وظالم لنفسه مُبين ١١٣).

---

(١) تفسير أبن كثير. الجزء الرابع من ص ١٤ وحتى ص ١٩، الصادر من المكتبة القيمة عام ١٩٩٣.

سنورد جانباً من الآراء المتباينة والتى جاءت بتفسير ابن كثير:

قال الله تعالى " **فبشرناه بغلام حليم** "، **وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام**، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من أسحق بإتفاق المسلمين وأهل الكتاب.. وعندهم أن الله تبارك وتعالى **أمر إبراهيم بأن يذبح ابنه وحيده**، وفى نسخة أخرى بكره **فأقحموا إسحاق** ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، **وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم. ولإسماعيل أبو العرب فحسدوهم** فزادوا ذلك **وحرفوا وحيدك بمعنى الذى ليس عندك غيره** فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه مكة وهو تأويل وتحريف باطل، وقد ذهب جماعة من أهل العلم **إلى أن الذبيح هو إسحاق**، وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل من بعض الصحابة رضى الله عنهم وليس ذلك فى كتاب ولا سنة.. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى إنه لإسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر إنه الذبيح ثم قال بعد ذلك " وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين"، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا " إنا نبشرك بغلام عليم ". وقال تعالى " فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب " أى يولد له فى حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل، **وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحة وهو صغير**، لأن الله تعالى **قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل، فكيف بعد هذا أن يؤمر بذبحة صغيراً ؟**(١). **وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام.**

وعن أبى هريرة قال: أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟. **إنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق** قال الشيطان **إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً**، فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام **بابنه ليذبحه** فذهب الشيطان **فدخل على سارة** فقال أين ذهب إبراهيم **بابنك** ؟ قالت غدا به لبعض حاجته، قال فإنه لم يعد به لحاجة **إنما ذهب به ليذبحه**، قالت ولمَ يذبحه ؟ قال زعم **أن ربه أمره بذلك**، قالت فقد أحسن أن يطيع ربه، فذهب الشيطان فى أثراهما **فقال للغلام** أين يذهب بك أبوك؟ قال لبعض حاجته قال: فإنه لا يذهب بك لحاجة **ولكنه يذهب بك ليذبحك** قال **ولمَ يذبحني ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك**، قال فو الله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن، قال فيئس منه فتركه ولحق **بإبراهيم**" عليه الصلاة والسلام فقال **أين غدوت بابنك؟** قال لحاجة، قال فإنك لم تعد به لحاجة وإنما **غدوت به لتذبحه**، قال ولمَ أذبحه؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فو الله لئن كان الله تعالى أمرنى بذلك لأفعلن قال فتركه **ويئس أن يطاع**.

---

(١) لأن هذا هو الامتحان الأعسر والأصعب واختباراً وامتحاناً لقوة إيمان إبراهيم، واختباراً لمدى ثقة إبراهيم فى وعود الله، لأنه من المؤكد أن إبراهيم قد راوده هذا السؤال، وهو كيف يذبحه وفيه وعد الله بنسل يعقبه؟. وإبليس وسوس له به، لأنه إذ كان الذبيح لغير إسحق لما كان لإبراهيم أن يراوده هذا السؤال، وليس هناك داع لإبليس أن يوسوس في صدره. ولكن المحك هنا لهذا الاختبار لإبراهيم هو إسحق تحديداً، لأنه في إسحق كانت مواعيد الله بكثرة نسله، ومن نسله (المسيح) تتبارك به أمم الأرض فكيف يذبحه؟ وقد سبق الله ووعده بالنسل المبارك من إسحق وجعل في نسله النبوة والكتاب؟. ومن هنا كان لهذا الاختبار قيمته وثمنه. كما سبق التوضيح.

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن العباس رضى الله عنهما قال: الصخرة التى بمنى بأصل ثبير هى الصخرة **التى ذبح عليها إبراهيم فداء إسحاق أبنه**، هبط عليه كبش من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه، وهو الكبش الذى قربه **ابن آدم** (١)، فتقبل منه فكان مخزوناً **حتى فدى به لإسحاق** .. وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول: **ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس** من الأروى **أهبط عليه من ثبير** ..

قال حمزة الزيات عن ميسرة رحمه الله قال: قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك فى وجهه ترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله **ابن إسحاق ذبيح الله** بن إبراهيم خليل الله ... عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون **بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب**، فبم قالوا ذلك ؟ قال: **أن إبراهيم** لم يعدل بى شيء قط إلا أختارنى عليه، **وإن إسحاق جاد لى بالذبح** وهو بغير ذلك أجود، **وإن يعقوب** كلما زادنى حسن الظن .. فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن **إسحاق ذبيح الله** بن إبراهيم خليل الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه، **وكذا روى عكرمة** عن ابن عباس رضي الله عنهما **أنه إسحاق.**

وعن بن أبى برزة ومكحول وعثمان بن لأبى حاضر والسدى والحسن وقتادة وأبو الهزيل ...، وتقدم روايته عن كعب الأحبار **أنه إسحاق**، .. قال ابن جرير حدثنا أبو كريب..عن العباس بن عبد المطلب رضي الله **عنه عن النبى ص** فى حديث ذكره قال " **هو إسحاق** " .. وقد تقدمت الرواية **عن ابن العباس** رضي الله عنه **أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم**، وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبى.. عن ابن العباس رضي الله عنهما **هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام**.. وقال ابن جرير.. عن ابن العباس أنه **قال: المفدى هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام**، وكذلك يوسف بن مهران.. يقول الله تعالى " فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب " يقول بابن وابن ابن **فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق. وله فيه من الموعد بما وعده** (١): وما الذى **أمر بذبحه إلا إسماعيل**، قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيراً..... وقال عبد الله بن الأمام أحمد بن حمبل رحمه الله سألت أبى عن الذبيح **هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل**. حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابجى قال:حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه **فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره.**

---

(١) لم يحدد الحديث أيضاً مثل القرآن، من الذى قدم الذبيحة من أبنى آدم، ولم يذكر أسمائهم، أو اسم مقدم الذبيحة. مثله مثل الذبيح لم يحدد القرآن أو الحديث أيضاً من هو الذبيح. والتوراة والإنجيل ذكرتهم تصريحاً.

وإنما عول ابن جرير فى اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى " فبشرناها بغلام حليم " فجعل هذه البشارة هى البشارة بإسحاق (٢)، فى قوله تعالى " وبشروه بغلام عليم " وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعى أى العمل .. وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك... والذى أستدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم.. قال ابن العباس رضي الله عنهما الذبيح إسحاق.. وحدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن العباس رضي الله عنهما فى هذه الآية " وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين " قال إنما بشر به نبياً من الصالحين، قال إنما بشر به نبياً حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده. انتهى.

ونرى مما سبق عن تفسير أبن كثير .
ففريق قال بأنه إسحق، وفريق آخر قال إنه إسماعيل.
(ولا تعليق)

---

(١)، (٢) نتفق أن المواعيد كانت لإسحق من سبحانه وليس لإسماعيل، ونختلف فى الذبيح لنفس السبب مع بعض المفسرين، لأنه إذا كان الذبيح هو إسماعيل، لفقد الأختبار قيمته عن مدى إيمان إبراهيم فى مواعيد الله التى قيلت فى إسحق، ومن هنا كان الاختبار لقوة إيمان إبراهيم فى مواعيده وعهوده التى قيلت لإسحق. ولذا هذا الاختبار القاسى ربما يشكك إبراهيم فى حلمه بذبح أبنه إسحق تحديداً، ولذا إبليس أستغل تلك العهود الإلهية بشأن إسحق، ليشكك إبراهيم فى أمر الله بذبح إسحق، إستناداً على تلك المواعيد التى قيلت فى إسحق، ويقول له أنها أضغاث أحلام ويوسوس فى صدره وفى صدر إسحاق وأمه، كما جاء فى بقية الحديث.

واليك أيضاً يا أخي القارىء بعض ما جاء على صفحات الإنترنت بهذا بعنوان:

من الذبيح إسماعيل أم إسحق (١)

للشيخ المقدسي

هل الذبيح إسحاق أم إسماعيل؟

يقول الشيخ المقدسى:

".... ثم إن الله لم يبشر إلا بإسحاق: "وامرأته قائمة، فضحكت. فبشرناها بإسحاق، ومن وراء اسحق يعقوب " هود (٧١:١١).. وبشر به إبراهيم "**نبيا من الصالحين**" الصافات (١١٢:٣٧)، . أما قصة "الذبيحة"، أو التضحية، فقد لخصتها سورة "الصافات" في ست آيات، دون أن تذكر اسم "الذبيح":

"فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي، قال: يا بني، إني أرى في المنام أني أذبحك. فانظر ماذا ترى ؟، قال: يا أبت، افعل ما تؤمر.
ستجدني إن شاء اله من الصابرين. فلما أسلما، وتله للجبين.
وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين.
إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم".
الصافات (٣٧:١٠١-١٠٧).

وهو قريب مما ورد في "سفر التكوين" (٢٢:١-١٣) ؛ إلا أن الحوار كان بين إبراهيم وابنه إسحاق على أن المفسرين، وفي طليعتهم الطبري، ومؤلفي " قصص الأنبياء " من بعدهم، كالثعلبي والكسائي، توسعوا في سرد الحكاية، مستعينين بما كان متناقلاً بين اليهود، مأخوذا عن بعض المدارج (المدارش)، ولا سيما "مدرش تنومة" و" مدرش فيوشة"، حتى كانت تلك القصة الحية الشائقة التي ظهر فيها للشيطان دور بارز، وهم ينسبونها، في الغالب إلى كعب الأحبار، أشهر من نشر "الإسرائيليات" في التفسير، والشرح، والتعليق، والقصص. قالوا:

لما رأي إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه، وتحقق أنه أمر ربه، قال لابنه:

" يا بني، خذ الحبل والمدية، وانطلق بنا إلى هذا الشعب، لنحتطب لأهلنا "

---

(١) من موقع WWW.STMARYCHURCH.ORG

فأخذ المدية والحبل، وتبع والده. فقال الشيطان:

" لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم، لا أفتن أحدا منهم أبدا ". فتمثل الشيطان رجلا. فأتى أم الغلام، فقال لها: " أتدرين، أين ذهب إبراهيم بابنك ! " **قالت: "ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب ".** فقال لها الشيطان: " لا، والله، ما ذهب به إلا ليذبحه ". **قالت: "كلا ! هو أشفق به، وأشد حبا له ".** فقال لها: " إنه يزعم أن الله أمره بذلك. **قالت: " فإن كان الله تعالى، قد أمره بذلك، فليطع أمره ".** فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن، وهو يمشي على اثر أبيه. **فقال له: "يا غلام، هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ " قال: " نحتطب لأهلنا من هذا الشعب ".** فقال له: " والله، ما يريد إلا ذبحك " . **قال: لأي شئ ؟ قال:** "زعم أن الله تعالى، أمره بذلك ". **قال: " فليفعل ما أمره الله تعالى، سمعا وطاعة لأمر الله، تبارك وتعالى! ". فأقبل الشيطان إلى إبراهيم (عم). فقال: " أين تريد، أيها الشيخ ؟ " قال: " أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ". قال: "إني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيته أنك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك. فتندم بعد ذلك، حيث لا ينفعك الندم". فعرفه إبراهيم (عم). وقال: "إليك عني، يا ملعون! فو الله لأمين لأمر ربي"، فنكص إبليس على عقبيه، ورجع بخزيه وغيظه. ولم ينل من إبراهيم، ولا من ولده، ولا من زوجته شيئا. ثم يضيف الرواة حوارا بين إبراهيم وابنه ليس في المدراش اليهودية. إلا أنه مستفاد من الحوار القرآني، مضافا** إليه ما نقله قطب الدين النهر والي عن ابن كثير، عن الرواة، عن كعب الأحبار. **وقد أقحم اسم "إسماعيل" في الحكاية.....**

(راجع مقال ايزنبرغ في الطبعة الأولى من "دائرة المعارف الإسلامية" الترجمة العربية ٢:٩٧).

بقي السؤال المهم (ومازال الاقتباس من موقع الانترنت):

من هو " الذبيح "؟ إسحاق أم إسماعيل ؟

لا شك في أن التوراة تذكر بصراحة أنه إسحاق، في مستهل الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين:

" وكان، بعد هذه الأمور، أن الله امتحن إبراهيم فقال: يا إبراهيم. قال: لبيك. قال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، وامض به إلى أرض الموريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أريك"

(سفر التكوين ٢٢:٢)

أما ما فرضه البعض من أن اليهود، أضافوا على هذه الآية كلمة "إسحاق" **فحشروها بعد " وحيدك الذي تحبه "، اعتداداً بجدهم ونكاية بالعرب** (راجع الترجمة العربية للطبعة

الأولى من الدائرة المذكورة ٢:٩٧)، فهو إما تزلف ساذج للعرب، على نحو ما روي عن ذاك اليهودي المسلماني في عهد بني أمية، إذا أراد التقرب إلى عمر بن عبد العزيز بقوله أن اليهود وضعوا اسم جدهم إسحاق موضع اسم جد العرب إسماعيل، وأما غفلة عن واقع الأمر، وسهو عن ملابسات القضية زمانا ومكانا، إذ يصح السؤال عندئذ:

متى كانت هذه الإضافة ؟ وفي أية غاية ؟ ولا بد أنها كانت قبل المسيح، لأن المعتقد المسيحي الجاري منذ البدء إلى اليوم لا يتردد في القول أن الذبيح إسحق. فإذا صح هذا، جاز للسؤال: وأي دافع كان لليهود، قبل المسيح، إلى إقحام اسم إسحاق في النص التوراتي، "المقدس"، وإلى إحلال جدهم محل إسماعيل ؟ ولم يكن إسماعيل ينافس إسحاق في شئ، إذ ذاك؛ وهو ابن الجارية المطرود عن حظيرة المنزل الوالدي ؟ بل لم تكن أبوة إسماعيل للعرب ذات خطر في نظر أحد، ولا منافسة العرب لليهود لها حساب في تاريخ بني إسرائيل، ولا العراك المرير بين العرب "أبناء إسماعيل"، والفرس "أبناء اسحق" واردا في تصور اليهود.

وعلى هذا تتابع التقليد بين اليهود والمسيحيين، وبالتالي بين العرب المنتمين إلى هذين الدينين، أو المتأثرين بهما، حتى ظهور الإسلام. ومما لا شك فيه كذلك أن القرآن لا يسمى من هو الذبيح (١)، وقد أوردنا الآيات ١٠١-١٠٧ من سورة "الصافات" التي تصف التضحية، ولا تتعرض لاسم الولد المضحى به، على كون القرآن يذكر اسمي ولدي إبراهيم في عدة مواضع (إسحاق ١٧ مرة، وإسماعيل ١٢ مرة). بيد أن النصوص القديمة تدل على أن المعتقد الجاري بين العرب المسلمين، حتى أواخر العصر الأموي، كان أن الذبيح إسحق. وهذا الفرزدق يذكر " الذبيح إسحق " في قصيدتين من آخر شعره. يذكره عرضا، دون تعمل ولا تكلف، وغايته الشفاعة به وطلب دعائه. وأولى القصيدتين في مدح مالك بن المنذر بن الجارود، عامل خالد القسري على البصرة وكان قد حبس الفرزدق وهو في حدود التسعين من سنيه - فيكون ذلك حوالي السنة ٧٣٠ - فمدحه الفرزدق تائبا مستعطفا، وسيرها من سجنه. وفيها يقول فى (ديوان الفرزدق، ص ٦٧٩).

إني حلفت بصارع لابن له اسحق فوق جبينه المتلول

فلم يعطف ذلك مالكا، وطال الحبس على الفرزدق. فوجه القصيدة الثانية إلى ابن الخليفة معاوية بن هشام بن عبد الملك، مادحا، مستعطفا، راجيا الدعاء من إبراهيم الخليل، مضمنا حكاية الضحية على ما حفظها في "القرآن":

---

(١) أي لم يذكر أسم الذبيح ولم يحدد من هو إسحق أم إسماعيل.

أرجو الدعاء من الذي تلا به | لجبينه، ففداه ذو الأنعام
إسحاق حيث يقول، لما هابه | لأبيه حيث رأى من الأحلام
امضي وصدق ما أمرت فإنني | بالصبر محتسبا لخير غلام

(الديوان ، ص ٨٣١)

ولا سبيل إلى الشك في صحة الأبيات.

على أن ابن قتيبة كان من القائلين بأن "الذبيح إسحاق" (المعارف ، ١) وكذلك محمد بن سلام في تعليقه على بيت جرير في هجاء سراقة البارقي:

ولقد هممت بأن أدمدم بارقا | فحفظت فيهم عمنا إسحاقا !

قال ابن سلام: " يعني إسحاق الذبيح ". (طبقات الشعراء، ١٠٧). كذلك كان رأي ابن عبد ربه، وقد أورد حديثا في وفاة إبراهيم الخليل جاء فيه أن الذبيح إسحاق. قال: وفي بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن، صلوات الله عليه، كان من أغير الناس. فلما حضرته الوفاة، دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره. فقال له: " من أدخلك داري ؟ " قال: "الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة !" قال: "من أنت؟" قال: " أنا ملك الموت. جئت لقبض روحك ."قال: "أتاركي أنت حتى أودع ابني إسحاق؟ قال: "نعم" فأرسل إلى إسحاق. فلما أتاه، أخبره. فتعلق إسحاق بأبيه إبراهيم. وجعل يتقطع عليه بكاء. فخرج عنهما ملك الموت. وقال: " يا رب، ذبيحك إسحاق متعلق بخليلك. فقال له الله: " قل له: إني قد أمهلتك." ففعل. وانحل إسحاق عن أبيه. ودخل إبراهيم بيتا ينام فيه. فقبض ملك الموت روحه، وهو نائم."
(العقد الفريد ٢: ٤٤٠).

وممن قالوا بكون الذبيح إسحاق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، على ما جاء في نقل النهروالي في كتاب "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" (ص ٣٧).

ولعل فكرة " الذبيح إسماعيل " لم تتقدم العصر العباسي، وفيه اشتدت المنافسة، حتى العراك السافر، بين العرب والفرس ومن ورائهم الشعوبية. فكان من متممات هذا العراك، وقد استغل المناضلون من الفريقين القرآن، والحديث، والشعر، وأيضاً استغلوا تاريخ الأنساب ومفاخر الجدود. وكان الساسانيون ينتسبون إلى إسحاق، فكان طبيعيا أن ينوهوا به؛ وأن يقوم الفرس جميعا، وسائر الشعوبيين، فيفخروا على العرب " بإسحاق بن إبراهيم، وأنه لسارة، وأن إسماعيل لآمة تسمى هاجر" (العقد ٣: ٤٠٩). وحق للعرب أن يفخروا بإسماعيل بكر إبراهيم، وأن يصرفوا إليه فضيلة " الذبيح " المختار من الله فكان من ذلك أن قضية اسم الذبيح، التي كانت ثانوية في نظر الأوائل، بدليل إهمال القرآن التدقيق فيها،

وبدليل أن الغاية من الحادثة كانت بلاء إبراهيم وامتحان إيمانه، وهل يقدم على التضحية بولده – ولا عبرة في أي كان ذلك الولد – في طاعة الله هذه القضية، التي كانت ثانوية، أول الأمر، ثم غدت أساسية، وافرة الخطر، إذ أقيم منها أصل من أصول المفاخرة بين العرب والفرس؛ فغدا مهما جدا أن نعرف أي جد من الجدين اختار الله للتضحية. وإذا بالعراك يغتذي بموضوع جديد، فيشدد الحزب العربي في الاحتجاج لإسماعيل . ويستغرب الحزب الفارسي والشعوبي هذا القول المحدث. وأن في ما أورده المسعودي لتمثيلاً حيا لبعض مشاهد العراك في الموضوع الذي يهمنا.

قال المسعودي: وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد التسعين والمائتين (٩٠٣) بجده إسحاق بن إبراهيم الخليل على ولد إسماعيل **بأن الذبيح كان إسحاق دون إسماعيل.**

فقال في كلمة له: أيا بني هاجر، أبنت لكم: ما هذه الكبرياء والعظمة ؟ ألم تكن في القديم أمكم لأمنا سارة الجمال أمه ؟ والملك فينا، والأنبياء لنا إن تنكروا ذاك، توجدوا ظلمه، إسحاق كان الذبيح قد اجمع الناس عليه .. ، حتى إذا ما محمد أظهر الدين، وجلى بنوره الظلمة، قلتم: " قريش! "، والفخر في الدين لا الأحساب؛ إن كنتم بنيه، (مروج الذهب ١:٢٨٢) ، فرد عليه ابن المعتز واتخذ الموضوع من ثم طابعاً قومياً، فاشتد النقاش والجدل بين أرباب الحديث والمفسرين: بعضهم يميل إلي إسماعيل، وبعضهم إلى اسحق. وكان من "الإسحاقيين"، وبالإضافة إلى القدامى الذين لم يخطر على بالهم أمكان النزاع في هذا الموضوع، ابن قتيبة، والطبري. على أن الأكثرية، ابتداء من العصر العباسي، كانت في حيز إسماعيل. وظل بعضهم على تردد بين الاثنين، لا يجزمون، كما فعل الجاحظ في الكلام على الطاعة والمطاوعة، إذ قال: "وقد أمر الله تعالى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، بذبح إسحاق أو إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام. فأطاع الوالد، وطاوع الولد " (الحيوان ١:١٦٣)، وذلك حتى القرن السادس عشر كما ينتج من تفسير الجلالين الآية ١٠٧ من سورة "الصافات": "وفديناه بذبح عظيم" قال: "وفديناه"، أي المأمور بذبحه، وهو إسماعيل أو إسحق. قولان ".

أما قضية الذبيح من هو؟ إسماعيل أم إسحاق ؟ فلنتركها للكتاب المسلمين فان لهم فيها رأي ولنضف كلاما لابن خلدون برهن فيه أن الذبيح إسحاق، مستندا إلى فضيلة البشارة في تعيين الولد المختار من الله.

قال: " الراجح أنه إسحق لأن نص القرآن يقتضي أن <u>الذبيح هو المبشر به</u>، ولم يبشر إبراهيم بولد، إلا من زوجته سارة، <u>وإن البشارة كانت قبل هاجر</u>، أي قبل دخوله مصر. فإن سارة أخذت هاجر من مصر، وقدمتها لإبراهيم، <u>بعد البشارة بعشر سنين</u>. فالمبشر به، قبل

ذلك، هو ابن سارة، فهو الذبيح بهذه الدلالة القاطعة." أن الذبيح هو إسحق قال الحاكم في (ج ٢ ص ٥٥٥)، ثم روى الحاكم عدة روايات **في أن الذبيح هو إسحق، وأنه هو الذي يشفع للموحدين ! ولم يذكر فيها شيئاً عن شفاعة نبينا صلى الله عليه وعلي آله وسلم وصحح بعضها أيضاً على شرط الشيخين !** قال (**في ج ٢ ص ٥٥٧، وفي ٥٥٩**)، حدثنا إسماعيل بن الفضل بن محمد الشعراني، ثنا جدي، ثنا سنيد بن داود، ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال عبد الله **قال: الذبيح إسحاق. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.** عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال : لما رأى إبراهيم في المنام **أن يذبح إسحاق أخذ بيده . فذكره بطوله. .. قال الحاكم: وقد ذكره الواقدي بأسانيده**، وهذا القول عن أبي هريرة، وعبد الله بن سلام، وعمير بن قتادة الليثي، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو، **والله أعلم.**

عن وهب بن منبه قال: حديث **إسحق** حين أمر الله إبراهيم أن **يذبحه**: وهب الله لإبراهيم **إسحق** في الليلة التي فارقته الملائكة، فلما كان ابن سبع **أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قرباناً**، وكان القربان يومئذ يتقبل ويرفع، **فكتم إبراهيم ذلك إسحق وجميع الناس وأسرّه إلى خليل له**، فقال ألعازر الصديق وهو أول من آمن بإبراهيم وقوله، فقال له الصديق:

إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك ولكنه يريد أن يجربك ويختبرك، فلا تسوئن بالله ظنك فإن الله يجعلك للناس إماماً ولا حول ولا قوة لإبراهيم وإسحق إلا بالله الرحمن الرحيم.

فذكر وهب حديثا طويلاً إلى أن قال وهب: وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لقد سبق **إسحق** الناس إلى دعوة ما سبقها إليه أحد ! ويقومن يوم القيامة فليشفعن لأهل هذه الدعوة، وأقبل الله على إبراهيم في ذلك المقام فقال: اسمع مني يا إبراهيم أصدق الصادقين. **وقال لإسحق: اسمع مني يا أصبر الصابرين، فإني قد ابتليتكما اليوم ببلاءٍ عظيمٍ لم أبتل به أحداً من خلقي، ابتليتك يا إبراهيم بالحريق فصبر صبراً لم يصبر مثله أحد من العالمين، وابتليتك بالجهاد فيَّ وأنت وحيدٌ وضعيفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم يصدق مثله أحد من العالمين، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك في طاعة أبيك**، ورأيت ذلك هنيئاً صغيراً في الله كما يرجو من أحسن ثوابه ويسر به حسن لقاءه، وإني أعاهدكما اليوم عهداً لا احبسن به: أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة عليَّ فأنت خليلي من بين أهل الأرض دون رجال العالمين، وهي فضيلة لم ينلها أحد قبلك ولا أحد بعدك، فخرَّ إبراهيم ساجداً تعظيماً لما سمع من قول الله متشكراً لله.

وأما أنت يا إسحق فتمنَّ عليَّ بما شئت، وسلني واحتكم، آوتك سؤلك. قال: أسألك يا إلهي أن تصطفيني لنفسك، وأن تشفعني في عبادك الموحدين، فلا يلقاك عبدٌ لا يشرك بك شيئاً إلا آجرته من النار. قال له ربه: أوجبت لك ما سألت وضمنت لك ولأبيك ما وعدتكما على نفسي، وعداً لا أخلفه، وعهداً لا أحبسن به، وعطاء هنيئاً ليس بمردود.

يبقى السؤال: من أين جاء هذان الاتجاهان في المسألة ! أما البخاري فقد تهرب في صحيحه من تعيين الذبيح ولكنه اختار في تاريخه أنه إسحاق وليس إسماعيل رغم وجود عدة روايات صحيحة على شرطه تقول إنه إسماعيل ومن البعيد جداً أنه لم يرها ! وقال عبد الرزاق في تفسيره (ج ٢ ص ١٢٣) عن الزهري عن القاسم بن محمد في قوله: إني أرى في المنام أني أذبحك، قال:

اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي (ص) وجعل كعب يحدث أبا هريرة عن الكتب ! ! فقال: **أبو هريرة قال النبي (ص): إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فقال له كعب: أنت سمعت هذا من رسول الله ! قال نعم.** قال كعب: فداه أبي وأمي **أفلا أخبرك عن إبراهيم إنه لما رأى ذبح ابنه إسحق قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبدا فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه** فذهب الشيطان **فدخل على سارة فقال:** أين ذهب إبراهيم بابنك **قالت: غدا به لبعض حاجته فقال:** إنه لم يعد به لحاجة إنما ذهب ليذبحه **قالت: ولم يذبحه !** قال: يزعم أن ربه أمره بذلك ! **قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه ..**

(وتأتى باقى القصة كما أوردناها سابقاً بالنسبة أيضاً لإسحق وإبراهيم ..).

وروى الطبري في تاريخه (ج ١ ص ١٨٧) رواية معاوية وعدة روايات عن كعب الأحبار **في أن الذبيح إسحق،** ومنها رواية عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فيها: **فلما أخذ إبراهيم إسحق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال إبراهيم لإسحاق قم أي بني فإن الله قد أعفاك فأوحى الله إلى إسحق إني أعطيك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق:** اللهم فإني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة. انتهى. **وبذلك يقول لنا كعب:-**

إن الذبيح هو إسحاق جد اليهود وليس جد العرب.

وقال السيوطي في (الدر المنثور ج ٥ ص ٢٨٢)، وأخرج عبد الرزاق .... عن كعب رضي الله عنه أنه قال لأبي هريرة: **ألا أخبرك عن إسحق قال بلى قال: لما رأى إبراهيم أن يذبح إسحق ... وذكر شفاعة إسحق للموحدين بنحو رواية الطبري المتقدمة.**

هذه بعض من الآراء المتباينة فى من هو الذبيح إسحاق أم إسماعيل ؟

ولم يكن هناك رأى قاطع عن الذبيح، ولكن أغلب المفسرين تقول إنه إسحق في القرون الأولى من الهجرة كما سبق من اقتباس الأولين، والخلاف كان في أجيال متـأخرة، نظـراً لتفاخر الأنساب بين اليهود والعرب. وهذا ما جاء فى تفسير ابن كثير فى الجزء الرابع من ص ١٤ وحتى ١٩ وكذلك ما سبق من أبحاث الشيخ المقدسى، (أنتهى الإقتباس ولا تعليق).

واليك بعض المراجع المقتبس منها تلك الآراء عن من هو الذبيح ؟ أسحق أم إسماعيل، من الموقع المشار إليه. كما وردت أسفل البحث على صفحات الإنترنت للشيخ المقدسيوهي:

سفر التكوين ، ترجمة الآباء اليسوعيين .	مع التفاسير ولا سيما تفسير الجلالـين، مصـر ١٩٥٢
كتاب الصحيح : باب الأنبياء . القرآن – البخاري	ابن عبد ربه : العقـد الفريـد ، طبعـة أمـين ، والزين، والأبياري ، مصر ١٩٤٠ الجـزءان ٢ و٣
البيان والتبيين : طبعة هارون ، الجزءان ١ و ٣	المسعودي : مروج الـذهب ، طبعـة Pellat ، الجزءان الأول والثاني ، بيروت ١٩٦٦
محمد بن سلام: طبقات الشـعراء (Hell) ليـدن ١٩١٦	ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ، ليدن ١٩٠٢، المعارف ، مصر ١٩٥٢ هـ
الجاحظ: الحيوان، طبعة هارون، الجـزء الأول، مصر ١٩٣٨	الجاحظ: كتاب الحيوان، طبعة هارون، الأجزاء ١و٤و٧
ابن عبد ربه:العقد الفريد، طبعة أحمد أمين الأجزاء ١-٦	التربيع والتدوير: طبعة Pellat ، دمشق ١٩٥٥ ١٩٣٦
الكسائي : قصص الأنبياء ، ليدن ١٩٢٢	ابن خلدون: المقدمة، طبعة بيروت ١٩٥٦
ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، طبعة صالحاني، بيروت ١٨٩٠	قطب الدين النهروالى : كتاب الإعلام بأعلام بيـت الله الحرام
الطبري: كتاب الرسل والملوك ، طبعة ليدن ، الجزء الأول .	الدينوري : الأخبار الطوال ، مصر ١٣٣٠هـ . الثعلبي: قصص الأنبياء، القاهرة ١٣٣٩ هـ
الأزرقي: أخبار مكة ، طبعة Wustenfeld ،١٨٥٨	ديوان الفرزدق : طبعة الصاوي ، مصر

القضية الثالثة:

ورد فى إنجيل يوحنا عن الروح القدس المعزّى (الباراكليتس) الذى وعد المسيح أن يرسله بعد ارتفاعه (صعوده إلى السماء). ويقول بعض أخوتى المسلمون أنه يشير إلى نبى الإسلام، لأن كلمة الباراكليت فى اللغة اليونانية، معناها أحمد فى اللغة العربية.

وللتوضيح نقول:

أن كلمة (الباراكليت) **جاءت بالإنجيل وهى** (المعّزى) **فى خمسة مواضع:**

الأول : فى إنجيل يوحنا:

*(وأنا أطلب من الآب فيعطيكم **معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق** الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم).* (يوحنا ١٤: ١٦-١٧)

الثاني : فى (يوحنا ١٤: ٢٦):

*(**وأما المعّزى الروح القدس** الذى سيرسله الآب **باسمى**، فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم).*

الثالث : فى (يوحنا ١٥: ٢٦):

*(**ومتى جاء المعّزى** الذى **سأرسله أنا إليكم** من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى).*

الرابع : فى (يوحنا١٦: ٧ -١١) :

*(إنه خير لكم أن أنطلق **لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعّزى**، **ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء** ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى. وأما على بر فلأننى ذاهب إلى أبى ولا يروننى أيضاً.وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين).*

الخامس : فى (يوحنا١٦: ١٣ -١٤):

*(**وأما متى جاء ذاك المعّزى روح الحق** فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. **ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**).*

هذا ما ورد فى إنجيل يوحنا عن الروح القدس **المعزّى** (**الباراكليتس**) **الذى وعد المسيح أن يرسله** بعد ارتفاعه (**صعوده إلى السماء**). ويقول بعض أخوتى المسلمون **أنه يشير إلى نبى الإسلام.**

وحيث أن تلك الآيات هى آيات جاءت بالإنجيل فقط، لذا سيكون تفسيرها من ذات الإنجيل ومن معتنقيه، إذ لا يصح تفسير تلك الآيات الإنجيلية من القرآن، لأنها ليست آيات قرآنية، ولا يتم تفسيرها بمعزل عن أصحابها، أو تجاهل معانيها الراسخة فى المعتقد المسيحى، لأن الإنجيل فى هذه الحالة هو المصدر الأساسى الوحيد لها.

وهنا يجب أن نحدد من هو (**المعزّى**) **فى اللغة العربية**، أو **(باراكليتس) فى لغتها اليونانية.** فى تلك الآيات **التى اتخذت عدة أسماء للروح القدس، وأسماءه هى:**
{ روح الله - المعزّى - روح الحق - روح الرب - الروح القدس - الروح (المعرف بال) **}**

يقول الباحثون المدققين بشأن هذه الكلمة، أن هناك فى اليونانية كلمة أخرى تختلف فى هجائها، ونطقها بالعربى (**بيركليتس**)، وترجمتها إلى العربية " **المحمود أو المشهور** ".

وهذه الكلمة غير التى وردت فى إنجيل يوحنا كما فى الآيات التى أوردناها عاليه فى إصحاحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦.التى نطقها بالعربى (**باراكليتس**) وترجمتها بالعربية " **المعزّى** "

وهى تختلف فى الحروف الهجائية والنطق، وبالتالى فى المعنى عن الكلمة الأولى. وإذا كان **اختلاف الحركات** (**التشكيل**) فى اللغة العربية يحدث تغييراً فى المعنى على سبيل المثال كما **فى كلمة** " **السلام** " مثلاً:

إذا وضعنا على حرف السين (**فتحة**) " **السَلام** " كان المعنى = **الصُلح.**
وإذا وضعنا عليها (**ضمة**) " **السُلام** " كان معناها = **عظام الأصابع.**
وإذا وضعنا تحتها **(كسرة)** " **السِلام** " كان معناها = **الحجارة.**

وهكذا الكثير من الكلمات التى **تتغير معناها** بمجرد **اختلاف التشكيل** مع ثبات الحروف. فكم **يكون الاختلاف فى معانى الكلمات** إذا كان الخلاف فى **حروفها الأصلية وليس فى تشكيلها. أليس هذا التغيير فى الحروف يغير معناها ؟.**

أليس من الأفضل للكُتاب أن يبحثوا ويدققوا عن المعنى الذى تؤديه كل من الكلمتين، ليعلموا أن كلمة (**باراكليتس**) الواردة فى إنجيل يوحنا **لا تفيد** معنى المحمود أو مشهور بل معناها " **المعّزى** ". وهى تختلف عن كلمة (**بيركليتس**).

ومع ذلك فماذا يفيد بعض أخوتى المسلمون **إذا ثبت أن الكلمة** " **المحمود** " بدلاً من "**المعّزى** "، **ولماذا يدور البحث حول الصفة مادام الموصوف ظاهراً جلياً.** فلو أن المسيح قال: " **أنا أرسل لكم (الباراكليت)، دون أن يذكر الروح القدس أو روح الحق**، لجاز لهؤلاء أن يتمسكوا بكلمة (الباراكليت) ليتوصلوا بها إلى ما يريدون.

أما وان الباراكليت **هى صفة للروح القدس أو روح الحق** الذى **هو هدف الكلام، والذى وعد المسيح بإرساله، وهو واضح وظاهر** فى جميع الآيات التى أوردناها، **والتى يستند عليها بعض إخوتى المسلمون.**

فيجب والحالة هذه أن نبحث:

هل محمد هو روح الحق أو الروح القدس الموعود به ؟. (١)

الجواب:

أن **(الباراكليت) هو روح الحق أو الروح القدس.** وأن الروح القدس قد ورد ذكره فى القرآن الكريم، **ولم يقل القرآن الكريم أن الروح القدس أو روح الحق أو الروح الأمين هو محمد،** بل بالعكس **أثبت القرآن الكريم أن الروح الأمين أو الروح القدس أو روح الحق غير محمد،** كما جاء فى سورة الشعراء قوله لمحمد نبى الإسلام:

(نزل به الروح الأمين على قلبك، لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين).

وسواء أكان الروح الأمين أو روح الحق هو جبريل أو الروح القدس فعلى كل حال فهو ليس محمد، بل الذى نزل على قلب محمد هو القرآن.

---

(١) من كتاب هل الكتاب المقدس تنبأ عن محمد للقمص سرجيوس

وقد فسر البيضاوى والجلالين والفخر الرازى والطبرى والنيسابورى لمعنى الروح القدس أو الروح الأمين، ولم يقل أحد منهم على أى وجه من الوجوه أن الروح القدس هو محمد. وإليك ما قالوه عن الروح القدس، والوارد فى القرآن الكريم، كما يلى :

(١) الروح جبريل.	(٧) أقرب من رب العالمين.	(١٣) ملك فى السماء الرابعة.
(٢) أعظم خلقاً من الملائكة.	(٨) أنه خلق عجيب.	(١٤) الروح لا يعلم كنهه إلا الله.
(٣) الروح أعظم من الملائكة.	(٩) هو نور القلب.	(١٥) هو النصر على العدو.
(٤) هو الوحى والقرآن.	(١٠) هو روح عيسى.	(١٦) هو الإنجيل.
(٥) هو روح من الإيمان.	(١١) هو أمر الله.	(١٧) هو الحفظة على الملائكة.
(٦) هو أسم الله الأعظم	(١٢) ملك موكل على الأرواح.	(١٨) أو خلق من الملائكة.

وكذلك من يلقى نظرة **ولو سطحية** على آيات الإنجيل التى ذكرناها فى الخمس آيات التى تخص " **المعّزى أو روح الحق أو الروح القدس** " والتى اتخذها بعض أخوتى المسلمون دليلاً للتحريف. **والذى وعد السيد المسيح بإرساله بعد صعوده الى السماء يجد إنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون تفسير أو تأويل الروح القدس هو محمد نبى الإسلام بدليل :**

أولاً : أن الباراكليت الموعود به هو روح، والروح لا جسم له ولا مادة. إما محمد نبى الإسلام **له جسد ومادة مثل كل البشر.**

ثانياً: الروح الموعود به قيل عنه فى الآيات المذكورة، **أن المسيح سيرسله معزياً للتلاميذ، وهذا لا ينطبق على محمد، لأن محمد جاء بعد موت التلاميذ بستة قرون.**

ثالثاً: وعد المسيح أن يرسل الروح ليمكث مع التلاميذ الى الأبد ويكون فيهم. وهذا لا ينطبق على محمد نبى الإسلام، **لأن التلاميذ لم يروا محمد ولم يمكث معهم ولا فيهم، وأن حياته كانت محدودة وتوفاه الله.**

رابعاً : الروح الموعود به فى إنجيل يوحنا قيل عنه أن العالم لا يراه ولا يعرفه. أما محمد فقد رآه الناس **وعرفوه وقبلوه وتعامل معهم**، واختلط بالناس وتزوج وحارب وهاجر.

خامساً : الروح الموعود به قيل عنه **أنه يُعلّم التلاميذ كل شئ ويذكّرهم بكل ما قاله المسيح.** ومحمد نبى الإسلام، **لم يكن معاصراً للتلاميذ ولم يقم بتعليمهم** أو بتذكيرهم.

سادساً : الروح القدس الموعود به قيل عنه روح الحق المنبثق من الآب. وهذا لا ينطبق على محمد نبى الإسلام، **لأنه مولود من عبد الله، لا منبثق من الله الآب**، فهو كما قال عن نفسه: **ما أنا إلا عبد ورسول.**

سابعاً : أن المسيح أوصى تلاميذه قائلاً :

" أن لا يبرحوا أورشليم . بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى،
لأن يوحنا عمد بالماء وأنتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير "
(اعمال١: ٤-٥).

وأيضاً جاء فى أعمال الرسل (أعمال ١: ٨-٩) قول السيد المسيح لتلاميذه:

" ولكن حينما يحل الروح القدس (المعّزى) عليكم ،
تنالون القوة وتكونون لى شهوداً فى أورشليم واليهودية كلها، وفى السامرة وإلى أقاصى الأرض. قال هذا وأرتفع إلى السماء بمشهد منهم. ثم حجبته سَحابة عن ألظارهم "
. (اعمال١: ٨-٩)

فواضح هنا أن السيد المسيح **سيرسل الروح القدس** على التلاميذ **بعد صعوده مباشرة**، لأنه أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم، **حتى ينتظروا الروح القدس**، لأنهم **سيعمدون بالروح القدس.**

وقد تحقق هذا الوعد بعد عشرة أيام من صعوده الى السماوات.

كما جاء فى أعمال الرسل:

" ولما جاء اليوم الخمسون، كان الأخوة مجتمعين معًا فى مكان واحد.
وفجأة حدث صوت من السماء وكأنه دوى ريح عاصفة، فملأ البيت الذى كانوا مجتمعين فيه، ثم ظهرت لهم ألسنةً كأنها من نار ، وقد توزعت وحلّت على كل واحد منهم، فأمتلأوا جميعاً من الروح القدس (المعزّى)، وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى.
مثلما منحهم الروح أن ينطقوا " . (أعمال: ٤).

وكان ذلك إشارة أيضاً لكلمات يوحنا المعمدان في (لوقا٣: ١٦) عن معمودية الروح القدس بالنار، كما إنها إتمام لنبوءة يوئيل النبى عن انسكاب الروح القدس.

(يوئيل٢: ٢٨-٢٩).

لماذا ألسنة من نار؟

الألسنة رمز إلى الحديث والبشارة وتوصيل الإنجيل، بينما ترمز النار إلى وجود الله المطهر لحياتنا، والذى يحرق كل العناصر غير المرغوب فيها فى حياتنا مشعلاً قلوبنا بمحبة الآخرين.

كما أنها تعبر عن حضور الله فى حياة الإنسان.

ثامناً : أن المسلمون أنفسهم لا يرضون بتطبيق آيات الروح القدس الخمسة التي ذكرناها والواردة فى إنجيل يوحنا على محمد عليه السلام لأنها تقول:

أن المسيح هو الذى سيرسل الروح القدس (المعزى)،
وان الروح القدس لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما للمسيح ويتكلم.

فإذا ارتضوا بهذا التطبيق، جعلوا من محمد (رسول المسيح)
مع أنهم يؤمنون أنه رسول الله.
فيكون والحالة هذه أن المسيح هو الله الذى أرسل رسوله محمداً.
وأنه الذي يوحى إلى محمد ما يقوله.

فهل يقبل أخوتى المسلمون بهذه النتيجة.؟. بالطبع لا.

ومما تقدم من توضيح لتلك **الآيات الخمس** التى ذكرناها والتى جاءت بالإنجيل عن المعزى (الروح القدس)، والتى يستند عليها بعض أخوتى المسلمين كدليل على انتظار نبى آخر، لا يوجد أى ذكر أو معنى فى تلك الآيات يفهم منه تصريحاً أو تلميحاً بأن يبشر المسيح عن نبى آخر. ولا يوجد اصل لها في المخطوطات الإنجيلية كلها.

أما القول – مع ذلك – بأن الرسول احمد جاء ذكره في الإنجيل، بناء على تلك الآيات الإنجيلية، فهذا لا يتفق مع النص الإنجيلي وروحه، سواء فى المعنى أو فى الوظيفة.

كما أن أسم نبى الإسلام هو محمد وليس أحمد، كما جاءت ذكره فى القرآن الكريم والدليل على ذلك كما يرد في أربع آيات:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (ال عمران ١٤٤.) (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ). (الأحزاب ٤٠)، (وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ). (محمد ٢). (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ). (الفتح ٢٩).

فتأمل موقف بعض اليهود من المسيح – وهم غير مؤمنين بالمسيح أصلاً – وهو يبشرهم برسول يأتيهم من العرب الوثنيين! فلو فعل وقال ذلك لكفروه مرتين، ولقتلوه مرتين !.

والرسول الذي يبشر به الإنجيل، هو الروح القدس، وهو ليس ببشر، ولا يظهر لبشر حتى يكون (رسولا بشرا).

(الفارقليط) أو (الباراكليتس) في الإنجيل:

في الإنجيل بحسب يوحنا، الذي تقودنا إليه السيرة النبوية لابن هشام، لا كلمة (الفارقليط) تعني (احمد)؛ ولا أوصاف (الفارقليط) فيه يمكن أن تعني (محمدا) أو بشرا على الإطلاق.

وفي توحيد السيرة النبوية، نقلا عن الإنجيل، بين الفارقليط والروح القدس ما كان يغنيهم عن ورطتهم. فالإنجيل يقول **(الروح القدس)** على العلمية، ونرى معناه في الإنجيل. والقران يجعل (روح القدس) جبريل، (النحل ١٠٣؛ البقرة ٩٢).

فكيف يكون الفارقليط، روح القدس جبريل النبي (احمد) ؟ وكيف خفي هذا عن أهل السيرة وأهل التفسير؟. وكيف يمكن لعاقل اليوم أن يدعي بان (احمد) هو الفارقليط، روح القدس؟.

أكان ذلك بحسب قراءة القران الكريم، أم بحسب قراءة الإنجيل المقدس.؟

****

والواقع الإنجيلي فيه مسألة أثرية، ومسألة موضوعية:

(١) المسألة الأثرية:

أن المخطوطات الكبرى التي ينقلون عنها الإنجيل، والموجودة في المتاحف الشهيرة، **هي من القرن الرابع الميلادي، قبل القرآن بمئتي سنة ونيف. وكل المخطوطات قرأت الفارقليط، البارقليطس** (parakeets) **أي المعزى، ولم يقرأ مخطوط على الإطلاق** (Periklutos) **أي (محمود)** الصفات، أو **(احمد)** الأفعال أو كثير **(الحمد).**

لكن في نقل الكلمة اليونانية بحرفها إلى العربية (برقليطس) **ضاعت القراءة اليونانية الصحيحة؛ وجاز تحريف المعنى إلى** (احمد). **فقولوا الإنجيل ما لم يقل. فليس في الحرف اليوناني الصحيح، الثابت في جميع المخطوطات، من اثر لقراءة تعني (احمد).**

(٢) المسألة الموضوعية:

كذلك ليس في أوصاف الفارقليط في الإنجيل، ما يصح أن ينطبق على مخلوق، فكيف يطبقونه على بشر رسول ؟. كما أوضحناه فى النصوص الإنجيلية الخمس السابقة الأولى، والتي جاءت فى إنجيل يوحنا.

ففي الحديث أو النص الأول تلك الأوصاف تدل على إلهية الفارقليط.:

الفارقليط يقيم مع تلاميذ المسيح إلى الأبد – وليس هذا في قدرة مخلوق.

والفارقليط هو (روح الحق)، أي روح الله.

وهو أيضا **روح المسيح**، لأن المسيح وصف نفسه **(الحق).**

(يوحنا ٤: ٦)

فهو روح الله وروح الحق. ومن الكفر نسبة هذه المصدرية إلى مخلوق.

الفارقليط يتمتع بطريقة وجود الله في كونه وعالمه، الوجود الخفي، لذلك:

(لا يستطيع العالم أن يراه).

الفارقليط يتمتع بسعة الله، وروحانيته: في إقامته بنفوس المؤمنين. (يكون معكم ويكون فيكم) .

فكيف يكون الروح القدس، الفارقليط ليس بشر رسول ؟ أو أي مخلوق ؟.

ومن ناحية أخرى، فان **الفارقليط، الروح القدس،** يبعث **إلى الحواريين** الذين يخاطبهم المسيح، **معزياً لهم في رفعه عنهم إلى السماء.**

فكل القرائن اللفظية والمعنوية: تدل على أن الفارقليط لا يمكن أن يكون بشرا

ولا مخلوقا. وصفاته الإلهية وخلوده وعمله في المسيحيين (إلى الأبد)،
براهين ساطعة على ألهيته.

في الحديث الثاني:

يسمي الفارقليط باسمه المتواتر، (الروح القدس). فهو (الروح) على الإطلاق، **وهذه صفة إلهية**، وصفه (القدس) تنزيه له عن المخلوق، لان (القدس) في لغة التوراة والإنجيل والقران **كناية عن الله، بصفة التجريد والتنزيه.**

هذا في ذات الفارقليط.
وعن صفاته قول:

أن الفارقليط يرسله الله باسم المسيح .

أن الفارقليط يعلم الحواريين ويذكرهم بكل شيء:
فهل تخطى بشر **الزمن وظهر للحواريين (ليذكرهم بجميع ما قاله المسيح لهم) ؟**

والفارقليط يعلم رسل **المسيح** (كل شيء):

هذا هو العلم الرباني وسعته الإلهية، فهل ينطبق هذا على بشر ؟ أم على مخلوق ؟ .
فذات الفارقليط وصفاته الروحية تمنع من أن يكون رسول **بشرى** مادي.

أن مصدرية الفارقليط **الإلهي، وعمله الإلهي، أسمى من المخلوق،**
ورسالته تتمة لرسالة المسيح، وهي مخصوصة برسل المسيح والمسيحية فقط.

في الحديث الثالث:

تعلن مباشرة **إلهية الفارقليط**، انه (ينبثق من الآب) أي من ذات الآب.
والتعبير (ينبثق) **ينفي الصدور بالخلق.**
فهو (روح الحق) **يصدر من ذات الآب، في ذات الآب، لذات الآب.**

وبما أن (الحق) **هو أيضا** (المسيح نفسه) **فصفته** (روح الحق) **تدل على صدوره أيضا من المسيح، بصفة كونه (الحق) مع الله، أي كلمة الله. ودليل صلته المصدرية بالمسيح، لما لله، كون المسيح هو الذي يرسله من لدن الآب : (أرسله إليكم من لدن الآب) .**

فالفارقليط، (روح الحق، الذي ينبثق من الآب) هو روح الله الآب،
والمسيح الكلمة في آن واحد، فمن الكفر نسبته إلى مخلوق.
ورساله الفارقليط هي الشهادة، مع الحواريين للمسيح،

في الحديث الرابع:

يعزي المسيح حوارييه ببعثة الفارقليط إليهم، ويربط بين رفعه إلى السماء، وبين بعثة الروح الفارقليط. لهم .

ورسالة الفارقليط، (الذي لا يستطيع العالم أن يراه)، هي رسالة روحية،
فلا يصح بحال أن تنسبه إلى بشر جسدى.
ورسالة الفارقليط هي تتمة متلاصقة لرسالة المسيح .

ورسالة الفارقليط هي الشهادة للمسيح وحده:
فهو يبكت العالم على خطيئته له لمن يؤمن بالمسيح، ويفحم العالم بصحة الإيمان بالمسيح،.
وهذه رسالة لا يمكن أن يقوم بها أي رسول بشر.

في الحديث الخامس الأخير:
عالم الفارقليط الهي:
فهو يرشد رسل المسيح (إلى الحقيقة كلها) فى عصرهم، ويخبرهم بما يأتي،
فهل يستطيع بشر أن يرشد حواريي المسيح ؟

وفصل الخطاب:
إن ذات الفارقليط (الروح القدس)، إلهية وصفاته إلهية، وأفعاله إلهية.
تلك هي شهادة النصوص الخمسة في الفارقليط .

(وفى العصر الحديث أيضاً)

خرج علينا بعض من الكُتّاب يفسرون بعض آيات الإنجيل تفسيراً من منظورهم الشخصي وتحريفاً للنصوص الإنجيلية دون الرجوع لآيات وروح الإنجيل والكتاب المقدس، أو على الأقل الرجوع إلى مفسري الإنجيل من أصحابه، وذلك إمعاناً فى اتهام المسيحيون فى تحريف معانى آيات إنجيلهم.

وللأسف هؤلاء الكُتّاب هم المحرّفون لآيات الله. فهم يحرّفون الكلام عن موضعه، ولست أدرى لمصلحة من يتم هذا التحريف، وهو فى غنى عن هذا وغير مطالب به، وفى غنى عن الاستشهاد من كتاب محرّف، لأن هذا ما يعتقده فى كتابنا المقدس، فكيف يستشهد من كتاب هو يؤكد تحريفه، وإذا كان يستشهد من هذا الكتاب المحرّف في اعتقاده الشخصي، معنى ذلك يؤكد أن الآية صحيحة من كتاب صحيح وليس محرّفاً، أى يستخدم فى تفسيره آيات إثبات من كتاب لا يعترف بصحته. وبهذا تكون أفعاله تناقض أقواله، فأيهما نصدّق؟.

وعندما يفسّر المسيحى آيات كتابه المقدس من واقع روح الكتاب وآياته الواضحة التى لا تقبل تأويلاً، يتهمه الآخرون بتحريف كتابهم بلى معانى آيات كتابهم!؟.

شيء لا يقره عقل أو منطق.

ومن أمثلة هؤلاء الكتّاب ما أستشهد به الدكتور احمد حجازى السقا من كتابه:

(الأدلة المادية على فساد النصرانية).

ومن عنوان الكتاب، تفهم شخصية كاتبه واعتقاده فى إنجيل النصارى، وتحامله عليه دون مبرر. وعدم أمانته فى التفسير وعرض الأمور.

ويفسّر الكاتب آية إنجيلية نطق بها السيد المسيح. قالها المسيح لليهود وهى:

" أن ملكوت الله ينزع منكم، وتعطى لأمة تعمل أثمارها "

وفسّر سيادته هذه الآية تفسيراً من عندياته بعيدة تماماً عن المعنى المقصود، وعن المعنى السائد فى الإصحاح خاصة، والإنجيل عامة، لو قرأها بروح النزاهة والحيدة.

قال سيادته مفسراً لتلك الآية وأيضاً أحمد ديدات يوافقه الرأى بقوله:

" أن الشريعة أنتهت من بنى أسحق (أى من بنى إسرائيل)،
ونقلها إلى بنى إسماعيل (أى العرب)، لكى تعطى أثمارها.".

وهذا خطأ لم يفهمه الكاتب من سياق الموضوع والمناسبة التى قيلت فيها، وسبب قولها:

فإن المقصود بالآية السابقة، قيلت فى بعض **اليهود الذين رفضوا المسيح** والذى **كان فى اعتقادهم أنه يجب أن يكون المسيح مؤسساً لملكوت أرضى**. ويكون عليهم **ملكاً أرضياً ليخلصّهم من الرومان**، ولم يفهموا أن المسيح يتكلم وينادى **بالملكوت السماوي**. لذلك الكثير منهم لم يقبلوه. **فقال المسيح** للرافضين:

"أن ملكوت الله ينزع منكم، وتُعطى لأمة تعمل أثمارها".

فليس من المعقول بالمعنى الذى فهمه الكاتب، بأن المسيح **ينزع الشريعة التى استمر فى تطّورها عشرات المئات من السنين وظهور كل الأنبياء من شعب أختاره الله خصيصاً لهذه المهمة حتى عرفوه وعبدوه، ويستكملها المسيح بفداءه لتنفيذ الخُطة الإلهية التى وضعها الله منذ السقوط والمعصية. لمجرد رفض " فئة من اليهود " قبول المسيح فادياً ومخلصاً وهم العارفون بالله والموحدون به، ليعطيها لأمة أخرى لا تعّرف الله فى ذلك الوقت وليست لها أى خبرة أو تجربة سابقة مع سبحانه، وعابدة للأوثان من دون الله، ومشركة. ؟**

والشرك بالله من أعظم الكبائر ولا غفران للمشرك، والقرآن الكريم يقرر ذلك فى مجمله:

أن الله يغفر كل شيء ما عدا من يشرك بالله، ولا غفران ولا شفاعة له، ومصيره النار خالداً فيها أبدا وبأس المصير.

فهل الشرك بالله في نظر الكاتب أقل شناعة من رفض بعض اليهود رسالة السيد المسيح؟.

فهل نصدقه فيما يقوله ويدعيه تحاملاً، أم نصدق القرآن الكريم الذى يكفّر المشركين بالله ولا غفران لهم لأنها من أعظم الكبائر، ومصيرهم النار خالدين فيها أبدا.

أليس مشركين العرب رفضوا الإسلام ورسالة نبيه، وحاربوه حتى هاجر مرتين من أحب الأراضي لقلبه طوال ١٣ سنة فى مكة، ورفضوا الإسلام ولم يدخلوا فيه، ألا قلة قليلة لم يتجاوزوا المائة فى تلك الفترة، ولم يدخلوا فى الدين الجديد ألا بعد غزوها وإخضاعها، بعد أن عاد إليها نبى الإسلام بجيش من المدينة.

فهل والحالة هذه وبالقياس، يجوز القول بأن رسالة النبوة تنزع من العرب وتعطى لأمة أخرى تعطى ثمارها.!؟. بمجرد رفض بعض العرب رسالة محمد نبى الإسلام. ؟!.

وهل يقصد الكاتب أيضاً، أن الله أخطأ في اختيار شعب بنى إسرائيل لخروج الأنبياء منهم، ولم يكن سبحانه يعلم الغيب، وبعد ذلك أكتشف بالصدفة وبعد آلاف السنين أن بنى إسرائيل لا يستحقون خروج الأنبياء منهم وتراجع في وعده وكلامه وهو الذي يقول في القرآن:

" وجعلنا فيهم النبّوة والكتاب "

وكذلك الوعد الإلهي الذى قطعه الله على نفسه أمام إبراهيم لنسله (إسحق) المولود من سارة بمعجزة إلهية فريدة، ومنه يعقوب (إسرائيل) ومن بنى إسرائيل جاء الأنبياء والرسل، وكان آخر أنبياء بنى إسرائيل (المسيح)، الذى هو محور التاريخ وتحققت فيه كل النبوات، وتباركت فيه جميع أمم الأرض كقول سبحانه:

" ستتبارك فيه جميع الأمم."

وهل كان العرب في الجاهلية المشركين عبّاد الأصنام (آلات والعزى ومناة وهبل) من دون الله، بالرغم من وجود اليهود والنصارى بينهم، ولم يتعلموا أو يقبلوا شريعة أهل الكتاب، وأنبياء الله في الكتاب المقدس، وليس لهم أي تجارب سابقة لمعاملة الله:

هل هم كانوا أكثر حالاً أو تقوى أو تفضيلاً من بنى إسرائيل؟
لكى ينزع تسلسل الأنبياء من بينهم ليعطيها لأمة مشركة، لا تعرف من هو الله.؟

وفى كل تاريخ الأنبياء توجد مثل هذه الفئة الضالة من بعض شعوبهم. فمنهم من يقبل ومنهم من يرفض، وهذه حرية شخصية لا يتدخل الله فيها لأنه يحترم إرادة الإنسان. وحتى عندما أخطأ آدم بأكله من الشجرة المحّرمة لم يمنعه الله بسلطانه وهو القادر، ولكن الله بيّن له العقاب الذى ينتظره (موتاً تموت) إذا خالف آدم هذه الوصية. وعلى الإنسان أن يختار الطريق بكامل حريته. وليس بتغيّير الله لسياسته وخُططه لمجرد أن هذه السياسة لا تعُجب بعضاً من الإنسان المخلوق.؟!.

ولكن المعنى الصحيح المقصود في الآية من إعطاء الثمار لأمة أخرى هو:

أى أن الأمم الأخرى من غير اليهود، سيقبلون المسيح كفادى ومخلّص، وسينتزعون الملكوت من اليهود الذين رفضوا قبول ملكوت المسيح السماوي وفضّلوا الملكوت الأرضي الزائل، وهذه الأمم ستعطى أثمارها فى قوة إيمانهم بالمسيح المصلوب الذى رفضه الكثير من اليهود وعملوا على قتله صلباً. **وهذا ما تحقق فعلاً** فى قبول الأمم فى كل العالم

ودخولهم فى المسيحية أفواجاً بشعوبهم وملوكهم على أيدي الحواريين الذين أرسلهم إلى كل العالم ليبشروا بالإنجيل.

والعالم اليوم هو أكبر شاهد لقبول المسيحية فى كل الأمم والأجناس. وثمار المسيحية ومبادئها تسود العالم. فى اليهودية وضعت بذور الشريعة ونمت تدريجياً بظهور الأنبياء منهم، نبى يعقب نبى يسقون الشجيرة النامية، وجيل بعد جيل لمدة تقترب إلى ١٥٠٠ سنة فترعرعت جذوعها وتفرعت أغصانها وبلغت عنان السماء لكى يستظل الجميع تحت ظلها. وعندما حان وقت قطف ثمارها بظهور السيد المسيح متمم الشريعة فلم يستطيع الكثير من اليهود قطفها، لأنهم المفروض أن يكونوا هم أول القاطفين لثمارها لشجرة الملكوت السماوي التى ترعرعت فى أرضهم وبين أسباطهم.

ولكنهم كانوا غير مستحقين لنوالها وتقاعسوا لسوء تقديرهم لعدم استيعابهم لفكرة الملكوت السماوى وجعلوا هذا الملكوت ملكوتاً أرضياً زائلاً. وفضّلوا الأرضيات عن السماويات . لذلك سبقتهم الأمم والشعوب فى قطف تلك الثمار (الملكوت السماوى) والتى أعُطيت لهم بواسطة الحواريون اليهود الذين ارتادوا العالم لنشر كلمة البشارة بالإنجيل شماله وجنوبه، شرقه وغربه. فقبلت الأمم والشعوب ما رفضه اليهود ونمت ثمار المسيحية فى أوطانهم. والتمتع بها لأنهم عرفوا بحكمتهم ما جهله اليهود بشريعتهم. ولكن الفرصة ما زالت سانحة أمامهم. فأن لم يكن اليوم فغداً.
فبهذا تحقق قول المسيح لليهود:
" أن ملكوت الله ينزع منكم وتُعطى لأمة تعمل أثمارها ".

ولذلك يقول الإنجيل أيضاً عن هؤلاء:

" إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله،
أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله أولئك هم المؤمنين باسمه "
(يوحنا ١: ١١،١٢).

أى أن الأمم الأخرى الغير يهودية سيتمتعون بالملكوت السماوى لقبولهم السيد المسيح فادياً ومخلصاً. ويصيرون *أولاد الله أولئك هم المؤمنين باسمه.*

أى أن الذين انتزعوا الملكوت وثماره، هم الذّين قبلوا المسيح من الأمم الأخرى من غير اليهود. وهذه الأمم أعطت للبشارة ثمارها.

ولكن فى الأزمنة الأخيرة سيعرف اليهود، أن المسيح الذى جاء وصلبوه هو المسيح المنتظر. وسيدخلون جميعاً إلى بكرة أبيهم فى المسيحية.

ويقول الكتاب عن تلك الأيام على هؤلاء اليهود الذين سبق ورفضوا المسيح وقتلوه بأنهم سينوحون عليه ويرجعوا نادمين على ما فعلوه بجهالتهم.

ويقول بولس الرسول عنهم: " *لو عرفوا لما صلبوا رب المجد* "

وعن الأنبا غرغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والبحث العلمي يقول (١):

" إن المتتبع لإحداث العهد الجديد يتبين أن رب المجد سبق فأعلن أنه:

" *إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله،*

أما الذين قبلوه فأعطاهم سلطان أن يصيروا أولاد الله أولئك هم المؤمنين بأسمه "

وإذا كان هناك رفض من جانب الأمة الإسرائيلية التى جاء إليها ومنها، وكان هذا الرفض من جانبها بينه على عدم استحقاقها للنعمة التى أنعم بها عليها، وكان هذا تبريراً كافياً لعناية الله **أن يفتح باب الخلاص للأمم من غير اليهود**، وأن يضم الى حظيرته الأمم كما قال فى (يوحنا ١٠: ١٦):

" *ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن أجيء بها هى أيضاً*

فتسمع صوتي، ويكون ثمة رعية واحدة وراع واحد "

وإذ تمرد اليهود على مخلص العالم (المسيح)، ورفضوا دعوته وتآمروا على صاحب الكرم وقالوا: *" هلموا نقتله ونستولى على ميراثه"* فقرر صاحب الكرم أن:

" *يهلك أولئك الأشرار شر هلاك، ثم يؤجر الكرم لكرامين آخرين*

يعطونه الثمار فى أوقاتها"

(متى٢١: ٣٨-٤١)

وقال السيد المسيح يندب أورشليم وأهلها:

" *كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها*

فلم تريدوا، هوذا بيتكم يترك لكم خراباً "

(لوقا١٣: ٣٥،٣٤).

---

(١) جريدة وطنى الصادرة فى ٢٠٠٥/٤/٢٤ الصفحة الثانية.

وقد شبه الكتاب المقدس الأمة الإسرائيلية بالأتان، الذى نزل السيد المسيح من عليها ليركب الجحش عند دخوله أورشليم، رمزاً لرفضه للأمة الإسرائيلية وعقاباً على تمردها، لأنه قد خلق الإنسان حراً، ما كان يمكن أن يفرض عليها أن تقبله على الرغم منها، فتركها وشأنها تجنى ثمر عملها، وتحصد نتيجة فعلها.. ثم لقد كان رفضها هى له، تبريراً له ليفتح الباب للأمم غير اليهودية، ممن قبلوا نيره الهين وخضعوا لحمله الحلو والخفيف (متى١١: ٣٠).

وهنا نذكر أن الجحش يرمز إلى الأمم غير اليهودية... وعلى عكس اليهود، لم يكن للأمم الغير يهودية شريعة وأنبياء وعهود كما كان لليهود.. فكانوا فى طياشتهم من جهة، ومن جهلهم بشريعة السماء والأنبياء من جهة أخرى.. أشبه بالجحش الذى لم يركبه أحد من قبل"

(مرقس١١: ٢)، (لوقا ١٩: ٣٠).

كان أذن رفض اليهود لمخلصنا تبريراً ليفتح الطريق أمام الأمم الأخرى لخلاصهم، وكما يقول الوحى الإلهي لهم، على فم الرسول القديس بولس للأمم غير اليهودية:

" أنكم عصيتم الله قبلاً، ولكن نلتم الآن رحمة لعصيان هؤلاء اليهود"

(رومية١١: ٣٠).

ولعل المسيح مخلصنا قصد بركوبه الأتان والجحش معاً الواحد بعد الآخر على التوالى عند دخوله أورشليم، أن يعلن رغبته فى أن يضم اليهود والأمم غير اليهودية معاً فى طاعته، وأن يدخلهم تحت نير شريعته، وأن يجمع بينهم فى شخصه بعد أن كانت العداوة شديدة بينهم، لعله أراد أن يعلن محبته للجميع كأب وكراع كما جاء فى (اشعياء٤٠: ١١).:

" كراع يرعى قطيعه، بذراعه يجمع الحملان، وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات "

ولعله بهذا يعلن أنه بمجيئه وفى شخصه قد حصلت المصالحة وصار السلام بين اليهود والأمم غير اليهودية ... وهنا جامعية الكنيسة المسيحية، لم تعد الكنيسة عنصرية كما كان الحال فى المفهوم اليهودي حيث كان اليهودي يصلى قائلاً:

" أشكرك اللهم لأنك خلقتني يهودياً لا أمياً ...".

وإذا صار المسيح يجمع تحت لوائه اليهود والأمم غير اليهودية وأصبحت الكنيسة المسيحية واحدة (جامعة) تضم اليهود وغير اليهود، كل الشعوب على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وبيئاتهم، وصارت أبناء الله المتفرقين إلى وحدة واحدة (يوحنا١١: ٥٢). ولم تعد هناك امتيازات لليهود على غير اليهود، بل صار واحداً فى المسيح يسوع " ولا

فرق الآن بين يهودى وغير يهودى، وبين عبد وحر، بين رجل وامرأة، لأنكم أنتم جميعاً واحد فى المسيح يسوع "(غلاطية٣: ٢٨).

كما أن الإيمان هو أساس التفضيل بين شخص وآخر، بغض النظر عن انتمائه لليهودي أو للأممى، مثل ما حدث لقائد المائة الرومانى الذى جاء للسيد المسيح، ليقول له كلمة فقط ليشفى غلامه المريض، دون أن يذهب لبيته.

فمدح السيد المسيح ذلك القائد الرومانى الوثنى على إيمانه هذا، فقال السيد المسيح للواقفين من بنى إسرائيل:

" الحق أقول لكم لم أجد فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا،
وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماوات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء، وصرير الأسنان"

(متى٨: ٨-١٣)

من هذا المثال السابق نرى أنه يمكن لغير اليهودى الذى يؤمن بكلمة الله، أن ينال الثمار الذى رفضه اليهودى. فيدخل إلى الملكوت السماوي.

أى هم الذين انتزعوا الملكوت وثماره، وهم الذّين قبلوا المسيح من الأمم الأخرى من غير اليهود. وهذه الأمم أعطت للبشارة ثمارها.

ولم يتكلم السيد المسيح مطلقاً فى كل أقواله وأعماله عن ملكوت آخر غير الملكوت السماوى. والمُلك الأرضي وأموره المادية لا وجود لها فى المسيحية وليس لها أى اعتبار. وهذا ما أشار إليه السيد المسيح بنفس المعنى فى مثَل الكرمة والكرامين كما سبق التوضيح، وغيرها من الأمثلة التى ذُكرت فى الإنجيل.

هذا هو المعنى الواضح المقصود من الآية:

"أن ملكوت الله ينزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثمارها".

وليس المعنى الذى يقصده د.احمد حجازى السقا، واحمد ديدات.

كما نأتي بمثال آخر:

وهى من العهد القديم، عن طريقة تفسير آيات توراتيـة إنجيليـة، بغيـر المعنـى المقصود، بانتزاعها من سياقها العام، بطريقة " القص واللصق"، بغرض تحميل الآية بمعنى آخر غير وارد أصلاً في تلك الآيات، وإخراج الآيات من مضمونها ومن جوهرها، لكى تبدو فى صورة ومعنى ليس لها، ومن العجيب وبالرغم من وضوحها، يشير إليها السيد المسيح ويفسر معانيها ويشرحها لتلاميذه، والناقدون لتلك الآيات من غير المسـيحيين يفسـرونها على أنها نبّوات عن نبى المسلمين على سبيل المثال:

يقول " احمد ديدات " (١):

إن اعتكاف محمد وتعبده في غار حراء المعروف بجبل النور واستجابته لبـدء التنزيـل وحياً عن طريق جبريل الملاك إنما هو أنجاز لنبؤة في (سفر اشعياء ٢٩: ١٢) هذا نصها:

(..أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة، ويقال له أقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة)

ويستمر ديدات ويقول:

الكتاب هو القرآن" **أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة** ". هو رسوله النبى الأمى. (الأعراف آية ٥٨).

ويقول الله عن النبى الأمى في القرآن الكريم:

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلمته)

(الأعراف آية ١٥٩).

ويسترسل احمد ديدات فيقول:

أن تلك الكلمات التى فاه بها محمد صلى الله عليه وسلم مرتين للملاك جبريـل رئيس الملائكة عندما طلب منه قائلاً (اقرأ). ويقول ديدات أيضاً:

" دعنى اقتبس النص الكامل دون كسر (٢)، من طبعة سانت جيمس أو النسخة القياسية"

" .... أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة "

(اشعياء ٢٩: ١٢)

---

(١) من كتاب ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلعم ص ٣٤، ٣٥ لأحمد ديدات.

(٢) لم يورد ديدات النص الكامل كما يدعى سيادته، كما أنه كسر آيتين من النص لنفس الموضوع وقـد حـذفها مـن سياقها العام. بطريقة القص. لكى تبدو الآية في مظهرها عن نبوءة عن نبى الإسلام. وعن نص يشبه تركيبـه بـنص جاء به بالقرآن الكريم. وفى كلا النصين بعيد تماماً عن مفهوم النص الآخر. ونص أشعياء، ليس له أى علاقة بـنص القرآن.

ويستمر ديدات ويقول:

ومن ألزم اللزوميات أن تعلم أنه لم تكن هناك نسخة عربية موجودة في القرن السادس الميلادى عندما عاش محمد ودعا الى سبيل الله، فضلاً عن ذلك أنه كان على **الإطلاق أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة** وما علمه أحد كلمة. كان معلمه خالقه **لقوله سبحانه:**

" وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى"

(النجم ٣– ٥).

هذا ما أورده احمد ديدات في كتابه المذكور.

ولكن ما دفعني للرد على تلك الملاحظة هو لأنه يفسر آية مبتورة من الكتاب المقدس، بطريقته المعهودة في " القص واللصق " ونزع كلمات من آيات من سياقها وموضوعها العام.

لو فسر سيادته آية قرآنية فهذا شأنه وحقه، وليس لنا أن نعترض عليه، ولكن الاعتراض هو لأنه يتعرض لآية كتابية في الكتاب المقدس ويفسرها بعيداً عن المعنى المقصود، وعن مفسريها من أهل الكتاب، وبعيدة تماماً عن سبب وحيها، وسيادته لو قرأ النص كاملاً للآيات وليست آية واحدة مبتورة من نصها، لكفى نفسه عناء التفسير الخاطىء الذى أوقع نفسه فيه، ولذا كان لا بد من لفت نظره لهذا الخلط المتعمد، وتشويه آية كتابية لم ترد في قرآنه الكريم.

ولكى نوضح للقارىء مدى الخلط في الأوراق وتحوير المعانى وليها عن معانيها، سنورد النص الكامل من الآيات المذكورة دون كسر، والتى جاءت بسفر اشعياء:

" ١٠ لأن الرب قد سكب عليكم روح سبات (ذهول)،

وأغمض عيونكم. الأنبياء ورؤساؤكم الناظرون غطاهم.

١١ وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم

الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين: أقرأ هذا فيقول لا أستطيع لأنه مختوم.

١٢ أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: أقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة".

(اش ٢٩: ١٠– ١٢)

أما النص المبتور الذى أورده الكاتب بعد حذف الآيتين ١٠، ١١هو:

"... أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة"

(اشعياء ٢٩: ١٢)

هذا هو النص الكامل بدون كسر أو حذف الآيات التى تسبقه، والتى لم يوردها الكاتب بأمانه، وهى الآية ١٠، ١١ وأنة أورد آية ١٢ فقط. ومن أول حرفين في الآية السابقة

التى أوردها سيادته هى " أو " وهى كلمة تربط بآيات وردت قبلها وهى تعليلاً لموضوع يشير إليه، وسبب مباشر مرتبط به، وهو ما حذفه ديدات ولم يشر لهذا الموضوع، حتى لا يتضح المعنى الحقيقى لمعنى الآية التى بترها من سياقها العام، لكى تبدو بالمعنى الذى يريده هو بخداع القارئ بتشويه مقصود. وهو نفس الأسلوب الذى أتبعه عندما فسر الآية التوراتيه عن النبى الآتى مثل موسى ومن أخوته، فقد تجاهل تماماً كلمى " لهذا " فى الآية التى سبق وأوضحناها فى القضية الأولى " .. لهذا سأقيم لكم نبياً مثلك ومن بين أخوتك ".
وإمعاناً في تضليله للقارئ يقول سيادته:

" إنه أورد النص دون كسر !!؟ "

وفى قوله هذه العبارة يفضح نفسه، لأنه يعلم تماماً أن الآية التى أوردها مكسورة ومبتورة وناقصة، كمثل قول القرآن الكريم فى مثل تلك الأحوال (لا تقربوا الصلاة ...)، لذا فهو يؤكد كمالها لشعوره بنقصها، لكى يضع فى ذهن القارئ صحة ما ذهب إليه من نتيجة بقوله أن الآية تشير الى نبى أمى وهو محمد.

ولكن معنى الآيات لا تشير لهذا المعنى عن قريب أو بعيد ولم تشير لنبي قادم لا يعرف القراءة والكتابة على حسب نص تلك الآيات، لأنها تخاطب أنبياء بنى إسرائيل ورؤسائهم والقائمين على شئونهم. فلو أن ديدات أورد النص كاملاً لكفى نفسه عناء التفسير الشخصى الذى أتى به من عندياته.

والمعنى المقصود في تفسير تلك الآية وهو أن الله يخاطب بنى إسرائيل الخاطئ العاصى، ويوبخهم. ويفسر الآية القس عبد المسيح بسيط. (١) فيقول:

أن جميع رؤياكم غامضة وكأنها كأقوال كتاب مختوم تتناولونه لمن يعرف القراءة وتقولون له: *" اقرأ هذا "*. فيجيب: *" لا أعرف القراءة "*. أي أن هذا الحديث الذى وردت به الآية ليس نبّوة عن نبى أمى ولا غير أمى، إنما هو توبيخ من الله لانغماس بنى إسرائيل في الخطية والإثم وعدم فهمهم لأقواله وإعلاناته.
كما سبق أن وبخهم في بداية السفر (اشعياء١: ٣). قائلاً:

" الثور يعرف قانية والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبى لا يفهم"
لذا يقول لهم في هذه الآيات بالمعنى الذى يقصده وهو:

---

(١) من كتاب " هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبى آخر يأتى بعد المسيح للقس عبد المسيح، ص ١١٦

" الرب سكب عليكم روح ذهول، وأغمض عيون أنبيائكم وغطى رؤوس الرائين بينكم
فصارت جميع رؤياكم غامضة كأقوال كتاب مختوم تناولونه،
لمن يعرف القراءة وتقولون له: اقرأ هذا فيجيب لا أقدر لأنه مختوم.
ثم تناولونه، لمن لا يعرف القراءة وتقولون له: اقرأ هذا فيجيب لا اعرف القراءة"!

أي لا يستطيع شعب بنى إسرائيل ورؤسائهم ومرشديهم، أن يقرأوا أو يفهموا كلام الله فى كتابه، سواء من يعرف منهم القراءة، فيقولون أنه سفر مختوم علـى أذهـانهم، أى لا يستطيعوا فهمه وإدراكه، تهرباً وتعليلاً من تطبيقه على أنفسهم، وفى هذا توبيخاً مـن الله لبنى إسرائيل لقصور فهمهم وإدراكهم، بقولهم إنه سفر مختوم، بالرغم من أنهم يعرفـون القراءة...

أما الذين لا يعرفون القراءة أصلاً منهم، فأى حجة لهم فى عدم فهمهم لكلام الله عنـدما يسمعونه من أنبيائهم، فهؤلاء أيضاً يتهربون من فهم وتطبيق كلام الله، متعللين بـأنهم لا يفهمون لأنهم لا يستطيعون القراءة. سواء كان السفر مختوماً أو حتى غير مختوم!!.
وفى كلا الحالتين، فهو:

إنما هو توبيخ من الله لانغماس بنى إسرائيل في الخطية والإثم وعدم فهمهم لأقواله وإعلاناته. ولا يوجد أى علاقة بين تلك الآية وعن نبوءة لنبى قادم سواء أمى أو غير أمى.
هذا هو معنى الآية لا أكثر ولا يحتمل غير ذلك !!.

أي أن هذا الحديث الذى وردت به الآية ليس نبّوة عن نبى أمى ولا غير أمى.

وهناك الكثير من الاعتراضات والتفسيرات الغير صحيحة، والآيات المبتورة، والمنزوعة من موضوعها يستغلها من أمثال احمد ديدات وغيرهم، ولكن أوردنا أهـم التفسـيرات الأساسية الغير مسيحية، وبعض من التفسيرات الأخرى الجانبية التى تسـير علـى نفـس المنوال من القص واللصق، وإذا أردت المزيد منها يمكنك الرجوع لكتاب:
" هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبى آخر يأتى بعد المسيح للقس عبد المسيح بسيط ابو الخير "

انتظروا قريباً (الجزء الثانى) من سلسلة استحالة تحريف الكتاب المقدس بعنوان:
" الأدلة العلمية فى الكتاب المقدس وإعجازه، تثبت صدقه "
وهو كتاب فريد فى موضوعاته، به من الحقائق العلمية التى لم تكتشف إلا فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن ٢١، مدعماً بأحدث الاكتشافات العلمية والموسوعات العالمية.

ومثال آخر:

بنفس الأسلوب فى تفسير آيات كتابية (توراتية وإنجيليــة) فـى غير معناها التى قيلت من أجله أو سبب وحيه:

جاء فى سفر (التكوين ٤٩: ١٠) الآية التى تقول:

" لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب "

يقول بعض الكتاب من أخوتى المسلمون أن المقصود " بشيلون " هــو محمــد نبــى الإسلام. والآتي بعض الأمثلة من أقوالهم:

١- يقول مؤلف إظهار الحق (ص ٥١٨ - ٥٢٠)، بعد أن أورد الــنص الســابق، **لا يــزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه، حتى يجئ الذي له وإليه تجتمع الشعوب.**

وقال إنما أراد **بالحاكم موسى** (ع) لأن شريعته جبرية انتقامية (١)، **ومن الراسم عيســى** (ع) لأن شريعته غير جبرية ولا انتقامية (٢)، والمراد **بشيلون هو محمد** (ص).

٢- ويقول د. أحمد حجازي السقا فى كتاب (إظهار الحق) هامش (ص ٥١٨- ٥١٩)، في تعليقه على إظهار الحق:

أن أمة بني إسرائيل كانت ظاهرة في الأرض بملك وسلطان **ولها كتاب موسى إمامــاً ورحمة،** وقد حدث لهذه الأمة ما يحدث لسائر الأمم من الانتصارات والهزائــم، **إلــى أن جاء الإسلام واستولى على ديارهم ومزقهم. ومن زمن موسى إلى نبي الإسلام كــان كــل نبي أتى إلى العالم كان يأتي على شريعة موسى، إلى أن نسخت شريعة موسى بشريعة محمد، ولا يمكن أن نقول بزوال الملك من اليهود علــى يــد النصــارى لأن النصــارى طائفــة مــن اليهود، ولا يمكن أن نقول بنسخ شريعة موسى على يد عيسى لأن عيســى كما حكى القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة** غير مهيمن عليها وإنما يمكننا أن نقــول: ظل الملك مع اليهود ينتصرون مرة وينهزمون أخرى والشريعة في أيديهم، **إلى أن جاء نبي الإسلام (شيلون) فتسلم المُلك والشريعة من بني إسرائيل. (٣).**

---

(١)،(٢) ليس لهذا المعنى أى علاقة بالآية، عن الشريعة الانتقامية أو الغير انتقامية، أو الحاكم أو الراسم؟!.

(٣) ما علاقة الشريعة السماوية والكتاب المنزل، بقيام الدول أو سقوطها، أو بأنتصارها فى الحروب أو إنهزامها؟. لأن الشرائع تكون لجميع الشعوب، ولا إرتباط سببى بين هذا وتلك. ولكن المقصود من الآية هــى إشــارة وعلامــة لمجيىء المسيح، أو علامة زمنية لظهور المسيح الفادى والمخلص.

ويقول سيادته أيضاً في كتاب نبوة محمد في الكتاب المقدس (ص ٤٣-٤٦)، **يظل الملك في نسل يهوذا وتظل الشريعة يعمل بها الناس في ظل الملوك من أهل يهوذا، حتى يأتي من غير اليهود من يتسلم المُلك منهم والشريعة، والمراد لا يزول الملك من اليهود عامة ولا الشريعة حتى يأتي النبي المنتظر**، وأن "**شيلون**" أو الذي له الحكم من غير أنبياء يعقوب **بل من بني إسماعيل، لأن الشريعة لم تنسخ إلا على يد نبي الإسلام وأن الملك لم يزول إلا على يد نبى الإسلام**. (١).

الــرد: إن هذه الآية جزء من نبوة يعقوب لبنيه وإذ نرجع إلى تكوين (٤٩: ١٠):

" ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام ... "

وفى عدد ٨ يقول:

" يهوذا إياك يحمد أخوتك. يدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك. "

وفى عدد ١٠ يقول:

" لا يزول قضيب من *يهوذا ومشترع من بين رجليه،...* "

وكلمة قضيب هنا **تعني " عصا السبط "**وقد كان لكل سبط من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر **عصا كتب عليها اسمه.**

وهذه الآية تعنى **أن عصا سبط يهوذا لن تزول حتى يجئ " شيلون ". ونحن** نعلم أن خلال فترة السبي البابلي (لمدة سبعون سنة) زال **السلطان** من سبط يهوذا، **ولكن السبط لم يفقد عصاه وكان لهم قضاتهم ومشترعوهم حتى وهُم في السبي** (عز ٥ : ١ و ٨).

وقد توقع اليهود حدوث أمرين حالاً بعد مجيء المسيا (المسيح):

١- زوال القضيب من يهوذا أو عصا سبط يهوذا.

٢- إنهاء السلطة القضائية.

---

(١) سبق التوضيح فى الفصول السابقة أن الشرائع لا تنسخ، والقرآن لم ينسخ شريعة التوراة أو الإنجيل لأن كل أمة وشرعها، ويقر القرآن بذلك صراحة كما سبق التوضيح. مقرونة بالآيات القرآنية. كما أن المُلك زال من بنى إسرائيل قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة، أما سلطة السنهدريم اليهودى ومشرعيهم وقضائهم الخاص بهم، ظلت فى أيد السبط حتى زال قبيل صلب المسيح بعدة سنوات، كما أن وجود اليهود فى كل العالم مشردين لاجئين يعيشون فيها كرعايا وليس كحكام.

وقد جاءت العلامة المنظورة الأولى على زوال القضيب من سبط يهوذا عندما حكم هيرودس الكبير (ليس يهودي) بعد حكم المكابيين الذين كانوا من سبط لاوى وهم آخر يهود حكموا في أورشليم، وقبل محاكمة السيد المسيح بثلاثة وعشرون عاماً، لم يعد لمجلس السنهدريم اليهودي حق إصدار أحكام الإعدام فقد أخذت منه هذه السلطة، وكان ذلك في عهد أرخيلاوس عام ١١ ميلادية.

ويقول التلمود : قبل خراب الهيكل بأكثر من أربعين عام، سلب الرومان حق إصدار حكم الإعدام من اليهود، ويقول ابرب (رشمن): إن أعضاء السنهدريم وقتها ذروا الرماد على رؤوسهم ولبسوا المسوح على أجسادهم وصرخوا قائلين:

" ويل لنا فقد زال القضيب من سبط يهوذا قبل أن يجئ المسيا " (١).

وكلمة " شيلون " قد أجمع المفسرون اليهود والمسيحيون أنها تعني المسيا (المسيح)، فقد جاء في ترجوم اونكيلوس " إلى أن يأتي المسيح الذي له الملك وله يكون خضوع شعوب ".

وقال أحدهم عن معنى كلمة شيلون: حرف (الشين) معناه " ابن " ولفظ (إيل) معناه " الله " وكلمة (اون) معناها " حي "، فيكون معنى كلمة شيلون هو: " ابن الله الحي "

وتعنى أيضاً رئيس السلام أو صانع السلام أو المسيا.

وقول أحمد حجازي السقا مفسراً نص الآية من عندياته فيقول:

يظل المُلك في نسل يهوذا وتظل الشريعة يعمل بها الناس في ظل الملوك من أهل يهوذا حتى يأتي من غير اليهود من يتسلم الملك منهم والشريعة، والمراد من النص لا يزول الملك من اليهود عامة ولا الشريعة حتى أتى النبي المنتظر نبي الإسلام (نبوة محمد ص ٤٣).

---

(١) أكثر اليهود فى ذلك الوقت أى عند زوال القضيب من سبط يهوذا، بواسطة الرومان المحتلين، ولد المسيح (شيلون)، فى عهد أرخيلاوس بعد أحدى عشر سنة من ميلاد المسيح، ولم يكن اليهود من سبط يهوذا خاصة يعلمون إن المسيا (شيلون) هو ذاته المسيح المولود، وتوقعوا ظهوره فى تلك الأيام على حسب النبوة المذكورة، وكذلك نبوءة دانيال عن مجيء المسيح، كما أنهم توقعوا أن يكون هذا المسيا (شيلون) قائداً حربياً يقاتل عنهم ويحررهم من السلطة الرومانية المحتلة لبلادهم، حتى يعيد السلطة وقضيب السبط من أيدى الرومان. والمسيح فى ذلك الوقت لم يظهر ذاته الا فى عمر الثلاثين عاماً عندما أعتمد فى نهر الأردن وانفتاح السماء والإعلان الإلهي بإنه المسيح حمل الله. وتصريح يوحنا المعمدان، بأنه المسيح الآتى.

الــرد: لقد وضحنا في المقدمة أن القضيب هنا تعني عصا السبط وفــى ذلــك يقــول مؤلف أبحاث المجتهدين (نقولا يعقوب ص ٨٢):

السلطة السبطية هي المقصود بالنبوة، لأن السلطة الملكية لم تكن وقتئذ معروفة مــن اليهود إلا بعد أكثر من أربعمائة عام. ولكن يعقوب قصد أن يجعل سبط يهوذا ميزة علــى بقية الأسباط فقال له:

" إياك يحمد أخوتك يسجد لك بنى أمك.".

ومما يثبت أن المراد بالقضيب هنا ليس السلطة الزمنية الملكية، هو أن إقامة شــاول أول ملك على بنى إسرائيل وهو ليس من سبط يهوذا، من هنا نرى أن القول بأن السلطة زالت من يهوذا على يد نبوخذنصر لا يفيدهم بشي، بل الشيء العجيب أن الدكتور الســقا عندما وجد أن القول بزوال السلطة على يد نبوخذنصر لا يدعم أقواله قال:

إن سلطة بني إسرائيل لم تزل حتى مجيء محمد، وطبعاً هذا خطأ، حيث أن السلطة لا تعني السلطة الزمنية كما وضحت، وأيضاً النبوة تعني من نسل يهوذا وليس كل اليهود، فإذا افترضنا صحة قوله أنها تعني اليهود عامة، فبالرجوع إلى كتــب التــاريخ نجــد أن سلطان اليهود زال عنهم عندما هجم الرومان على أورشليم وهدموا الهيكل سنة ٧٠ م

(تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ج ٢ تأليف محمد عزه)

اعتراض :

يقول السقا أن " شيلون " أو الذي له الحكم من غير أبناء يعقوب، بل هو مــن بني إسماعيل.

الــــرد:

لا ندري من أين استطاع أن يثبت هذا القول لأن بالرجوع إلى الكتاب المقدس نجــد أن هذه نبوة خاصة بيهوذا بن يعقوب، ومما يدل على انتظار يهوذا لإتمام نبــوءة عنــه عندما أنجب ابنه الأول وكان شرير وكذلك الثاني.

ولذلك عندما أنجب ابنه الثالث سماه "شيله" (تكوين ٣٨ : ٥)

" ثم عادت فولدت أيضاً ابناً ودعت اسمه شيله ".

وقد بنى د.السقا استنتاجه على أساس أن القضيب يعني النبوة أو الملك، وهذا خلاف الواقع، أما قوله أن المسيح لم يخضع له شعب ولا قبيلة فسؤالي هل العالم كله وقاراته لم تخضع للمسيح !؟ وهى أكبر ديانة على وجه الأرض خاضعة شــعوبها وقبائلهــا لتعــاليم المسيح. ؟. **والخضوع هو خضوع روحي للشريعة وتعاليمها.**

ملاحظة هامة :

في كتاب الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان للإمام الصوفي المثلى (ص ١٠٧ -١٠٨)، بعد ذكر (تكوين ٤٩ : ١٠)،وهى الآية التى بصددها.
عن من هو " شيلون " يقول:
وهذه صفات المسيح (ع) بلا شك.

ونختم كتابنا بإتهام آخر:

إتهام آخر شائع بين العامة بتحريف الإنجيل الذى يذكر قتل المسيح عيسى وصلبه، استناداً لآية واحدة فقط غير واضحة اختلف المفسرون في تفسيرها جاءت في سورة (النساء ١٥٧)، عن صلب شبيه للمسيح وليس المسيح بقولهم:

بأن المسيح لم يقتل أو يصلب أنما صلب شخص آخر – لم يحدد الشخص– ألقى المسيح شبهه عليه فصلب بدلاً منه. ويقولون إنه تم التحريف بقتل وصلب المسيح حيث إنه لم يقتل أو يصلب بحسب النص القرآنى الوحيد والغير واضح، والذى أختلف في تفسيره جميع علماء الإسلام والمفسرين، ولم يصلوا حتى الآن لتفسير قاطع في هذه القضية. ولا يوجد نص صريح بالآية يقطع الشك باليقين، مع إنه يوجد نصوص قرآنية أخرى تؤكد أن اليهود هم قتلة الأنبياء، ويؤكدون أن المسيح نبى مثله مثل الأنبياء، كما أن نبى الإسلام نفسه لم يقل من هو الشبيه، ولا يوجد حديث صحيح قاطع يقول من هو الشبيه، ولماذا ضلل الله البشر ويوقعهم في فتنة كبرى، وحاشا.

ولماذا لم يرفع المسيح علانية الى السماء، وفى هذه الحالة لا يحتاج لشبيه لكى يصلب بدلاً من المسيح، وهل الله يريد بلبلة البشر، ويوقعهم في ضلال مبين لمليارات المسيحيين منذ القرن الأول المسيحى وحتى قيام الساعة؟!.

وبالرغم أن تلك القضية تشمل ثلثى الإنجيل، وتؤكدها التوراة وكتب الأنبياء الذين جاءوا قبل السيد المسيح بمئات السنين ومذكورة تلك الحادثة في كتب اليهود قبل مجيء السيد المسيح، والتى تذكر جميع تفاصيل صلبه، والغرض والهدف من ذلك الفداء بسفك دمه كفّارة للشعوب، ومجيء المسيح وفداءه على الصليب، وقيامته، هو محور التاريخ والنبوات، ولأجل هذا الهدف كان التجسّد والفداء.

وبالرغم أن التاريخ والمؤرخين، من كل ملة ومن كل دين من الذين عاصروا صلب المسيح، كتبوا الكثير عن تلك الحادثة الشهيرة والتى وقعت على أرض فلسطين، بكل الوضوح والتفاصيل، وهى أساس عقيدة المسيحيين في الفداء والخلاص.

وقد عالجنا تلك القضية في كتابنا " حقيقة التجسّد "، وقد أفردنا لها باب مستقل تزيد عدد صفحاته عن ١٣٠ صفحة فى طبعتها الأولى. وسوف يصدر فى كتاب مستقل فى الطبعة الثانية المزيدة (الجزء الثالث)، مدعماً بأدلة تاريخية وكتابية وأثرية وشهادات من عاصرو عملية الصلب من رومان وثنيين، وحكام، وأحداث جسام حدثت في الطبيعة من جراء صلب المسيح، من زلزلة الأرض، وكسوف للشمس والظلمة التى حلت على الأرض، وتفتح القبور وبعث الحياة لبعضهم ... الخ.

وعن هذا الموضوع يمكن الرجوع إليه بالتفصيل فى كتابنا
حقيقة التجسد الجزء الثالث (صلب المسيح وقيامته)

وختاماً نقول (١):
أن استحالة تحريف الكتاب المقدس تظهر جلياً فى النقاط التالية الموجزة:

١- من غير المستطاع قط أن يحرف اليهود والنصارى كتابهم، فهناك من يناصبه العداء كالوثنيين والملحدين، وهناك من يهيمن عليه القرآن، فإن كان التحريف المزعوم حصل بعد

القرآن، فإن مدّعى التحريف يعنى بقوله أن القرآن أُحبط فى وظيفته كحارس، لأن الهيمنة فى القرآن (سورة المائدة: ٤٨)، هى الحراسة، والحراسة تعنى الحفاظ على ما فى كتاب الله من حقائق وشرائع إلهية، وبتعبير آخر، إن كانت التوراة والإنجيل قد تحرفا بعد القرآن، فيكون الادعاء بذلك إتهاماً صريحاً لأهل القرآن فى التفريط بأهم الواجبات التى جاء القرآن لتأديتها، إذ كان من واجبهم الضرورى على الأقل أن يحتفظوا ببعض نسخ التوراة والإنجيل قبل تحريفهما المزعوم، ولو حتى بنسخة واحدة فقط، لأن الحراسة توجب وجود ما يحرس، هكذا فعل المسيحيون لما رأوا فى التوراة نبوءات عن المسيح إلههم، فأقاموا أنفسهم حراساً عليها، وبذلوا الجهد الجهيد فى سبيل نشرها فى العالم، حتى صارت اليوم تقرأ من نحو ألفى لغة، وقد تم ضم التوراة والإنجيل فى كتاب واحد، فلماذا لم يفعل

(١) من كتاب "عصمة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل" للأبيل إسحق المحرقى. من ص ١٣٨ – ١٤٨

المسلمون هكذا؟، طالما هم يعتقدون ويؤكدون أن التوراة والإنجيل يحتويان على نبوءات ودلائل على نبيهم محمد؟!.

٢- إن كان الكتاب الموجود بين أيدينا محرف، فأين الكتاب الغير محرف (١) ؟!.

أما القول بأن الأوفق أن الكتاب المقدس تحرّف قبل زمن نبى الإسلام، فيكون هنا البلاء الأدهم على الإسلام، لأنه بأي غطاء يغطى المعترض الآيات القرآنية المبينة صحة الكتاب الموجود يومئذ بين اليهود والنصارى؟!. وأين يخفيها عن عيون علماء مسيحيين دارسين القرآن ؟!.

ومن المعلوم أن نبى الإسلام نبغ فى القرن السادس للتأريخ المسيحى، حيث كان معظم السلطة السياسية فى العالم بيد المسيحيين، وكان المسيحيون إذ ذاك مؤلفين من قبائل شتى، مختلفي اللغات والألسنة، والكتاب موجود بأيدي كل قبيلة منهم بلغتها الخاصة، وقبل العصر المحمدى بكثير، ... وكانوا يناظرون بعضهم بعضاً بقضاياه وآياته، ولم يشبه تغيير ولا تحريف ما، مدة تلك الأجيال، كما يتضح من شهادة القرآن له، هذا وأن الكنيسة المسيحية قد أنشقت إنشقاقاً فى القرن الخامس الميلادى، أى قبل ظهور الإسلام بقرنين تقريباً، .. وأنتشرت فى أرجاء العالم، ومع كل منها كتاب واحد هو التوراة والإنجيل لا أكثر ولا أقل، وطرق المواصلات آنذاك كانت عسرة جداً، والخلافات بين الكاثوليك والأرثوذكس على أشدها، فكيف يعقل إتحادهم معاً على التحريف بينما الخلاف قائم. ؟!.

---

(١) مع الأخذ فى الاعتبار بأن التوراة والإنجيل كانا منتشراً فى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة، وورقة بن نوفل الأسقف المسيحى وهو عم السيدة خديجة بنت خويلد زوجة نبى الإسلام، كان يقرأ من التوراة والإنجيل وينقل بالعربية منها ما ينقل، حسب أراء جميع المفسرين الإسلاميين، وكان يمكن الاحتفاظ بأحد النسخ الموجودة من التوراة والإنجيل، كما أن القرآن الكريم يؤكد أن التوراة والإنجيل فى عهده هى نور وهدى لأتباعها، ويحض اتباعهما على تطبيق ما جاء به، إلى يوم القيامة، وهذا دليل كما سبق التوضيح فى فصول هذا الكتاب، على أن التوراة والإنجيل لا يمسه التحريف عن قريب أو بعيد. وإذا كان الاحتفاظ بالتوراة والإنجيل ممكنا وقت ظهور الإسلام بواسطة ورقة بن نوفل، وبحيرة الراهب، وسرجيوس، وعداس الرهبان وغيرهم الكثير، فلماذا لم يتم الاحتفاظ بهما ولا سيما وهو فى متناول أيديهما، ليس فقط فى الجزيرة العربية، وإنما أيضاً فى جميع الأمصار المسيحية التى تم غزوها فى القرن الأول الهجري فى جميع لغات تلك البلاد؟!. ألم توجد نسخة واحدة صحيحة بأي لغة، لإثبات ذلك الادعاء الباطل؟!

فإذا كانوا لم يحرفوه قبل محمد، حال كونهم متضادين متباعدين رأياً ومذهباً وطقساً، **فهل من الممكن والحالة هذه إجماعهم فيما بعد على تحريفه ؟!. وما دليل إتفاقهم على تحريف الكتاب. .... فلا جرم أن الإقرار بعدم تحريف الكتاب قبل محمد نبى المسلمين، يستلزم الإقرار بعدم تحريفه فيما بعد.**

فإذا لم يكن بمستطاع كل هذه المدة الزمنية الطويلة، تحريف التوراة والإنجيل قبل محمد نبى الإسلام الذى أستشهد بصحتهما، **فكيف يستطاع تحريفهما بعده ؟!.**

بيد أنه لا توجد غاية قط من تحريف التوراة والإنجيل، والإنسان لا يشرع (لا يبدأ)، **فى عمل ما بدون غاية، فما من عاقل يباشر أمراً بدون غاية، فلا يمكن إذاً أن يقدم محرفوا الكتاب على تحريفه، بدون غاية خيرية لهم، فلا بد لهم إذا كانوا حرفوه من غاية عظيمة، ولكن ما هى تلك الغاية العظيمة ؟!**

فما أشبه الكتاب المقدس بإبرة الملاحين (البوصلة)، **كيفما قلبتها ترى طرفيها متجهين نحو القطبين، هكذا كيفما قلبت الكتاب وأدرته لا تراه إلا كعمود الحق، طرفه الواحد فى الأرض والآخر فى السماء**، لا يستطاع تحويلهما الى جهة أخرى، **وكل ذلك من الشواهد الدالة على أن الله عناية بحفظ كتابه المقدس سالماً وصحيحاً الى يومنا هذا، بل والى الأبد، ولا بد من هذه العناية من غاية، وأن لم تكن الغاية هى الهداية إلى الخلاص الذى بالمسيح، فماذا تكون ؟!.**

هل كان الله عاجزاً على صيانة كتابه المقدس – وهو موحى به منه – **من التحريف؟!. من الذى أعطى التوراة لموسى النبى، والإنجيل للمسيح عيسى ؟** من الطبيعى أن تكون إجابة أخى المسلم بأن المعطى الكتب السماوية لكل من موسى وعيسى هو ربنا سبحانه، **ولكن هل يستطيع أحد أيا كان أن يحرّف القرآن مثلاً ؟.**

فيجيب بإصرار، **أنه لا يمكن ذلك أبداً لأن ربنا سبحانه يحرسه. فإذا كان الله قادر على حراسة القرآن، أفلا يقدر أن يحرس الكتاب المقدس بأن لا يجعله لُعبة فى أيدى الناس، بالرغم من أن القرآن مرتبط ومقترن به ؟!. فإن كان الله لا يحرس كتابه من التحريف، فهو إله لا يقدر أن يحافظ على ما أنزله، ونحن بالتالي لا نستطيع أن نعبده، لأنه إله ناقص فى صفاته الإلهية. إذ يرسل لنا فخاً لنقع فيه وأخيراً يحاسبنا، وبهذا يقع على الله الخطأ والصواب، وحاشا لله سبحانه من هذا الإنكار والتجديف الصادرين من القائلين بتحريف الكتاب المقدس.**

إذا كان الكتاب الإلهي تحّرف قبل محمد نبى الإسلام، فكيف يشهد بصحته والرجوع إليه؟!. وإذا كان تحرف بعده، فكيف يرشد أتباعه المسلمين إلى الأخذ به فى كل زمان ومكان ؟!. وكيف يغيب عليه– وهو نبى ورسول – **هذا التحريف الذى سيصير إليه ويؤول**

إلى تشويش أذهان خاصته، فيصدهم عنه ويحذرهم منه؟!. وكيف يسكت علماء الإسلام– وما أكثرهم فى كل زمن – إلى أن يحرف ؟، لأن تحريف الكتاب المقدس يعتبر خطراً عظيماً على قرآنهم، إذ يشيد به، ويشهد له، ومتعلق به، ومهيمن عليه، وحارساً لـه، ولكننا نجدهم فى كل عصر وعصر يعترفون بالكتاب المقدس كأعترافهم بالقرآن.

والخلاصة: أن اليهود والنصارى، غير محرفين للكتاب المقدس، لا قبل محمد نبى الإسلام ولا بعده، لأن النعوت القرآنية والأحاديث النبوية، وشهادة نبى الإسلام نفسه وخلفائه، وأئمة الإسلام، والتاريخ الإسلامى، لأهل الكتاب، كلها تدل على ذلك.

لأن هذه النعوت الجليلة لا يوصف بها كتاب قد أزال تحريفه بهجته، وأوهى أسباب الركون إليه، أما من يرفض الحقيقة فهو يرفض المعرفة، ومن يرفض المعرفة فهو يرفض الحكمة، ومن يرفض الحكمة فهو يرفض الله تعالى، لأن الله حكمة (ام ١، ٨، ٩).

وأيضاً نقول (١):

فلو فرضنا أنه يوجد فى كل دولة من دول العالم كتاب مقدس واحد، فهل يعقل أن اليهود – وهم أعداء الداء للمسيح والمسيحيين– أن يتفقوا مع النصارى على تحريفه؟!.

وكيف يستطيعون تجميع هذه الكتب المنتشرة فى جميع دول العالم فى وقت واحد – بالرغم من صعوبة المواصلات وقتئذ – وتحريفها دون معارضة وبدون اتفاق ؟ وأن كان الكتاب المقدس حُرف، فمتى وكيف ولماذا كان هذا التحريف ؟!. ومن الذى قام به ؟!. وما هى الموضوعيات التى تم حذفها ؟!. وما هو الذى أضيف إليه ؟!.

وماهى الفائدة المرجوة من وراء هذا التحريف ؟!؟. وأين هو الأصل الصحيح الذى يمكننا أن نقارن بينه وبين الصورة المحرّفة أو المزيفة ؟!. إذ أنه لو كان لديك ورقة بنكنوت مزيفة، لوجب أن تكون معك – فى المقابل – الورقة السليمة! وعلى كلّ فنحن نترك للمعترض الفرصة إن كانت عنده إجابات منطقية على الأسئلة التى طرحناها وألا فليلزمه الإيمان الوطيد بعصمة التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، بيد أن الذى يقرأ الكتب المقدسة بعين ملؤها الغرض، يستطيع أن ينتقدها ما يشاء..

استخدام أسئلة منطقية للرد على تهمة التحريف :–

من قام بالتحريف؟ (أعطي أسمائهم ودليلك) ؟

كيف تم التحريف.؟ (رغم وجود الكتاب في كل بلاد العالم) ؟

متى تم التحريف.؟ (في أي عصر من العصور) ؟.

---

(١) المرجع السابق للأبيل المحرقى ص ١٦٦، ١٦٧

لماذا تم التحريف.؟ (ولماذا لم تحذف الآيات التي تتكلم بالويل على اليهود والخطاة....) ؟.

أين تم التحريف.؟ (أعطي أسماء البلدان) ؟.

ماذا أو ما الذي تم تحريفه.؟

(ما هي المقاطع التي حرفت وما دليلك على التحريف وأين تلك المقاطع التى حُرفت).

والسؤال الأهم : هل يعقل أن يتم تحريف كلام الله؟!

فهل علم الله بالتحريف ؟، لماذا لم يوقف الله التحريف ؟، هل يستطيع البشر أو الشيطان تحريف كتاب الله القادر والذي وعد بحفظ كلمته إلى الأبد، كما هو وارد في كل المخطوطات التي قبل الإسلام بمئات السنين.. هل قمت بالدراسة بنفسك واكتشفت التحريف بعد أن قرأت الكتاب المقدس كاملاً ؟، أم أنك سمعت ذلك من معلم في المدرسة، أو من صديق، أو داعية، أو شيخ، أو من أهل البيت ؟ ، وهل أنت متأكد من صحة ما سمعت ؟ أو أنك من الجهال الذين يتبعون مبدأ " ألولو ".؟ .. هل قرأت عن التحريف في مصادر وكتب إسلامية، وهل أنت متأكد من صحة ما قرأت ؟ .. لنفرض أن كلامك صحيح، وأن الكتاب الذي معنا اليوم مُحرّف، **فأين الأصل غير المحرف ؟.**

التوسع في سؤال متى تم التحريف:

هل كان التحريف أيام المسيح، أي قبل محمد نبى الإسلام؟.

لدينا (مئات الآلاف من المخطوطات) تواريخها من القرن الأول حتى السابع.

هل كان التحريف أيام محمد نبى الإسلام؟

شهد محمد والقرآن بأن الكتاب المقدس هدى ونور للناس. والتوراة كانت موجودة بنصها العبري بين يدي اليهود ومحمد صرح بإيمانه بها وأنها طبق حكم الرجم الموجود فيها كما هو باق إلى هذا اليوم (بعكس القرآن الذي سقطت منه آية الرجم).

هل كان التحريف بعد محمد نبى الإسلام ؟.

لا يمكن أن يكون ذلك للأسباب التى سبق ذكرها فى ذلك الكتاب، من شهادة القرآن القاطعة، وشهادة المفسرين الأولين.

هذا الكتاب:

يظن غير العارفين أن الإسلام يطعن في المسيحية ويحارب عقائدها وكتابها المقدس، بينما يجد الباحث المدقق في كل ما جاء بالقرآن الكريم أنه قد حفظ للديانة المسيحية مركزها، وأثبت صحة الكثير من تعاليمها فكان بذلك شاهداً لصدقها مما دعا الكاتب وغيره أن يكتبوا ليوضحوا هذه الحقائق من الكتاب المقدس ومن القرآن الكريم.

هذا وقد أفاض الأستاذ/ ثروت سعيد. في إثبات ذلك في كتابه الجامع الشامل: (تحريف التوراة والإنجيل بين الحقيقة والافتراء. الجزء الأول) مؤكداً استحالة التحريف منطقياً وعقلياً، وأن القرآن الكريم بمجيئه لم ينسخ التوراة والإنجيل مع التزامه بالحيدة الكاملة وهذه أمانة الباحث وأدب الكاتب وأنني أهنئ المكتبة المسيحية ولغة الضاد بهذا الكتاب الهام، وفي الأجزاء التالية التي ستصدر تباعاً للكاتب بمشيئة الله.

وليبارك الله كل عمل لمجد اسمه القدوس، وبصلوات أبينا الطوباوي قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث، وشريكه في الخدمة الرسولية سيدنا المحبوب الأنبا هدرا أسقف أسوان وتوابعها، ورئيس دير القديس العظيم الأنبا باخوميوس بحاجر إدفو. ولربنا المجد دائماً أبدياً آمين.

مقدم الكتاب

